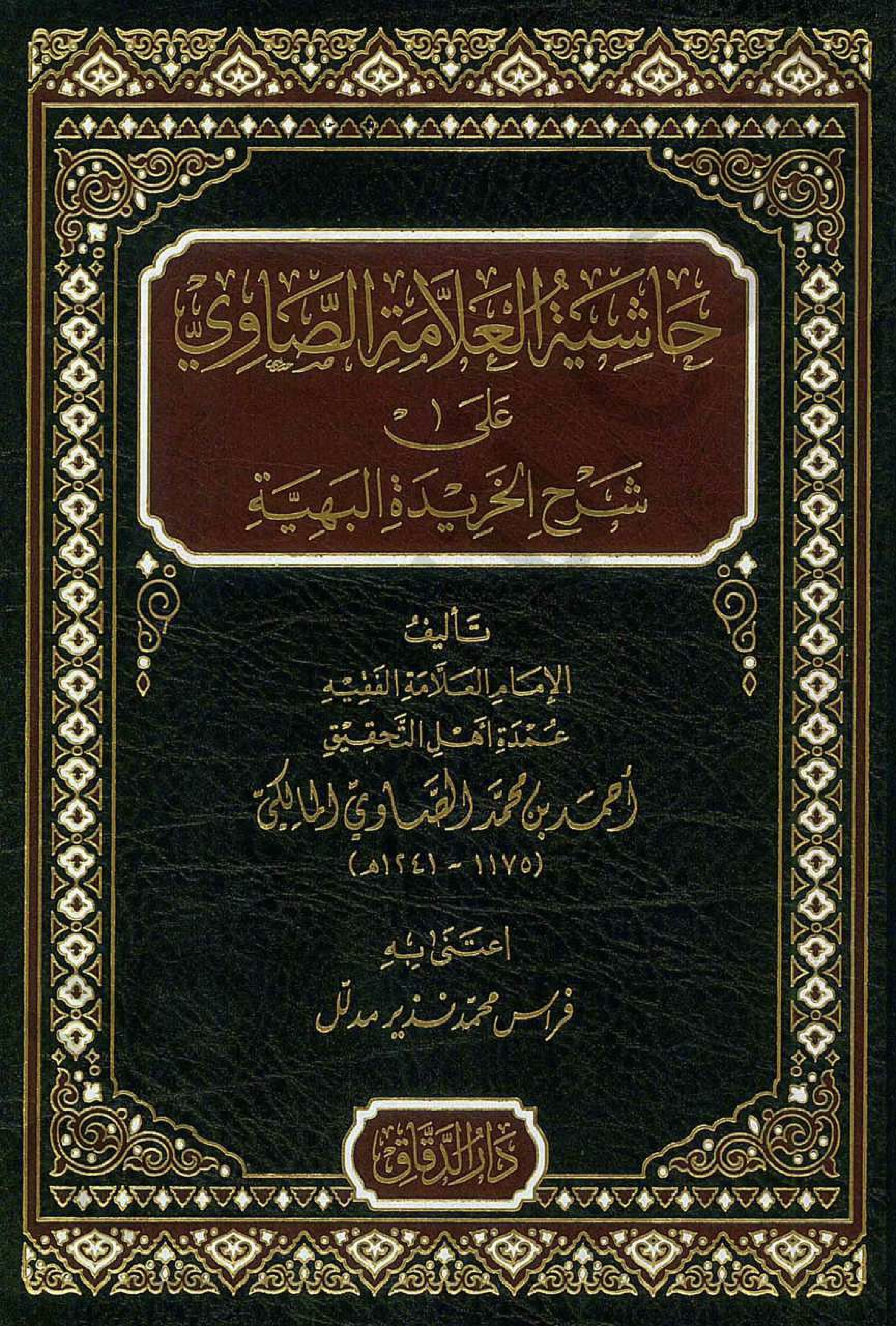

حاشية العلامة الصاوي
على
شرح الخريدة البهية
تأليف
الإمام العلامة الفقيه
عمدة أهل التحقيق
أحمد بن محمد الصاوي المالكي
(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)
اعتنى به
فراس محمد نذير مدلل
دار الدقاق

حاشية العلامة الصاوي

على

شرح الخريدة البهية

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

الرقم الدولي
978-9933-518-98-1





سورية - دمشق - حلبوني
+963 11 2249031
+963 932509370

لبنان - بيروت - فردان
+9611798485
+96178813911

daraldkak@gmail.com

حاشية العلامة الصاوي

على

شرح الخريدة البهية

تأليف

الإمام العلامة الفقيه

عمدة أهل التحقيق

أحمد بن محمد الصاوي المالكي

(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

اعتنى به

فراس محمد نذير مدلل

دار الدقاق


بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله واهب المنن والعطيات، والصلوات الطيبات المباركات، على سيدنا ومولانا محمد سيد الكائنات، وعلى آله أولو المجد والمكرمات، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، آمين.

أما بعد:

سئل سيدي العلامة العارف بالله محمد الهاشمي رحمه الله ورضي عنه عن الثمرة التي يجنيها قارئ علم العقيدة الإسلامية، وما هو الوبال الذي يلحقه من عدم قراءته؟

فأجاب رضي الله عنه: قال العلماء بل وجميع العقلاء: إن فائدته في الدنيا صحة الأعمال ونجاحها؛ شرعاً، وعادة، وعقلاً، فالعقيدة سواء كانت صحيحة أو باطلة هي شرط في ابتداء العمل، والتوحيد شرط في نجاحه، فالعقيدة باعث قوي على العمل خيراً كان أو شراً، والتوحيد شرط في نجاح ذلك العمل، إذ لا يمكن الابتداء في عمل بهمة وقوة وجد إلا بعقيدة وتوحيد، فلا يمكن سلامة باخرة أو سيارة أو طائرة أو مملكة أو مدرسة أو معمل أو بلدة أو بيت بلا توحيد الهدف والقيادة، ولا يمكن نجاح عمل تعددت رؤساؤه وأهدافهم.

وأما الوبال الذي يلحق عديم العقيدة في شيء يجلب به منفعة أو يدفع به مضرة؛ فهو دوام الحيرة والحسرة والخيبة والتردد والوساوس، ولا يقدر أن يشرع في عمل بهمة وعزيمة، وإن شرع لا يقدر أن يداوم عليه.

وأما الوبال الذي يلحق عديم التوحيد في أعماله كلها فسادها وعدم نجاحها؛ فإن كانت باخرة غرقت، أو سيارة تكسَّرت، أو طائرة سقطت وتحطمت، أو مملكة تمزقت، أو مدرسة أو معملاً أو بلدة أو بيتاً خرب واضمحل، وأي وبال أكبر وأوضح من هذا؟ هذا في مطلق عقيدة ومطلق توحيد.

وأما وبال العقيدة الباطلة: فهو مقت العقلاء له وسقوطه من فضائل الأخلاق الإنسانية، وحرمانه من الحقوق المدنية، وتعرضه للعقوبات الدنيوية من إهانة وإفلاس وضرب وسجن وإعدام، وأي وبال أكبر من هذا؟

فالعقيدة الصحيحة هي ما كانت مطابقة للواقع ومؤيَّدة بالنقل والعقل، **والعقيدة الباطلة الفاسدة** هي ما لم تطابق الواقع ولم تؤيَّد بنقل ولا بعقل.

وبالجملة: **ففائدة العقيدة الفاسدة** إن حصلت فهي الفوز ببعض لذاته العاجلة النفسانية الشهوانية الحيوانية الوقتية، ويعقبها ندامة وعقوبة في الدنيا والآخرة.

وفائدة العقيدة الصحيحة السليمة هي الفوز في الدنيا بصحة الأعمال في الدنيا والثناء الجميل، والأمن والثقة بصاحبها، والغنى والراحة والطمأنينة والنصر على الأعداء، وفي الآخرة الفوز برضا الرحمن ودخول الجنان[١].

فيعتبر علم العقيدة من أجلّ العلوم وأعلاها، وأوجبها وأولاها، ومن أهمها تحصيلاً وتبجيلاً، فلذلك أعطى علماء السلف والخلف اهتماماً بالغاً بهذا العلم، وتعليمه لكافة شرائح المجتمع، فألفوا فيه المتون والشروح والحواشي، والمطولات والمختصرات ليناسب كافة المستويات.

---

(١) مفتاح الجنة (ص٢٣-٢٤).

ومن هذه الكتب متن «الخريدة البهية» وشرحها للعلامة أحمد الدردير، فهي واحدة من المتون الرئيسة المهمة في علم العقيدة على مذهب الإمام الحبر أبي الحسن الأشعري رحمه الله ورضي عنه؛ لسهولة أسلوبها ويسر عباراتها.

وهذا المتن يعد من اللبنات الأولى للمبتدئين في علم العقيدة، وتذكرة لطيفة للمنتهين، فذكر فيه العلامة الدردير الأصول الكبيرة في علم التوحيد، ثم ختمه بخاتمة في علم التصوف وذكر أعلامه.

وهو مصنف ضمن الكتب المقررة في الأزهر الشريف، فتلقاه علماؤه بالقبول، ودرسوه تحت أعمدته مئات السنين، فهو كما قال الإمام الدردير:

لطيفة صغيرة في الحجم ... لكنها كبيرة في العلم

تكفيك علماً إن ترد أن تكتفي ... لأنها بزبدة الفن تفي

هذا، وإن من أجلِّ وأهم ما كتب عليها من الحواشي النفيسة المباركةحاشية العلامة أحمد الصاوي تلميذ الإمام الدردير التي حوت الفوائد العظيمة والتحريرات الجليلة الدقيقة مع ذكر التعليل والدليل، فقد بيَّن فيها ما أجمل بالتفصيل والتحقيق، وفتح ببيانه ما أغلق، مع سهولة العبارة، وجمال السبك، وحسن الإشارة، ووضوح المعاني.

وفي ختام القول:

أشكر فضيلة الشيخ الشريف أنس الشرفاوي حفظه الله وعمَّم نفعه على إتحافي بترجمة واسعة للإمام الصاوي، والشكر موصول أيضاً لأخي في الله الأستاذ المبارك حسان دقاق على عنايته بطباعة هذه الحاشية المباركة.

فهذا جهد المقل؛ فإن وفِّقت.. فذلك من فضل الله وحسن توفيقه، وإن أخطأت.. فهو من نفسي والشيطان.

والحمد لله في بدء وفي ختم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأكرمين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، آمين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصَّافات: ١٨٠-١٨٢].

وحرر في عشر المغفرة من رمضان

المبارك في الشام المباركة

يوم الجمعة (١٢) رمضان (١٤٤٠هـ)

الموافق من (١٧) أيار- مايو - (٢٠١٩م)

وكتبه

المفتقر إلى عفو ربه القدير

فراس مدلل ابن محمد نذير

ترجمة الإمام الدردير[١]

(١١٢٧-١٢٠١هـ)

هو الإمام العلامة النحرير، شيخ الإسلام وبركة الأنام، أوحد وقته في العلوم النقلية والفنون العقلية، القطب الكبير، العارف بالله أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي الأزهري المالكي الشهير بالدردير.

سيرته ومكانته:

ولد الإمام الدردير ببني عدي بالقرب من منفلوط سنة (١١٢٧هـ)، وحفظ القرآن وجوده، وحبِّب إليه طلب العلم منذ الصغر، فورد الجامع الأزهر، وحضر دروس كبار العلماء والمشايخ، وتلقى عنهم وسمع منهم، وأفتى في حياة شيوخه مع كمال الصيانة والزهد والعفة والديانة.

ولما توفي الشيخ علي الصعيدي؛ عُين الإمام الدردير مفتياً وشيخاً على المالكية، وعين ناظراً على وقف الصعايدة، وشيخاً على طائفة الرواق، حتى صار شيخاً على أهل مصر بأسرها حسّاً ومعنىً.

---

(١) ينظر «حلية البشر» (١/ ١٨٥)، و«تاريخ عجائب الآثار» (٢/ ٣٣)، و«شجرة النور الزكية» (١/ ٥١٦)، و«اليواقيت الثمينة» (١/ ٥٦) و«الأعلام»، (١/ ٢٤٤)، و«معجم المؤلفين» (٢/ ٦٧).

وكان الإمام الدردير يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصدع بالحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

كان سليم الباطن، مهذب النفس، كريم الأخلاق، محبباً عند الخاص والعام، وله في السعي على الخير آيدٍ بيضاء.

شيوخه:

تتلمذ الإمام الدردير على كبار أهل عصره، وكان جل انتسابه على الشيخين الجليلين:

الإمام العلامة شمس الدين محمد بن سالم الحفني وبه تخرج في طريق القوم، وصار من أكبر خلفائه في الخلوتية، وعنه أخذ، توفي سنة (١١٨١هـ).

والإمام العلامة علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي، لازمه وانتفع به، وبه تفقه، توفي سنة (١١٨٩هـ).

ومن مشايخه الذين أخذ عنهم:

العلامة الفقيه المحدث شمس الدين محمد بن محمد الدفري الشافعي (تبعد ١١٦١هـ).

العلامة الفقيه المحدث أحمد بن مصطفى الصباغ (ت١١٦٣هـ).

العلامة النحوي المقرئ أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني المعروف بالبليدي المالكي (ت١١٧٦هـ).

العلامة الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد المفتاح الملوي الشافعي (ت١١٨١هـ).

تلامذته:

أخذ عن الإمام الدردير أكابر عصره؛ فمنهم: العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبادة بن بري العدوي (ت١١٩٣هـ).

الإمام العلامة الفقيه موسى البشبيشي الشافعي الأزهري (ت١٢٠٢هـ).

العلامة الشيخ أحمد بن أحمد السماليجي الشافعي (ت١٢٠٣هـ).

العلامة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد بن دهمان الحلبي الشافعي (ت١٢٠٥هـ).

العلامة الشيخ أحمد بن رمضان الطرابلسي الأزهري المعروف بالشيخ شامل (ت١٢١٤هـ).

العلامة السيد الشريف أحمد باعلوي جمل الليل المدني (١٢١٦هـ).

الإمام العلامة العارف بالله وخليفته من بعده أبو الفلاح صالح بن محمد السباعي (ت١٢٢١هـ).

العلامة الفقيه محمد الخشني الشافعي (ت١٢٢١هـ).

العلامة الشيخ أبو الخيرات مصطفى العقباوي الأزهري المالكي (ت١٢٢١هـ).

العلامة الشيخ أبو الربيع سليمان بن محمد الفيومي الأزهري المالكي (ت١٢٢٤هـ).

العلامة المحقق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي الأزهري (ت١٢٣٠هـ).

العلامة الشيخ محمد المهدي الحفني الأزهري (١٢٣٠هـ).

شيخ الإسلام العلامة محمد بن علي الشنواني الشافعي (١٢٣٣هـ).

الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي (ت١٢٤١هـ).

مؤلفاته:

* أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك.

* تحفة الإخوان والخلان في آداب أهل العرفان، في التصوف.

* تحفة الإخوان في علم البيان.

* تحفة السير والسلوك إلى ملك الملوك.

* التوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى.

* الخريدة البهية في علم التوحيد وشرحها.

* رسالة في شرح صلاة السيد أحمد البدوي.

* رسالة المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق.

* رسالة في المولد الشريف.

* رسالة في شرح قول الوفائية: يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي يا حكم.

* رسالة في الاستعارات الثلاث.

* شرح على رسالة في التوحيد من كلام دمرداش.

* شرح على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتي.

* شرح مقدمة نظم التوحيد للبكري.

* شرح على مسائل: كل صلاة بطلت على الإمام بطلت على المأموم، والأصل للشيخ البيلي.

* شرح على الشمائل لم يكمل.

* شرح رسالة قاضي مصر عبد الله أفندي المعروف بططر زاده في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[1].

* العقد الفريد في إيضاح السؤال عن التوحيد.

* فتح القدير في أحاديث البشير النذير.

* مجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ.

وفاته:

تعلل أياماً ولزم الفراش مدة، وفي سادس شهر ربيع الأول سنة إحدى ومئتين وألف توفي رحمه الله، وصلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد عظيم حافل، ودفن بزاويته التي أنشأها.

(١) سورة الأنعام: (١٨٥).

ترجمة الإمام الصاوي[١]

(١١٧٥-١٢٤١هـ)

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة، قدوة السالكين، ومربي المريدين؛ شهاب الدين أبو العباس أحمدُ بن محمد بن محمد بن الشريف الحنفي الحُليفي الصاوي المالكي الخلوتي.

ينتهي نسبه للدوحة العلوية المباركة، فالحنفي نسبة لمحمد بن الحنفية، ابن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢].

(١) ينظر في ترجمته «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» (١/ ٦٤)، «شجرة النور الزكية» الترجمة (١٤٤٨)، «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٥٦٥)، «هدية العارفين» (١/ ١٨٥)، «معجم المطبوعات» (١/٣٧٦)، كما ينظر كتاب «مناقب الصاوي» على الجملة، وهو أجمع ما كتب في ترجمته، وهو من تأليف ثلاثة من تلاميذ الشيخ الإمام الصاوي، وهم الشيخ قاسم بن محمد الششتي المالكي الخلوتي، بدأ به لكن اخترمته المنية ولم يتمه، فتابع العمل فيه أخوه الشيخ أحمد، ومات أيضاً قبل تمامه، ثم بعد هذا أتمه الشيخ محمد بن حسين الكتبي، وتولى إخراجه مع زيادات طيبة الفاضل محمد عبد الحليم عبد الحميد وسماه: «مناقب الصاوي أستاذ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ».

(٢) انظر سلسلة نسبه في «مناقب الصاوي» (ص٥٥).

ولادته ونشأته:

ولد الإمام الصاوي سنة (١١٧٥هـ) في قرية على شاطئ النيل من إقليم الغربية بمصر تدعى: (صاء الحجر)، وإليها نسبته، وقدماء اليونان يسمونها (سايس)، وهي اليوم قريبة من منطقة بسيون وتابعة لها، أما نسبته الخُليفي فللميقات المعروف بذي الحُليفة، إذ أجداد الإمام كانوا من أهله قبل هجرتهم إلى مصر.

عُرف والدُهُ بالصلاح والورع وكثرة العبادة والتبتل إلى الله تعالى، بل كان صاحب ولاية شهد له بها من حوله، وأمُّهُ من بنات مشايخ عربان البحيرة من قرية جبارس، كانت عابدة تقية ورعة، روي أن الإمام قرأ عليها شيئاً من علوم التوحيد بنيَّة تعليمها، فقالت له: يا ولدي؛ كل هذا الذي تقرؤه عليَّ وتقوله لي هو في قلبي، غير أني لا أستطيع أن أعبِّرَ عنه بعبارات كعباراتك[1].

نشأ في حجر أبيه في رياض من التقوى والمعرفة، فبدأ بحفظ القرآن بإشاراته ومتابعته، وما لبث أن توفي والده وهو دون الخامسة، وأتمَّ حفظه وهو ابن خمس سنين، ثم تولَّى إخوته رعايته، فطلب منهم الإذن له بالسفر لطلب العلم في الأزهر بالقاهرة، فمنعوه لصغر سنِّه يومئذ، فسكن فترةً راضياً، ثم فرَّ منهم إلى قرية القصابة وله فيها بعضٌ من أقاربه، فأخبرهم بعزمه على طلب العلم، فأكرموه وأمَّنوه، ثم كان أن اقتنعَ إخوته بفكرته التي ألحَّ في طلبها، فدخل القاهرة قاصداً الأزهر سنة (١١٨٧هـ) وعمرُهُ

---

(١) مناقب الصاوي (ص٦٠).

يومَها لم يجاوز الثانية عشرة، لينالَ قدرَ الله الذي قسمه له وهو يتقلَّب في أحشاء أمِّه.

مرحلة الطلب والتأهيل العلمي:

كان الأزهر يومها حافلاً بأساطين العلماء الأفذاذ، وكان من جملة من تولَّى وصايته العلامة الشيخ **شافع الخفاجي**، والعلامة الشيخ **محمد عبادة العدوي**، ومنهم العلامة الشيخ **أحمد السجاعي** صاحب الحواشي المشهورة، وكان من لطيف أخباره معه أنه ذات يوم مرض الشيخ السجاعي، فبعث للطلبة أن يحضروا الدرسَ في بيته، وكان قد بقي درسٌ من «شرح ابن عقيل على الخلاصة»، فلما جاؤوه قال لهم: هل فيكم الصاوي؟ فقالوا: لا، فقال: انتظروا حتى يحضر، وأرسل إليه، فما قُرئ الدرس إلا بحضرته!

ومن جملة العلماء الذين نهل منهم الإمام الصاوي شيخُهُ في الحديث والتفسير العلامة الإمام **سليمان بن عمر الشهير بالجمل**، وهو صاحب الحاشية المشهورة على «الجلالين» والمسمَّاة بـ«الفتوحات الإلهية»، وكان الشيخ الجمل يحبُّه ويجلُّه.

ومنهم العلامة الذي سارت بآثاره الركائب **محمد بن محمد الأمير الكبير** السَّنَباوي المالكي، وكان الشيخ الأمير يحبُّه ويستوصيه بالدعاء، ويشهد له بالصلاح ورُتَبِ المعرفة.

ومنهم أيضاً العلامة محمد بن **أحمد بن عرفة الدسوقي** المالكي، من صارت حواشيه خاتمة القول في كل فنٍّ وعلم حشَّى فيه.

ومنهم شيخ الأزهر العلامة **عبد الله الشرقاوي**، كلٌّ هؤلاء كان لهم

نصيب عند الإمام الصاوي، ولكن ما نزلوا من قلبه كمنزلة شيخه ومربِّيه أوحد زمانه العلامة البحر الشيخ **أحمد الدردير** رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

في رحاب الشيخ الدردير:

العلامة الدردير كان نجمَ الهداية في سماء إمامنا الصاوي رحمهما الله، وكانت عُلقة كلٍّ منهما بصاحبه تجاوز حدود المألوف، قال العلامة المؤرخ الجبرتي في ترجمة الإمام الدردير رحمه الله: (الإمام العالم العلامة، أوحد وقته في الفنون العقلية والنقلية، شيخ أهل الإسلام وبركة الأنام، أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، ولد ببني عدي كما أخبر عن نفسه سنة (١١٢٧هـ) وحفظ القرآن وجوَّده، وحُبِّب إليه طلب العلم، فورد الجامع الأزهر وحضر دروس العلماء وسمع الأوَّليَّ عن الشيخ محمد الدقري بشرطه، والحديثَ على كلٍّ من الشيخ أحمد الصباغ وشمس الدين الحفني وبه تخرَّج في طريق القوم، وتفقه على الشيخ علي الصعيدي ولازمه في جلِّ درسه حتى أنجب، وتلقن الذكر وطريق الخلوتية من الشيخ الحفني، وصار من أكبر خلفائه، وأفتى في حياة شيوخه، مع كمال الصيانة والزهد والعفة والديانة، وحضر بعض دروس الشيخين الملَّوي والجوهري وغيرهما، ولكن جلُّ اعتماده وانتسابه على الشيخين الحفني والصعيدي، وكان سليم الباطن، مهذَّب النفس، كريم الأخلاق)[1].

---

(١) عجائب الآثار (٢/ ٣٣).

ومؤلفات العلامة الدردير لها مكانة رفيعة بين كتب المتأخرين عند السادة المالكية، و«خريدته» و«صلواته» و«تحفته» لا تغيب عن مكتبة طلبة العلم المجدِّين، فمتى وكيف عرف الصاويُّ دليل قلبه إلى ربِّه؟

في السنة التي وفد فيها الفتى الصاوي إلى القاهرة قاصداً الأزهر (١١٨٧هـ)، وبعد ستة أشهر أقامها يومها، جذبته الطلعةُ الحرَّة البهية ذات الأنوار الربانية للشيخ الدردير لأن يكون منتظماً في عقد الولاية، ووقع نظر الأحمدينِ على بعضهما، وحيرةُ الحياء والوجل تغلي في فؤاد الفتى، لتتجلى نظرة منكسرة راجية، تخالطُها نظرة أبوية حانية متوقدة تلألأ شعشاعُها تجولُ في صفحات وجه الوصية الربانية الوافدة، ويبايع الشيخ الدرديرُ ولدَه الروحي الصاوي، ويرتضيه ليثاً في طريق السادة الخلوتية، طريق العلم والعمل والولاية والأدب مع الله تعالى ومع رسوله المصطفى عليه صلوات الله وسلاماته.

ولك أن تعلم أن الشيخ الدردير قام فنسج الصاويَّ نسيجاً جديداً لا تبليه الأيام، فأخذ عنه المعقول والمنقول وهو يومها إمامُ مصرَ كلِّها فيهما، وتفقَّه على يديه حتى بلغ الأمر أنْ إذا رأى الشيخ الدردير خطَّ الصاوي على فتوى ما.. سارعَ وختمَ عليها؛ لعلمه بتديُّنه وتحقيقه العلمي[1]، والصاوي مع هذا ملازم لمجالس الشيخ وأوراده، لا يني ولا يتأوَّل، حتى كان له في قلب الشيخ المقامُ الأول.

(١) مناقب الصاوي (ص٦٤).

وبلغ من تعظيم الإمام الصاوي لشيخه الدردير ما تتحيَّرُ فيه العقول، فكان لا يذوق نوماً وشيخه مستيقظ، فإذا نام.. نام تحت رجليه، واستيقظ قبله، ولا سيما بعدما أخذ الدردير بأُذنه يوماً نام فيه عن ورده وقال: أُذنك باردة! قال الصاوي: (ففهمت إشارته، وتصببت عرقاً من شدة الحياء، ولزمت الهمَّة والاجتهاد في أخذ الأوراد)، فما فاته بعد ذلك وردٌ للشيخ إلا وكفَّره بإحياء ليلة كاملة[١].

وقد حاول بعض الوشاة ممن أكلت الغيرةُ قلبَهُ تغييرَ قلب الشيخ الدردير في حقِّ الصاوي، فنعته بالتفريط والغياب عن مجلس الذكر، فقال العلم الدردير: (ولدي أحمدُ لا نظيرَ له أتى أو لم يأتِ)، حتى بلغ من الشيخ محمد عبادة -وهو من أقران الشيخ الدردير في الأزهر وابن بلدته، ومن جملة أشياخ الصاوي كما سبق- أن جعل الصاويَّ وسيلتَهُ للدخول لقلب الشيخ الدردير، ثم بعدها كان يقول: (أودُّ أن أُسلب العلم والشهرة وتكون منزلتي عند الشيخ الدردير كمنزلتك يا صاوي!)، وكان قد شاهد يوماً كيف أخذ الصاوي عن الدردير ورداً خاصاً، فقال: (لقد امتلأ قلبي وجسدي نوراً من سماعي الذكر في أُذنه، فكيف بمن أدخل الذكرُ إلى قلبه؟!)[٢].

بقي الصاوي ملازماً لشيخه الدردير إلى آخر لحظة من حياته، وكان الشيخ الدردير أيام مرضه يسأل عنه، ويقول: أين ولدي أحمد؟ فيقولون:

---

(١) المصدر السابق (ص٦٦).
(٢) المصدر السابق.

هو أسفلَ الدار، فأمر بمجيئه، فصعد إليه، فقال له الشيخ: لَمَ تأخرت يا ولدي؟ ثلاثة أيام وأنا مشتاق إليك، فقال الحاضرون: إنه لم يخرج من المنزل منذ أن حصل لك المرض، فقال الشيخ: إن مت لا أقطع بأحد غير ولدي أحمد.

مجاهداته في طريق القوم:

يوماً لقَّن الشيخ الدردير جملةً من مريديه ورداً خاصاً، وكان بينهم العلامة السيد خير الدين الغزي، فقال لهم: الطريق صعب، وهذا أولُ قدم يضعه المريد فيها، فكونوا على حالة طيبة، والزموا الآداب، ولما وصل الصاوي.. قال له: يا ولدي؛ ارفقْ بنفسك؛ إن لبدنك عليك حقّاً، فقام الجماعةُ من عند الشيخ باكين على أنفسهم؛ بتشديده عليهم وتخفيفه على الصاوي[1].

فقد كان الإمام لا يأكلُ إلا لقيمات قليلة، ويلازم الجوعَ من غير صوم فضلاً عن الصوم، ودخل الخلوة بأمر شيخه، فبقي ثلاث ليالٍ يأكل قليلاً من الأرز، فاشتهت نفسه طعاماً حلواً، فأدَّبها بأن ترك الطعام والشراب ثلاث ليالٍ، حتى صار يسمع نفسَهُ حالَ الذكر تقول: يا مغيثُ؛ أغثنا، فإذا برجل يطرق الباب ومعه تمرٌ حسن، فأخذه وأغلق الباب، ولم يأكل، حتى عرض في قلبه: شيء أتاك بلا طلب، فكله، فصار يأكل في اليوم ثلاث تمرات لا يزيد عليها!

---

(١) المصدر السابق (ص٦٧).

وقد تأدَّب الإمام بجملة من طرق السادة الصوفية؛ فقد تلقى الطريقة الخلوتية عن شيخه الدردير، وعن الشيخ عبد المتعال الخراشي، والطريقة الشاذلية عن الإمام عبد الوهَّاب العفيفي، والخراشي أيضاً، والطريقة القادرية عن السيد أعرابي البيروتي، وكذا الطريقة الدمرداشية عنه، بل وأخذ جملة الطرق الصوفية عن الإمام محمد الأمير الكبير رحمه الله.

أخلاقه وثناء العلماء عليه:

ألسنةُ الخلق أقلامُ الحق سبحانه وتعالى، قال السيد أحمد الششتي تلميذ الإمام الصاوي في الكتاب السالف الذكر «مناقب الصاوي»: (اشتغل بالإرشاد إلى طريق الرشاد، وأنقذ الله به مهج العباد من الحسد والبغي والعناد، فعمَّ نفعه الحاضر والباد.

ثم إن أستاذي - رضي الله عنه وعنَّا به - شرع يدعو الناس إلى الله بحاله وقاله، وحاله مع عباد الله العطفُ والرأفة وعدم التشديد، يربي أتباعه بالألحاظ في كل الألحاظ، ويدلهم على المقام الأعلى من أول قدم، حتى فاح شذا عطره في الأكوان، وانتشر سره في جميع الوديان).

وقال العلامة محمد بن ظافر المدني الأزهري المالكي في كتابه «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» (١/ ٦٤): (العلامة المحقق، والجهبذ الفهامة الحبر المدقق، وحيد الزمان، وفريد العصر والأوان، قدوة السالكين، ومربي المريدين، شيخ الوقت والطريقة، العابر من المجاز إلى الحقيقة، لم أقف له على ترجمة، وأخذ رحمه الله عن سيدي أحمد الدردير، وسيدي محمد الأمير الكبير، ومن في طبقتهما -إلى أن

قال- وتوفي بالمدينة المنورة سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف رحمه الله).

وقال إمام أهل السنة في عصره العلامة يوسف النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء»: (الشيخ أحمد الصاوي شيخ الطريقة الخلوتية، وأستاذها الأعظم في مصر، بعد شيخه الشيخ أحمد الدردير أستاذها الأعظم في مصر، بعد شيخه الشيخ محمد الحفني أستاذها الأعظم في مصر، بعد شيخه السيد مصطفى البكري أستاذها الأعظم ومجددها الأكرم، ولكل منهم كرامات كثيرة، وأعظمها معرفتهم برب العالمين، وتسليكهم المريدين الصادقين، وكلُّهم من أكابر العلماء والأولياء العارفين، رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم آمين، وعنهم انتشرت هذه الطريقة العلية في بلاد مصر والحجاز والشام والمشرق والمغرب وسائر البلاد الإسلامية.

ومن كرامات سيدي الشيخ أحمد الصاوي: ما ذكره صديقي العلامة الأكمل الشيخ حسين ابن الولي الكبير العارف الشهير سيدي الشيخ محمد الجسر الطرابلسي أحد أكابر خلفاء الشيخ أحمد الصاوي المذكور، قال الشيخ حسين المذكور في كتابه «نزهة الفكر» الذي ألفه في مناقب والده الشيخ محمد الجسر: وقد بلغني من كرامات سيدي الشيخ أحمد الصاوي قدس الله سره وبشاراته بوالدي، أنه قبل أن يرد خبر وفاة جدي والد الشيخ إلى مصر، قال سيدنا الصاوي في حضور والدي ومحفل من إخوانه: أسمعونا الفاتحةَ لروح الحاج مصطفى الجسر؛ يعني: جدي! فجعل والدي يبكي، فأخذ سيدنا الشيخُ الصاوي يعزِّيه، ثم إنه جعل يضرب ظهره بيده الكريمة ويقول له: أنت جسرٌ بإذن الله، أنت جسرٌ بإذن الله، ثم بعد مدة

من الزمان ورد لوالدي الخبرُ بوفاة والده رحمهم الله تعالى، هذا ولا يخفى أنه في ذلك الزمان لم يكن تلغراف ولا بريد منتظم بين مصر والشام، انتهى كلام الشيخ حسين الجسر حفظه الله.

ومثل الشيخ أحمد الصاوي المذكور لا يحتاج للدلالة على ولايته وكثرة فضله بنقل كثير من كراماته، فإنه كان بإجماع المسلمين من أكابر أئمة العلماء العاملين الهادين المهديين، وأئمة الأولياء العارفين المرشدين الكاملين، والله ينفعنا ببركاتهم آمين)[١].

وقال العلامة محمد مخلوف المالكي التونسي في كتابه «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»: (أبو العباس، أحمد الصاوي الخلوتي، الإمام الفقيه، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، العلامة المحقق، الحبر الفهامة المدقق، قدوة السالكين، ومربي المريدين)[٢].

مؤلفاته:

خلَّف الشيخ الإمام الصاوي كتباً متنوعة العلوم كما سترى، وأكثرها على طريقة التحشية والشرح، وهي بحمد الله تعالى نافعة بديعة، تتجلى في ثناياها كلمات العرفان وأهل الخصوصية، في ربط وثيق لا ترى فيه إغراباً، وقد وردت أسماء مؤلفاته في «مناقب الصاوي» مع بيان دواعيها وموضوعاتها[٣]:

---

(١) جامع كرامات الأولياء (١/ ٥٦٥).
(٢) شجرة النور الزكية (١/ ٥٢٢).
(٣) مناقب الصاوي (ص١٢٦).

- الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية.

- الفرائد السنية على متن الهمزية، شرح فيها همزية الإمام البوصيري رحمه الله.

- شرح تحفة الإخوان في علم البيان، والأصل لشيخه الدردير.

- بلغة السالك لأقرب المسالك، وعُرف بـ«حاشية الصاوي على الشرح الصغير»، والشرح الصغير هو شرح شيخه الدردير لكتابه «أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك».

- شرح منظومة أسماء الله الحسنى، والأصل أيضاً لشيخه الدردير.

- حاشية على شرح الخريدة البهية، ومنظومةُ «الخريدة البهية» وشرحُها كلاهما لشيخه الدردير، **وهو كتابنا هذا**.

- شرح لمنظومة جوهرة التوحيد، والأصل للعلامة إبراهيم اللَّقاني رحمه الله.

- رسالة في الرد على منكري كرامات الأولياء، ألَّفها في ليلة كاملة، وكان الداعي لتأليفها إنكار رجل للكرامات في حضرة الشيخ الدردير، وقد سمعها الدردير وقال: كأنه كتبها من صدري، وهذه الرسالة أول ما ألفه رحمه الله.

- رسالة في الجهاد.

- شرح جليل على دعاء (يس).

- تقريرات على دلائل الخيرات.

- رسالة فيما للخلوة من شروط وآداب.

- حاشية على مختصر البخاري.

- حاشية على قصيدة بانت سعاد.
- حاشية على مولد شيخه الدردير.
- رسالة في شرح البسملة.
- حاشية على تفسير القاضي البيضاوي.
- حاشية على الجلالين.

وفاته رضي الله عنه:

شد الإمام رحاله للحج في سنة (١٢٤٠هـ)، وكان معه كوكبة من تلاميذه ومحبيه، وكان في أيامه هذه كثيراً ما يردد: (الوقت قرُبَ وحبيبي دعاني)، وكان هذا الكلام سبب كرب أصحابه.

ثم إنه أتم مناسك الحج، وعجَّل بالزيارة للمقام الأفخم والقبر المعظم في المدينة المنورة، وما هي إلا أيام حتى تمرَّض هناك، وفي السابع من شهر الله المحرم في مستهلِّ سنة (١٢٤١هـ) لبَّى نداء حبيبه الأوحد سبحانه وتعالى[1]، وكان هذا في رياض المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلوات الزاكيات وأطيب التسليمات.

رحمه الله وأعاد علينا جميعاً من أحواله وبركاته ما تبتهج به القلوب، آمين.

(١) اليواقيت الثمينة (١/ ٦٥)، وانظر «مناقب الصاوي» على الجملة، وفيه مجموعة من القصائد التي قيلت في الإمام بعد وفاته.

منهج العمل في الكتاب

تم إخراج هذا الكتاب المبارك وفق الخطوات التالية:

- نسخ الكتاب ومقابلته على النُّسخ.
- تزيين الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة.
- تخريج الآيات ووضعها بين قوسين مزهَّرين.
- تخريج الأحاديث والآثار والنُّقول، وإحالتها إلى مظانِّها حسب ما توفَّر لدي من المصادر.
- وضع مطالب بعناوين مناسبة، وجعلها بين معقوفين.
- ترجمة الإمام الدردير والصاوي رحمهما الله تعالى.
- وضع الكلمة الَّتي تحتاج إلى إضافة بين معقوفين.
- إعداد فهرس للكتاب.

وفي الختام: أسأل الله الفتاح العليم أن أكون قد وفقت في إخراجه كما أراده مؤلفه، وأن ينفع به، وأن يكون ذخراً لي في صحيفتي وصحيفة والداي ومشايخي ومن له فضل عليَّ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

وصف النسخ الخطية

النسخة الأولى:

نسخة المكتبة الأزهرية بمصر برقم (٧٧خاص، ١٦٠٦عام)، وهي نسخة كاملة تامة، خطها نسخي جيد، وقد وقعت في (٥٦) لوحة، وعدد أسطر الورقة (٢٩) تقريباً، ناسخها محمد عنبر ابن مصطفى عنبر الرشيدي المالكي، وتاريخ نسخها (١٢٤٥هـ).

النسخة الثانية:

نسخة مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، وهي تقع في (٩٥) ورقة، وعدد أسطر الورقة الواحدة (٢٢) سطراً تقريباً، وبهامشها متن «الخريدة» وسنة طباعتها (١٣٦٦هـ).

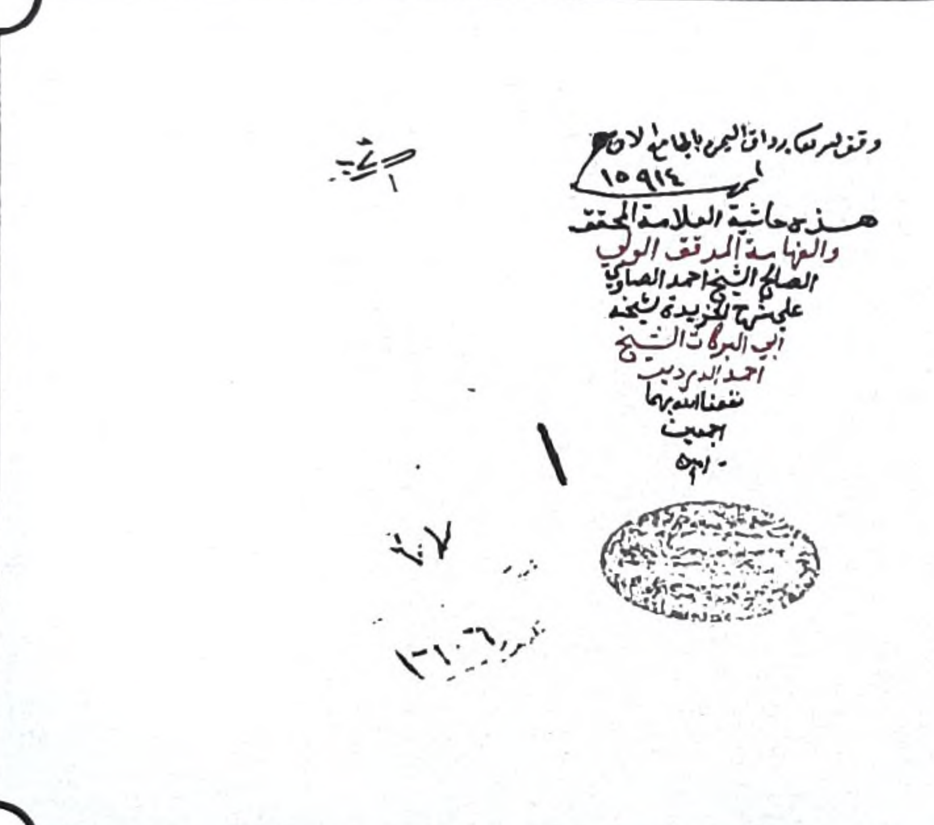
النسخة الثالثة:

نسخة مكتبة جامعة الملك سعود برقم (٢٨٠٠) خطها نسخي جميل، تقع في (٨٠) لوحة، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢٢) سطراً تقريباً وهي نسخة كاملة، جاءت الأبيات باللون الأحمر، ناسخها حسنين الفيومي المنشاوي، تاريخ نسخها (١٢٧٠هـ)، **وهي نسخة المتن.**



صور المخطوطات المستعان بها



راموز صفحة عنوان المخطوط

راموز الصفحة الأولى من المخطوط

راموز الصفحة الأخيرة من المخطوط

حاشية
على
شرح الخريدة البهية

تأليف
سيدى أحمد الصاوى
(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

وبالهامش
شرح الخريدة البهية
للقطب الكامل والغوث الواصل أبي البركات
سيدى أحمد الدردير
١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

راموز صفحة عنوان المطبوع

راموز الصفحة الأولى من المطبوع

راموز الصفحة الأخيرة من المطبوع





راموز صفحة عنوان المتن

راموز الصفحة الأولى من المتن

راموز الصفحة الأخيرة من المتن



تأليف

الإمام العلامة الفقيه

عمدة أهل التحقيق

أحمد بن محمد الصاوي المالكي

(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

منظومة الخريدة البهية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَقُولُ رَاجِيْ رَحْمَةِ الْقَدِيْرِ ... أَيْ أَحْمَدُ الْمَشْهُوْرُ بِالدَّرْدِيْرِ

الْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْوَاحِدِ ... الْعَالِمِ الْفَرْدِ الْغَنِيِّ الْمَاجِدِ

وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ والتَّسْلِيْمِ ... عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْكَرِيْمِ

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَطْهَارِ ... لا سِيَّمَا رَفِيْقُهُ فِي الْغَارِ

وَهَذِهِ عَقِيْدَةٌ سَنِيَّهْ ... سَمَّيْتُهَا «الْخَرِيْدَةَ الْبَهِيَّه»

لَطِيْفَةٌ صَغِيْرَةٌ فِيْ الْحَجْمِ ... لَكِنَّهَا كَبِيْرَةٌ فِي الْعِلْمِ

تَكْفِيْكَ عِلْمَاً إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفِيْ ... لِأَنَّهَا بِزُبْدَةِ الْفَنِّ تَفِيْ

وَاللهَ أَرْجُوْ فِي قَبُوْلِ الْعَمَلِ ... وَالنَّفْعَ مِنْهَا ثُمَّ غَفْرَ الزَّلَلِ

أَقْسَامُ حُكْمِ الْعَقْلِ لَا مَحَالَهْ ... هِيَ الْوُجُوْبُ ثُمَّ الاسْتِحَالَه

ثُمَّ الْجَوَازُ ثَالِثُ الأَقْسَامِ ... فَافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأَفْهَامِ

وَوَاجِبٌ شَرْعَاً عَلَى الْمُكَلَّفِ ... مَعْرِفَةُ اللهِ الْعَلِيِّ فَاعْرِفِ

أَيْ يَعْرِفَ الْوَاجِبَ وَالْمُحَالَا ... مَعْ جَائِزٍ فِي حَقِّهِ تَعَالَى

وَمِثْلُ ذا فِي حَقِّ رُسْلِ اللهِ ... عَلَيْهِمِ تَحِيَّةُ الإِلَهِ

فَالْوَاجِبُ الْعَقْلِيُّ مَا لَمْ يَقْبَلِ ... الانْتِفَا فِي ذَاتِه فَابْتَهِلِ

وَالْمُسْتَحِيْلُ كُلُّ مَا لَمْ يَقْبَلِ ... فِي ذَاتِهِ الثُّبُوتَ ضِدُّ الأَوَّلِ

وَكُلُّ أَمْرٍ قَابِلٍ لِلانْتِفَا ... وَلِلثُّبُوتِ جَائِزٌ بِلَا خَفَا

ثُمَّ اعْلَمَنْ بِأنَّ هَذَا العَالَمَا / أَيْ مَا سِوَى اللَّهِ العَلِيِّ العَالِمَا

مِنْ غَيْرِ شَكٍّ حَادِثٌ مُفْتَقِرُ / لِأَنَّهُ قَامَ بِهِ التَّغَيُّرُ

حُدُوثُهُ وُجُودُهُ بَعْدَ العَدَمْ / وَضِدُّهُ هُوَ المُسَمَّى بِالقِدَمْ

فَاعْلَمْ بِأَنَّ الوَصْفَ بِالوُجُوْدِ / مِنْ وَاجِبَاتِ الوَاحِدِ المَعْبُوْدِ

إذ ظَاهِرٌ بِأَنَّ كُلَّ أَثَرِ / يَهْدِيْ إِلَى مُؤَثِّرٍ فَاعْتَبِرِ

وَذِيْ تُسَمَّى صِفَةٌ نَفْسِيَّهْ / ثُمَّ تَلِيْهَا خَمْسَةٌ سَلْبِيَّهْ

وَهْيَ القِدَمْ بِالذَّاتِ فَاعْلَمْ وَالبَقَا / وَقِيَامُهُ بِنَفْسِهِ نِلْتَ التُّقَى

تَخَالُفٌ لِلْغَيْرِ وحْدَانِيَّهْ / فِي الذَّاتِ أَوْ صِفَاتِهِ العَلِيَّهْ

وَالفِعْلِ فَالتَّأْثِيْرُ لَيْسَ إِلَّا / لِلْوَاحِدِ القَهَّارِ جَلَّ وَعَلَا

وَمَنْ يَقُلْ بِالطَّبْعِ أَوْ بِالْعِلَّهْ / فَذَاكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ المِلَّهْ

وَمَنْ يَقُلْ بِالقُوَّةِ المُوْدَعَةِ / فَذَاكَ بِدْعِيٌّ فَلَا تَلْتَفِتِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفاً بِهَا لَزِمْ / حُدُوْثُهُ وَهْوَ مُحَالٌ فَاسْتَقِمْ

لِأَنَّهُ يُفْضِيْ إلى التَّسَلْسُلِ / والدَّوْرِ وَهْوَ المُسْتَحِيْلُ المُنْجَلِيْ

فَهُوَ الجَلِيْلُ وَالجَمِيْلُ وَالوَلِيْ / والطَّاهِرُ القُدُّوسُ وَالرَّبُّ العَلِيْ

مُنَزَّهٌ عَنِ الحُلُوْلِ وَالجِهَهْ / وَالاتِّصَالِ الانْفِصَالِ وَالسَّفَهْ

ثُمَّ المَعَانِيْ سَبْعَةٌ لِلرَّائِيْ / أَيْ عِلْمُهُ المُحِيْطُ بِالأَشْيَاءِ

حَيَاتُهُ وَقُدْرَةٌ إِرَادَهْ / وَكُلُّ شَيءٍ كَائِنٍ أَرَادَهْ

وَإِنْ يَكُنْ بِضِدِّهِ قَدْ أَمَرَا / فَالْقَصْدُ غَيْرُ الأَمْرِ فَاطْرَحِ المِرَا

فَقَدْ عَلِمْتَ أَرْبَعاً أَقْسَامَا / فِي الكَائِنَاتِ فَاحْفَظِ المَقَامَا

كَلَامُهُ وَالسَّمْعُ وَالإِبْصَارُ / فَهُوَ الإِلَهُ الفَاعِلُ المُخْتَارُ

وَوَاجِبٌ تَعْلِيْقُ ذِيْ الصِّفَاتِ / حَتْماً دَوَاماً ما عَدَا الحَيَاةِ

فَالْعِلْمُ جَزْمَاً وَالكَلَامُ السَّامِيْ ... تَعَلَّقَا بِسَائِرِ الأَقْسَامِ

وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ تَعَلَّقَا ... بِالْمُمْكِنَاتِ كُلِّهَا أَخَا التُّقَى

وَاجْزِمْ بِأَنَّ سَمْعَهُ وَالبَصَرَا ... تَعَلَّقَا بِكُلِّ مَوْجُوْدٍ يُرَى

وَكُلُّهَا قَدِيْمَةٌ بِالذَّاتِ ... لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِغَيْرِ الذَّاتِ

ثُمَّ الكَلَامُ لَيْسَ بِالحُرُوفِ ... وَلَيْسَ بِالتَّرْتِيْبِ كَالْمَأْلُوْفِ

وَيَسْتَحِيْلُ ضِدُّ مَا تَقَدَّمَا ... مِنَ الصِّفَاتِ الشَّامِخَاتِ فَاعْلَمَا

لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْصُوْفَا ... بِهَا لَكَانَ بِالسِّوَى مَعْرُوفَا

وَكُلُّ مَنْ قَامَ بِهِ سِوَاهَا ... فَهْوَ الذي في الفَقْرِ قَدْ تَنَاهَى

وَالوَاحِدُ المَعْبُوْدُ لا يَفْتَقِرُ ... لِغَيْرِهِ جَلَّ الغَنِيْ المُقْتَدِرُ

وَجَائِزٌ في حَقِّهِ الإِيْجَادُ ... وَالتَّرْكُ والإِشْقَاءُ والإِسْعَادُ

وَمَنْ يَقُلْ فِعْلَ الصَّلاحِ وَجَبَا ... عَلَى الإِلَهِ قَدْ أَسَاءَ الأَدَبَا

وَاجْزِمْ أَخِيْ بِرُؤْيَةِ الإِلَهِ ... في جَنَّةِ الخُلْدِ بِلا تَنَاهِيْ

إِذِ الوُقُوعُ جَائِزٌ بِالعَقْلِ ... وَقَدْ أَتَى فِيْهِ دَلِيلُ النَّقْلِ

وَصِفْ جَمِيْعَ الرُّسْلِ بِالأَمَانَهْ ... وَالصِّدْقِ والتَّبْلِيْغِ وَالفَطَانَهْ

وَيَسْتَحِيْلُ ضِدُّهَا عَلَيْهِمُ ... وجَائِزٌ كَالْأَكْلِ في حَقِّهِمُ

إِرْسَالُهُمْ تَفَضُّلٌ وَرَحْمَهْ ... لِلْعَالَمِيْنَ جَلَّ مُوْلِيْ النِّعْمَهْ

وَيَلْزَمُ الإِيْمَانُ بِالحِسَابِ ... وَالحَشْرِ وَالعِقَابِ وَالثَّوابِ

وَالنَّشْرِ وَالصِّراطِ وَالمِيْزَانِ ... وَالحَوضِ وَالنِّيرَانِ وَالجِنَانِ

والجِنِّ وَالأَمْلَاكِ ثُمَّ الأَنْبِيَا ... وَالحُوْرِ وَالوِلْدَانِ ثُمَّ الأَوْلِيَا

وَبِكُلِّ مَا جَاءَ عَنِ البَشِيْرِ ... مِنْ كُلِّ حُكْمٍ صَارَ كَالضَّرُوْرِيْ

وَيَنْطَوِيْ في كِلْمَةِ الإِسْلَامِ ... مَا قَدْ مَضَى مِنْ سَائِرِ الأَحْكَامِ

فَـأَكْـثِـرَنْ مِـنْ ذِكْـرِهَـا بِـالأَدَبِ تَرْقَى بِهذَا الذِّكْرِ أَعْلَى الرُّتَبِ
وَغَـلِّـبِ الـخَـوْفَ عَـلَـى الرَّجَاءِ وَسِـرْ لِـمَـوْلَاكَ بِـلَا تَـنَـاءِ
وَجَـدِّدِ الـتَّـوْبَـةَ لِـلْأَوْزَارِ لَا تَـيْـأَسَـنْ مِـنْ رَحْـمَـةِ الـغَـفَّـارِ
وَكُـنْ عَـلَـى آلَائِـهِ شَـكُـوْرَا وَكُـنْ عَـلَـى بَـلَائِـهِ صَـبُـوْرَا
فَـكُـلُّ أَمْـرٍ بِـالـقَـضَـاءِ وَالـقَـدَرْ وَكُـلُّ مَـقْـدُوْرٍ فَـمَـا عَـنْـهُ مَـفَـرْ
فَكُنْ لَـهُ مُـسَـلِّـماً كَيْ تَـسْـلَـمَـا وَاتْبَعْ سَبِيْلَ النَّاسِكِيْنَ العُلَمَا
وَخَـلِّـصِ الـقَـلْـبَ مِـن الأَغْـيَـارِ بِـالـجِـدِّ وَالـقِـيَـامِ فـي الأَسْـحَـارِ
وَالـفِـكْـرِ والـذِّكْـرِ عـلـى الـدَّوَامِ مُـجـتَـنِـبـاً لِـسَـائِـرِ الآثَـامِ
مُـرَاقِـبـاً للهِ فـي الأَحْـوَالِ لِـتَـرْتَـقِـيْ مَـعَـالِـمَ الـكَـمَـالِ
وَقُـلْ بِـذُلٍّ رَبِّ لا تَـقْـطَـعْـنِـيْ عَـنْـكَ بِـقَـاطِـعْ وَلَا تَـحـرِمْـنِـيْ
مِنْ سِرِّكَ الأَبْهَى المُزِيْلِ لِلْعَمَى وَاخْتُمْ بِخَيْرٍ يا رَحِيْمَ الرُّحَمَا
وَالـحَـمْـدُ للهِ عَـلَـى الإِتْـمَـامِ وَأَفْـضَـلُ الـصَّـلاةِ والـسَّـلامِ
عـلـى الـنَّـبـيِّ الـهَـاشِـمِيِّ الـخَـاتِـمِ وَآلِـهِ وَصَـحْـبِـهِ الأَكَـارِمِ

[مقدمة المحشي]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تبقى إلى يوم الدِّين، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله الصَّادق الأمين، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه والتَّابعين.

أما بعد:

فيقول العبد الفقير، الرَّاجي من ربه غَفْر المساوي، أحمد بن محمَّد المالكي الصَّاوي: لمَّا كان شرح شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى أبي البركات الشَّيخ أحمد الدَّردير، على رسالته المسمَّاة: بـ «الخريدة البهية» في علم التوحيد من أجلِّ الشُّروح، وقد قرأه في حال حياته، وتلقَّيناه عنه بالحال والقال؛ قامت بنا الدَّواعي الإلهيَّة الآن إلى قراءته وخدمته، كما أمرني بذلك الأستاذ مناماً المرَّة بعد المرَّة، فشرعت الآن في ذلك؛ راجياً من الله بلوغ المطالب وحصول المآرب؛ متوسِّلاً بأستاذي إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وبالنَّبيِّ إلى الله تعالى.

فأقول وهو حسبي ونعم الوكيل:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ....

قوله: (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم الحمد لله): سيأتي الكلام على البسملة والحمدلة موضَّحاً في كلام الشَّارح عند ذكر المتن لهما.

قوله: (الَّذي نوَّر قلوبنا... إلخ): فيه حُسْن افتتاحٍ وبراعة مطلع، وهي أن يأتيَ المؤلِّف أو الخطيب مثلاً في مبدأ كلامه بما يشعر بمقصوده، و(الَّذي): اسم موصول جزئيٌّ وضعاً واستعمالاً، كما قاله العضد والسَّيد، خلافاً لقول السَّعد: كليٌّ وضعاً، جزئيٌّ استعمالاً، يذكر ليُتوصَّل به إلى وصف المعارف بالجمل، وحقُّ الجملة الموصول بها[1] أن تكون معلومةَ الانتساب عند المخاطب، وهو هنا صفة الله تعالى باعتبار صلته؛ لوروده في القرآن[2]، كذلك جيء به للمدح مع زيادة إفادة الغرض المسوق إليه الكلامُ من استحقاقه تعالى الحمد وانفراده به، وبيان نِعَمه الموجبة لحمده.

لا يقال: النَّعت مشتقٌّ، والموصول جامد، فلا يصحُّ النَّعت به؛ لأنَّا نقول: هو مؤوَّل بالمشتقِّ؛ أي: الحمد لله الموصوف بكونه نوراً ... إلخ.

---

(١) أي: الواقعة صلة.

(٢) وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١].

نوَّر قلوبنا بمعرفة عقائد التَّوحيد، وحرَّر عقولنا ....

وتعليق الحكم بالمشتق يدلُّ على علِّيَّة ما منه الاشتقاق، فكأنَّه قال: الحمد لله لتنويره، فهو حمد في مقابَلة نعمة، فيثاب عليه ثواب الواجب الزَّائد على النَّفل بسبعين درجة.

فإن قيل: تعليق الحكم بمشتقٍّ يفيد قَصْر الحمد على خصوص ذلك المشتقِّ، مع أنَّه يستحقُّ الحمد لذاته وصفاته.

أجيب: بأنَّ التَّنوير ليس علَّةً لاستحقاقه المحامد، بل علَّةً لإخبار الشَّيخ بثبوت استحقاقه تعالى لجميع المحامد.

و(نوَّر): مشتقٌّ من التَّنوير؛ وهو إيجاد النُّور الحسيِّ أو المعنويِّ، والمراد هنا: المعنويُّ، الَّذي ضرب الله تعالى مَثَله بقوله جلَّ مِن قائلٍ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ...﴾ الآية[1]، فهو حمدٌ على صفة الفعل بعد إسناده للذَّات العليَّة؛ إشارة لكونه تعالى محموداً لذاته ولصفاته.

وقوله: (قلوبنا): أي: عقولنا؛ لأنَّ النُّور المعنويَّ ينسب للعقول، وسمِّيت العقول قلوباً؛ لحلولها بها.

قوله: (بمعرفة): متعلِّق بـ(نوَّر)، والباء سببيَّة، وسيأتي معنى المعرفة، والعقائد، والتَّوحيد.

قوله: (وحرَّر): معطوف على (نوَّر) عطف سببٍ على مسبَّب؛ فهو من جملة صلة الموصول.

(١) سورة النور: (٣٥).

من رِبقة شوائب التَّقليد، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا ....

والتَّحرير: إخراج الرَّقبة من الرِّقّ، فقد شبَّه العقول الَّتي نارت بالمعارف وخرجت من الجهل والتَّقليد برقابٍ كانت في أسر الرِّقّ، فأعتقها سيِّدها على سبيل الاستعارة بالكناية، والتَّحرير تخييلٌ.

وعبَّر **أوَّلاً**: بالقلوب، **وثانياً**: بالعقول؛ تفنُّناً.

قوله: (من ربقة): جارٌّ ومجرور متعلِّق بـ(حرر)، **والرِّبقة في الأصل**: الحبل الَّذي يوضع في عنق العجل عند جلب أمِّه.

و(الشَّوائب): جمع شائبة؛ بمعنى: الأخلاط، وإضافة (ربقة) لما بعده من إضافة المشبَّه به للمشبَّه، وإضافة (شوائب) لما بعده بيانيَّة.

والمعنى: وخلِّص عقولنا من (التَّقليد) الشَّبيه بالرِّبقة؛ لأنَّ المقلِّد مكبَّلٌ بتقليده؛ كتكبيل العجل بالحبل الَّذي في عنقه، فتدبَّر.

قوله: (على سيِّدنا): أي: أشرف بني آدم، فهو سيِّد غيرهم بالأولى، والإضافة فيه لتعريف العهد الخارجي؛ أي: السَّيِّد المعيَّن المعلوم، وقدَّمه على (محمَّد) مع أنَّه صفةٌ له، والأصل تأخير الصِّفة عن الموصوف؛ إشارةً إلى استقلالها بنفسها حتَّى صارت كالعَلَم.

والسَّيِّد **لغة**: من فاق غيره كرماً وحلماً، قال الشَّاعر[1]: [من الطويل]

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ....

---

(١) صدر بيت وتمامه: (وكونك إياه عليك يسير) أورده ابن مالك في «شرح تسهيل الفوائد» (١/ ٣٣٩) من غير نسبة.

....
محمَّدٍ ....

من ساد يسود سيادةً فهو سيِّد، وأصله: سيوِد بكسر الواو، قلبت ياءً؛ لتحركها واجتماعها مع الياء السَّاكنة قبلها، ثمَّ أدغمت فيها؛ لاجتماع المثلين.

والقاعدة: أنَّ الذي يدغم هو الَّذي يقلب ويردُّ من جنس المدغم فيه، لكن لمَّا كانت الياء أخفَّ من الواو قلبت الواو ياء مطلقاً.

ويطلق في اللُّغة أيضاً على من كثر سواده؛ أي: جيشه، أو المتولِّي للسَّواد؛ أي: الجماعة الكثيرة، وعلى الكامل المحتاج إليه عند الشَّدائد، وكلُّ هذه المعاني مناسبةٌ لمقامه ﷺ.

وإطلاق السَّيِّد عليه ﷺ ورد في الأخبار؛ منها: رواية أحمد والتِّرمذيِّ وابن ماجه عن أبي سعيد: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يوم القيامةِ ولا فخرَ**»[1]، وغير ذلك من الأحاديث المتواترة.

وقوله ﷺ لمن قال له: يا سيِّد: «**السَّيِّدُ هوَ اللهُ**»[2]، فمعناه أنَّه: الحقيق بالسِّيادة، وإطلاقها على غيره إنَّما هو بطريق العارية؛ **فالمقصود منه**: إعلام الجاهل بالحقيقة، فتدبَّر.

قوله: (محمَّد): بدلٌ من سيِّد، أو عطف بيان عليه، جيء به للمدح كما يجيء النَّعت لذلك.

---

(١) سنن الترمذي (٣١٤٨)، سنن ابن ماجه (٤٣٠٨)، مسند الإمام أحمد (٣/ ٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٣) من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

المؤيَّد بالمعجزات الباهرة، وعلى آله ....

إن قلت: يردُّ على كونه بدلاً قولهُم: إنَّ المبدل منه في حكم الطَّرح مع أنَّه هنا ليس كذلك.

وأجيب: بأنَّ قولهم: المبدل منه في حكم الطَّرح من حيثُ العملُ؛ لأنَّ العامل في البدل غير العامل في المبدل منه، بخلاف سائر التَّوابع.

قوله: (المؤيَّد): أي: المقوَّى من التَّأييد؛ وهو التَّقوية.

قوله: (بالمعجزات): جمع معجزة؛ وهو الأمر الخارق للعادة الواقع على يد مُدَّعي النُّبوة، المقرون بالتَّحدي، وسيأتي ذلك[1].

قوله: (الباهرة): أي: الغالبة للخصم.

قوله: (وعلى آله): المراد بالآل: جميع الأتباع، فعطف (الأصحاب) من عطف الخاصِّ على العامِّ.

وقوله: (أولي المناقب... إلخ): نعت لـ(الأصحاب)، وأتى الشَّارح بهذه الصِّيغة؛ لما في الحديث، قال بعض الصَّحابة: كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ فقال: «**قولوا: اللَّهمَّ؛ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِهِ**» رواه الشَّيخان[2].

---

(١) انظر (ص٣٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٦٣٥٧) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، صحيح مسلم (٤٠٥) من حديث بشير بن سعد رضي الله عنه، وفي المطبوع: (وآله)، ورواية «الصحيحين»: (وعلى آل محمد).

وأصحابه أولي المناقب الفاخرة.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قالَ: اللَّهمَّ؛ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِهِ، وكانَ قائماً؛ غُفِرَ له قبلَ أن يقعدَ، وإن كان قاعداً؛ غُفِرَ له قبلَ أن يقومَ»**(١).

والآل: اسم جمع باتِّفاق، لا واحد له من لفظِه، بل من معناه.

قوله: (وأصحابه): جمع صحب على غير قياس؛ لأنَّ شرط اطِّراد جمع فَعْل - بفتح فسكون - على أفعال كونُ عينه حرف علَّة؛ كسيف وأسياف، وثوب وأثواب، وليس جمع صاحب؛ لأنَّ فاعلاً لا يجمع على أفعال، وإنَّما هو جمع اسم ثلاثيٍّ؛ كباب وأبواب.

قوله: (أولي): أي: أصحاب.

قوله: (المناقب): جمع منقبة ضدُّ المثلبة؛ أي: الكمالات.

وقوله: (الفاخرة): أي: العظيمة التي يُفتخر بها دنيا وأخرى، وقد ذكر الله مناقبهم في غير آية، ومدحهم الرَّسول في غير حديث(٢).

---

(١) أورده السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (٢/ ٤٩).

(٢) منها: ما أخرجه البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»**.
ومنها: ما أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«النجوم أمان لأهل السماء، وأصحابي أمان لأمتي»**.
ومنها: ما أخرجه القضاعي في «مسنده» (١٣٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل أصحابي مثل النجوم، من اقتدى بشيء منها اهتدى»**.

أما بعد:

[مطلب في أما بعد]

قوله: (أمَّا بعد): يَتعلَّق بها تسعة مباحث:

الأوَّل: في أمَّا، **الثَّاني**: في موضعها، **الثَّالث**: في معناها، **الرَّابع**: في إعرابها، **الخامس**: في العامل فيها، **السَّادس**: في أصلها، **السَّابع**: في حكم الإتيان بها، **الثَّامن**: في أوَّل من تكلم بها، **التَّاسع**: في الفاء بعدها.

فأمَّا **أمَّا**: فهي لمجرَّد التَّأكيد، نائبة عن مهما ويكن، وأمَّا **موضعها**: فيؤخذ من قولهم: هي كلمة يُؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر؛ أي: من غرض إلى آخر، فلا تقع بين كلامين متَّحدين، ولا أوَّل الكلام ولا آخره؛ فإن وقعت بين كلامين متغايرين، بينهما مناسبة كليَّة سمِّي تخلُّصاً، وإن كان بينهما عدم مناسبة أصلاً؛ سمِّي اقتضاباً[1] محضاً، وإن كان بينهما نوع مناسبة كما هنا؛ سمِّي اقتضاباً مشوباً بتخلُّص؛ فمثال الاقتضاب قول الشَّاعر[2]: [من الخفيف]

لو رأى الله أنَّ في الشَّيبِ خيراً جاورته الأبرار في الخلد شيبا

كلُّ يوم تُبدي صُروف اللَّيالي خلقاً من أبي سعيدٍ غريبا

---

(١) الاقتضاب: هو الانتقال إلى ما لا يلائم الأول. «تقريرات بصيلة».

(٢) البيتان لأبي تمام في «ديوانه» (١/ ٩٣).

....

ومثال التَّخلُّص قول الشَّاعر أيضاً[(١)]: [من البسيط]

أمطلعَ الشَّمسِ تبغي أن تؤمَّ بنا فقلت كلَّا ولكن مطلع الجودِ

وأمَّا معناها: فهو نقيض (قبل)، وتكون ظرف زمان كثيراً ومكان قليلاً، وهي هنا للزَّمان لا غير.

وقولهم: إنَّها للمكان باعتبار الرَّقم، بعيدٌ كما حقَّقه الشَّارح رضي الله عنه.

وأمَّا **إعرابها**: فلها أربعة أحوال: تعرب في ثلاثة، وتبنى في حالة كما هو مشهور.

وأمَّا **العامل فيها**: فهو (أمَّا) على أنَّها من متعلقات الشَّرط، أو الجزاء على أنَّها من متعلقاته؛ فالتَّقدير على **الأول**: مهما يكن من شيء بعد ما تقدَّم، وعلى **الثَّاني**: مهما يكن من شيء فأقول بعد ما تقدَّم، وجعلها من متعلِّقات الجزاء أوَّلى؛ لأنَّه يكون وجود المؤلِّف معلَّقاً على وجود شيء مطلقاً.

وأمَّا **أصلها**: فهو مهما يكن من شيء، كما تقدَّم.

وأمَّا **حكم الإتيان بها**: فالاستحباب؛ اقتداءً بالنَّبي ﷺ؛ لأنَّه كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته.

وأمَّا **أوَّل من تكلَّم بها**: فقد نظم الخلاف فيه بعضهم بقوله[(٢)]:

[من الطويل]

---

(١) البيت لأبي تمام في «ديوانه» (١/ ٢٩٨).

(٢) أورد البيتان الخرشي في «شرحه على مختصر خليل» (١/ ١٣٣) وعزاهما لرضي =

فهذا شرح لطيف على مقدمتي المسمَّاة بـ«الخريدة البهيَّة» ....

جرى الخلف أمَّا بعد من كان بادئاً بـهـا خـمـسُ أقـوالٍ وداود أقـربُ
وكانت له فصل الخطاب وبعده فَقِسْ فَسَحبانُ فكعب فيعربُ

وأمَّا **الفاء بعدها**: فهي رابطة للجواب.

قوله: (شرح): إمَّا بمعنى: شارح، أو الكلام على حذف مضاف؛ أي: ذو شرح، أو أطلق عليه المعنى المصدريَّ؛ مبالغة كما في: زيد عدل، وعلى كلٍّ فالإسناد له مجاز، وإلَّا فالموضِّح والمبيِّن إنَّما هو الشَّخص.

قوله: (لطيف): هو في الأصل يطلق على رقيق القوام، وعلى الشَّفَّاف الَّذي لا يحجب ما وراءه، وعلى صغير الحجم، والمراد هنا: لازمه، فهو مجاز مرسل من إطلاق الملزوم وإرادة اللَّازم.

ويحتمل أنه مجاز استعارة؛ بأن شبَّه سهولة الأخذ برقَّة القوام، أو الشَّفَّاف، أو صغير الحجم، واستعير اسم المشبَّه به للمشبَّه، واشتقُّ منه لطيف؛ بمعنى: سهل المأخذ على طريق التَّبعيَّة.

قوله: (على مقدِّمتي): في الكلام استعارة تبعيَّة؛ حيث شبَّه ارتباط الشَّرح بالمقدِّمة بارتباط مستعلٍ بمُستَعلىً عليه، فسرى التَّشبيه من الكليَّات إلى الجزئيَّات، فاستعيرت على الموضوعة للاستعلاء الخاصِّ لمعنى اللَّام على طريق الاستعارة التَّبعيَّة.

= الدين العزي.

التي نظمتها في العقائد التوحيدية، يوضِّح معانيها ويشيِّد مبانيها،

والمقدِّمة في الأصل: اسم لمقدِّمة الجيش أطلقت على تلك الرِّسالة؛ لأنَّ بها يُتَوصَّل إلى معضل كتب التَّوحيد، وهي مأخوذة؛ إمَّا من قَدِم اللَّازم بمعنى: تقدَّم لتقدُّمها على غيرها بسبب سهولتها وجمعها واختصارها، أو من من قدَّم المتعدِّي؛ لتقديمها الطَّالب الرَّاغب لمعضل الكتب إذا فهمها، وهذا على كسر الدَّال، وأمَّا على فتحها[1]؛ فهي من قدَّم المتعدِّي لا غيره، ومعناه: أنَّ الطَّالب يقدِّمها؛ لما فيها من المزايا.

قوله: (الَّتي نظمتها): النَّظم **لغة**: إدخال اللَّآلئ في السِّلك، **واصطلاحاً**: هو الكلام المقفَّى الموزون قصداً، وهي من (بحر الرَّجز) وأجزاؤه (مستفعلن) ستَّ مرَّاتٍ.

قوله: (يوضح معانيها): من الإيضاح؛ وهو الكشف والإظهار، و(المعاني): جمع معنىً، وهو ما يعنى ويقصد من اللَّفظ.

قوله: (ويشيد): عطف على (يوضح) من التَّشييد، وهو في الأصل رفع البناء الحسيِّ.

و(المباني): جمع مبنىً، وهو الألفاظ سمِّيت مباني؛ لابتناء المعاني عليها، ومن هنا قولهم: الألفاظ قوالب للمعاني.

---

(١) الكسر أولى من فتحها؛ لأن الفتح يوهم أن تقديمها بالجعل لا بالاستحقاق، وهو خلاف المقصود، هكذا قيل، وفيه أن المقدم لها لا يكون إلا من أرباب الاعتبار، فلا يقدم إلا ما يستحق التقديم. «تقريرات بصيلة».

اجتنبت فيه الاختصار المُخِلَّ، وأعرضت فيه عن التّطويل المُمِلِّ،

والمراد بـ (التَّشييد) هنا: تصحيح الألفاظ وتحسينها، بتنزيلها على القواعد العربيّة، فشبِّهت الألفاظ المخصوصة من حيث افتقارُها لمن ينزِّلها على القواعد العربيَّة ببيت محتاج للرَّفع وسدِّ الخلل، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو التَّشييد على طريق الاستعارة بالكناية.

والتَّشييد تخييل، وإسناد التَّوضيح والتَّشييد للشَّرح مجاز عقليٌّ، وحقُّه أن يسند للمؤلِّف.

قوله: (اجتنبت): أي: تباعدت.

قوله: (الاختصار): هو في الأصل تقليل اللَّفظ، كَثر المعنى أم لا.

قوله: (المخل): أي: المضيِّع للمعنى، فالاجتناب منصبٌّ على القيد، وإلَّا فأصل الاختصار حاصل.

قوله: (وأعرضت): معطوف على (اجتنبت)، وهو بمعنى: الاجتناب وغاير؛ تفنُّناً.

و(التَّطويل): ضدُّ الاختصار.

وقوله: (الممل): أي: الموقع في الملل؛ وهو السَّآمة، فالإعراض منصبٌّ على القيد، ومقتضى هذه العبارة أنَّ كتابه هذا مختصر غير مخلٍّ، ومطوَّل غير مملٍّ، وهما ضدَّان لا يجتمعان.

والجواب: أنَّ الاختصار في مواضع، والتَّطويل في مواضعَ على حسب ما يقتضيه المقام في كلٍّ.

واقتصرت فيه على تحرير البراهين مع الفوائد التي بها يزداد اليقين.

قوله: (واقتصرت): معطوف على (اجتنبت)، والمعنى: جعلت عباراتي مقصورةً.

وقوله: (على تحرير البراهين): أي: تخليصها وتبيينها من غير أن أذكر شيئاً[١] زيادةً عليها.

والبراهين: جمع برهان، والمراد به: الدَّليل عقليّاً كان أو نقليّاً، وإن كان البرهان في الأصل اسماً للدَّليل العقليِّ.

قوله: (مع الفوائد): ظرف متعلِّق بمحذوف حال من البراهين؛ أي: حال كون البراهين مصاحبةً للفوائد... إلخ.

والفوائد: جمع فائدة، وهي في الأصل ما استفاده الشَّخص من خيرات الدُّنيا والآخرة، والمراد بها هنا خصوص المسائل العلميَّة الَّتي تزاد بعد البرهان زيادةً في إيضاحه؛ كذكر الأدلَّة النَّقليَّة بعد ذكر البراهين العقليَّة مثلاً.

قوله: (الَّتي بها يزداد اليقين): صفة لـ(الفوائد)، والمراد باليقين: الجزم بالعقائد، فأصل اليقين يحصل بالبراهين، وزيادته بتلك الفوائد، وقد وصف هذا الشَّرح بأوصاف ثمانية:

أوَّلها: قوله: (لطيف)، وآخرها: قوله: (مع الفوائد)، وكلُّها كمالات متغايرة، تحمل الرَّاغب على الاعتناء به.

---

(١) في المطبوع: (شبهاً).

والله أسأل أن ينفع به كلَّ من تلقَّاه بقلب سليم، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنَّه المولى الرَّؤوف الرَّحيم، ....

قوله: (والله أسأل. . .إلخ): قدَّم المعمول ليفيد الحصر، والسُّؤال معناه الطَّلب، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثانٍ، لـ(أسأل)، والأصل: وأسأل الله النَّفع به، وقوله: (كل) معمول لـ(ينفع).

قوله: (من تلقَّاه بقلب سليم): أي: من طالعه بنفسه أو بواسطة معلِّم، خالياً من الاعتراض والأغراض الفاسدة؛ لأنَّ النَّفع تابع للحبِّ والاعتقاد.

قوله: (وأن يجعله): معطوفٌ على (أن ينفع) فهو من جملة المسؤول.

وقوله: (خالصاً): معمول لـ(يجعل).

و(الكريم): صفة للوجه، والمراد بالوجه الذَّات عند الخلف.

وأمَّا السَّلف فيقولون: لله وجه لا كالوجوه، منزَّه عن صفات الحوادث.

قوله: (إنَّه المولى. . .إلخ): إمَّا بكسر الهمزة مستأنفاً، واقعاً في جواب سؤال مقدر؛ كأنَّه قال: سألته لأنَّه. . . إلخ، أو بفتحها تعليل للسُّؤال.

والمولى له معان؛ منها: المنعم؛ وهو المناسب هنا.

قوله: (الرَّؤوف): أي: شديد الرَّحمة.

و(الرَّحيم): ذو الرَّحمة، وفي هذه الأسماء من المناسبة بالمطلوب ما

فأقول وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم:

لا يخفى، فإنَّ من لطائف الدُّعاء أنَّ الإنسان يخاطب ربَّه بالاسم المناسب لمطلوبه؛ كدعاء أيُّوب عليه السَّلام حيث قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[١]، ودعاء يونس حيث قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]، ودعاء سليمان عليه السَّلام حيث قال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[٣]، ودعاء زكريَّا عليه السَّلام حيث قال: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾[٤].

قوله: (فأقول ... إلخ): الظَّاهر أنَّ الفاء واقعة في جواب شرط مقدَّر تقديره: إذا تمهَّد ما ذكرت لك؛ فأقول، ومقول القول قوله: (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ...) إلى آخر الكتاب متناً وشرحاً.

قوله: (وما توفيقي إلَّا بالله ...إلخ): جملة معترضة، قصد بها التَّبرُّك، والتَّبرِّي من الحول والقوَّة.

والتَّوفيق معناه **لغةً**: موافقة الشَّيء للشَّيء، **واصطلاحاً**: خلق قدرة الطَّاعة والداعية إليها في العبد عند إمام الحرمين[٥]؛ فالمراد بالقدرة عنده سلامة الأسباب والآلات، بناءً على أنَّ العرض يبقى زمانين؛ فالكافر غير موفَّق؛ لعدم الدَّاعية، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ

(١) سورة الأنبياء: (٨٣).
(٢) سورة الأنبياء: (٨٧).
(٣) سورة ص: (٣٥).
(٤) سورة الأنبياء: (٨٩).
(٥) الإرشاد (ص٢٥٤).

(بسم الله الرحمن الرحيم) أي: أؤلِّف، ....

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾(١)؛ أي: يجعل داعيته ورغبته ومحبَّته إليه، وعند الأشعريِّ: هو خلق الطَّاعة في العبد.

والمراد بالقدرة: العرض المقارن للطَّاعة، بناءً على أنَّ العرض لا يبقى زمانين، أُورِدَ عليه أنَّه قبل الطَّاعة مكلَّفٌ، فيلزم عليه تكليف العاجز.

أجيب: بأنَّ التَّكليف متوقِّفٌ على سلامة الأسباب والآلات، فتحصَّل أن الخُلْف من جهة التَّكليف لفظيٌّ؛ لاتِّفاقهما على أنَّ التَّكليف متوقِّفٌ على سلامة الأسباب والآلات، وأمَّا من جهة تسمية السَّلامة قدرة أو لا؛ فحقيقيٌّ.

فعند إمام الحرمين يسمَّى قدرةً، وعند الأشعريِّ لا يسمى قدرةً، بل القدرة عنده هي العرض المقارن للطَّاعة، **والحقُّ في هذه المسألة مع إمام الحرمين دون الأشعريِّ.**

قوله: (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم): افتتح كتابه بالبسملة(٢) مع أنَّه شعر،

---

(١) سورة الأنعام: (١٢٥).

(٢) قال سيدي العلامة العارف بالله محمد الهاشمي رحمه الله في «مفتاح الجنة» (ص٦): والبسملة من الأذكار العشرة التي يجب ذكرها على المكلف مرة في العمر بنية الفرض، وقد جمعتها في أبيات وهي:

عشر من الأذكار فرض عين ... في العمر مرةً بغير مين
تعوذ بسملة وحمدلة ... هيللة تسبيحٌ أيضاً حوقلة
تكبير استغفار والصلاة ... مع السلام قالها الثقاة

=

وإنَّما قدَّرنا المتعلَّق فعلاً؛ لأنَّ الأصل في العمل للأفعال، ....

وقع الخلاف في كراهة افتتاحه بها وعدمها، والرَّاجح قول الجمهور باستحباب افتتاحه بها ما لم يكن محرَّماً أو مكروهاً، وكل شعر فيه النُّبوَّة أو الإسلام، أو الحكم، أو الزُّهد، أو مكارم الأخلاق، أو حثٍّ على طاعة، أو اجتناب معصية؛ فإنشاؤه وإنشاده واستماعه طاعة؛ لأنَّه وسيلة إلى طاعة؛ فقد صحَّ أنَّ المصطفى ﷺ كان له شعراء يصغي إليهم في المسجد وغيره؛ منهم: حسَّان بن رواحة.

وأفرد البسملة عن الشِّعر ولم يأت بها نظماً كما فعل الشَّاطبيُّ في قوله[1]: [من الطويل]

بدأتُ ببسم الله في النَّظم أوَّلا ... تبارك رحماناً رحيماً وموئِلا

لأنَّه يعسر الإتيان على هيئتها من غير تغيير، بخلاف الحمدلة، ولأنه خلاف الأولى.

قوله: (وإنما قدَّرنا المتعلق فعلاً ... إلخ): اعلم: أنَّ المقرَّر أنَّه يجوز أن يكون المتعلَّق فعلاً أو اسماً، وعلى كلٍّ خاصّاً أو عامّاً، أوعلى كلٍّ مقدَّماً أو مؤخَّراً، فالحاصل ثمانية أوجه: **الأولى** منها: ما قاله الشَّارح: (لأنَّ الأصل في العمل للأفعال): أي: وما عمل من الأسماء؛ كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصِّفة المشبَّهة، والمصدر، واسم المصدر؛

= حسبلة زادها بعض العلما ... والندب يأتي بعد فرض علما
وإن قسا القلب من الأغيار ... فاذكر حتى لا يبقى إلا الباري

(١) الشاطبية (ص١).

ومتأخِّراً؛ لأن تقديم المعمول يفيد الاختصاص، وخاصّاً؛ لأنَّ كلَّ شارع في شيء ينبغي له أن يقدِّر ما جُعلت البسملة مبدأً له، ولإفادة حصول البركة لجميع أجزاء الفعل.

فهو بطريق الحمل على الفعل، ولما في تقدير الاسم من زيادة الإضمار؛ لأنَّ المحذوف حينئذ عدَّة كلمات: المضاف والمضاف إليه، ومتعلَّق الجار والمجرور؛ بخلاف أؤلف؛ فإنَّه مع فاعله المستقر فيه كلمتان.

قوله: (ومتأخِّراً): أي: عن البسملة؛ (لأنَّ تقديم المعمول يفيد الاختصاص): أي: يفيد قصر التَّبرك في التَّأليف على اسمه تعالى؛ فالباء داخلة على المقصور عليه؛ لأنَّ المشركين كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم، فيقولون: باسم اللَّات والعزَّى؛ تبرُّكاً لا اختصاصاً؛ لاعترافهم بالتَّبرُّك باسمه تعالى، فردَّ عليهم الموحد.

وهذا القصر: إمَّا **قصر إفراد**، وهو يخاطب به معتقد الشِّركة، أو **قصر قلب**، وهو يخاطب به معتقد عكس الحكم، أو **قصر تعيين**، وهو يخاطب به المتشكِّك.

قوله: (لأنَّ كلَّ شارع في شيء): أي: تأليف أو غيره.

قوله: (ولإفادة حصول البركة): علَّة ثانية لتقديره خاصّاً؛ أي: ففي تقدير المتعلَّق خاصّاً تخصيص التَّبرُّك بالشُّروع فيه وتعميم أجزائه، بخلاف ما لو قدَّره من مادة الابتداء؛ فإنَّه ليس خاصّاً بالمشروع فيه، ولا عامّاً في أجزاء المشروع فيه، بل قاصر على التَّبرُّك في البداية، فتدبَّر.

والباء للاستعانة، أو للمصاحبة على وجه التَّبرُّك.

والاسم لغة: ما دلَّ على مسمّىً، وعند النُّحاة: ما دلَّ على معنىً في نفسه غير مقترن بزمان وَضْعاً.

قوله: (والباء للاستعانة): باء الاستعانة هي الدَّاخلة على الواسطة بين الفاعل ومفعوله؛ ككتبت بالقلم، قال بعضهم: وفي جعلها للاستعانة إبهام أنَّ اسم الله مقصود لغيره لا لذاته؛ فالأولى قول الزَّمخشريِّ: إنَّها للملابسة؛ أي: للمصاحبة[1]؛ أؤلف مصاحباً كل بيت ببركة هذا الاسم، فالمصاحب البركة؛ لأنَّ الاسم لم يصاحب كل بيت، فتدبَّر.

قوله: (ما دلَّ على مسمّىً): أي: كان فعلاً أو اسماً أو حرفاً بالمعنى المصطلح عليه.

قوله: (وعند النُّحاة): أي: في اصطلاحهم.

قوله: (ما دلَّ): أي: لفظ دلَّ ... إلخ، وهو جنس يشمل الفعل والحرف.

وقوله: (في نفسه): أي: لا في غيره، خرج الحرف.

وقوله: (غير مقترن بزمان وضعاً): خرج الفعل؛ فإنَّه دالٌّ على معنىً في نفسه، لكنَّه موضوع للزَّمان، وإن تجرَّد عنه في بعض الأفعال؛ كعسى وليس ونعم وبئس، ودخلت الأسماء الدَّالَّة على الزَّمان لا بالوضع؛ كأسماء الشُّروط والاستفهام، فتدبَّر.

---

(١) ينظر «تفسير الزمخشري» (١/ ٤).

وهو مشتقٌّ عند البصري من السُّموِّ، وهو العلوُّ؛ لأنَّه يعلو به مسمَّاه من الخفاء؛ أي: يظهر، فأصله سِمْو بكسر السين فسكون، فخفِّف بحذف لامه، وعُوِّض عنها همزة الوصل بعد تسكين فائه.

وعند الكوفي من السِّمة، وهي العلامة؛ ....

قوله: (وهو مشتقٌّ): أي: مأخوذ.

وقوله: (من السُّموِّ): أي: فالاسم مشتقٌّ من المصدر.

قوله: (أي: يظهر): تفسير لـ(يعلو).

قوله: (فأصله سمو): مفرَّع على قول البصريِّ، وسمو بوزن (فعل)، فالسِّين فاء الكلمة، والميم عينها، والواو لامها.

قوله: (بحذف لامه): أي: الَّتي هي الواو.

قوله: (بعد تسكين فائه): هذا التَّعويض من جملة لغات عشرة في الاسم، جمعها بعضهم بقوله:[1] [من الرجز]

لغاتُ الاسمِ قد حواها الحصرُ ... في بيت شعرٍ وهو هذا الشِّعرُ

اسم بحذف همزة والقصرُ ... مثلَّثات مع سمات عشرُ

قوله: (وعند الكوفيِّ): مقابل قوله: (وعند البصريِّ).

وقوله: (من السِّمة): أي: مشتقٌّ ومأخوذ من السِّمة، وهو مصدر أيضاً لـ(سما).

---

(١) البيتان للأشموني في «شرحه على الألفية» (١/ ٤٤).

لأنَّه علامة على مسمَّاه، وأصله وسم، فخفف بحذف فائه ثمَّ عُوِّض عنها همزة الوصل.

والمراد به هنا المسمَّى؛ أي: مستعيناً بمسمَّى الله.

والإضافةُ للبيان.

و(الله): علم ....

قوله: (لأنَّه علامة): أي: دالٌّ.

قوله: (وأصله وسم): أي: على وزن (فعل) بفتح الفاء، فالواو فاء الكلمة، والسِّين عينها، والميم لامها.

قوله: (ثمَّ عوِّض عنها همزة وصل): أي: توصُّلاً للنُّطق بالسَّاكن.

قوله: (والمراد به هنا ... إلخ): ليس بمتعيِّن؛ لجواز أن يراد به اللَّفظ الدَّالُّ على ذات الله؛ لأنَّه يتبرَّك ويُستعان بالاسم، كما يُتبرَّك بالمسمَّى، والإضافة على هذا بمعنى اللَّام.

قوله: (والله: علم على الذَّات ... إلخ): أي: شخص جزئيٌّ، قال السَّعد: وليس من باب الغلبة التَّحقيقيَّة ولا التَّقديريَّة، والغلبة أن يكون للفظ شمولٌ لأفراد فيحصل له بحسب الاستعمال تخصيص ببعض أفراده؛ فإن وجد له أفراد فاختصَّ ببعضها؛ كانت الغلبة تحقيقيَّة؛ كالنَّجم اسم لكل كوكب، ثمَّ غلب على الثُّريا وإن لم يوجد له إلَّا فرد؛ كانت الغلبة تقديريَّة، خلافاً لقول الخلخاليِّ[1] ....

---

(١) هو العلامة المتكلم المفسر حسين بن حسن الحسيني الخلخالي، أحد مشاهير =

....

والبيضاويِّ[١]: إنَّه كلِّيٌّ؛ إذ معناه: المعبود بحقٍّ، فيصحُّ إطلاقه على كل متَّصف بتلك الصِّفة، ولم يتَّصف بها إلَّا الخالق، فهو صفة.

وردَّ بأنَّه: لو كان كليّاً لم تفد (لا إله إلَّا الله) توحيداً؛ لأنَّها لم تحصر ذاته لنا على وجه التَّشخُّص، مع أنَّ الشَّارع جعلها توحيداً.

فإن قلت: قال السَّيِّد عيسى الصَّفويُّ[٢]: (عرفوا العلم بما وضع لشخص بعينه، والمتبادر منه أن يكون الشَّخص ملاحظاً للواضع؛ أي: معلوماً له، وذات الله بلا ملاحظةٍ صفة غير معقولة للبشر، فلا يكون الله علماً له؛ لأنَّ العلم ما وضع للذَّات من غير صفة)[٣].

أجاب الشِّهاب تبعاً للبيضاويِّ: بأنَّ واضع العلم إن كان هو الله؛ فهو يعلم ذاته وصفاته، وإن كان غيره؛ فالتَّحقيق أنَّ تصوُّر الموضوع له بوجهٍ

= المحققين، والعلماء العاملين، له مؤلفات عدة؛ منها: «حاشية على تفسير البيضاوي»، و «حاشية على شرح الدواني لتهذيب المنطق»، و«المفاتيح في حل المصابيح»، توفي رحمه الله سنة (١٠١٤هـ) ينظر «خلاصة الأثر» (٢/ ١٢٢).

(١) تفسير البيضاوي (١/ ٢٦).

(٢) هو العلامة المحقق المدقق قطب الدين أبو الخير عيسى بن محمد الإيجي الحسني الحسيني الشافعي الصوفي المعروف بالصفوي، قال عنه ابن العماد: (وكان من أعاجيب الزمان)، له مؤلفات عدة؛ منها: «مختصر نهاية ابن الأثير»، و«شرح الغرة» في المنطق، و«شرح الكافية»، وغيرها، توفي رحمه الله سنة (٩٥٣هـ) ينظر «شذرات الذهب» (١٠/ ٤٢٧).

(٣) أورده الشهاب في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (١/ ٦٠).

على الذَّات الواجب الوجود الخالق للعالم.

و(**الرَّحمن الرَّحيم**): صفتان مشبَّهتان بُنيتا للمبالغة من رحم - بالكسر - إمَّا بتنزيله منزلة اللازم ....

ما كافٍ في واضع العلم؛ كعلمنا ذات الله باعتبار صفاته؛ لأنَّ واضع اللُّغة لا يفعل إلَّا ما فيه فائدة يعتدُّ بها، بل كلُّ عاقل كذلك، وإنَّما فائدة العلم معرفة الذَّات من غير صفة؛ إذ لو قصد ما يحصل بوضع الصِّفة لم يكن في وضع العلم فائدة يعتد بها. انتهى «سحيمي على عبد السَّلام»[1].

قوله: (على الذَّات): (أل) للعهد؛ أي: الذَّات المعهودة، وهي الخالقة للعالم، وتاؤها ليست للتَّأنيث، بل للوحدة.

قوله: (الواجب الوجود): أي: الذَّات الَّتي لا يمكن عدمها في الماضي ولا في الحال ولا في الاستقبال، والغرض من ذكر واجب الوجود بيان الذَّات المسمَّى لا بيان اعتباره في المسمَّى؛ لأنَّ المسمَّى الذَّات وحدها لا الذَّات مع الوصف.

قوله: (بنيتا للمبالغة): أي: للدَّلالة على المبالغة مع إفادة دوام الرَّحمة وثباتها، فاندفع ما يقال: إنَّ بناءهما للمبالغة ينافي كونهما صفتين مشبَّهتين.

قوله: (من رحم؛ بالكسر): أي: من مصدر رحم على مذهب البصريِّين، أومن نفس رحم على مذهب الكوفيِّين.

---

(١) حاشية الشهاب (١/ ٦١)، شرح السحيمي على عبد السلام (ق١/ ٢٤).

بأن يُقصد إثباته للفاعل فقط من غير اعتبار تعلُّقه بمفعول، وإمَّا بجعله لازماً بأن ينقل إلى فعُل - بالضم - وإنَّما احتيج لذلك؛ لأنَّ الصِّفة المشبَّهة إنَّما تُصاغ من اللازم.

والرَّحمة: رقَّةُ القلب؛ أي: رأفته، وهي تستلزم التَّفضُّلَ والإحسان، فهو غايتها وهي مبدؤه، فيراد منها هنا الغاية ....

قوله: (بأن يقصد إثباته): بيان وتصوير للتَّنزيل.

قوله: (**بأن ينقل إلى فعل**): تصوير لجعله لازماً؛ لأنَّ (فعل) بالضَّمِّ، لا يكون إلَّا لازماً.

قوله: (وإنَّما احتيج لذلك): اسم الإشارة عائد على التَّنزيل أو التَّحويل.

قوله: (**إنَّما تصاغ من اللَّازم**): أي: لقول ابن مالك[1]:

وصَوْغُهَا من لازمٍ لحاضرِ ....

قوله: (والرَّحمة: رقَّة القلب): أي: في أصل وضع اللُّغة.

قوله: (فهو غايتها): أي: ثمرتها.

وقوله: (وهي مبدؤه): أي: منشؤه.

قوله: (فيراد منها هنا الغاية): أي: ففيه مجاز مرسل من إطلاق السَّبب

---

(١) ألفية ابن مالك (ص٦٣)، وتتمته: (كطاهر القلب، جميل الظاهر).

لاستحالتها عليه تعالى؛ أي: الثابت له التفضل والإحسان كثيراً،

على المسبِّب، وذكر حفيد السَّعد[١] أنَّ في الكلام استعارة تمثيليَّة؛ بأن يقال: شبَّه حال المولى مع خلقه في الإنعام بجلائل النِّعم ودقائقها بحال مَلِكٍ مع رعيَّته، واستعيرت الهيئة الدَّالَّة على المشبَّه به للمشبَّه.

وأورد عليه: أنَّ الاستعارة التَّمثيليَّة لا تكون إلَّا في المركَّبات، وإطلاق الحال على الله لم يرد إذن به، وأنَّ الرَّحمن لم يستعمل في غيره تعالى، وأنَّ المشبَّه به أقوى؛ وهو إساءة أدب.

وأجيب: بأنَّه اقتصر على الجزء الأهمِّ من المركَّب؛ إذ هو مركَّب بحسب الأصل: فإنَّ الأصل: ملك رحمن رحيم، وإطلاق الحال جائز لضرورة التَّعليم، والحقُّ ثبوت مجازات لا حقائق لها، وكون المشبَّه به أقوى أغلبيٌّ، وبعد هذا كلِّه فالأحسن الاقتصار على كونه مجازاً مرسلاً.

قوله: (لاستحالتها): أي: رقَّة القلب.

قوله: (أي: الثَّابت له التَّفضُّل . . .إلخ): بيان للمعنى المراد اللَّائق به تعالى.

---

(١) هو شيخ الإسلام أحمد بن يحيى بن محمد التفتازاني، يعرف بـ(حفيد السعد)، من فقهاء الشافعية، كان قاضي هراة ثلاثين سنة، له مصنفات عدة؛ منها: «الدر النضيد في مجموعة الحفيد»، و«حاشية على شرح التلخيص»، وغيرها، توفي رحمه الله سنة (٩١٦هـ) ينظر «الأعلام» (١/ ٢٧٠).

وكذا كلُّ اسم من أسمائه تعالى يوهم ظاهرُه خلاف المراد ويراد منه غايته.

ثمَّ إن أريد مُريدَ ذلك؛ كمريد الإنعام فصفةُ ذات، وإن أريد الفاعل؛ كالمنعم فصفةٌ فعل.

وقدَّم (الرَّحمن) لأنَّه خاصٌّ به تعالى، إذ لا يطلق على غيره تعالى،

قوله: (وكذا كلُّ اسم ... إلخ): أي: كصبور، ورؤوف، وحليم، وودود.

قوله: (مريد ذلك): أي: التَّفضُّل والإحسان.

قوله: (فصفة ذات): أي: فالرَّحمة: صفة ذات، وهي قديمة باتِّفاق.

قوله: (وإن أريد الفاعل): أي: اسم الفاعل.

وقوله: (فصفة فعل): أي: فالرَّحمة صفة فعل، وهي حادثة عند الأشاعرة، ويترتَّب على كلٍّ حكم قول من قال: اللَّهمَّ؛ اجمعنا في مستقرِّ رحمتك؛ فإن أراد أنَّ الرَّحمة صفة فعل جاز؛ لأنَّ المعنى: اجمعنا في مستقرِّ إنعامك؛ وهو الجنَّة، وإن أراد أنَّها صفة ذات لم يجز؛ لأنَّ المعنى: اجمعنا في مستقرِّ إرادتك؛ وهو ذاتك.

قوله: (إذ لا يطلق على غيره تعالى): أي: وأمَّا قول الشَّاعر[1]:

[من البسيط]

---

(١) أورده الزمخشري في «تفسيره» (١/ ٧)، وصدره: (سموت بالمجد بابن الأكرمين أباً).

ولأنَّه أبلغ، إذ معناه: المنعم بجلائل النِّعَم كمّاً وكيفاً، بخلاف (الرحيم) فإنَّ معناه: المُنعِم بدقائقها كذلك، وجلائلُ النِّعَم أصولُها؛ كالوجود، والإيمان، والعافية، والرِّزق، والعقل، والسَّمع، والبصر، وغير ذلك، ....

.... وأنت غيث الورى لا زلت رحماناً

في حقِّ مسيلمة الكذَّاب؛ فشاذٌّ، أو لأنَّه منكر، والخاصُّ بالله المعرَّف، أو من تعنُّتهم في كفرهم.

قوله: (ولأنَّه أبلغ): معطوف على قوله: (لأنَّه خاصٌّ): أي: فقدَّمه لأمرين.

وقوله: (إذ معناه): تعليل لأبلغيَّته.

قوله: (كذلك)؛ أي: كمّاً وكيفاً، وهذا المعنى أشهر التَّفاسير، وحجَّتهم في ذلك اختصاصه بالله تعالى، وكون زيادة البناء تدلُّ على زيادة المعنى بشروط ثلاثة:

أن يكون ذلك في غير الصِّفات الجِبِلِّيَّة، فخرج نحو: (شره ونهم).

وأن يتَّحد اللَّفظان في النَّوع، فخرج نحو: (حذر وحاذر)، فالأوَّل مع قلَّة حروفه أبلغ من الثَّاني؛ لكونه صفة مشبَّهة.

وأن يتَّحدا في الاشتقاق، فخرج نحو: (زمن وزمان)، فالمستوفي للشُّروط؛ كرحمن ورحيم، وقطَع وقطَّع.

قوله: (وغير ذلك): أي: كالشَّمِّ، والذَّوق، واللَّمس، والنَّجاة من

ودقائقها فروعها؛ كالجمال، وكثرة وزيادة الإيمان، ووفور العافية، وسَعَة الرزق، ودقة العقل، وحِدَّة السَّمع والبصر، وغير ذلك.

والمعنى: أنَّه تعالى من حيث إنَّه مُنعم بجلائل النِّعَم يسمَّى الرَّحمن، ومن حيث إنَّه مُنعم بدقائقها يسمَّى الرَّحيم.

(يقول) هو من باب نصر، فأصله يَقْوُل - بسكون فائه وضمِّ عينه - فخفِّف بنقل حركة العين إلى الفاء، (راجي رحمة) بإضافة الوصف إلى معموله؛ أي: المؤمِّل المنتظر إنعام (القدير) ....

النَّار، ودخول الجنَّة.

قوله: (يسمَّى الرَّحمن): أي: استدلَّ بها على اسمه الرَّحمن، وكذا يقال في قوله: (يسمَّى الرَّحيم)، وإلَّا فأسماؤه تعالى وأوصافه أزليَّة قديمة.

قوله: (بإضافة الوصف إلى معموله): الوصف هو قوله: (راجي) والمعمول قوله: (رحمة) وليست الإضافة متعيِّنة، بل يجوز تنوين (راجي) ونصب (رحمة) ولا يتغيَّر الوزن ولا المعنى.

قوله: (أي: المؤمِّل ... إلخ): تفسير لـ(الرَّاجي)؛ لأنَّ الرَّجاء هو الأمل مع الأخذ في الأسباب.

قوله: (إنعام): تفسير للرَّحمة، فالمراد منها صفة الفعل، ويصحُّ أن يراد منها هنا إرادة الإنعام أيضاً؛ لأنَّه يلزم من إرادة الإنعام حصوله لا رادَّ لما قضى، وإنَّما اختار المعنى الأوَّل؛ لكونه أخصر.

أي: دائم القدرة، فهو صفة مشبَّهة، أو الكثير القدرة بمعنى الاقتدار، فيكون صيغة مبالغة.

(أي: أحمدُ) بن محمد بن أحمد (أي) حرف تفسير وبيان لراجي، فما بعد (أي) ....

قوله: (أي: دائم القدرة): فالقدير من أسمائه تعالى، ومعناه: ذو القدرة الدَّائمة.

قوله: (بمعنى الاقتدار): دفع به ما يراد من أنَّ القدرة واحدة لا تعدُّد فيها، وإيضاحه أنَّ الكثرة باعتبارالاقتدار؛ وهو عموم تعلُّق القدرة بسائر الممكنات.

قوله: (فيكون صيغة مبالغة): أي: باعتبار التَّعلُّقات.

قوله: (أحمد): هو اسم الشَّيخ.

وقوله: (ابن محمَّد): هو اسم أبيه، قال الشَّيخ في شرح كتابه «أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك»: (وكان الوالد رَحِمَهُ اللهُ تعالى رجلاً صالحاً عالماً متقناً للقرآن، فقد بصره في آخر عمره، فاشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله تعالى، فحفظ القرآن على يديه خلق كثير.

وكان يعلِّم الفقراء حسبةً لله تعالى لا يأخذ منهم صرفةً ولا غيرها، بل ربَّما واساهم من عنده، وكان كثير السُّكوت لا يتكلَّم إلَّا نادراً، وورده في غالب أوقاته صلاة سيِّدي عبد السَّلام بن مشيش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان يبشِّرني [في صغري] بأن أكون عالماً.

....

مات رَحِمَهُ اللهُ شهيداً بالطَّاعون سنة ثمانية وثلاثين بعد الألف ومئة، وعمري نحو العشر سنين، وشوهدت له كرامات) انتهى[1].

وحينئذٍ فيؤخذ منه أنَّ الشَّيخ ولد سنة ثمان وعشرين بعد المئة والألف، وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمان خلون من ربيع الأوَّل، سنة مئتين وواحد بعد الألف، فَسِنُّه ثلاث وسبعون، ودفن بمشهده المشهور بالكعكيِّين، وكراماته في الحياة وبعد الممات أظهر من الشَّمس في رابعة النَّهار، وأقول كما قال بعض العارفين[2]: [من مجزوء الرجز]

لـي سـادةٌ مـن عـزِّهـم أقـدامـهـم فـوق الـجـبـاه

إن لـم أكـن مـنـهـم فـلـي فـي حـبِّـهـم عـزٌّ وجـاهُ

وأخبرنا الأستاذ الشَّارح عن والده المذكور: أنَّ زوجته كانت تدخل عليه فتجد عنده شموعاً موقودةً في أوقات الظَّلام، فتسأله عن ذلك، فيقول: (إنَّها أنوار الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ).

وأخبرنا أيضاً أنَّهم كانوا في ضيق عيشٍ، فتوضع الصَّحفة فيها الطَّعام القليل بين يديه فيقرأ عليها سورة (قريش) فيبارك فيها، ويأكل منها النَّاس الكثيرون، قال الشَّيخ: فصرت أقرأ تلك السُّورة على الأبواب المغلوقة فتفتح بغير مفتاح، فشاع عنِّي وأنا صغير أنِّي أفتح الأبواب بغير مفتاح.

---

(١) أقرب المسالك مع حاشية الصاوي (١/ ٧).

(٢) البيتان في «البرهان المؤيد» (ص٢٠٧) من غير نسبة.

عطف بيان، وقيل: عطف نسق، بناء على أنَّها من حروف العطف، وهو قول ضعيف.

(المشهور) أي: الذي اشتهر (بـ) لقب جَدِّه (الدَّرديرِ) بفتح الدال الأولى وكسر الثانية بينهما راء ساكنة، وكذا اشتهر أولاد الجدِّ كلُّهم بهذا اللَّقب.

مطلب في بيان معنى الحمد

(الحمدُ لله) هو وما بعده إلى آخر الكتاب ....

قوله: (عطف بيان): أي: لأنَّ نعت المعرفة إذا تقدَّم عليها يعرب بحسب العوامل، فلذا أعرب (راجي) فاعل (يقول) وتعرب هي منه بدلاً أو عطف بيان، وحكمة تقديم النَّعت على المنعوت الاعتناء برجاء رحمة الله، ففي الحديث: «إنَّ عافيتكَ أوسعُ لي، ورحمتك أرجى عندي من عملي»[1]، وإنَّما ذكر اسمه على عادة جمهور المؤلِّفين من تسميتهم أنفسهم في أوائل كتبهم؛ ليرغب الطَّالب في الكتاب؛ لأنَّ الكتاب المجهولَ لصاحبه غيرُ مرغوب فيه ولا موثوق به.

قوله: (الحمد لله): لما افتتح بالبسملة افتتاحاً حقيقيّاً افتتح بالحمدلة افتتاحاً إضافيّاً، وهو ما تقدَّم على الشُّروع في المقصود بالذَّات؛ جمعاً بين حديثي البسملة والحمدلة.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٢٤) عن جابر رضي الله عنه، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ٧٣) عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

....

وحمل البسملة على الابتداء الحقيقيِّ، والحمدلة على الإضافيِّ؛ لموافقة القرآن العزيز، ولقوَّة حديث البسملة على حديث الحمدلة، وهو قوله ﷺ: «**كلُّ كلامٍ لا يُبدأُ فيه بالحمدُ للهِ؛ فهو أجذمُ**»[1]، وهناك أوجه أُخر مشهورة لدفع التَّعارض.

وجملة الحمدلة إمَّا خبريَّة لفظاً ومعنىً؛ بناء على أنَّ المخبر بالحمد حامد؛ وهو الصَّحيح، أو خبريَّة لفظاً، إنشائيَّة معنىً.

واستشكل: بأنَّه لا يمكن العبد أن ينشئ اختصاصه تعالى بالمحامد أو استحقاقه إيَّاها لقِدَم ذلك.

وأجيب: بأنَّ المراد بكونها إنشائيَّة، أنَّها لإنشاء الثَّناء بمضمونها لا أنَّها لإنشاء مضمونها؛ إذ هو ثابت أزلاً لا يمكن إنشاؤه من العبيد، وآثر الاسميَّة لدلالتها على الثُّبوت والدَّوام، واقتداءً بالكتاب العزيز.

وأصل الحمد لله: أحمد حمد الله؛ ثمَّ حذف الفعل لدلالة المصدر عليه، فبقي (حمد الله) ثمَّ عدل به من النَّصب إلى الرَّفع؛ لدلالة الثُّبوت والدَّوام فصار (حمد لله) ثمَّ أدخلت الألف واللام، قال الفاكهانيُّ في «شرح الرِّسالة»: (ويستحبُّ الابتداء بها لكل مصنِّف، ومدرِّس، وخطيب، وخاطب، ومتزوِّج، ومزوِّج، وبين يدي سائر الأمور المهمَّة، وكذا الصَّلاة على رسول الله ﷺ).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مقول القول في محلِّ نصب.

و(أل) فيه جنسية، أو استغراقية، ولام (لله) ....

قوله: (مقول القول ... إلخ): أي: لأنَّ القول لا ينصب إلَّا الجمل أو المفرد الَّذي في معنى الجملة، أو المفرد الَّذي قصد لفظه ما لم يُجر مجرى الظَّنِّ، فينصب المفردات كما هو معلوم من قول ابن مالك[1]:

وكتظنُّ اجعل تقولُ إن وَلي ... مستفهماً به ولم ينفصلِ

... إلى أن قال:

وأُجريَ القولُ كظنٍّ مطلقا ... عند سُلَيْمٍ نحو قُلْ ذا مُشفقا

قوله: (وأل فيه جنسيَّة): أي: وهو الأصل في وضعها، وأمَّا كونها استغراقيَّة؛ فهو طارئ عليها، والمعنى على الجنسيَّة جنس الحمد مستحقٌّ لله تعالى، وإذا اختصَّ جنس الحمد بالله؛ فلا فرد منه لغيره تعالى فحينئذ ساوت الاستغراقيَّة.

إن قلت: يرد عليه حمد الحادث للحادث، وحمد القديم للحادث.

أجيب: بأنَّ المراد جميع المحامد لله في الواقع ونفس الأمر لا بحسب الظَّاهر، فهذان الحمدان وإن كانا بحسب الظَّاهر لغير الله تعالى ففي الواقعِ ونفس الأمر هما له؛ لأنَّه المنعم الحقيقيُّ، فتدبَّر.

قوله: (أو استغراقيَّة): أي: وعلامتها أن يحلَّ محلَّها كل، وجوَّز بعضهم أن تكون عهديَّة، والمعهود هو الحمد القديم الأزليُّ الَّذي حمد

---

(١) ألفية ابن مالك (ص٣٢).

للاستحقاق.

نفسه به أزلاً، وذلك لأنَّه لمَّا علم عجز خلقه عن كُنه حمده؛ حمد نفسه بنفسه أزلاً، وأظهر ذلك الحمد لخلقه ليحمدوه به.

قوله: (للاستحقاق): أي: وضابطها ما وقعت بين معنىً وذات، وهذا أحد احتمالات أربع: **الثَّاني**: الملك، **الثَّالث**: التَّعليل، **الرابع**: الاختصاص.

فعلى الأوَّل معناه: جميع المحامد مستحقَّة لله.

وعلى الثَّاني: مملوكاً لله.

وعلى الثَّالث: ثابتة لأجله.

وعلى الرَّابع: مختصَّة به.

لكن على جعل (أل) عهديَّة، لا يناسب جعل اللام للملك؛ لأنَّه يصير المعنى: الحمد المعهود القديم مملوك لله، والمملوك لا يكون إلَّا حادثاً لا قديماً؛ لأنَّ المملوك هو المتصرَّف فيه، والقديم لا يتصرَّف فيه، إلَّا أن يقال: المراد بالحمد المعهود حمد من يعتدُّ به وهو حمد الله، وحمد أنبيائه، وحمد أوليائه، فيصحُّ حينئذ جعلها للملك؛ لأنَّ المعهود حينئذ هو الهيئة المجتمعة من حمد الله وحمد غيره، وهي مركَّبة من قديم وهو حمد الله وحادث؛ وهو حمد غيره، والمركَّب من القديم والحادث حادث، والحادث يصحُّ تعلُّق الملك به، كذا ذكره شيخنا الدُّسوقيُّ في «حاشية المصنف»[1]؛ ولكن لمَّا كانت لام الاستحقاق سالمةً من الإشكال

---

(١) ينظر «حاشية الدسوقي» (١/ ١٠).

والحمد لغة: هو الثَّناء بالجميل على جميل اختياري على جهة التَّعظيم، سواء تعلَّق بالفضائل أم بالفواضل.

اقتصر الشَّارح عليها.

قوله: (لغة): منصوبٌ على التَّمييز.

قوله: (هو الثَّناء): بتقديم المثلَّثة على النُّون والمد: الذِّكر بخير، وبتقديم النُّون على المثلَّثة والقصر ضدُّه، وحينئذ فقوله: (بالجميل) وصفٌ كاشف على حدِّ: نظرت بعيني، وسمعت بأذني، والمراد به الصَّادر بالكلام قديماً كان أو حادثاً، فيشمل أقسام الحمد الأربعة.

قوله: (بالجميل): بيان للمحمود به، وللصِّيغة الصَّادرين من الحامد للمحمود.

قوله: (على جميل اختياريٍّ): بيان للمحمود عليه، والمراد بالاختياريِّ حقيقةً: كالحمد على صفات الأفعال، أو حكماً: كالحمد على الذَّات وصفاتها؛ لأنَّها منشأ أفعال اختياريَّة، وخرج بذلك ما كان جميلاً غير اختياريٍّ، فالثَّناء عليه مدحٌ.

قوله: (على جهة التَّعظيم): أقحم لفظة (جهة) إشعاراً بأنَّه لا يكفي في الحمد التَّعظيمُ الظَّاهريِّ، بل لا بدَّ أن يوافق الكلامُ الجنان، كذا قيل؛ لكن قال الأشياخ: الرَّاجح عدم اشتراطه.

قوله: (سواء تعلَّق بالفضائل): سواء خبر مقدَّم، وما بعده في تأويل مصدر مبتدأ مؤخَّر، والمعنى: تعلُّقه بالفضائل أم بالفواضل مستوٍ.

....

والمراد بالفضائل: المزايا القاصرة، وهي الَّتي لا يتوقَّف تعلُّقها[١] على تعدِّي أثرها للغير، وإن كانت هي متعديَّة؛ كالعلم والقدرة والحسن، وبالفواضل المزايا المتعديَّة، وهي الَّتي يتوقَّف تعلُّقها على تعدِّي أثرها للغير؛ كالكرم والتَّعليم، وهذه العبارة معنى قول غيره، سواء كان في مقابلة نعمة أم لا، **فتحصَّل أنَّ أركان الحمد خمسةٌ**: حامد، ومحمود، ومحمود به، ومحمود عليه، وصيغة؛ فإذا حمدت زيداً لكونه أكرمك بقولك: زيد عالم[٢]؛ فأنت **حامد**، وزيد **محمود**، والإكرام **محمود عليه**؛ أي: محمود به لأجله، وثبوت العلم الَّذي هو مدلول قولك: زيد عالم؛ **محمود به**، وقولك: زيد عالم هو **الصِّيغة**.

---

(١) قوله: (**وهي التي لا يتوقف تعلقها... .إلخ**): أي: لا يتوقف الاتصاف بها على تعدي أثرها للغير؛ أي: سواء كانت في نفسها غير متعدية للغير؛ كالحسن، أو كانت في نفسها متعدية؛ كالعلم، وأما الفواضل؛ فإن الاتصاف بها يتوقف على تعدي أثرها للغير؛ كالكرم، والتعليم، فكل من الفواضل والفضائل متعلق الحمد عليه، وهو المحمود عليه، فالثناء على من اتصف بها حمد، سواء تعدى أثرها للغير حامداً أو غيره، كأن أعطى المحمود للحامد أو غيره.. .أو علمه أو غيره مسألة أو لا، كان حمده لشجاعته؛ فإنها اختياري لم يتعد أثره للحامد وغيره. اهـ كاتبه.

(٢) قوله: (**زيد عالم**): هذا مثال فيه اجتماع الحمد اللغوي والاصطلاحي، وينفرد اللغوي فيما كان لا في مقابلة نعمة هذا المثال، والمحمود عليه الشجاعة، والحمد الاصطلاحي لا بد أن يكون في مقابلة، سواء كانت على الحامد أو غيره، وينفرد الاصطلاحي في القيام لزيد عند قدومه؛ لكونه أكرم الحامد أو غيره؛ لأن اللغوي لا يكون إلا باللسان، وهذا عمل بالأركان. اهـ كاتبه.

وفي عرف أهل الشَّرع: فعلٌ ....

وأنَّ المحمود عليه يُشترط فيه أن يكون اختياريّاً حقيقة أو حكماً؛ بأن يكون منشأ لأفعال اختياريَّة أو ملازماً لمنشئها، فيصدَّق بقدرة الله وإرادته وعلمه إذا حُمد لأجلها؛ فإنَّها وإن كانت غير اختياريَّة حقيقةً لكنَّها اختياريَّة حكماً؛ لأنَّها ينشأ عنها فعلٌ اختياريٌّ، وكذا يصدَّق بذات الله إذا حُمد لأجلها فهي اختياريَّة حكماً لما ذكر.

وكذا يصدَّق بالسَّمع والبصر والكلام ونحوها ممَّا لا ينشأ عنه فعل اختياريٌّ إذا حُمد لأجلها، فهي اختياريَّة حكماً باعتبار أنَّها ملازمة للذَّات الَّتي ينشأ عنها فعل اختياريٌّ.

وأنَّ المحمود به لا يشترط فيه أن يكون اختياريّاً؛ بل تارة يكون اختياريّاً؛ كالكرم، وتارة لا يكون اختياريّاً؛ كحسن الوجه.

وأنَّ المحمود به والمحمود عليه تارة يختلفان ذاتاً واعتباراً، كأن يكون المحمود عليه الكرم، والمحمود به العلم، وتارةً يتَّحدان ذاتاً ويختلفان اعتباراً، كأن يكون كلٌّ منهما نفس الكرم، لكنَّه من حيث كونه باعثاً على الحمد يقال له: محمودٌ عليه، ومن حيث كونه مدلول الصِّيغة يقال له: محمود به.

قوله: (وفي عرف أهل الشَّرع): المراد بهم بعض المتكلِّمين، وإلَّا فأهل اللُّغة والشَّرع اتَّفقوا على أنَّ حقيقة الحمد الوصف بالجميل، فليس الحمد لغة أعمَّ منه شرعاً.

يُنبئ عن تعظيم المُنعِم بسبب كونه مُنعماً، ولو على غير الحامد، وسواء كان الفعل قولاً باللسان، أو اعتقاداً بالجنان، أو خدمة بالأركان.

فبينهما العموم والخصوص الوجهيُّ؛ ....

قوله: (ينبئ): أي: يخبر غير الحامد لو اطَّلع عليه، فلا يرد أنَّ هذا الإشعار قد يكون بالقلب.

قوله: (ولو على غير الحامد): أي: فلا يشترط أن تكون النعمة لنفس الحامد، وإنَّما المدار على كونه في مقابلة نعمة.

قوله: (أو اعتقاداً بالجنان): إن قلت: الاعتقاد ليس فعلاً للقلب وإنَّما هو كيفيَّة له.

أجيب: بأنَّ المراد بالفعل هنا ما قابل الانفعال فيشمل الكيف.

قوله: (بالأركان): المراد بها الأعضاء الظَّاهرة غير اللِّسان، روي أنَّ أعرابيّاً أتى عليّاً كرَّم الله وجهه فأعطاه درهماً، فلمَّا استقله ولم يكن عنده غير درع له ناوله إيَّاه، فمدحه بقوله[1]: [من الطويل]

وما كان شكري وافياً بجمالكم ... ولكنَّني حاولت في الشُّكر مذهبا

أفادتكم النَّعماء مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضَّميرَ المحجَّبا

قوله: (فبينهما العموم والخصوص الوجهيُّ): ضابطه أنَّهما يجتمعان في مادَّة، وينفرد كلٌّ منهما عن الآخر بجهة.

---

(١) أورد البيت الثاني الزمخشري في «تفسيره» (١/ ٨).

لأنَّ مورد اللّغوي خاصٌّ وهو اللسان، ومتعلَّقه عام، ومورِدَ العرفيِّ عامٌّ، ومتعلَّقه خاصٌّ وهو الإنعام.

وأمَّا الشُّكر **لغةً**: فهو الحمد عرفاً، وأَمَّا الشُّكر **عرفاً**: فهو صَرْف العبد جميعَ ما أنعم الله به عليه من عقل وسمع وغيرهما إلى ما خُلق لأجله، وهو أخصُّ مطلقاً من الحمد والشُّكر اللُّغوي لاختصاصه بالله تعالى، وبكونه في مقابلة النِّعَم التي على الشاكر فقط.

قوله: (لأنَّ مورد اللُّغوي خاصٌّ ... إلخ): تعليلٌ لما قبله، والمراد بالمورد المبدأ، وبالمتعلِّق المنتهي.

قوله: (فهو الحمد عرفاً): أي: فبينهما التَّرادف، وإنَّما يختلفان في التَّسمية.

قوله: (وهو أخصُّ مطلقاً): أي: فبينه وبين ما عداه العموم والخصوص المطلق، فيلزم من الشُّكر الاصطلاحيِّ الحمد اللغوي والعرفي والشُّكر اللُّغوي ولا عكس، بل تنفرد الثَّلاثة عنه بجهة عمومها.

قوله: (لاختصاصه بالله ... إلخ): تعليل لأخصيَّته، ومعناه: أنَّ صرف الأعضاء لخالقها يستحيل أن يكون لغير الله.

قوله: (وبكونه ... إلخ): علَّة ثانية لأخصيَّته، والحاصل: أنَّ الشَّرح ذكر الحمد اللُّغويَّ والعرفيَّ، والشُّكر اللُّغويَّ والعرفيَّ، ولم يذكر المدح بقسميه، ونذكره تتميماً للفائدة.

فالمدح لغة: هو الثَّناء باللِّسان على وصف غير اختياريٍّ، **وعرفاً**: فعل

(العليِّ) من العُلُوِّ، وهو الرِّفعة، فأصله: عليو، اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون ....

ينبئ عن تعظيم الشَّخص بسبب اتصافه بصفة كمال، فمجموعها ستَّة من ضرب ثلاثة؛ وهي الشُّكر، والحمد، والمدح في اثنين، وهما اللُّغويُّ والعرفيُّ؛ والنَّسب بينها خمسة عشر، وذلك لأنَّك تأخذ الشكر العرفيَّ مع كلٍّ واحد يحصل خمس نسب هي العموم والخصوص المطلق.

وتأخذ الشُّكر اللُّغوي مع غير الشُّكر العرفيِّ يحصل أربع نسب، فإن كان مع الحمد الاصطلاحيِّ؛ فالتَّرادف، وإن كان مع الحمد اللُّغويِّ أو المدح اللُّغويِّ؛ فالعموم والخصوص من وجه، وإن كان مع المدح العرفيِّ؛ فالعموم والخصوص المطلق.

وتأخذ الحمد اللُّغويَّ مع غير الشُّكر بقسميه يحصل ثلاث نسب، فإن كان مع الحمد العرفيِّ؛ فالعموم والخصوص الوجهيُّ، وإن كان مع المدح بقسميه؛ فالعموم والخصوص المطلق.

وتأخذ الحمد العرفيَّ مع غير الشُّكر بقسميه، والحمد اللُّغويُّ يحصل نسبتان هما العموم والخصوص المطلق.

وتأخذ المدح اللغويَّ مع العرفيِّ، وبينهما العموم والخصوص المطلق، تأمَّل.

قوله: (فأصله): مفرَّع على قوله: (من العلو) أي: فلامه واو.

قوله: (عليو): بفتح العين وكسر اللَّام، وسكون الياء.

فقلبت الواو ياء، وأدغمت فيها الياء.

وعلوُّه تعالى معنوي، عبارة عن تنزيهه تعالى عن كلِّ نَقْص، فيتضمَّن اتصافَه تعالى بجميع صفات السُّلوب.

ولك أن تقول: علوُّه تعالى عبارةٌ عن تنزيهه عن كلِّ نَقْص، واتِّصافه بكلِّ كمال، فيشمل صفات المعاني أيضاً.

(الواحِدِ) أي: المنزَّه عن الشَّريك في الذَّات والصِّفات والأفعال.

قوله: (فقلبت الواو ياء . . . إلخ): هذا على خلاف القاعدة، بل القاعدة أنَّ المدغم هو الَّذي يقلب ويردُّ من جنس المدغم فيه، لكن لمَّا كانت الياء أخفَّ من الواو قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وتقدَّم نظيره في تصريف سيِّد.

قوله: (وعلوُّه تعالى معنويٌّ): أي: لا حسِّيٌّ؛ لاستحالته عليه تعالى.

قوله: (عبارة): أي: لفظ يعبَّر به، ويدلُّ به على أنَّه تعالى منزَّه.

قوله: (فيتضمَّن): أي: فالعليُّ يتضمَّن. . . إلخ.

قوله: (بجميع صفات السُّلوب): جمع سلب بمعنى: نفي.

قوله: (ولك أن تقول): أي: في معنى العليِّ، وهو بهذا المعنى من الأسماء الجامعة.

قوله: (الواحد): ذكر الواحد وما بعده نتيجة معنى العليِّ.

قوله: (المنزَّه عن الشَّريك): أي: ففي معنى الوحدانيَّة نفي الكموم الخمسة المشهورة.

(العالِمِ) بما يكون وما لا يكون وبما هو كائن؛ أي: موجود.

(الفردِ) أي: الواحد ذاتاً وصفات وأفعالاً.

(الغنيِّ) عن كلِّ شيء، فلا يفتقر إلى محلٍّ ولا مخصِّص ولا معين ولا وزير ولا غير ذلك، فالغنى المطلق يتضمَّن اتِّصافه تعالى بجميع الصِّفات السَّلبيَّة والكماليَّة.

(الماجدِ) قيل: معناه الكريم الواسع العطاء، ....

قوله: (العالم بما يكون): أي: المحيط علمه أزلاً بالمستقبلات.

وقوله: (وما لا يكون): أي: من المستحيلات والجائزات.

وقوله: (وبما هو كائن): أي: من الواجبات والجائزات.

قوله: (أي: الواحد ... إلخ): فيكون الفرد مرادفاً للواحد.

وقوله: (فلا يفتقر إلى محلٍّ): أي: لقيامه بنفسه، فليس صفة تقوم بمحلٍّ، ولا حادثاً يحتاج لموجد، ولا عاجزاً يفتقر لمعين، وعطف الوزير على المعين مرادف.

قوله: (ولا غير ذلك): أي: من كلِّ ما يفتقر له الحوادث.

قوله: (فالغنى المطلق): مفرَّع على ما فسِّر به الغنى؛ أي: فالغنى في حقِّه مطلق، وهو يتضمَّن اتِّصافه ... إلخ، فهو من الأسماء الجامعة.

قوله: (قيل: معناه الكريم... إلخ): أي: فيكون من الأسماء الجماليَّة.

وقيل: الشَّريف العظيم.

ولا يخفى ما في هذا البيت من براعة الاستهلال.

مطلب في معنى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

(وأفضلُ) أي: أَتَمُّ (الصَّلاة) وهي **لغة**: ....

وقوله: (وقيل: الشَّريف... إلخ): أي: فيكون من الأسماء الجامعة، وعلى كلٍّ هو نتيجة الاسم الَّذي قبله.

قوله: (من براعة الاستهلال): أي: لأنَّ هذه الأسماء تشعر بالتَّوحيد الَّذي هو شارع فيه؛ لتضمُّنها العقائد، وبراعة الاستهلال هي أن يذكر المؤلِّف أو غيره في أوَّل كلامه ما يدلُّ على مقصوده، والبراعة من برع إذا تفوَّق على غيره، والاستهلال الظُّهور.

قوله: (وأفضل الصَّلاة... إلخ): لمَّا حمد الله تعالى شكراً للنعمة؛ صلَّى على حبيبه ﷺ؛ لأنَّه الواسطة لنا في جميع النِّعم، أداء لبعض ما يجب له ﷺ، وعملاً بقوله عليه الصَّلاة والسلام: **«كلُّ كلام لا يُذكرُ اللهُ فيه فيبدأ به وبالصَّلاةِ عليَّ؛ فهوَ أقطع ممحوقٌ من كلِّ بركةٍ»**[1]، والجملة خبريَّة لفظاً إنشائيَّة معنىً، فالمقصود بها إنشاء الدُّعاء بأنَّ الله يعظِّم سيِّدنا محمَّداً ﷺ ويشرِّفه ويحيِّيه بتحيَّة لائقة به، كما يحيِّي بعضنا بعضاً، ولا يجوز أن تكون خبريَّة لفظاً ومعنىً؛ لأنَّ المخبر بأنَّ الله صلَّى عليه - أي:

---

(١) أورده الملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (١/ ٣) وعزاه للرهاوي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الدُّعاء بخير، فإذا أضيفت إلى الله كان معناها زيادة الإنعام المقرونة بالتَّعظيم والتَّبجيل (والتَّسليمِ) ....

أنعم عليه - لم يكن مصلِّياً؛ أي: داعياً بأنَّ الله يعظِّمه إلَّا على قول من يقول: إنَّ المراد من الصَّلاة التَّعظيم، أو إنَّها موضوعة للقدر المشترك وهو الاعتناء بالمصلَّى عليه، فيجوز أن تكون خبريَّة لفظاً ومعنىً؛ لأنَّ من أخبر بأنَّ الله صلَّى عليه فقد عظَّمه ﷺ واعتنى به، وهو خلاف التَّحقيق.

قوله: (الدُّعاء بخير): أي: بأيِّ لفظ كان.

قوله: (فإذا أضيفت إلى الله): أي: نسبت له.

وقوله: (المقرونة بالتَّعظيم... إلخ): أي: بالنِّسبة لصلاة الله على الأنبياء، وأمَّا صلاة الله على غيرهم؛ فمعناها أصل الرَّحمة والإنعام، وأمَّا إن أضيفت لغير الله من سائر المخلوقات؛ فهي على معناها الأصليِّ، وهو الدُّعاء بخير.

وقد اختلف في الصَّلاة: هل هي مشترك لفظيٌّ تعدَّد وضعه، وهو قول الجمهور، واختار ابن هشام في «مغنيه» أنَّها من المشترك المعنويِّ قائلاً: (الصَّواب عندي: أنَّ الصَّلاة لغة بمعنىً واحد؛ وهو العطف، ثمَّ العطف بالنِّسبة إلى الله تعالى الرَّحمة، وإلى الملائكة الاستغفار، وإلى الآدميِّين دعاء بعضهم لبعض)[1]، وفي المقام كلام طويل، انظره في «حاشية شيخنا الأمير على عبد السَّلام»[2].

---

(١) مغني اللبيب (١/ ٧٩١).

(٢) حاشية الأمير(ص٢٠).

أي: التَّحيَّة (**على النَّبيِّ**) المعهود عند الإطلاق، وهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ، **والنَّبيُّ**: إنسان ذكر ....

قوله: (أي: التَّحية): أي: من الله ومن العباد، فتحيَّة الله تعظيمه لنبيِّه بكلامه القديم، كما يحيي أحدنا ضيفه، ومن المخلوقات طلب ذلك من الله تعالى.

قوله (على النَّبيِّ): **إن قلت**: إنَّ الدُّعاء إن كان بخير؛ **تعدَّى** بالَّلام، وإن كان بشرٍّ؛ تعدَّى بـ(على).

أجيب: بأنَّه ضمَّن الصَّلاة معنى العطف وهو يتعدَّى بـ(على)، والحقُّ في الجواب أن يقال: محلُّ ذلك ما لم يكن بعنوان الصَّلاة والسَّلام، فإن كان به؛ تعيَّن تعديته بـ(على)؛ للفرق بين صلَّيت له، وصلَّيت عليه، وسلَّمت له، وسلَّمت عليه، فلو تعدَّى بالَّلام؛ لأوهم معنىً فاسداً؛ لأنَّ (صلَّيت له) **معناه**: عبدته، و(سلَّمت له) معناه: فوَّضت له الأمر، ولأنَّه خلاف الوارد في القرآن والأحاديث.

قوله: (المعهود): أي: فـ(أل) في (النَّبيِّ) للعهد العلميِّ.

قوله: (والنَّبيُّ): شروع في معناه **اصطلاحاً**، وأمَّا معناه **لغة**؛ فسيأتي.

قوله: (إنسان): أي: لا جنٌّ ولا ملك.

وقوله: (ذكر): أي: لا أنثى، وحقُّه أن يزيد حرّاً، قال صاحب «**بدء الأمالي**»[١]:

---

(١) بدء الأمالي (ص٧).

حُرٌّ أوحي إليه بشرع - أي: أحكام - سواء أُمر بتبليغها؛ أي: إيصالها للمكلَّفين أم لا، فإن أُمر بذلك فرسول أيضاً، فالنَّبيُّ أعمُّ من الرَّسول.

وأصله: نبيء بالهمزة كما يدلُّ عليه رواية قراءته بالهمز في التَّشهُّد، فقُلبت الهمزة ياء، ....

وما كانت نبيّاً قطُّ أنثى ولا عبدٌ وشخصٌ ذو افتعال

قوله: (أوحي): الوحي: هو الإرسال من الله لعبده بالأحكام وهو أقسام، فيكون تارةً بواسطة ملك؛ كجبريل، وتارةً بمكالمة من الله تعالى من غير واسطة؛ كما وقع لموسى، وتارةً بإلهام يقع في القلب، وتارةً في المنام.

قوله: (فالنَّبيُّ أعمُّ من الرَّسول): أي: فيلزم من كونه رسولاً أن يكون نبيّاً ولا عكس، ولا يلزم أن يكون له كتاب وهذا هو المشهور، وقيل: النَّبيُّ والرَّسول مترادفان، وقيل: الرَّسول من كان له شرع جديد وكتاب.

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[1]: يفيد أنَّ الرُّسل يكونون من الملائكة أيضاً، وهو خلاف التَّعريف.

أجيب: بأنَّ الرَّسول المعرَّف هنا هو الَّذي يبلِّغ الأمم، وأمَّا رسل الملائكة؛ فهم لتبليغ بعضهم بعضاً، ولتبليغ رسل البشر، فالموضوع مختلف.

(١) سورة الحج: (٧٥).

من النَّبأ - وهو الخبر - بمعنى المفعول كما يدلُّ عليه التعريف المتقدِّم؛ أي: أن الله تعالى قد أخبره بأحكام، ويحتمل أن يكون بمعنى الفاعل؛ أي: أنَّه مخبِر عن الله تعالى، ويحتمل أنَّ يكون أصله (نَبِيو) من النَّبْوَة؛ أي: الرِّفعة، قلبت الواو ياء لما مرَّ، وأدغمت فيها الياء، بمعنى أنه مرفوع الرُّتبة، أو: مرتفعها، ....

قوله: (من النَّبأ وهو الخبر): أي: فهو المعنى اللُّغويُّ، وعليه فمعنى النَّبيِّ **لغة**: المخبر.

قوله: (بمعنى المفعول): أي: فنبيٌّ بمعنى منبَّأ - بفتح الباء - أي: مخبر.

قوله: (كما يدلُّ عليه التَّعريف المتقدِّم): أي: حيث قيل فيه: (أوحي إليه).

قوله: (بمعنى الفاعل): أي: فنبيء بمعنى منبئ - بكسر الباء - أي: مخبر؛ لأنَّه مأمور بالتَّبليغ والإخبار.

إن قلت: إنَّه إن لم يكن رسولاً فليس مأموراً بالإخبار؛ فلا تظهر التَّسمية حينئذ.

أجيب: بأنَّه مأمور بإخبار النَّاس أنَّه نبيٌّ ليحترم.

قوله: (من النَّبْوَة): أي: فمعنى النَّبيِّ **لغة**: المرتفع أو الرَّافع.

قوله: (لما مرَّ): أي: في تصريف العلي، وما قيل هناك يقال هنا.

قوله: (أو مرتفعها): أي: قامت به الرِّفعة، والأظهر أن يقول كما قال

فهو بمعنى المفعول أو الفاعل أيضاً.

(المصطفى): اسم مفعول من الاصطفاء، وهو الاختيار، فمعناه: المختار.

(الكريمِ) من الكرم، وهو صفة تقتضي الإعطاء لا في نظير شيء، أو هو نفس الإعطاء المذكور، وقد يراد بالكريم الطَّيِّب، وهو الأنسب هنا؛ أي: فهو طيِّب الأصل ....

غيره: فهو مرفوع الرُّتبة، أو رافع لرتبة منِ اتَّبعه، فهو بمعنى المفعول أو الفاعل، لفٌّ ونشر مرتب.

قوله: (المصطفى): أصله المصتفى؛ بتاء مثنَّاة فوقيَّة بعد الصَّاد، قلبت طاء للقاعدة المشهورة.

قوله: (فمعناه: المختار): أي: لما في الحديث الصحيح: «**إنَّ الله اصطفى كنانةَ من ولدِ إسماعيلَ، واصطفى قريشاً من كنانةَ، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشمٍ، فأنا خيارٌ من خيارٍ**»[1].

قوله: (وهو صفة تقتضي الإعطاء): أي: فيكون صفة ذات.

وقوله: (أو هو نفس الإعطاء): أي: فيكون صفة فعل.

قوله: (وهو الأنسب هنا): أي: لكونه من الصِّفات الجامعة.

قوله: (طيِّب الأصل): أي: النَّسب.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٤٢) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، وينظر «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٢٩٩).

وطيِّب الخَلْق وطيِّب الخُلُق عليه الصَّلاة والسَّلام.

آل النبي عليه الصلاة والسلام

(و) أفضل الصَّلاة والتَّسليم على (آله) المراد بهم في مقام الدُّعاء ـ كما هنا ـ أتباعه ....

قوله: (وطيِّب الخَلْق): بفتح فسكون؛ أي: أحسن النَّاس خِلقَة.

وقوله: (وطيِّب الخُلُق): بضمَّتين؛ أي: أحسنهم أخلاقاً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وقال صاحب البردة[2]: [من البسيط]

منزَّهٌ عن شريكٍ في محاسنه ... فجوهرُ الحُسْن فيه غير منقسمِ

وقال العارف[3]: [من الوافر]

وأجمل منك لم ترَ قطُّ عيني ... وأحسن منك لم تلد النِّساءُ

خُلِقْتَ مبرءاً من كلِّ عيبٍ ... كأنَّك قد خُلِقْتَ كما تشاءُ

قوله: (على آله): زاد الشَّرح على إشارة إلى أنَّه حذفها من المتن للضَّرورة؛ لأنَّ ذكرها فيه ردٌّ على الشِّيعة، وفيه إشارة إلى تفاوت رتبة الصَّلاتين.

قوله: (أتباعه): أي: في الإيمان.

---

(١) سورة القلم: (٤).

(٢) بردة البوصيري (ص١١).

(٣) البيتان في «ديوان حسان بن ثابت» رضي الله عنه (ص٤٤١).

مطلقاً، وقيل: الأتقياء منهم.

وأمَّا في مقام الزَّكاة: فقال الإمام مالك رضي الله عنه: هم بنو هاشم فقط.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: بنو هاشم والمطلب.

وأصله عند سيبويه: أهل، قلبت هاؤه همزة، ثمَّ الهمزة ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها كما في آدم، وعند الكسائي: أول كجمل من: آل يؤول إذا رجع، فقلبت الواو ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها.

وقوله: (مطلقاً): أي: ولو عصاة.

قوله: (وأمَّا في مقام الزَّكاة): أي: مقام حرمة الصَّدقة على أهل البيت.

قوله: (عند سيبويه): أي: والبصريِّين.

قوله: (قلبت هاؤه همزة): أي: لقرب المخرجين.

قوله: (ثمَّ الهمزة ألفاً): **إن قلت**: لِمَ لم تقلب الهاء من أوَّل الأمر ألفاً؟

أجيب: بأنَّه لم يُعْهَد قلب الهاء ألفاً لبعد مخرجيهما، بخلاف قلب الهاء همزةً، فهو معهود؛ كماء أصله موه، تحرَّكت الواو وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً وقلبت الهاء همزة، وكذلك عهد قلب الهمزة ألفاً كما في (آدم).

قوله: (وعند الكسائيِّ... إلخ): أي: واستدلَّ **الأوَّل**: بتصغيره على أهيل، **والثَّاني**: على أويل.

إن قلت: إنَّ المصغَّر فرع المكبَّر، فيلزم عليه الدَّور.

ولا يضاف إلا لمن له شرف من الذُّكور العقلاء، فلا يقال: آل الإسكافي، ولا آل فاطمة، ولا آل الحصن.

أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام

(و) على (صَحْبِهِ) ....

أجيب: بأنَّ توقُّف المصغَّر على المكبَّر من حيث الوجود، وتوقُّف المكبَّر على المصغَّر من حيث العلم بالأصالة وهو مختلف الجهة، فتدبَّر.

قوله: (ولا يضاف إلَّا لمن له شرف. . . إلخ): أي: بخلاف أهل، ولذا قال بعضهم: يفرَّق بين الآل والأهل في الاستعمال بوجهين:

الأوَّل: أنَّ الأهل لا يختصُّ بإضافته إلى ذي شرف، فيقال: أهل الدَّار، أهل الكافر، وأمَّا الأوَّل: فيختصُّ بإضافته إلى ذي شرف، فلا يقال: آل الخيَّاط، ولا آل الحجّام؛ لعدم الشَّرف، وإنَّما قيل: آل فرعون؛ لتصوُّره بصورة الأشراف، أو لشرفه عند قومه.

فإن قلت: إنَّ الآل يصغَّر، والتَّصغير يدلُّ على التَّحقير.

وأجيب: بأنَّ التَّصغير قد يكون لغير التَّحقير؛ كالاستلذاذ، كما قال سيِّدي عمر ابن الفارض رضي الله عنه[1]:

ما قلت حبيبي من التَّحقير بل يعذُب اسم المرء بالتَّصغير

والثَّاني: أنَّ الأهل لا يختصُّ بإضافته إلى العقلاء الذُّكور، والآل

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص١٩٤).

اسم جمع لصاحب بمعنى: صحابي، وهو: من اجتمع به ﷺ مؤمناً ومات على إيمانه، وقيل: جَمْعٌ له، ورُدَّ بأن فاعلاً لا يجمع على فَعْل، فلا يقال في عالم: عَلْم، وهكذا.

(**الأطهارِ**) إمَّا جمع (طاهر) على غير قياس؛ لأنَّ فاعلاً لا يجمع على أفعال أيضاً، فلا يقال: عالم وأعلام، وكامل وأكمال.

وإمَّا أن يكون جمعاً لطُهْر بمعنى طاهر من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل؛ ....

يختصُّ بذلك، فلا يقال: آل مكَّة، ولا آل فاطمة.

قوله: (اسم جمع لصاحب): أي: عند سيبويه؛ وهو الرَّاجح.

قوله: (وقيل: جمع له): أي: نظير ركب وراكب، وهو قول الأخفش.

قوله: (لا يجمع على فعل): أي: لأنَّ فعلاً ليس من أبنية الجمع، بل من المصادر والمفردات.

قوله: (لا يجمع على أفعال): أي: قياساً.

وقوله: (أيضاً): أي: كما أنَّ فاعلاً لا يجمع على فعل كما تقدَّم بلصقه.

قوله: (لطهر): بضمٍّ فسكون مصدر طهر بفتح فضمٍّ؛ كحسن.

قوله: (من باب إطلاق المصدر): أي: الَّذي هو طهور.

وقوله: (وإرادة اسم الفاعل): أي: الَّذي هو طاهر.

كعَدْل بمعنى عادل، ومعناه: المطهَّرين من دنس المعاصي والمخالفات، وعَطْفهم على الآل من عطف الخاصِّ على العامِّ لمزيد شرفهم على غيرهم.

(لا سيَّما رفيقُهُ في الغارِ) (لا) من (لا سيَّما) ....

قوله: (كعدل): التَّشبيه من حيث تأويل المصدر باسم الفاعل.

قوله: (ومعناه: المطهَّرين): كذا بالياء في النَّسخ الَّتي بأيدينا، ومقتضى العربيَّة الواو؛ لأنَّه خبر عن معناه.

قوله: (من عطف الخاصِّ على العام): أي: من حيث أنه أريد بالآل مطلق الأتباع ولو عصاة، أو أتقياء الأمَّة.

قوله: (لا سيَّما رفيقه في الغار): هذه الجملة في محل جرٍّ نعت لما قبلها، وقد ترك المصنِّف الواو من هذا التَّركيب؛ إمَّا بناء على جواز حذف الواو منها، أو للضَّرورة، فقد ذكر شيخنا الأمير فيما كتبه على أبيات لشيخنا العلَّامة السِّجاعي متعلَّقة بـ(لا سيَّما) سنذكرها ما نصُّه: (وأمَّا الكلام على الواو من حيث الحذف وعدمه فنقول: جرى في الحذف خلاف، فذكر ثعلب أنَّه خطأ، نقلوه مقدِّمين له على جواز الحذف المنسوب لغيره، فظاهر كلامهم ترجيحه) انتهى[1].

وعلى ثبوت الواو، فاختلف فيها فقيل: إنَّها اعتراضيَّة، بناء على جواز الاعتراض في آخر الكلام، وعليه فالجملة نعتٌ لما قبلها تابعة له في

---

(١) شرح الأمير (ق/ ٥٧١) ضمن مجموع.

نافية للجنس، و(سيّ)كـ (مثل) وزناً ومعنىً اسمُها، وخبرها محذوف وجوباً؛ أي: ثابت، وأصله (سِوْيٌ)، فقلبت الواو ياءً لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون ....

الإعراب، وقيل: حاليَّة، وعليه فمحلُّها نصب أبداً، وقيل: استئنافيَّة، وعليه فلا محلَّ لها من الإعراب.

قوله: (نافية للجنس ... إلخ): فهي عاملةٌ عمل إنَّ تنصب الاسم وترفع الخبر.

إن قلت: هل يجوز رفع (سيَّ) على أنَّ (لا) عاملة عمل ليس، وإن كان لم يسمع إلا بالنَّصب؟

قلت: لا يجوز لعدم ملاقاته القصد؛ إذ المراد بقولك: ساد العلماء ولا سيَّما زيد، نفي جنس المماثل لزيد بنفي جميع أفراده لا النَّفي في الجملة الصَّادق بنفي الواحد الَّذي لا ينافي ثبوت الأكثر، كما هو مفاد العاملة عمل ليس. انتهى من كلام شيخنا على الأبيات المذكورة[١].

قوله: (وخبرها محذوف وجوباً): هذا هو المشهور، وقيل: إنَّ (ما) في حالة رفع الاسم بعدها خبرها؛ أي: ورد بأنَّه يلزم عليه كفُّ (سيَّ) عن الإضافة من غير كافٍّ.

قوله: (وأصله سِوْيٌ): بكسر فسكون، فعينه واو، ودليله قولهم في تصريف مادَّته: تساويا وتساوينا ومتساويان، وتثنيته سيَّان، واستغنوا بتثنيته

---

(١) شرح الأمير (ق/ ٥٧٣) ضمن مجموع.

وأدغمت في الياء.

ويجوز في الاسم الواقع بعد (ما) الجرُّ والرَّفعُ مطلقاً، والنَّصبُ إن كان نكرة، وقد روي بالأوجه الثلاثة قوله:

ولا سيما يوم بدارَةَ جُلْجُلِ ....

والجرُّ أرجحها، وهو على إضافة (سيّ) إليه، و(ما) زائدة بينهما مثلها في ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾[1]، وأمَّا الرَّفعُ فهو على أنَّه خبر لمبتدأ محذوف، ....

عن تثنية سواء، فلم يقولوا: سواآن إلَّا شاذّاً؛ كقوله[2]: [من الطويل]

فيا ربِّ إن لم تجعل الحبَّ بيننا ... سواءين فاجعلني على حبِّها جلدا

قوله: (وأدغمت في الياء): أي: وهذا الإدغام على القياس بخلاف سيد، كما تقدَّم التَّنبيه عليه.

قوله: (مطلقاً): أي: نكرة أو معرفة.

قوله: (وقد روي بالأوجه الثَّلاثة قوله: ولا سيَّما... إلخ): الضَّمير عائد على امرئ القيس؛ شاعر جاهليٌّ مشهور.

وقوله: (ولا سيَّما): عجز بيت وصدره[3]:

ألا ربَّ يوم صالح لك منهما ....

---

(١) سورة القصص: (٢٨).

(٢) أورده ابن منظور في «لسان العرب» (١٤/ ٤١٠) من قول قيس بن معاذ.

(٣) ديوان امرئ القيس (ص٢٩، ٢٧، ٢٦).

و(ما) موصولة، أو نكرة موصوفة بالجملة بعدها، والتَّقدير: ولا

وهو بيت من قصيدة له مشهورة من (بحر الطَّويل)، ومنها:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنَّك مُرْجِلي

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ

ويوم عقرتُ للعذارى مطيَّتي فيا عجبا من رحلها المتحمَّلِ

وسبب تلك القصيدة: أنَّه كان يهوى بنت عمٍّ له يقال لها: عنيزة، فاتَّفق أنَّ الحيَّ اجتمعوا، وتقدَّم الرِّجال وتأخَّر النِّساء، فلمَّا رأى ذلك امرؤ القيس؛ سار مع الرِّجال قدر غلوة، ثمَّ نزل في غابة من الأرض حتَّى ورد النِّساء الغدير يغتسلن، فجاء وهنَّ غوافلُ وجلس على ثيابهنَّ، وحلف لا يعطي واحدة ثوبها حتَّى تخرج متجرِّدة، فأبين حتَّى تعالى النَّهار، فخرجن وقلن له: حبستنا فأجعتنا، فنحر لهنَّ ناقته فشوينها، ولمَّا أردن الرَّحيل؛ حملت كلٌّ واحدة منهنَّ شيئاً من متاعه، وحملته هو عنيزة، فمراده باليوم يوم دخوله خدر عنيزة.

(ودارة جلجل) بجيمين: اسم لغدير ماء، ومعنى (مرجِّلي) مصيري راجلة؛ أي: ماشية بسبب هلاك بعيري.

قوله: (وما موصولة): أي: والجملة بعدها صلة لا محلَّ لها من الإعراب.

قوله: (موصوفة بالجملة بعدها): أي: فهي في محلِّ جرٍّ.

قوله: (والتَّقدير . . . إلخ): لفٌّ ونشر مرتَّب.

مثل الذي هو رفيقه، ولا مثل شيء هو رفيقه، و(سيّ) مضاف، و(ما) مضاف إليه، فعلى كلٍّ من الوجهين الجر والرفع تكون فتحة (سيّ) فتحة إعراب؛ لأنّ اسم لا النافية للجنس إذا كان مضافاً يكون منصوباً، وأمّا نصب النَّكرة بعدها فعلى التَّمييز، و(ما) كافة على الإضافة، والفتحة فتحة بناء مثلها في (لا رجل).

قوله: (هو رفيقه . . . إلخ): أي: وهذا الضَّمير مبتدأ عائد على الصِّلة، ورابط الصِّلة وحذفه هنا ليس بشاذٍّ بل واجب، سواء طالت الصِّلة - كما هنا - أو لم تطل، كما في قولهم: لا سيَّما زيد؛ لأنَّ هذا الكلام جرى في كثرة الاستعمال مجرى الأمثال، فلا يغيَّر عمَّا سمع فيه من الحذف.

قوله: (إذا كان مضافاً . . .إلخ): **إن قلت**: يلزم على إضافة اسم لا لما الموصولة عملُ لا في معرفة مع أنَّها لا تعمل إلَّا في النَّكرات.

أجيب: بأن (سيَّ) كمثل متوغِّلة في الإبهام، فلا تفيد إضافتها للمعرفة التَّعريف.

قوله: (وأمَّا نصب النَّكرة بعدها): أي: وأمَّا المعرفة: فلا يجوز نصبها عند الجمهور، وجوَّز بعضهم نصبها بجعل (ما) كافَّة، ولا سيَّما بمنزلة (إلَّا) الاستثنائيَّة، فما بعدها منصوب على الاستثناء، كما نقله «حواشي الأشمونيِّ»[1].

قوله: (والفتحة فتحة بناء): بحث فيه شيخنا الأمير بقوله: (أقول: قد

---

(١) ينظر «حاشية الصبان على شرح الأشموني» (٢/ ٢٤٩).

والمعنى: والصَّلاة والسَّلام على الصَّحب لا مثل الرَّفيق، فإنَّ الصَّلاة عليه أتمُّ منها عليهم؛ يعني: أطلب ذلك من الله تعالى.

والمراد برفيقه في الغار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، خصَّه بالذِّكر بعد دخوله في عموم الأصحاب ....

يمنع إفراد «سيَّ» في هذه الحالة، بل هي شبيهة بالمضاف ضرورة أنَّ التَّمييز الَّذي اتَّصل بها شيء من تمام المعنى... إلى أن قال: وحينئذ ففتحة «سي» على هذا إعراب)[1].

وقد نظم شيخنا السِّجاعيُّ حاصل ما ذكره الشَّارح بقوله[2]: [من الرجز]

وما يلي لا سيَّما إن نكِّرا ... فاجرر أو ارفع ثمَّ نصبه اذكرا

في الجرِّ ما زيدت وفي رفع ألف ... وصل لها قلَّ وتنكير وصف

وعند رفع مبتدأ قدر وفي ... رفعٍ وجرٍّ أعربن سيَّ تفي

وانصب مميِّزاً وقل لا سيَّما ... يوم بأحوال ثلاثٍ فاعلما

والنَّصب إن يُعرَّف اسم فامنعا ... وبعد سيّ جملة فوقعا

أجاز ذا الرَّضيُّ ولا تحذف لا ... من سيِّما وسيّ خفِّفْ تفضُّلا

وامنع على الصَّحيح الاستثنا بها ... ثمَّ الصَّلاةُ للنَّبيِّ ذي البَهَا

قوله: (أبو بكر): كنيته، والصِّدِّيق لقبه، واسمه عبد الله رضي الله عنه وعن سائر الصَّحابة.

---

(١) شرح الأمير (ق/ ٥٧٣) ضمن مجموع.

(٢) منظومة أحكام لا سيما (ص٩-١٠).

تنويهاً بعظم شأنه، إذ هو شيخ الصَّحابة وأفضلُهم على الإطلاق، وفي ذكر مرافقته في الغار إشارة إلى ذلك أيضاً.

والغار: ثقب في أعلى جبل ثور، على مسيرة نحو ساعة من مكَّة، دخله النَّبيُّ ﷺ هو وأبو بكر حين خرجا مهاجرين من مكة إلى

قوله: (تنويهاً): أي: إعلاماً.

قوله: (إذ هو): تعليل لما قبله.

قوله: (وأفضلهم على الإطلاق): أي: لما في الحديث: «ما طلعتِ الشَّمسُ ولا غربتْ على أحدٍ بعدَ النَّبيِّينَ والمرسلينَ أفضلَ من أبي بكرٍ»[1].

قوله: (إلى ذلك): أي: إلى أفضليَّته.

قوله: (والغار: ثقب . . . إلخ): أي: ويسمَّى بغار ثور.

قوله: (حين خرجا من مكَّة . . . إلخ): أي: بإذن الله تعالى لنبيِّه في الهجرة، وذلك أنَّه ﷺ خرج إلى عقبة منىً في الموسم، وهو وقت اجتماع النَّاس كلَّ سنة يعرض نفسه على قبائل العرب، فلقي بعضهم عند العقبة فدعاهم إلى الإسلام، فأسلم منهم ستَّة نفر.

ثمَّ لقيه في العام القابل اثنا عشر رجلاً منهم، فأسلموا ثمَّ رجعوا وأظهروا الإسلام في بلدهم، ثمَّ قدم في العام القابل نحو سبعين رجلاً، فبايعهم على أن يمنعوه بما يمنعون عن نسائهم وأبنائهم، وعلى حرب

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٢٥)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

المدينة، فذهب المشركون في طلبهما، واقتفوا أثرهما حتى جاؤوا إلى الغار فانقطع الأثر، فجعلوا يفتِّشون حتى قال بعضهم: انظروا إلى الغار، فقالوا: ليس في الغار أحد - ولو نظروا أدنى نظرة لرأوهما - فاشتدَّ الكرب على أبي بكر رضي الله عنه، خوفاً على رسول الله ﷺ وقال: إنَّهم لو نظروا تحت أقدامهم لرأونا، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تحزن إنَّ الله معنا**»، فأعمى الله تعالى أبصارهم عنهما كما أعمى بصائرهم.

قيل: لمَّا دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا على فم الغار، والعنكبوتُ نسجت عليه حتى قال بعضهم: ما بالكم بالغار إنَّ العنكبوت قد خيَّمت عليه، والحمام قد باض على فمه؛ يعني: أنه لا

الأحمر والأسود؛ أي: العرب والعجم.

ثمَّ أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا شيئاً بعد شيء، وأقام ينتظر الإذن له فيها فأُذن له، فخرج من مكَّة بإذن الله.

ولمَّا أحسَّ قريش بعزمه على الخروج اجتمعوا في دار النَّدوة، فقال بعضهم: نحبسه، وقال بعضهم: نقتله، وقال بعضهم: نربطه على ناقة شرود، فتعرَّض لهم إبليس في صورة شيخ نجديٍّ، وقال لهم: كلٌّ منكم يذكر لي رأيه، فقال بعضهم: نحبسه، فقال: الله ينتزعه منكم، وقال بعضهم: نخرجه، فقال: يأتيكم بما لا طاقة لكم به، فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كلِّ قبيلة غلاماً قويّاً، فيأخذ كلُّ واحد شفرة فيضربونه جميعاً، فيتفرَّق دمه في القبائل، فلا يقدر قومه على حرب جميع القبائل فيأخذون ديَّته متفرِّقة، فقال له إبليس: لله درُّك هذا هو الرَّأي السَّديد.

يمكن دخولهما الغار والحالة هذه، ولا يمكن نسجٌ ولا بيضٌ بعد دخوله، وإلى ذلك أشار صاحب البردة فقال[1]: [من البسيط]

وما حوى الغارُ من خَيْرٍ ومن كَرَمِ ... وكلُّ طَرْفٍ من الكفَّار عنه عَمِي

فالصِّدقُ في الغارِ والصِّدِّيقُ لم يَرِمَا ... وهم يقولون ما بالغار من أَرِمِ

ظَنُّوا الحمامَ وظنُّوا العنكبوتَ على ... خير البريَّة لم تَنْسُج ولم تَحُمِ

قوله: (فالصِّدق) أي: صاحب الصِّدق، وهو النَّبيُّ ﷺ.

فأتاه جبريل وأخبره الخبر، وقال له: لا تبت اللَّيلة على فراشك، فاجتمعوا في اللَّيل على بابه يرقبونه، فلم ينم على فراشه، وأمر عليّاً فنام مكانه، وأخذ شيئاً من التُّراب في يده وخرج عليهم يتلو سورة (يس)، وألقى التُّراب على رؤوسهم، فخطف الله أبصارهم فلم يروه، وكلُّ من أصابه شيء من التُّراب قتل كافراً، فأخبرهم إبليس بخروجه وبوضع التُّراب على رؤوسهم، فحصل لهم الخزي، ولم ينم إبليس أبداً إلَّا في تلك السَّاعة.

فخرج النَّبيُّ ﷺ وأبو بكر ليلاً إلى غار ثور، فاختفيا فيه، فلمَّا فقدت قريش رسول الله ﷺ؛ حصل لهم مزيد الكرب، وطلبوه في أعلى مكَّة وأسفلها فلم يجدوه، فأرسلوا القافة في كلِّ جهة تتبع أثره، فعرف القائف الأثر فتبعه إلى أن وصل إلى الغار، فانقطع الأثر، فرجع وأخبر قريشاً بذلك، فخرج فتيان قريش ومعهم أسلحتهم إلى أن وصلوا إلى فم الغار، فوجدوا على فمه في أسفله حمامتين وحشيَّتين قد عشَّشتا وباضتا فيه،

---

(١) بردة البوصيري (ص١٧).

وقوله: (لم يرما) أي: لم يبرحا ولم ينفكا عنه، ومعنى (أَرِم): أَحَد.

والعنكبوت قد نسج على أعلاه فتحيَّروا، وقالوا: إنَّ الغار ليس به أحد؛ لأنَّه لو دخله أحد لتكسَّر البيض، وتفسَّخ نسج العنكبوت، فقال بعضهم: ادخلوا الغار، فقال اللَّعين أميَّة بن خلف: إنَّ فيه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمَّد، وكان النَّبيُّ ﷺ دعا عليهم بأنَّ الله يعمي أبصارهم فعميت، بمعنى أنَّهم لم يهتدوا إلى معرفة من في الغار، فصاروا ينظرون يميناً وشمالاً حول الغار فلم يجدوا.

وورد أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال للنَّبيِّ ﷺ: (إنَّ أحدهم لو نظر إلى قدميه لرآنا)، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فما ظنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثهما؟**»[1].

وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2].

وفي رواية: إنَّ الله أنبت عليه شجرة أمِّ غيلان في فم الغار[3]، فلم تعلم قريش أنَّ الله ساق بعض مخلوقاته وهو الحمام والعنكبوت وهذه الشَّجرة؛ حفظاً وصيانة لحبيبه، وهذا أعظم معجزة كما قال صاحب البردة[4]: [من البسيط]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة التوبة: (٤٠).

(٣) ينظر «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ١٧٢).

(٤) بردة البوصيري (ص١٧).

(وهذه عقيدةٌ) عطف على جملة (الحمد لله)، واسم الإشارة عائد

وقـايـة الله أغـنـت عـن مـضـاعـفـةٍ   مـن الـدُّروعِ وعـن عـالٍ مـن الأُطُـمِ

فمكثا في الغار ليلة الجمعة أوّل ليلة من ربيع الأوّل، والسّبت والأحد، وخرجا أثناء ليلة الاثنين من الغار راكبين ناقتين لأبي بكر وعبد الله ابن الأريقط يدلُّ بهما، وانظر تمام القصّة وبسطها في «شرحنا على الهمزيّة» عند قوله: (أخرجوه منها وآواه غار. . .) إلخ[1].

قوله: (عطف على جملة الحمد لله): عطف اسميَّة على مثلها، وهو مناسب إن كان كلٌّ منهما خبريّاً لفظاً ومعنىً، وأمّا على جعل جملة الحمد إنشائيَّة؛ فلا يجوز إلّا أن يراعى الخبريَّة ولو باعتبار اللَّفظ، فتدبَّر.

قوله: (واسم الإشارة عائد. . .إلخ): هذا أحد احتمالات سبعة مشهورة هو المختار منها، ثمّ إن قلنا: إنّ الذِّهن يقوم به المفصَّل؛ فالأمر ظاهر، وإن قلنا: إنّه لا يقوم به المفصَّل؛ فالكلام على حذف مضاف واحد؛ أي: مفصل هذه، إن قلنا: إنّ أسماء الكتب من قبيل علم الشَّخص، وإن قلنا: إنّها من قبيل علم الجنس؛ فالكلام على حذف مضافين؛ أي: مفصَّل نوع هذه.

والحقُّ: أنَّ الذِّهن يقوم به المفصَّل وأسماء الكتب والعلوم من قبيل علم الشَّخص، بناء على أنَّ الشَّيء لا يتعدَّد بتعدُّد محلِّه، والفرق تحكم فلا حاجة لتقدير شيء أصلاً.

---

(١) شرح الهمزية (ص٢٦).

على العبارات المتقدِّمة ذهناً، نزَّلها منزلة الحاضر المحسوس بالبصر، فأطلق عليها لفظ الإشارة الموضوع لكلِّ حاضر محسوس، واختار اللَّفظ الموضوع للقريب للتَّنبيه على أنَّها قريبة التَّناول سهلة الحصول، ولذا أفرد الخبر مع أنَّها في نفسها عقائد كثيرة.

قوله: (على العبارات المتقدمة ذهناً): أي: وهو الكلام النَّفسيُّ المخيل على هيئة الخارج.

قوله: (المحسوس بالبصر): أي: مثلاً فالمحسوس بباقي الحواس مثله على التَّحقيق.

قوله: (فأطلق عليها لفظ الإشارة. . .إلخ): أي: ففي الكلام استعارة تصريحيَّة أصليَّة، حيث شبَّه ما في الذَّهن بالمحسوس خارجاً بجامع كمال الاستحضار في كلٍّ، واستعير المشبَّه به للمشبَّه، هذا هو المشهور.

وذهب المولويُّ في «تعريب الرِّسالة الفارسيَّة» إلى أنَّها تبعيَّة[1]؛ لأنَّ اسم الإشارة يتضمَّن معنى الحرف، والاستعارة في معنى الحرف تبعيَّة، وردَّ بأنَّه لا يلزم من كون الشَّيء بمعنى الشَّيء أنَّه يعطى حكمه، وبهذا يردُّ قول العصام: إنَّها تبعيَّة؛ لأنَّ اسم الإشارة مؤوَّل بالمشتقِّ؛ لأنَّه في تأويل مشار إليه، تأمَّل.

قوله: (ولذا أفرد الخبر): تعليل لما قبله.

وقوله: (مع أنَّها في نفسها عقائد كثيرة): أي: فأطلق البعض وأراد

---

(١) الرسالة الفارسية (ق/٢٠٨) ضمن مجموع.

(سنيَّة) نسبة إلى السَّنا -بالقصر- وهو النُّور؛ يعني: أنَّها واضحة الدِّلالة على معانيها.

(سميتُها الخريدةَ البهية) الجملة صفة (عقيدة)، والخريدة في الأصل: اللؤلؤة التي لم تثقب، و(البهيَّة) نعت لـ«الخريدة»، و(البها): الضِّياء، واستعار لها هذا الاسم ليطابق الاسم المسمَّى، ثمَّ ذكر من نعوتها أيضاً ما يقتضي الرَّغبة في تناولها فقال:

الكلَّ مجازاً مرسلاً، والعلاقة الجزئيَّة.

قوله: (وهو النُّور): أي: ويعبَّر عنه بالضِّياء، قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾[1].

قوله: (الجملة صفة عقيدة): أي: جملة سمَّيتها...إلخ، وهو نعت بالجملة بعد النَّعت بالمفرد، فإنَّ سنيَّة نعت أوَّل وهو مفرد نظير قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ...﴾ إلخ[2].

قوله: (والبها: الضِّياء) أي: ويطلق على الحُسْن والجمال، وهو الأنسب بالمقام وإن كان الأوّل مناسباً أيضاً.

قوله: (واستعار لها هذا الاسم): أي: فقد شبَّه كتابه هذا باللُّؤلؤة مضيئة لم تثقب، بجامع النَّفاسة في كلٍّ، واستعار اللَّفظ الدال على المشبَّه

---

(١) سورة النور: (٤٣).

(٢) سورة المائدة: (١٥-١٦).

هي (لطيفةٌ) من اللُّطف، وهو ضدُّ الكثافة من (لَطُف) كـ(كَرُم)، دقَّ أو رقَّ، فاللَّطيفُ الصَّغيرُ الحجم أو الرَّقيقُ القوام، أو الشَّفَّافُ الذي لا يَحجُب ما وراءه كالزُّجاج، فإذا أطلق بهذا المعنى على الله تعالى فمعناه: العالم بخفيَّات الأمور، لما مرّ من أنَّ اللفظ إذا أوهم خلاف المراد في حقِّه تعالى يراد منه لازمه.

به للمشبَّه على طريق الاستعارة التَّصريحيَّة الأصليَّة.

قوله: (هي لطيفة): قدَّر الضَّمير؛ إشارة إلى أنَّ (لطيفة) خبر مبتدأ محذوف، فهو نعت مقطوع؛ لئلَّا يتوهَّم أنَّ تلك الأوصاف المذكورة تعدُّ من جملة الاسم.

قوله: (دقَّ): أي: صغر حجمه.

وقوله: (أو رقَّ): ضدُّ غلظ.

قوله: (الصَّغير الحجم) راجع لـ(دقَّ).

وقوله: (أو الرَّقيق القوام): راجع لـ(رقَّ).

وقوله: (أو الشَّفاف): لم يبين ما يرجع له، فحقُّه أن يقول بعد قوله: (أو رق): أو شفَّ، فيكون في الكلام لفٌّ ونشر مرتَّب، والمعاني متغايرة؛ فإنَّه لا يلزم من الصغر الرِّقة، ولا من الرِّقة الشَّفافيَّة، ولا من الشَّفافيَّة الصغر.

قوله: (إذا أوهم خلاف المراد): أي: وهذه المعاني مستحيلة على الله

وأمَّا (لَطَف) كـ(نصر): فمعناه: أحسنَ وأنعم، ومعناه في حقِّه تعالى ظاهر؛ أي: المحسن المنعم على عباده.

وبهذا علمت وجهَ من فسَّر اللَّطيفَ بالعالم بخفيَّات الأمور، ووجهَ من فسَّره بالبَرِّ المحسن لعباده.

والمراد هنا أنَّها قليلة الألفاظ أو سَلِسَةُ الألفاظ أو واضحتها، والكلُّ صحيح، وعلى الأوَّل فقوله: (**صغيرةٌ في الحَجْمِ**) أي: القدر، وصف كاشف، أبياتُها أحد وسبعون بيتاً، ولمَّا كان هذا الوصف يوهم أنَّها قليلة العلم استدرك عليه بأن رفع هذا التوهم بقوله:

(**لكنَّها كبيرةٌ**) أي: عظيمةٌ (**في العلمِ**) أي: المعاني ....

تعالى، فوصفه باللُّطف من حيث تعلَّق علمه بهذه المعاني؛ فإنَّ خفيَّات الأمور: إمَّا صغيرة الحجم، أو رقيقة القوام، أو شفَّافة.

قوله: (وأمَّا لطف): جملة مستأنفة مقابلة لقوله: (من لطف)، وفعل الأوَّل لازم، والثَّاني متعدٍّ.

قوله: (وبهذا علمت وجه من فسَّر. . .إلخ): الوجه: المأخذ والدَّليل.

قوله: (أنَّها قليلة الألفاظ): راجع لصغر الحجم.

وقوله: (أو سلسة الألفاظ): راجع لرقَّة القوام.

وقوله: (أو واضحتها): راجع للشَّفافيَّة.

قوله: (بأن رفع هذا التَّوهُّم): تصوير لمعنى الاستدراك؛ لأنَّ الاستدراك عبارة يؤتى بها لرفع ما يتوهَّم ثبوته أو نفيه.

المدلولة لها؛ وذلك لأنَّها اشتملت على بيان ما يجب لله تعالى وما يستحيل وما يجوز، وعلى مثل ذلك في حقِّ رُسُله عليهم الصَّلاة والسَّلام، وعلى البراهين القطعيَّة التي يخرج بها المكلَّف من رِبقة التَّقليد إلى نور التَّحقيق، حتى لا يكون في إيمانه خلافٌ، وسيأتي[1] بيان الخلاف في إيمان المقلِّد إن شاء الله تعالى، وعلى الرَّدِّ على أهل الضَّلال

قوله: (المدلولة لها): الضَّمير عائد على العقيدة باعتبار كونها ألفاظاً.

قوله: (وذلك): شروع في توجيه كونها كبيرة في العلم.

قوله: (وعلى مثل ذلك): المماثلة في مطلق وجوب واستحالة وجواز، لا في حقيقة كلٍّ؛ لوجوب التَّباين بين أوصاف الحادث والقديم.

قوله: (وعلى البراهين القطعيَّة): أي: نقليَّة أو عقليَّة.

قوله: (بها): أي: بسببها.

قوله: (إلى نور التَّحقيق): الإضافة إمَّا بيانيَّة، أو من إضافة المشبَّه به للمشبَّه، والتَّحقيق عندهم ذكر الشَّيء على الوجه الحقِّ.

قوله: (حتَّى لا يكون. . .إلخ): غاية لقوله: (يخرج).

قوله: (في إيمان المقلِّد): أي: هل هو صحيح أم لا؟

قوله: (على أهل الضَّلال): أي: العقائد الَّتي تخالف أهل السُّنَّة كفروا بها أم لا.

---

(١) انظر: (ص١٤١).

تصريحاً تارة وتلويحاً أخرى، وعلى السَّمعيَّات، وعلى شيء من التَّصوُّف الذي هو حياة النفوس، كما سترى ذلك كلَّه إن شاء الله تعالى مفصَّلاً، ولذا قال مستأنفاً في جواب سؤال مقدَّر نشأ مما قبله تقديره: هل تكفي

قوله: (تصريحاً تارة): أي: كما في قوله:

ومن يقل بالطَّبع أو بالعلَّةْ ... فذاك كفر عند أهل الملَّةْ

ومن يقل بالقوَّة المودعة ... فذاك بدعي فلا تلتفت

ومن يقل فعل الصَّلاح وجبا ... على الإله قد أساء الأدبا

وقوله: (وتلويحاً أخرى): أي: كما في قوله:

ثمَّ اعلمنْ بأنَّ هذا العالَما ... أي ما سوى الله العليَّ العالِمَا

من غير شكٍّ حادث مفتقر ... .

...إلخ.

قوله: (وعلى السَّمعيَّات): أي: الَّتي تتوقَّف على سمع ونقل، ممَّا ليس للعقل فيها مجال؛ كقوله:

ويلزم الإيمان بالحساب ... .

...إلخ.

قوله: (وعلى شيء من التَّصوف): أي: من فنِّ التَّصوُّف.

قوله: (الَّذي هو حياة النُّفوس): أي: الأرواح.

قوله: (كما سترى ذلك): أي: تعلَّمه، بل وزاد على ما قال الشَّارح الحكم العقلي وأقسامه.

هذه العقيدة المكلَّفَ في دينه كما يدلُّ عليه هذا الوصف الذي قدَّمته؟ أو هذا من باب المبالغة؟ (**تكفيكَ عِلماً**) تمييز محول عن الفاعل؛ أي: يكفيك العلمُ المستفاد منها في دينك (**إن تُرِد أن تكتفي**) أي: بها عن غيرها من المطوَّلات، وذلك (**لأنها بِزُبدةٍ**) أي: بخلاصة ومحصَّل (الفنّ) المؤلَّفة هي فيه، وهو فنُّ عقائد الإيمان، ....

قوله: (أو هذا): مقابل قوله: (وتكفي. . .إلخ)، فقد أتى لها بمعادل إجراء لها مجرى همزة الاستفهام، وإلَّا فهل لا يؤتى لها بمعادل؛ لأنَّها لطلب التَّصديق.

قوله: (تكفيك علماً): إسناد الكفاية لها مجاز.

قوله: (إن ترد أن تكتفي): إن: حرف شرط، وترد: فعل الشَّرط، وإن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لـ(تردَّ) وجواب الشَّرط محذوف دلَّ عليه الجملة قبله.

والمعنى: إن ترد أن تقتصر، ومفهومه: أنَّ من يريد الزِّيادة في العلم على أصل الواجب عليه فلا تكفيه، بل لا بدَّ له من المطوَّلات وهو كذلك.

قوله: (وذلك): قدَّر اسم الإشارة دخولاً على التَّعليل وإيضاحاً له.

قوله: (أي: بخلاصة. . .إلخ): أي: ففي الكلام مجاز مرسل حيث أطلق الزبدة الَّتي هي خلاصة اللَّبن، وأريد منها خلاصة الفنِّ.

ويسمَّى علم التَّوحيد وعلم أصول الدِّين وعلم العقائد.

[مطلب في المبادئ العشرة]

قوله: (ويسمَّى: علم التَّوحيد): أي: ويسمَّى أيضاً علم الكلام، ووجه تسميته بهذه الأسماء ظاهر، وهو أحد المبادئ العشرة الَّتي لا بدَّ لكلِّ شارع في فنٍّ من معرفتها، وإلَّا كان شروعه عبثاً.

ذكر الشَّارح منها أربعة: وهي: الاسم، والحدُّ، والموضوع، والغاية، وبقي واضعه، وحكمه، ونسبته، ومسائله، واستمداده، وفائدته.

فواضعه: الأشاعرة والماتريديَّة؛ أي: الَّذين دوَّنوا كتبه وردُّوا على فرق الضَّلال، وإلَّا فالتَّوحيد جاء به كلّ نبيٍّ من آدم إلى سيِّدنا محمَّد ﷺ.

وحكمه: الوجوب العينيُّ على كلِّ مكلَّف بالدَّليل ولو إجماليّاً، والكفائيُّ بخصوص التَّفصيليِّ.

ونسبته: أنَّه أصل العلوم الدِّينيَّة وما سواه فرع.

ومسائله: الواجبات والمستحيلات والجائزات.

واستمداده: من الكتاب والسُّنَّة والعقل.

وفائدته: معرفة العقائد الصَّحيحة والفاسدة.

تعريف علم التوحيد:

وهو: علم يُقتدر به على إثبات العقائد الدِّينيَّة المكتسبة من أدلَّتها اليقينيَّة.

موضوع علم التوحيد:

وموضوعه: ذات الإله تعالى، ....

قوله: (وهو علم): أي: وحدُّه علم. . .إلخ، والمراد بالعلم هنا: القواعد والضَّوابط، لا الملكة ولا الإدراك.

قوله: (يقتدر): أي: يتقوَّى به.

قوله: (الدِّينيَّة): أي: المنسوبة للدِّين الحقِّ.

وقوله: (المكتسبة من أدلَّتها. . .إلخ): أي: الَّتي أنتجتها الأدلَّة اليقينيَّة، واليقينيَّة منسوبة لليقين، والمراد: الأدلَّة العقليَّة والنَّقليَّة.

قوله: (وموضوعه: ذات الإله): أي: موضوع هذا العلم ذات الإله من حيث إثبات الصِّفات الكماليَّة والتنزيهيَّة؛ بأن تجعل ذات الإله موضوعاً تُحمل عليه الصِّفات، بحيث تقول: ذات الإله يجب لها الوجود والقدم والقدرة. . .إلى آخرها، فيكون المراد بالموضوع المصطلح عليه عند المناطقة، المعبَّر عنه بالمسند إليه عند البيانيِّين، وبالمبتدأ عند النَّحويِّين، فموضوع كلِّ فنٍّ ما يبحث فيه عن عوارضه الذَّاتيَّة، وإن كان التَّعبير بالعوارض في هذا الفنِّ تسمُّحاً، إذ المراد منها هنا صفاته تعالى، ويستحيل وصفها بالعوارض، إذ هي من سمات الحوادث، وهي مستحيلة على ذاته تعالى وعلى صفاته.

وقيل: الممكنات، وقيل: غير ذلك.

وقولنا: (عوارضه): أي: الأمور الَّتي تعرض له، وتطرأ عليه؛ كالتَّعجُّب والفرح والحزن وغيرها ممَّا يعرض للإنسان.

وقولنا: (الذَّاتيَّة) نسبة للذَّات، ومعنى كونها ذاتيَّة: أنَّها لازمة للذَّات بالفعل أو بالقوَّة، أو لا تنفكُّ عنها، فخرج غير الذَّاتيَّة؛ كحركة الأبيض بواسطة كونه حيواناً، وذلك أنَّ كونه حيواناً عن حقيقته.

قوله: (وقيل: الممكنات): أي: قيل: إنَّ موضوع هذا العلم الممكنات من حيث دلالتها على موجدها، واتِّصافه بالصِّفات الكماليَّة والتَّنزيهيَّة، وبيان كون الممكنات موضوعاً أن تقول: الممكنات حادثة، وكلُّ حادث له محدث، ثمَّ هذا المحدث لا بدَّ أن يكون موجوداً قديماً . . . إلى آخر الصِّفات.

قوله: (وقيل: غير ذلك): المراد بهذا الغير: المعلومات موجودة أو معدومة، فيشمل الواجبات والجائزات والمستحيلات، بحيث تقول: الصِّفات الواجبة ثابتة لله، وتقول في الجائزات: الممكنات حادثة، وكلُّ حادث لا بدَّ له من محدث، ثمَّ تنقل الكلام إلى المحدث من حيث وجوده وقدمه . . . إلخ، وتقول في المستحيلات: النَّقص مستحيل عليه تعالى، وهكذا.

وهذا القول الثَّالث أرجح؛ لأنَّه يشمل الأقسام الثَّلاثة، ويشمل الموجودات والمعدومات وما يتعلَّق بالرُّسل من واجب وجائز ومستحيل، ويشمل أيضاً المسموعات من البعث والنَّشر والحشر، وغير ذلك من كلِّ ما أخبر به الصَّادق المصدوق، كذا قرَّره مؤلِّفه.

وغايته: معرفة الله سبحانه وتعالى، والفوز بالسَّعادة الأبديَّة.

(تفي) أي: توفي به لما تقدَّم.

(والله أرجو) قدَّم الاسم الأعظم لإفادة الاختصاص، إذ تقديم المعمول يفيد ذلك؛ أي: لا أرجو إلا الله تعالى.

والرَّجاء: تعلُّق القلب بحصول مرغوب فيه في المستقبل مع الأخذ في الأسباب - وهو ممدوح شرعاً - فإن لم يأخذ في الأسباب فطمع وهو مذموم شرعاً.

قوله: (وغايته: معرفة الله. . .إلخ): أي: فله غايتان؛ غاية دنيويَّة، وغاية أخرويَّة.

قوله: (أي: توفي): أشار بذلك إلى أنَّ عين الكلمة محذوفة، وهي الواو؛ لوقوعها بين عدوَّتيها كما هو معلوم.

قوله: (لما تقدَّم): أي: من تبيين الشَّارح ما احتوت عليه.

قوله: (الاسم الأعظم): أي: الَّذي هو لفظ الجلالة على التَّحقيق.

قوله: (إذ تقديم المعمول. . .إلخ): تعليل لما قبله.

قوله: (مرغوب فيه): أي: من خير الدُّنيا والآخرة.

قوله: (وهو مذموم): أي: شرعاً؛ لأنَّ حكمة الله تعالى اقتضت ترتُّب الأشياء على أسبابها، فمن أنكر الأسباب فهو جهول.

(في قَبُولِ العَمَلِ) الذي منه تأليف هذه العقيدة؛ وقَبولُ الشيء: الرِّضا به وعدم ردِّه، (و) أرجوه تعالى (النَّفْعَ) هو ضدُّ الضُّرِّ، (منها) أي: من هذه العقيدة؛ أي: بها؛ أي: أرجوه تعالى أن ينفع بها كلَّ من قرأها أو طالعها أو حصَّلها أو كتبها.

قوله: (في قبول العمل): في زائدة؛ يدليل عطف النَّفع بالنَّصب على(قبول).

قوله: (الرِّضا به وعدم ردِّه): هذا المعنى في حقِّ الحوادث، وأمَّا في حقِّ المولى؛ فمعنى رضاه به: إثابته عليه.

قوله: (هو ضدُّ الضُّرِّ): أي: وهو إيصال الخير للغير، والضُّرُّ: إيصال الشَّرِّ للغير.

قوله: (أي: بها): أي: فـ(من) بمعنى باء التَّعدية.

قوله: (كلَّ من قرأها): بيَّن بهذا معمول النَّفع.

وقوله: (من قرأها): أي: حفظاً.

وقوله: (أو طالعها): أي: تعليماً أو تعلُّماً.

وقوله: (أو حصَّلها): أي: بملك.

وقوله: (أو كتبها): أي: لنفسه، أو غير ذلك ولو بأجرة، وهذه الدَّعوة وإن كانت لمن يتعاطى المتن فمع الشَّرح أحرى بذلك؛ لما تقدَّم أنَّه دعا لمن يتلقَّى الشَّرح بقلب سليم[1].

---

(١) انظر (ص٥٤).

ويصحُّ أن تكون «من» ابتدائية، هي ومجرورها حال من النَّفع؛ أي: حال كون النَّفع حاصلاً وناشئاً منها.

(ثمَّ) أي: وأرجوه (غَفْرَ) أي: ستر (الزَّللِ) جمع زلَّة، بالفتح مصدر زَلّ بفتح الزاي أيضاً، يزل بكسرها؛ يعني: المعاصي، وسَتْرُها صادق بمحوها من الصُّحُف وبعدم المؤاخذة بها، وإن كانت موجودة فيها، ..

قوله: (ويصحُّ أن تكون من ابتدائيَّة): مقابل لجعلها بمعنى الباء، والمآل واحد.

قوله: (ثمَّ غفر الزَّلل): ثمَّ لمجرَّد الإخبار والعطف، ولذا فسَّرها بالواو.

قوله: (جمع زلَّة): إن قلت: إنَّ الزَّلل - بفتح الزَّاي في الأصل -: الزَّلق في الطِّين ونحوه، فيكون مصدراً لا جمعاً، فالأحسن حذف قوله: (جمع زلَّة)، وأمَّا ضبطه بكسر الزَّاي؛ فجمع زلَّة بالكسر أيضاً، لقول ابن مالك[1]:

ولفعلة فعل......................   ....

قوله: (يعني: المعاصي): الأوضح أن يقول: يعني: العصيان، وفي كلامه استعارة تصريحيَّة؛ بأن يقال: شبَّه الوقوع في العصيان والمخالفات بالزَّلق في الطِّين ونحوه، واستعير اسم المشبَّه به للمشبَّه، والجامع بينهما النَّقص في كلٍّ؛ لأنَّ من زلق في الطِّين نقص في الحسِّ، ومن عصى الله نقص في المعنى.

---

(١) ألفية ابن مالك (ص١٠٤).

وورد في السنَّة ما يدلُّ لكلٍّ، والمرجو من سعة كرمه تعالى الأوّل.

بيان أقسام الحكم

ولمَّا كانت مباحث هذا الفن تتوقَّف على معرفة أقسام الحكم العقليِّ الثلاثة - أعني: الوجوب والاستحالة والجواز - بدأ ببيانها فقال:

قوله: (وورد في السُّنَّة... إلخ): أي: ففي الحديث: «**وأتبعِ السِّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها**»[(١)]، وفي الحديث: «**إنَّ اللهَ تعالى يضعُ كنفَه على عبدِه يومَ القيامةِ، ويخبرهُ بجميعِ ما وقعَ منه، ثمَّ يقولُ له: هذه ذنوبكَ سترتُها عليكَ، والآنَ أغفرُها لكَ**»[(٢)].

قوله: (والمرجوُّ من سعة كرمه تعالى الأوَّل): أي: لما في الثَّاني من صعوبة الوقوف بين يدي الله، وذكر المساوئ له وهو هول عظيم.

قوله: (مباحث هذا الفنِّ): جمع مبحث، وهو محلُّ البحث، وذلك المحلُّ هو القضايا الَّتي يبحث فيها عن تحصيل العلم المقصود بالذَّات.

وأمَّا البحث: فهو لغة: التَّفتيش، **واصطلاحاً**: إثبات المحمولات للموضوعات.

قوله: (تتوقَّف... إلخ): اعلم: أنَّ معرفة هذه الأقسام الثَّلاثة لا تسمَّى

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، والإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٠)، ومسلم (٢٧٦٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(أقسامُ حُكمِ العقلِ) مبتدأ خبره محذوف؛ أي: ثلاثة، يدلُّ عليه قوله الآتي: (ثالث الأقسام)، وجملة (هي الوجوب. . .إلخ) استئنافية لبيان الأقسام، ويصحُّ أن تكون هي الخبر.

مقدِّمة علم؛ لأنَّ مقدَّمة العلم تكون عامَّة في كلِّ علم؛ كالمبادئ العشرة، وإنَّما تسمَّى مقدَّمة كتاب، وهي: ما قدِّمت أمام المقصود بالذَّات لارتباط له بها وانتفاع بها فيه؛ لأنَّ أقسام الحكم العقليِّ مخصوصة بالكتب المؤلَّفة في هذا الفنِّ.

قوله: (حكم العقل): نسبته للعقل من نسبة الشَّيء لآلته؛ أي: فالحكم آلته العقل، والحاكم هو النَّفس، فقول الشَّارح: (والحاكم به: أمَّا العقل. . .إلخ). . فيه تسمُّح، بل الحاكم النَّفس بواسطة ذلك، وتقييد الحكم بالعقلِ لإخراج الحكم الشَّرعيِّ والعاديِّ؛ فإنَّهما لا ينحصران في الأمور الثَّلاثة المذكورة.

وإنَّما اقتصر المصنِّف كغيره من المتكلِّمين على الحكم العقليِّ؛ لأنَّ مباحث هذا الفنِّ لا تخرج عنه، وإنَّما ذكر الشَّارح الشَّرعي؛ لأنَّ أصل التَّكليف به معرفة وغيرها، وأدلَّة بعض الصِّفات كذلك؛ كالسَّمع والبصر والكلام، وذكر العادي تتميماً للأقسام.

قوله: (يدلُّ عليه): أي: على خصوص تقديره ثلاثة.

قوله: (استئنافيَّة): أي: استئنافاً بيانيّاً؛ لوقوعها في جواب سؤال مقدَّر تقديره: ما هي.

والأقسام جمع قِسْم؛ بكسر فسكون: وهو ما اندرج مع غيره تحت كلٍّ أو كليّ، والكلُّ ما تركّب من جوهرين فأكثر، والكليُّ ما صدق على كثير، ويسمَّى المندرج تحت الكلِّ جزءاً أو بعضاً، والمندرج تحت الكليّ جزئياً، ويسمَّى مورد القسمة وهو الكلُّ أو الكليُّ مقسِماً، بفتح فسكون فكسر، والتَّقسيم: التَّمييز والتَّفصيل؛ أي: جعل الشَّيء أقساماً.

قوله: (جمع قسم؛ بكسر فسكون): احترز به عن الفتح مع السُّكون؛ فإنَّه مصدر قسم، والتَّقسيم أبلغ منه، إذ الأوَّل صادق بجعل الشَّيء قسمين، والثَّاني نصٌّ في الكثرة، وأمَّا القسم بفتحتين؛ فهو الحلف واليمين.

قوله: (تحت كل): أي: كالحصير، اندرج تحته الخيط والسَّمر.

وقوله: (أو كلي): أي: كالإنسان، اندرج تحته زيد وعمرو وبكر.

قوله: (ما تركَّب من جوهرين فأكثر): أي: مثل الحصير وذات الشَّخص.

قوله: (ما صدق على كثير): أي: متفق الحقيقة أو مختلفها، فيشمل الجنس والنَّوع وغيرهما؛ نحو: حيوان وإنسان وناطق، وضاحك وماش.

قوله: (ويسمَّى المندرج. . .إلخ): أي: في اصطلاح المناطقة.

قوله: (ويسمَّى مورد القسمة): أي: محلُّ ورودها، وهو منشأ الأقسام.

قوله: (والتَّفصيل): عطف تفسير.

وعلامة تقسيم الكلِّ إلى أجزائه صِحَّةُ انحلاله إلى الأجزاء التي تركّب منها، وعدمُ صحَّةِ حمل المقسم على الأقسام.

وعلامة تقسيم الكليِّ إلى جزئياته صحَّةُ حمل المقسم على كلٍّ من الأقسام نحو: زيد إنسان وعمرو إنسان.

والحكم: إمَّا شرعي، وهو: خطاب الله تعالى ....

قوله: (صحَّة انحلاله): أي: تفصيله؛ بأن تحلَّ الحصير إلى خيط وسمر، بحيث يكون كلٌّ منهما على حدته.

قوله: (وعدم صحَّة. . .إلخ): معطوف على (صحَّة) أي: لا يصحُّ الإخبار بالمقسم عن أحد الأقسام، فلا تقول: الخيط حصير، ولا اليد أو الرِّجل إنسان مثلاً.

قوله: (نحو: زيد إنسان): أي: فزيد مثلاً جزئيٌّ من جزئيَّات الإنسان لا جزء.

قوله: (والحكم: إمَّا شرعيٌّ): أي: من حيث هو قوله: (خطاب الله): أي: كلامه تعالى المخاطب به من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول، وليس باقياً على مصدريَّته من أنَّه توجيه الكلام إلى مخاطب لعدم صحَّته هنا؛ لأنَّه تعريف للأزليِّ، هذا كالجنس فيدخل فيه كلامه تعالى المتعلِّق بغير أفعال المكلَّفين؛ كالمتعلِّق بذواتهم[١] والمتعلِّق بذاته تعالى وصفاته[٢] وأفعاله[٣].

---

(١) كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٢) كقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

(٣) كقوله جل جلاله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: ٩].

المتعلِّق بأفعال المكلَّفين بالطَّلب أو الإباحة أو الوضع لهما، وإمَّا غيره، وهو: إثبات أمر لأمر ....

وقوله: (المتعلِّق بأفعال المكلَّفين): كالفصل، خرج به المتعلِّق بغير أفعالهم، فلا يسمَّى حكماً شرعيّاً، والمراد تعلُّق دلالة لا تعلُّق تأثير ولا انكشاف.

وقوله: (بالطَّلب): الباء للملابسة متعلِّقة بـ(خطاب) من ملابسة ما هو؛ كالكلِّيِّ لما هو كجزأيه، والطَّلب شامل لأقسامه الأربعة، إذ هو إمَّا طلب فعل أو ترك، وفي كلٍّ إمَّا جازم أو غير جازم.

وقوله: (أو الإباحة): معطوف على (الطَّلب).

وقوله: (أو الوضع لهما): معطوف على (الإباحة)، والضَّمير في (لهما) عائد على (الطَّلب والإباحة).

والوضع: جعل الشَّيء شرطاً أو سبباً، أو مانعاً أو صحيحاً أو فاسداً، وحدودها مشهورة، فمثال **السَّبب** بالنِّسبة للصَّلاة دخول الوقت، **والشَّرط**؛ كالطَّهارة، **والمانع**؛ كالحيض، **والصِّحَّة**: موافقتها الشَّرع باستيفاء الشُّروط وانتفاء الموانع، **والفساد**: ضدُّه، فتحصَّل أنَّ الشَّرعيَّ أقسامه عشرة؛ خمسة منها تكليفيَّة، وخمسة وضعيَّة.

قوله: (وإمَّا غيره): مقابل قوله: (إمَّا شرعيٌّ).

قوله: (وهو: إثبات. . .إلخ) **اعلم**: أنَّ الحكم له إطلاقات؛ **منها**: خطاب الله، **ومنها**: النِّسبة الحكميَّة؛ كثبوت القيام لزيد في زيد قائم،

أو نفيه عنه، والحاكمُ به ....

ومنها: المحكوم عليه؛ كزيد في المثال، **ومنها**: المحكوم به؛ كالقيام في المثال، **ومنها**: إثبات أمر وهو المراد هنا، فقوله: (إثبات أمر لأمر) كإثبات القيام لزيد في: زيد قائم.

قوله: (أو نفيه عنه): أي: عن أمر، والمتبادر أنَّ الضَّمير في (نفيه) عائد على الأمر المقيَّد بالإثبات، وحينئذ فلا يشمل التَّعريف ما إذا نفي أمر من أوَّل وهلة من غير تقدُّم إثبات، كأن تقول ابتداء: زيد ليس بقائم.

والجواب: أنَّ الضَّمير عائد على الأمر لا بالقيد المتقدِّم، وليس من قبيل عندي درهم ونصفه؛ لأنَّ قوله: (ونصفه) لا يصحُّ عوده على الدِّرهم السَّابق ولا على مطلق الدِّرهم الصَّادق بالأوَّل كما هنا، وإنَّما تعيَّن فيه عود الضَّمير لدرهم آخر غير السَّابق.

و(أو) في التَّعريف ليست للشَّكِّ؛ لأنَّها لا تدخل في التَّعريف رسماً كان أو حدّاً؛ لأنَّ الشَّكَّ لا يجامع التَّصوُّر جزماً الَّذي هو المقصود من التَّعريف، وإنَّما هي للتَّنويع، و(أو) الَّتي للتَّنويع تدخل في الرَّسم دون الحدِّ؛ لأنَّه يلزم على دخولها في الحدِّ كون الفصل مساوياً لماهيَّته وأخصُّ منها؛ لأنَّ الفصل الواقع في الحدِّ مساوٍ للماهيَّة قطعاً، فحيث ذكر فصل آخر يقوم مقامه توجد معه الماهيَّة؛ لزم أن تكون الماهيَّة أعمَّ منه، والفرض مساواته لها.

قوله: (والحاكم به): أي: بالحكم لا بالمعنى المذكور، كما هو ظاهر، بل بمعنى المحكوم به ففيه استخدام، ويصحُّ أن يكون الضَّمير عائداً على الأمر؛ أي: والحاكم بالأمر المثبت لغيره وهو المحكوم به.

إمَّا العقل وإما العادة.

فإن كانت العادة فعاديٌّ، والحكمُ العادي: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة التكرُّر بينهما على الحسِّ، كإثبات أنّ النّار محرقة، وأنَّ

قوله: (إمَّا العقل): فيه مجاز عقليٌّ؛ لأنَّ الحاكم النَّفس كما علمت.

قوله: (وإمَّا العادة): هي ما اعتاده النَّاس، وفيه مجاز الحذف؛ أي: أهلها، أو مجاز عقليٌّ، وإلَّا فالعادة ليست حاكمة وإنَّما الحاكم أهلها.

قوله: (**والحكم العاديُّ: إثبات أمر لأمر**): المراد به هنا إدراك ثبوت المحمول للموضوع، أو نفيه عنه، فالأمر **الأوَّل**: هو المحمول، **والثَّاني**: هو الموضوع، فالصُّور أربع: **ربط وجود بوجود**؛ كربط وجود الشِّبع بوجود الأكل، **وربط عدم بعدم**؛ كربط عدم الشِّبع بعدم الأكل، **وربط وجود بعدم**؛ كربط وجود الجوع بعدم الأكل، **وربط عدم بوجود**؛ كربط عدم الجوع بالأكل.

قوله: (بواسطة التَّكرُّر): الإضافة للبيان، والباء بمعنى (مع)، والتَّكرُّر يتحقَّق بمرَّتين، فإذا قيل: اللَّحم الضَّاني يزكِّي الفهم، فإن تكرَّر ذلك مرَّتين؛ فهو حكم عادي، وأمَّا إن حصل مرَّة؛ فلا يقال له: حكم عادي.

قوله: (على الحسِّ): متعلِّق بـ(تكرُّر)، والمراد بـ(الحسِّ) ما يشمل الظَّاهريَّ[1] والباطنيَّ[2]، فربط الإحراق بالنَّار؛ أي: اقترانها يتكرَّر على

---

(١) أي: كالسمع والبصر، والشم والذوق. «تقريرات بصيلة».

(٢) كقيام الجوع بك أو العطش أو الشبع أو الري. «تقريرات بصيلة».

الطَّعام يشبع، وليس المراد من هذا أنَّ النَّار مثلاً هي المؤثِّرة، إذ التَّأثيرُ لا دلالة للعادة عليه أصلاً، وإنَّما غاية ما دلَّت عليه العادة الرَّبط بين أمرين، أمَّا تعيين فاعل ذلك؛ فليس للعادة فيه مدخل ولا منها يُتلقَّى علم ذلك، كما قاله الإمام السنوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ....

الحسِّ الظَّاهريِّ، وربط الجوع بعدم الأكل يتكرَّر على الحسِّ الباطنيِّ، وهو المسمَّى بـ(الوجدان).

فإن قلت: كيف يحسُّ العدم؟

قلت: إنَّه يحسُّ باعتبار إضافته للوجود.

قوله: (وإنَّما غاية ما دلَّت عليه العادة. . .إلخ): أي: إنَّ غاية ما تفيده العادة الاقتران بين النَّار والإحراق، ولم يفد تأثيرها هي أو غيرها فيه، فتعيين المؤثِّر في الإحراق لم يستفد من العادة، هذا كلامه وبحث فيه؛ بأن الَّذي يستفاد من العادة هو ثبوت الإحراق للنَّار، وكون ذلك من حيث إنَّ النَّار سبب فيه، أو مؤثِّرة فيه فشيء آخر، فأهل السُّنَّة يقولون بثبوت الإحراق لها من حيث إنَّها سبب، وغيرهم يقولون: من حيث إنَّها مؤثِّرة.

قوله: (ولا منها يتلقَّى. . .إلخ): أي: لأنَّه لا يتلقَّى، ولا يستفاد علم الفاعل حقيقة من العادة، بل غاية ما يتلقَّى منها هو ما قدَّمناه من الاقتران بين الأمرين على ما ذكره.

وسيأتي في عقد الوحدانية ما يتعلَّق باعتقاد ذلك.

وإن كان العقل فعقليٌّ، وهو: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقُّف على تكرار ولا استناد إلى شرع، وخرج بهذا القيد الأخير حكمُ الفقيه المستنِد إلى الشَّرع؛ كإثبات الوجوب للصَّلاة المستنِدِ إلى خطاب الله تعالى، فخرج بقوله: (**حكم العقل**) الحكم الشرعي والعادي.

قوله: (وسيأتي في عقد الوحدانيَّة): أي: عند قوله[1]:

فالتَّأثير ليس إلَّا للواحد القهَّار جلَّ وعلا

...إلخ.

قوله: (وهو إثبات أمر لأمر): أي: لزوماً أو غير لزوم، **فالأوَّل**: كإثبات الواجبات لله، **والثَّاني**: كإثبات خلق الخير والشَّرِّ لله؛ فإنَّه جائز في حقِّه تعالى لا لازم له.

وقوله: (أو نفيه عنه): إمَّا لزوماً أيضاً، أو غير لزوم؛ **فالأوَّل**: كنفي النَّقص عن الله، **والثَّاني**: كنفي إثابة العاصي عن الله.

قوله: (من غير توقُّف على تكرار): أي: فإذا حكم بأنَّ شرب القهوة أو أكل الضَّأن يزكِّي الفهم حين استعماله لذلك أوَّل مرَّة؛ كان ذلك الحكم عقليّاً، وأمَّا إذا حكم بذلك بعد استعماله مرَّتين فأكثر؛ كان الحكم عاديّاً.

---

(١) انظر (ص٢٠٩).

تعريف العقل:

والعقلُ: سرٌّ روحانيٌّ تُدرِك به النَّفسُ العلومَ الضَّروريَّة والنَّظريَّة، ومحلُّه القلب، ونوره في الدِّماغ، وابتداؤه من حين نفخ الرُّوح في الجنين، وأوَّلُ كماله البلوغ، ولذا كان التَّكليف بالبلوغ، هذا هو الصَّحيح الذي عليه مالك والشافعي رضي الله عنهما، وهو مراد من قال: هو لطيفة ربانية تدرك به النفس . . . إلخ.

وقيل: هو قوَّة للنفس ....

قوله: (سرٌّ روحانيٌّ): أي: من قبيل الأرواح الَّتي هي أجسامٌ لطيفة جوهريَّة لا عرضيَّة، كما هو الحقُّ الَّذي تدلُّ عليه الأخبار الصَّحيحة؛ من أنَّ الأرواح أجسام لطيفة تبقى بعد فناء جسدها، وتذهب وتجيء؛ فإمَّا في علِّيِّين، وإمَّا في سجِّين، ومعنى كون العقل من قبيل الأرواح أنَّه من الأمور الملكوتيَّة.

قوله: (ومحلُّه القلب): أي: ولا استحالة في حلول جوهر في جوهر، إذا كانا لطيفين أو أحدهما، والمراد بالقلب هنا اللَّحمة الصَّنوبريَّة الشَّكل، ويطلق أيضاً على نفس العقل، كما في قوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾[1].

قوله: (هذا هو الصَّحيح): اسم الإشارة عائد على جميع ما قبله؛ من أنَّه جوهر، وأنَّ محلَّه القلب، ومن أنَّ ابتداءه من نفخ الرُّوح فيه، ومن أنَّ أوَّل كماله البلوغ.

قوله: (وقيل: هو قوَّة للنَّفس): هو معنى قولهم: النَّفس النَّاطقة؛ أي: المتفكِّرة بالقوَّة.

(١) سورة ق: (٣٧).

مَعَدَّة لاكتساب الآراء؛ أي: الاعتقادات.

وقيل: هو من قبيل العلوم، قال القاضي[1]: هو بعض العلوم الضَّروريَّة، وهو العلم بوجوب الواجبات، واستحالة المستحيلات وجوازِ الجائزات ....

قوله: (معدَّة): اسم مفعول؛ أي: مهيَّأة.

قوله: (أي: الاعتقادات): أي: المسائل الَّتي شأنها أن تعتقد.

قوله: (وقيل: وهو من قبيل العلوم): أي: بدليل أنَّ الحيوان الَّذي لا علم عنده؛ كالفرس والحمار لا عقل عنده.

قوله: (هو بعض العلوم الضَّروريَّة): أي: لا كلُّها؛ لأنَّ العلوم الضَّروريَّة كثيرة منتشرة في سائر العقلاء في جميع الأمكنة، ومن المعلوم أنَّ هناك علوماً ضروريَّة عند بعض العقلاء دون بعض، فلو أريد جميع الضَّروريَّات؛ للزم أنَّ بعض العقلاء الَّذي لم يعرف بعضها ليس بعاقل، وليس كذلك.

قوله: (وهو العلم بوجوب الواجبات. . .إلخ): والمراد العلم بأنَّ هناك أموراً لا بدَّ منها ولا انفكاك عنها، وبأنَّ هناك أموراً أخر لا تتأتَّى ولا تقع، وأنَّ هناك أموراً يصحُّ وقوعها وعدم وقوعها، وإلَّا خرج كثير من النَّاس الَّذين لا يعرفون حقيقة الواجب والمستحيل والجائز عن كونهم عقلاء، ولا قائل به.

---

(١) وهو العلَّامة المتكلم الأصولي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني(ت٤٠٣هـ).

ومجاري العادات؛ كالعلم بوجوب افتقار الأثر إلى المؤثِّر، والعلمِ باستحالة اجتماع الضِّدَّين وارتفاع النَّقيضين، وهذا تفسير لقول من قال: هو العلم ببعض الضروريات، وعلى هذين القولين فهو من قبيل العرض.

قوله: **(لا محالة)** أي: لا تحوُّل ولا انفكاك عن كونها ثلاثة؛ يعني: أنَّها ثلاثة لا أقل ولا أكثر، هذا على الإعراب الأول، وأمَّا على الثاني فالمعنى: أنَّها هي هذه بعينها لا غيرها.

قوله: (ومجاري العادات): أي: وكالعلم بالأمور الَّتي جرت بها العادة بين النَّاس من أنَّ النَّار محرقة، والأكل مشبع، والماء مروٍ.

قوله: (وهذا): أي: قول القاضي.

وقوله: (وعلى هذين القولين)؛ أي: القول بأنَّه قوَّة للنَّفس، والقول بأنَّه من قبيل العلوم.

قوله: (هذا على الإعراب الأوَّل): أي: وهو كون (أقسام) مبتدأ، خبره محذوف.

وقوله: (وأمَّا على الثَّاني): أي: وهو كون الخبر جملة هي الوجوب.

فقوله: (لا محالة)، مقدَّمة من تأخير؛ لأنَّ محلَّه بعد قوله:

ثمَّ الجواز ثالث الأقسام ....

(هي الوجوب) أي: وما عطف عليه، وهو: عدم قَبول الانتفاء، **(ثمَّ الاستحالة)** بالدَّرج للوزن، وهي: عدم قَبول الثُّبوت، **(ثمَّ الجواز)** وهو **(ثالثُ الأقسام)** وهي: قَبول الثُّبوت والانتفاء، وستتضح معانيها زيادة إيضاح في تعريف الواجب والمستحيل والجائز.

وكلمة (ثمَّ) هنا وفي سائر ما يأتي لمجرَّد التَّرتيب في الذِّكر والتَّدرُّج في مدارج الارتقاء بذكر ما هو الأولى فالأولى دون اعتبار تراخ بين المتعاطفين ولا بعدية في الزمن.

فإن قلتَ: تقسيم الحكم العقليِّ إلى الوجوب والاستحالة والجواز لا يصحُّ أن يكون من تقسيم الكلِّ إلى أجزائه، إذ لا ينحلُّ الحكم العقليُّ إليها، ولا من تقسيم الكليِّ إلى جزئياته؛ ....

قوله: (أي: وما عطف عليه): أي: فيكون لاحظ العطف قبل الإخبار، فصحَّ الإخبار عن ضمير الجمع، وهو لفظ (هي) فإنَّه عائد على الأقسام.

قوله: (وهو عدم قبول الانتفاء): أي: وحينئذ فالوجوب صفة سلبيَّة، وكذا الاستحالة بخلاف الجواز؛ فإنَّه صفة ثبوتيَّة؛ أي: اعتباريَّة.

قوله: (لمجرَّد التَّرتيب في الذِّكر): أي: في الواقع، إذ رتبة الجواز التَّقدُّم على الاستحالة، إذ هو أشرف منها، والوجوب أشرف منه.

قوله: (والتَّدرُّج في مدارج الارتقاء): أي: الصُّعود بذكر ما هو الأولى، فالأولى؛ أي: فذكر الوجوب أوَّلاً؛ لأنَّه أشرف الثَّلاثة، ثمَّ ثنَّى بالاستحالة وقدَّمها على الجواز؛ لأنَّ الأولى تقديمها عليه؛ لكونها ضد

لأنَّه لا يصحُّ حملُه على كلٍّ منها، إذ لا شيء منها بحكم عقليٍّ لما مرّ من تفسير الحكم بإثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

والحاصل أنَّا لا نسلِّم أنها أقسام للحكم؛ لأنَّ الحكم:

- إمَّا إدراك وقوع النِّسبة أو لا وقوعها، فيكون كيفيَّةً وصفةً للنَّفس كما هو التحقيق.

- وإمَّا إيقاع أو انتزاع فيكون فعلاً من أفعال النَّفس، وأيّاً ما كان فهو بسيط فلا يكون مركَّباً حتى يكون من الأول، وليست هذه جزئيَّاته حتَّى يكون من الثاني.

قلت: إنَّ في عبارتهم هذه مسامحة، ....

الوجوب، والضِّدُّ أقرب خطوراً بالبال من غيره، وأخَّر الجواز لكونه مركَّباً، ومدلول الاستحالة بسيطاً، والمركَّب مؤخَّر عن البسيط؛ لكون البسيط جزء المركَّب، والمركَّب مؤخر عن جزئه.

قوله: (لأنَّه لا يصحُّ حمله): أي: الإخبار به عن كلٍّ منهما.

قوله: (والحاصل): أي: حاصل السُّؤال الوارد مع زيادة بيان وتوضيح.

قوله: (إمَّا إدراك وقوع النِّسبة. . .إلخ): أي: وهو المعبَّر عنه بالتَّصديق.

قوله: (قلت): أي: في الجواب عن هذا السُّؤال.

وقوله: (إن في عبارتهم): فيه إشارة إلى أنَّ هذه العبارة للمتقدِّمين،

والمراد أنَّ كلَّ ما حكم به العقل من إثبات أو نفي لا يخرج عن اتِّصافه بواحد من هذه الثلاثة، فلمَّا كان لا يخرج عن اتِّصافه بها جعلوها أقساماً له تجوُّزاً.

(فافهمْ) أي: اعرف هذه الأقسام الثلاثة حقَّ معرفتها؛ لأنَّ على معرفتها مدار الإيمان بالله تعالى وبرسله عليهم الصَّلاة والسَّلام (مُنِحْتَ) أي: أعطيت؛ أي: أعطاك الله تعالى (لذَّة) أي: حلاوة (الأفهامِ) ...

وليست مبتكرة من عنده؛ أي: وحيث كانت لهم فينبغي تأويلها بوجه ينفي عنها ورود السُّؤال، لا ردُّها من أصلها أدباً معهم.

قوله: (والمراد. . .إلخ): بيان لتأويلها.

قوله: (أنَّ كلَّ ما حكم به العقل): أي: متعلَّق ما حكم به العقل لا يخرج عن اتِّصافه بواحد من الثَّلاثة، وذلك إذا قلت: الله قادر، فالَّذي حكم به العقل هو ثبوت القدرة لله، وهذا الثُّبوت ليس واحداً من الثَّلاثة، وإنَّما الَّذي منها وصف هذا الثُّبوت وهو الوجوب، وكذا الباقي.

قوله: (من إثبات أو نفي): أي: إثبات شيء لشيء، أو نفي شيء عن شيء.

قوله: (لا يخرج عن اتِّصافه بواحد. . .إلخ): أي: لأنَّه إمَّا ألَّا يقبل الانتفاء فهو الوجوب، أو لا يقبل الثُّبوت فهو المستحيل، أو يقبلهما فهو الجائز ولا رابع لها.

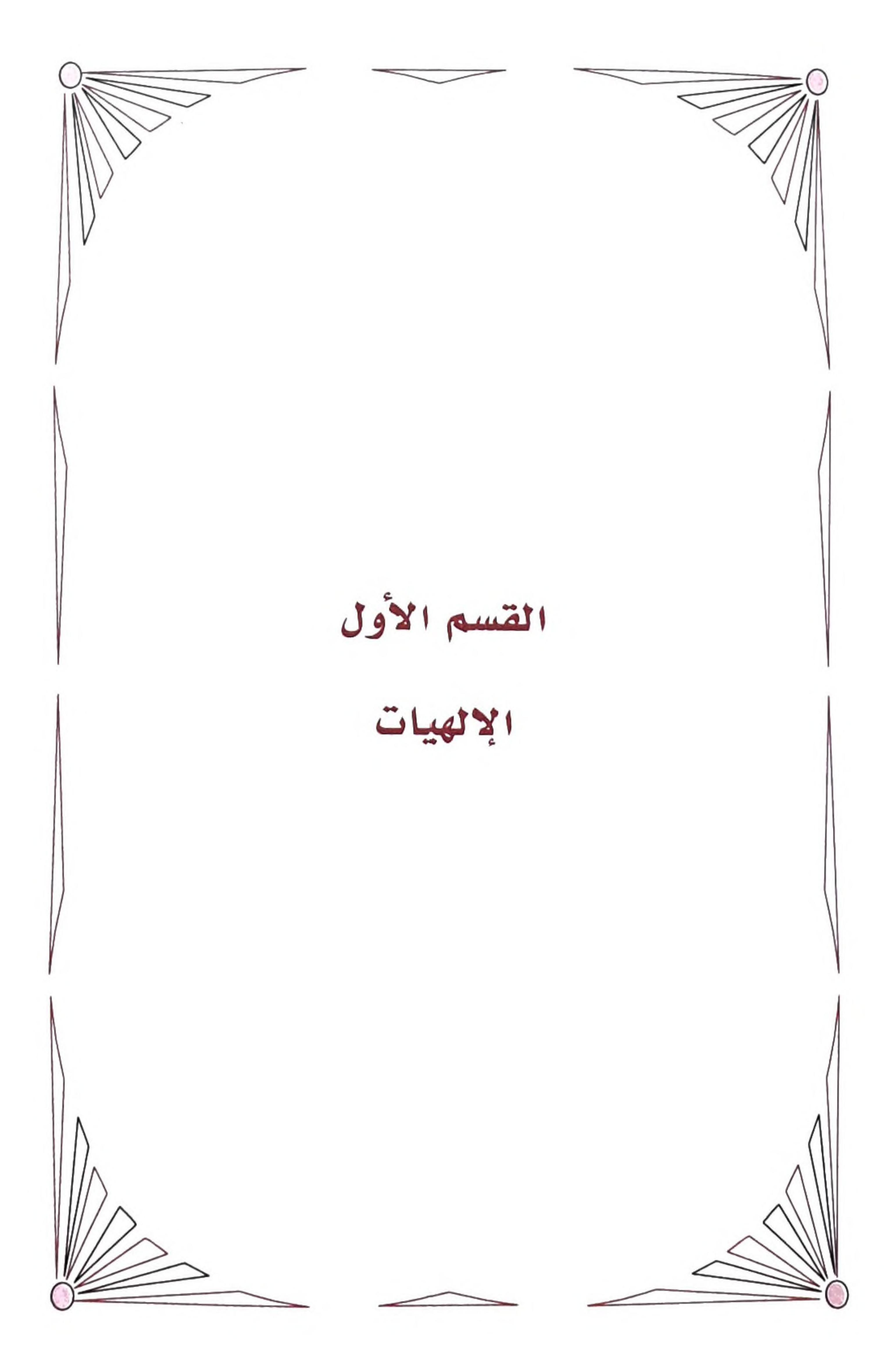
قوله: (حق معرفتها): دفع به ما يرد عليه من أنَّه لا فائدة في قولك،

بفتح الهمزة جمع (فهم)، وهو: الإدراك؛ أي: العلم والمعرفة، فإنَّ من أعطي لذَّة العلوم والمعارف؛ فقد أعطي خيري الدُّنيا والآخرة.

فافهم هذه الأقسام الثَّلاثة بعد ذكرها وعدِّها.

قوله: (بفتح الهمزة): احترز به عن كسرها، إذ معناه: التَّفهُّم، وليس مراداً هنا.



القسم الأول

الإلهيات

بيان حكم معرفة الله تعالى

(وواجبٌ شَرْعاً) أي: وجوب شرع، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانتصب انتصابه، فهو منصوب على أنَّه مفعول مطلق؛ أي: وجوباً مستفاداً من الشَّرع؛ أي: الشَّارع؛ يعني: أنَّه يجب وجوباً شرعيّاً خلافاً للمعتزلة القائلين: إنَّ معرفة الله تعالى واجبة بالعقل.

قوله: (وواجب): الأحسن أنَّه خبر مقدَّم، و(معرفة) مبتدأ مؤخَّر، ويصحُّ إعرابه مبتدأ، و(معرفة) فاعل سدَّ مسدَّ الخبر، بناء على مذهب من لا يشترط اعتماد الوصف.

قوله: (مقامه): بضمِّ الميم؛ لأنَّه من أقام الرُّباعي، وأمَّا إن كان مصدر الثُّلاثي؛ فيقال: بفتح الميم، يقال: قام زيد مقام عمرو.

قوله: (على أنَّه مفعول مطلق): ويصحُّ أن يكون منصوباً على التَّمييز؛ أي: من جهة الشَّرع، ولا يصحُّ نصبه على نزع الخافض؛ لأنَّه سماعيٌّ.

قوله: (أي: الشَّارع): أشار بذلك إلى أنَّه من باب زيد عدل، والمراد بالشَّارع الله حقيقة، والنَّبيُّ مجازاً.

قوله: (خلافاً للمعتزلة... إلخ): أي: وهم في ذلك فرقتان؛ **فرقة تقول**: معرفة الله واجبة بالعقل، والرُّسل مؤكِّدون للعقل، وهؤلاء فسَّاق، **وفرقة تقول**: لا يحتاج للرُّسل، فإرسالهم عبث، وهؤلاء كفَّار.

تعريف التكليف:

(**على المكلَّفِ**) من الثَّقلين الإنس والجنّ، والتَّكليف: إلزام ما فيه كُلفة، وقيل: طلب ما فيه كلفة، فلا تكليف بالمندوب والمكروه على الأول الصَّحيح، بخلاف الثاني، ولا تكليف بالمباح اتفاقاً.

والمكلّف: البالغ العاقل ....

قوله: (من الثَّقلين): سمُّوا بذلك لكونهم مثقَّلون بالتَّكاليف، أو مثقِّلون الأرض، فهو اسم مفعول، أو اسم فاعل.

قوله: (الإنس والجنِّ): أي: خاصَّة، وأمَّا الملائكة؛ فليسوا مكلَّفين بالمعرفة، إذ هي ضروريَّة في حقِّهم؛ كالنَّفس.

قوله: (إلزام ما فيه كلفة): أي: فعلاً؛ كالواجب، أو تركاً؛ كالحرام.

قوله: (طلب ما فيه كلفة): أي: فعلاً أو تركاً جازماً أو لا.

قوله: (فلا تكليف بالمندوب والمكروه): أي: وإن كانا مطلوبين.

قوله: (على الأوَّل الصَّحيح): أي: وعليه فالصَّبيُّ غير مكلَّف.

قوله: (بخلاف الثَّاني): أي: وهو طلب ما فيه كلفة، فالمندوب والمكروه مكلَّف بهما، وعليه فالصَّبيُّ مكلَّف، وقوله في تعريف المكلَّف البالغ العاقل: إمَّا على القول الأوَّل، أو تعريف للمكلَّف الكامل.

قوله: (والمكلَّف: **البالغ العاقل**): هذا تعريف للمكلَّف من الإنس، وأمَّا الجنُّ؛ فهم مكلَّفون من حين الخلقة.

قوله: (البالغ): أي: وأمَّا الصَّبيُّ: فليس مكلَّفاً.

الذي بلغته الدَّعوة.

إن قلت: إنَّ ردَّة الصَّبيِّ وإسلامه معتبران عند المالكيَّة، فما معنى اشتراط البلوغ؟

أجيب: بأنَّ اعتبار ردَّته وإسلامه بالنَّظر لإجراء الأحكام الدُّنيويَّة عليه؛ كتغسيله وتكفينه، والصَّلاة عليه وإرثه، ونحو ذلك.

قوله: (الَّذي بلغته الدَّعوة): أي: وأمَّا من لم تبلغه الدَّعوة؛ فليس مكلَّفاً، ويؤخذ منه أنَّ أهل الفترة ناجون ولو غيَّروا وبدَّلوا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

وما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة؛ كحاتم الطَّائي[2] وامرئ القيس[3]، فإمَّا رواية آحاد؛ وهي لا تعارض الدَّليل القطعيَّ، وعلى تسليم أنَّه ليس رواية آحاد، فتعذيبهم لحكمة يعلمها الله تعالى.

ومن جملة أهل الفترة أبواه ﷺ على أنَّه ورد إحياء أبويه وإيمانهما به ﷺ، كما قال الحافظ الدِّمشقيُّ[4]: [من الوافر]

---

(١) سورة الإسراء: (١٥).

(٢) وهو ما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/٢٥٨) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله؛ إن أبي يصل الرحم ويفعل كذا كذا، قال: «**إن أباك أراد أمراً فأدركه**» يعني: الذكر.

(٣) وهو ما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/٢٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**امرؤ القيس لواء الشعراء إلى النار**».

(٤) مورد الصادي في مولد الهادي (ص٦٨)، والحافظ الدمشقي هو: العلامة المحدث الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي الشافعي المعروف بابن =

(معرفةُ الله العليّ) بالمنزلة، والمعرفةُ والعلمُ بمعنىً واحد على الصَّحيح، وهو: الإدراك الجازم ....

حبا الله النَّبيَّ مزيدَ فضلٍ ... على فضل وكان به رؤوفا

فأحيا أمَّه وكذا أباه ... لإيمانٍ به فضلاً منيفا

فسلِّم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

قوله: (العليُّ بالمنزلة): أي: علوّاً معنويّاً، وهو التَّنزُّه عن النَّقائص والاتِّصاف بالكمالات، لا حسِّيّاً؛ لاستحالته في حقِّه تعالى، والمراد بالمنزلة: المرتبة المعنويَّة.

قوله: (بمعنىً واحد): أي: وعليه فعدم اتِّصافه تعالى بالمعرفة، إمَّا لعدم ورودها، أو لإيهامها سبق الجهل.

وقوله: (على الصَّحيح): مقابله: أنَّ المعرفة أخصُّ من العلم؛ لتعلُّقها بالبسائط والجزئيَّات، وتعلُّقه بالبسائط والمركَّبات والجزئيَّات والكلِّيَّات، وعليه: فعدم اتِّصافه تعالى بالمعرفة ظاهر لقصورها.

قوله: (وهو: الإدراك): جنس يشمل الجازم وغيره.

وقوله: (الجازم): فصل مخرج لغير الجازم؛ كالظَّنِّ والشَّكِّ والوهم.

= ناصر الدين، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، ودرس وأفتى، وتصدى لنشر الحديث الشريف، له من المصنفات: «افتتاح القاري لصحيح البخاري»، و«عقود الدرر في علوم الأثر»، و«مورد الصادي»، و«جامع الآثار في مولد المختار»، وغيرها من المصنفات، توفي رحمه الله سنة (٨٤٢هـ) ينظر «الضوء اللامع» (٨/ ١٠٢).

المطابق للواقع لموجب، فشمل الضَّروريَّ والنظريَّ.

وخرج بقيد (الجازم) الظنُّ، وبـ (المطابق) الاعتقادُ الفاسد؛ كاعتقاد الفلسفيِّ قِدَم العالم، وبقوله: (لموجب) - بكسر الجيم - أي: مقتضٍ من دليل أو حسّ أو وجدان، الاعتقادُ الصحيح؛ كاعتقاد سنية صلاة العيدين.

وقوله: (المطابق للواقع): أي: المطابق متعلِّقه وهو النِّسبة، والمعنى: مطابقة النِّسبة لما في الواقع، وليس المراد أنَّ الجزم هو المطابق.

قوله: (فشمل الضَّروريَّ والنَّظريَّ. . .إلخ) أي: يشمل قوله: (لموجب) العلم الضَّروريِّ، وهو ما كان بالوجدانيَّات والحواسِّ، والنَّظريُّ: وهو ما كان عن دليل، فمعرفة الله تعالى تكون ضروريَّة لأهل الكشف والبصيرة النَّيِّرة، ونظرية لأهل الدَّليل.

قوله: (الظَّنُّ) أي: و(أو) للشَّكِّ والوهم.

قوله: (الاعتقاد الفاسد): أي: وهو المسمَّى بالجهل المركَّب.

قوله: (أو حسٍّ): أي: ظاهريٍّ بإحدى الحواسِّ الخمس؛ السَّمع والبصر والشَّمِّ واللَّمس والذَّوق.

قوله: (أو وجدان): أي: وهو الحسُّ الباطنيُّ؛ كإدراك الجوع والشِّبع، والحبِّ والبغض.

قوله: (كاعتقاد سنِّيَّة صلاة العيدين): أي: مجرَّداً عن دليل، وإلَّا فهو معرفة، وأمَّا اعتقاد مشروعيَّتها وطلبها؛ فهو ضروريٌّ لتواتره بين العام والخاصِّ.

والذي يكفي في المعرفة الدَّليلُ الجمليُّ اتفاقاً، وهو (المعجوز عن تفصيله وحلّ الشُّبَه عنه)، كأن يعرف وجوده تعالى بكونه خالقاً للعالم، وأمَّا التَّفصيليُّ وهو (المقدور فيه على ما ذكر) فلا يجب عينيّاً، بل وجوباً كفائياً لصون الدِّين بدفع الخصوم.

التقليد في العقائد وكلام العلماء فيه

وأمَّا التَّقليد، وهو: الأخذ بقول الغير من غير حجَّة؛ أي: الاعتقاد الجازم المتمسَّك فيه بمجرَّد قول الغير، ....

قوله: (كأن يعرف وجوده تعالى): أي: وباقي صفاته.

قوله: (على ما ذكر): وهو تفصيله وحلُّ شبهه.

قوله: (لصون الدِّين): علَّة لكونه واجباً كفائيّاً.

قوله: (بدفع الخصوم): متعلِّق بقوله: (صون الدِّين)، والمراد بالدَّفع: الرَّدُّ والإبطال.

قوله: (وأمَّا التَّقليد): جواب عن سؤال مقدَّر، حاصله: قد ذكرت المعرفة، وما يتعلَّق بها فهل يكتفي بالتَّقليد أو لا؟ فأجاب بما ذكر.

قوله: (بقول الغير): أي: وهو غير معصوم، وأمَّا سماع المعصوم في حال حياته؛ فلا يسمَّى تقليداً، بل هو معرفة وتحقيق، فيفيد العلم الضَّروريَّ.

قوله: (أي: الاعتقاد الجازم): أي: بحيث لو رجع مقلِّده لا يرجع.

فقد اختلف فيه:

فقيل: إنَّه يكفي في عقائد الإيمان وهو الصَّحيح، فإيمانُ المقلِّد صحيح، وعليه فهل يجب النَّظر فيكون مع صحَّة إيمانه عاصياً بترك النَّظر الموصِل للمعرفة - وهو الصَّحيح كما يُفهم من قولنا: (معرفة الله) - أو لا، بل هو شرط كمال؟

وقيل: لا يكفي، فالمقلِّد كافر.

قوله: (فقد اختلف فيه) أي: على ستَّة أقوال ذكر الشَّرح منها خمسة، وترك سادساً، وهو عصيانه بترك النَّظر إن كان فيه أهليَّته، وإلَّا فلا يعصى، وهو المعتمد.

قوله: (فإيمان المقلِّد صحيح): أي: خلافاً لأبي هاشم الجبائيِّ القائل بأنَّه كافر، وكل هذا بالنَّظر لما عند الله في الآخرة، وأمَّا في الدُّنيا: فمن نطق بالشَّهادتين؛ فهو مسلم اتِّفاقاً، تجري عليه أحكام المسلمين.

وقولهم في تعريف الإيمان: هو حديث النَّفس التَّابع للمعرفة، محمول على الإيمان الكامل، وأمَّا تعريف أصل الإيمان؛ فهو حديث النَّفس التَّابع للاعتقاد الجازم فيشمل التَّقليد.

قوله: (وعليه): أي: على القول بكفاية التَّقليد في عقائد الإيمان.

قوله: (فهل يجب النَّظر): أي: وجوب الفروع، سواء كان فيه أهليَّة النَّظر أم لا، بناء على أنَّ كلَّ مكلَّف فيه أهليَّة الدَّليل الجمليِّ.

قوله: (أو لا): أي: أو لا يجب النَّظر.

قوله: (فالمقلِّد كافر): أي: بناء على أنَّ المعرفة واجبة وجوب

وقيل: يكفي إن قلَّد القرآنَ والسُّنَّة القطعيَّة، وفيه نظر.

وذهب بعضهم إلى تحريم النَّظر؛ لأنَّه مَظِنَّةُ الوقوع في الشُّبَه والضَّلال، وليس بشيء.

الأصول، وهذا القول لأبي هاشم الجبائيِّ من المعتزلة، وذكره السَّنوسيُّ في «كبراه»، وهو ضعيف[١].

قوله: (وفيه نظر): أي: لأنَّ مجرَّد تقليد ظاهر الكتاب والسُّنَّة من أصول الكفر؛ كتقليد: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[٣]، ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٤]، وكتقليد: «**ينزلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدُّنيا**»[٥].

قوله: (وليس بشيء): أي: لأنَّ بالنَّظر ينتقل الشَّخص من التَّقليد إلى المعرفة، فهو يزيل الشُّبه فكيف يوقع فيها: ولورود الأمر به.

قال الغزالي: (أسرفت طائفة بتكفير عوام المسلمين، وزعموا أنَّ من لم يعرف العقائد الشَّرعيَّة بالأدلَّة الَّتي حرَّروها؛ فهو كافر، فضيَّقوا رحمة الله الواسعة، وجعلوا الجنَّة مختصَّة بجماعة يسيرة من المتكلِّمين) انتهى «سحيمي»[٦].

---

(١) شرح الكبرى (ص ٨).

(٢) سورة الفتح: (١٠).

(٣) سورة الزخرف: (٨٤).

(٤) سورة طه: (٥)

(٥) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) حاشية السحيمي (ق١/ ١٠٠)، فيصل التفرقة (ص٧٥).

واعلم: أنَّ المعرفة هي أوَّل واجب على المكلَّف، إذ جميع الواجبات متوقِّفة عليها.

وقوله: (فاعرفِ) أي: اعرف أنَّها ....

وقال ابن العربيِّ: (أقسام الإيمان خمسة: **إيمان تقليد**: وهو من أخذ العقائد عن شيخ، وجزم بها من غير معرفة دليل، **وإيمان علم**: وهو معرفة العقائد بأدلَّتها، وهذا من أهل علم اليقين، وكلا القسمين صاحبهما محجوب، **وإيمان عيان**: وهو معرفة الله بمراقبة القلب، فلا يغيب ربُّه عن خاطره طرفة عين، بل هيبته في قلبه كأنَّه يراه، وهو مقام المراقبة وعين اليقين، **وإيمان حقٍّ**: وهو رؤية الله بقلبه، وهو معنى قولهم: العارف يرى الله في كلِّ شيء، وهو مقام المشاهدة وحق اليقين، وصاحب هذا المقام والَّذي قبله يستدلُّ بالحقِّ على الخلق، **وإيمان حقيقة**: وهو الفناء بالله عمَّا سواه، والسُّكر بحبِّه فلا يشهد إلَّا إياه، كمن غرق في بحر ولم ير له ساحلاً)[1]، وهذا ليس له دليل ولا مدلول، فالواجب على الشَّخص أحد القسمين الأوَّلين، وأمَّا الثَّلاثة الأخر؛ فعلوم ربَّانيَّة يخصُّ بها من يشاء.

قوله: (هي أوَّل واجب على المكلَّف): أي: ذكراً أو أنثى، حرّاً أو عبداً، إنسيّاً أو جنيّاً، وهذا هو الحقُّ، ولذا اقتصر عليه، ومقابله أقوال؛ قيل: النَّظر، وقيل: أوَّل جزء منه، وقيل: القصد إليه، وقيل: الشَّكُّ، وهو لأبي هاشم الجبائيِّ رئيس المعتزلة، وقيل: النُّطق بالشَّهادتين، وقيل:

---

(١) ينظر «الفتوحات المكية» (١/ ١١٧).

واجبة بالشَّرع لا بالعقل، خلافاً للمعتزلة.

ولما كانت معرفة الله تعالى عبارة عن معرفة ما يجب في حقِّه تعالى وما يستحيل وما يجوز، لا معرفة حقيقة الذَّات العليَّة؛ ....

التَّقليد، وقيل: أحد أمرين؛ التَّقليد أو المعرفة، وقيل: التَّفرُّغ للنَّظر، بمعنى: ترك الشَّواغل، وقيل: اعتقاد وجوب النَّظر، وقيل: الإيمان.

قوله: (واجبة بالشَّرع): أي: إنَّ وجوب المعرفة لم يدرك إلَّا من الشَّرع، ولم يعلم إلَّا منه، فلا حكم قبل الشَّرع أصلاً لا أصليّاً ولا فرعيّاً.

قوله: (لا معرفة حقيقة الذَّات العليَّة.. إلخ): لأنَّها ليست من الواجبات فضلاً عن كونها من أوَّلها، بل لا تعرف لأحد ولو ارتفعت درجته، وإن أمكنت معرفتها عقلاً كذا قيل، والأصحُّ أنَّها لا تجوز عقلاً كما لا تجوز شرعاً، كما في «شرح الكبرى» عن الإمام الغزالي[1]، فإنَّ الحادث يقصر بالطَّبع عن عظيم هذا المقام، قال الشَّريف المقدسيُّ في «مفاتيح الكنوز»[2]: [من البسيط]

ظننتَ جهلاً بأنَّ الله تدركه ... ثواقبُ الفِكْر أو تدريه إيقانا

أو العقولُ أحاطته بديهتها ... أو هل أقامت به لولاه بُرهانا

الله أعظم قدراً أن يُحيط به ... عِلمٌ وعقل ورأي جلَّ سلطانا

هذا اعتقادي فإن قصَّرتُ في عملي ... فأسأل الله توفيقاً وغفرانا

---

(١) شرح الكبرى (ص١٢٤).

(٢) حل الرموز ومفاتيح الكنوز (ص١٢٢).

لعدم إمكان ذلك ....

وفي الحديث: «**إن اللهَ احتجبَ عنِ البصائرِ كما احتجبَ عنِ الأبصارِ، وإنَّ الملأَ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه**»[(١)].

وعن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**تفكَّروا في الخلقِ ولا تفكَّروا في الخالقِ؛ فإنَّه لا تحيطُ به الفكرةُ**»[(٢)].

وسُئل أبو بكر الصِّدِّيق: بمَ عرفتَ ربَّك؟ قال: (عرفتُ ربِّي بربِّي، ولولا ربِّي ما عرفت ربِّي)، فقيل له: هل يتأتَّى لبشر أن يدركه؟ فقال: (العجز عن الإدراك إدراك)[(٣)].

وسُئل عليُّ بن أبي طالب: بِمَ عَرفتَ ربَّك؟ قال: (عرفته بما عرَّفني به نفسه، لا يُدرك بالحواسِّ، ولا يقاس بالقياس، ولا يُشبَّه بالنَّاس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كلِّ شيء، ولا يقال: تحته شيء، وأمام كلِّ شيء، ولا يقال: أمامه شيء، وهو في كلِّ شيء لا كشيء في شيء، فسبحان من هو كذا، ولا هكذا أحد سواه)[(٤)].

وفي الحديث: «**إنَّ اللهَ خلقَ خلقَهُ في ظلمةٍ، ثمَّ رشَّ عليهم من نوره؛ فمن أصابه ذلك النُّورُ هدي، ومن أخطأه ذلك النُّورُ ضلَّ**»[(٥)].

---

(١) أورده الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي في «الفتوحات المكية» (١/ ٩٥).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٢١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥٥).

(٣) أورده المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٨١).

(٤) أورده المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٨١).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٤٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٦) عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

....

أي: فمعرفة العبد ربَّه نور من الله يقذفه في قلبه، فيدرك بذلك أسرار ملكه، ويشاهد غيب ملكوته، ويلاحظ صفاته، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]؛ أي: منوِّرهما ومنوِّر قلوب المؤمنين فيهما، وسمَّى الحقُّ ذاته نوراً؛ لأنَّ النُّور هو الضِّياء المظهر للأشياء، فإذا سمَّى ما يظهر غيره بالإضافة إلى الإدراك نوراً، فلأن يسمَّى من يظهر الأشياء من العدم إلى الوجود بالإيجاد أولى، بل هو نور النُّور؛ لأنَّه مظهر لكلِّ نور ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: نور الله في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾، والمشكاة كوَّة غير نافذة، فشبَّه صدره بالمشكاة، وشبَّه قلبه في صدره بالقنديل في المشكاة، وشبَّه معرفته بالمصباح في القنديل، وشبَّه القنديل الَّذي هو في قلبه بالكوكب الدُّرِّيِّ المضيء، وشبَّه إمداده بالمعرفة بالزَّيت الصَّافي الَّذي يمدُّ السِّراج في الاشتعال.

وقد أطلق سيِّد الصُّوفيَّة الجنيد القول: بأنَّه لا يعرف الله إلا الله.

وقال العارفون: سبحان من كان عين العلم به عين الجهل به، وعين الجهل به عين العلم به، وسبحان من يعرف بأنَّه لا يعرف.

وسُئل بعض العلماء عن الله تعالى فقال: (إن سألت عن أسمائه؛ فقد قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2]، وإن سألت عن صفاته؛ فقد قال: ﴿قُلْ هُوَ

---

(١) سورة النور: (٣٥).

(٢) سورة الأعراف: (١٨٠).

ولعدم تكليفنا بذلك، فسَّرَ المعرفةَ بما هو المراد فقال:

(أي: يعرفَ) هو وإن كان مرفوعاً لتجرُّده من ناصب وجازم إلا أن المعنى على تقدير (أن) المصدرية نحو: (تسمعَ بالمُعَيديِّ خير من أن تراه) أي: معرفة الله تعالى هي معرفتك **(الواجبَ)** ....

ٱللَّهُ أَحَدٌ...﴾ إلى آخر السُّورة[١]، وإن سألت عن **أقواله**؛ فقد قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢]، وإن سألت عن **أفعاله**؛ فقد قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[٣]، وإن سألت عن **نعته**؛ فقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، وإن سألت عن **ذاته**، فقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾)[٥].

قوله: (ولعدم تكليفنا بذلك): عطف علَّة على معلول، كذا قرَّره الشَّرح، ولعلَّ الأظهر أنَّه عطف معلول على علَّة.

قوله: (إلَّا أنَّ المعنى.. إلخ): وجه ذلك أنَّ ما بعد أي التَّفسيريَّة يكون عطف بيان لما قبله، وما قبله مصدر صريح، فيجب تأويل هذا بمصدر.

قوله: (تسمع): مبتدأ، و(خير) خبره، والمبتدأ لا يكون إلَّا اسماً،

---

(١) سورة الإخلاص: (١).

(٢) سورة النمل: (٤٠).

(٣) سورة الرحمن: (٢٩).

(٤) سورة الحديد: (٣).

(٥) سورة الشورى: (١١)، والخبر أورده الخليلي في «فتاويه» (١/ ٧١).

أي: الثابت الذي لا يقبل الانتفاء في حقِّه تعالى، (والمُحالا) كذلك؛ أي: المستحيل، والألف للإطلاق (مع) معرفة (جائزٍ في حقِّه) أي: في الأمر الحقِّ الذي ينسب إليه (تعالى) فافهم، وقد حذفه ....

فوجب تأويله بمصدر، وهو مثل يضرب لكلٍّ من يرغب في سماع شيء، فإذا رآه زهده.

قوله: (أي: الثَّابت): أي: فيشمل ذاته تعالى، وصفاته الوجوبيَّة؛ كالمعاني، والسَّلبيَّة، والنَّفسيَّة، والمعنويَّة.

وقوله: (كذلك): أي: في حقِّه تعالى، فيشمل المستحيل أضداد الواجبات المتقدِّمة.

قوله: (أي: المستحيل): أي: وهو ما لا يقبل الثُّبوت.

قوله: (والألف للإطلاق): أي: فليست للتَّثنية، بل هي لإطلاق الصَّوت بالقافية.

قوله: (أي: في الأمر الحقِّ): أي: معدود من أفراد الأمر الكليِّ المنسوب له تعالى على جهة الثُّبوت أو الانتفاء، أو هما، فيشمل الأقسام الثَّلاثة، فهي بمعنى (من).

وقيل: إنَّ المراد من الحقِّ الحقيقة؛ أي: جائز في حقيقة الله، والإضافة للبيان، و(في) بمعنى اللَّام؛ أي: جائز لله، وكذا يقال في الواجب والمستحيل.

وقيل: إنَّ لفظة (حقِّ) زائدة، وفي معنى اللَّام أيضاً، فيرجع لما قبله.

من الأولين لدلالة الثالث عليه كما أشرنا له.

(و) واجب شرعاً على المكلَّف (مثلُ ذا) أي: معرفة مثل هذا المذكور من الواجب والمستحيل والجائز؛ أي: في مطلق ما ذكر بقطع النَّظر عن الحقائق والأدلَّة (في حقّ رُسْلِ الله) بسكون السين للوزن (عليهمِ) بكسر الميم (تحيَّةُ الإلهِ) تعالى.

بيان معنى الواجب والمستحيل والجائز

ثمَّ شرع في تعريف الواجب والمستحيل والجائز التي يجب معرفتها في حقّ من ذكر، ومنه يُعرف تعريف الوجوب والاستحالة والجواز، ....

قوله: (من الأولين): أي: اللَّذين هما الواجب والمستحيل، ولا يظهر الحذف منهما إلَّا على تفسير الشَّرح الحقَّ بالأمر الحقِّ المنسوب له تعالى؛ لشموله الأقسام الثَّلاثة، وأمَّا على ما قررناه من أنَّ الحقَّ بمعنى الذَّات؛ فيظهر الحذف حينئذ، تأمَّل.

قوله: (بقطع النَّظر عن الحقائق): أي: حقائق ما يجب لله وما يستحيل وما يجوز؛ أي: بقطع النَّظر عن عينها وذاتها، إذ عين ما يجب لله من القدم والبقاء...إلخ، وما يستحيل وما يجوز ممتنع على الرُّسل، فالتَّشبيه غير تامٍّ، بل هو في مطلق واجب ومستحيل وجائز.

قوله: (ومنه): أي: من تعريف الواجب...إلخ.

قوله: (يعرف...إلخ): أي: لأنَّ معرفة المشتقِّ تستلزم معرفة المشتقِّ منه.

وقد قدَّمه أيضاً فقال:

أولاً: تعريف الواجب:

(**فالواجبُ**) أي: الثابت (**العقليُّ**) من ذات أو صفة أو نسبة (**ما**) أي: الأمر الثَّابت الذي (**لم يَقبلِ*الانتفا**) بالقصر للضَّرورة؛ أي: لا يقبل الزَّوال (**في ذاته**) أي: بالنظر لذاته لا لشيء آخر، فخرج ما تعلَّق علم الله بوجوده، (**فابتهلِ**) بكسر اللام؛ أي: تضرَّع واطلب من الله معرفة ما ينفعك، ....

قوله: (وقد قدَّمه أيضاً): أي: تعريف الوجوب والاستحالة والجواز عند قول المتن:

.... هـي الـوجـوب ثـمَّ الاسـتـحـالـة

...إلخ.

قوله: (من ذات): أي: كذاته تعالى؛ فإنَّها واجبة لا تقبل الانتفاء والزَّوال.

وقوله: (أو صفة): أي: كوجوده وقدمه وبقائه...إلخ.

وقوله: (أو نسبة): أي: كثبوت القدرة مثلاً لله تعالى في قولك: الله قادر.

قوله: (فخرج ما تعلَّق علم الله بوجوده): أي: من العرش فما تحته، فهو بالنَّظر لذاته يقبل الثُّبوت والانتفاء، وبالنَّظر لتعلُّق علم الله بوجوده لا يقبل الانتفاء، لكنَّهم عدُّوه في الجائز بالنَّظر لذاته.

وهذا التعريف أخصر وأوضح وأحسن من قولنا: (ما لا يتصور في العقل عدمه) وإن اشتهر، وهو قسمان:

أ- ضروريٌّ، وهو: ما لا يتوقَّف على نظر واستدلال؛ كالتحيُّز للجِرم؛ أي: أخذه قدر ذاته من الفراغ.

ب- ونظريٌّ، وهو: ما توقَّف على ما ذُكِر؛ ....

قوله: (وهذا التَّعريف أخصر...إلخ): أي: لكونه أقلَّ حروفاً.

وقوله: (وأوضح): أي: لأنَّه لا تجوُّز فيه.

وقوله: (وأحسن): أي: لأنَّه يشمل صفات السُّلوب والمعنويَّة، بخلاف تعريف السَّنوسيِّ؛ فإنَّه مطوَّل، وفيه تجوُّز حيث أطلق التَّصوُّر وأريد التَّصديق، وفيه قصور؛ لعدم شموله السُّلوب والمعنويَّة، ومناقشته في شرَّاحه مشهورة.

قوله: (وإن اشتهر): الواو للحال، وإن زائدة، والمعنى: أعرضت عنه في حال شهرته لما علمت.

قوله: (نظر): هو **لغة**: التَّأمُّل والفكر، **واصطلاحاً**: ترتيب أمور معلومة للتَّوصُّل إلى مجهول؛ كترتيب المقدِّمة الصُّغرى والكبرى المعلومتين للتَّوصُّل إلى مجهول، وهو النَّتيجة.

وقوله: (واستدلال): أي: إقامة الدَّليل فيرجع للنَّظر، ويطلق على نفس الدَّليل.

قوله: (كالتَّحيُّز للجرم): التَّحيُّز صفة اعتباريَّة، واجب ثبوتها للجرم ما

كالقِدَم لله تعالى، فكلٌّ منهما لا يقبل الانتفاء لذاته.

ثانياً: المستحيل:

(**والمستحيلُ**) السِّين والتَّاء زائدتان للتَّأكيد (**كلُّ ما**) أي: أمر ....

دام الجرم لا يقال: إنَّ التَّحيُّز بالمعنى المذكور لا يجب وجوده؛ لكونه مسبوقاً بعدم طارئ، ويطرأ بطروِّ الجرم، وحينئذ فالتَّحيُّز للجرم غير صحيح.

لأنَّا نقول: إنَّما مثَّل به المصنِّف؛ لثبوت نسبة التَّحيُّز للجرم ما دام الجرم لا لوجوب وجوده؛ لأنَّه ليس مراده بالجرم ما حلَّ في فراغ، سواء كان جسماً، وهو ما تركَّب من فردين فأكثر، أو كان جوهراً فرداً، وهو الجزء الَّذي لا يتجزَّأ، فالتَّحيُّز - أي: الحلول في حيِّز - لا يختصُّ بالجرم، بل يكون للجوهر الفرد أيضاً.

قوله: (كالقدم لله تعالى): أي: وباقي الصِّفات الواجبة.

واعلم: أنَّ الواجب إمَّا عرضيٌّ وإما ذاتيٌّ، **والذَّاتيُّ**: إمَّا مطلق وإمَّا مقيَّد، **فالواجب العرضيُّ**؛ كوجود الممكن الَّذي تعلَّق علم الله بوقوعه، وهو بالنَّظر لذاته جائز؛ لاستواء وجوده وعدمه، ولكن عُرض له الوجوب، لتعلُّق علم الله بوقوعه، **والواجب الذَّاتيُّ المطلق**؛ كذات الله وصفاته، **والواجب الذَّاتيُّ المقيَّد**؛ كالتَّحيُّز للجرم؛ فإنَّه واجب له ما دام باقياً، وكلام المصنِّف في الواجب الذَّاتيِّ بقسميه، ولذا مثَّل بالتَّحيُّز والقدم، وأمَّا الواجب العرضيُّ؛ فهو من قبيل الجائز، كما أفاده الشَّرح.

قوله: (زائدتان للتَّأكيد): **أي: خلافاً لمن تكلَّف أنَّهما للطَّلب، ولمن قال: إنَّ السِّين والتَّاء للمطاوعة؛ كاستحجر الطِّين.**

من ذات أو صفة أو نسبة منتفٍ (**لم يقبلِ**) بكسر اللام (**في ذاته**) أي: بالنَّظر لذاته (**الثبوتَ**) فهو (**ضدُّ الأوَّلِ**) أي: الواجب؛ لما علمت أنَّ الواجب: هو الثَّابت الذي لا يقبل الانتفاء، والمستحيل: هو المنتفي الذي لا يقبل الثُّبوت.

وخرج ما تعلَّق علم الله تعالى بعدم وجوده.

وهذا التعريف أخصر وأوضح وأصح من قولنا: (ما لا يتصور في العقل وجوده).

قوله: (من ذات): أي: كذات الشَّريك له تعالى.

وقوله: (أو صفة): أي: وجوديَّة أو اعتباريَّة.

وقوله: (أو نسبة): أي: كثبوت العجز له تعالى.

قوله: (من ذات. . .إلخ): بيان لأمر.

وقوله: (منتف): صفة له.

قوله: (وخرج ما تعلَّق علم الله تعالى بعدم وجوده): أي: كجبل من ياقوت، وكبحر من زئبق، وإيمان أبي جهل؛ فإنَّه بالنَّظر لذاته يقبل الثُّبوت والانتفاء، وبالنَّظر لتعلُّق علم الله بعدم وجوده لا يقبل الثُّبوت، ومعنى قوله: (خرج): أي: من تعريف المستحيل، ودخل في تعريف الجائز بالنَّظر لذاته.

قوله: (وهذا التَّعريف أخصر. . .إلخ): أي: لأنَّه أقلُّ حروفاً.

وقوله: (وأوضح): أي: لخلوِّ ألفاظه عن المجازات، بخلاف قوله: (لا يتصوَّر في العقل وجوده) ففيه المجاز.

وهو قسمان أيضاً:

- ضروريٌّ: كخُلُوِّ الجِرْم عن الحركة والسُّكون معاً.
- ونظريٌّ: كالشَّريك لله تعالى.

ثالثاً: الجائز:

(وكلُّ أمر قابلٍ) في حدِّ ذاته أخذاً ممّا تقدَّم (للانتفا * وللثُّبوتِ) فهو (جائزٌ بلا خَفَا) وهو أيضاً قسمان:

- ضروريٌّ: كخصوص الحركة أو السُّكون للجِرْم.
- ونظريٌّ: كإثابة العاصي وتعذيب المطيع، ومنه الشِّبَعُ عند الأكل،

وقوله: (وأصحُّ:) أي: لأنَّه لا يرد عليه ما يرد على قوله: (ما لا يتصوَّر في العقل وجوده) ممَّا هو مسطور في كتبهم؛ من ذلك أنَّه لا يشمل صفات الأحوال على القول بها؛ لأنَّها لا يتصوَّر في العقل وجودها، وذلك لأنَّها ثابتة فقط لا موجودة، فهي واسطة بين العدم والوجود، فليست موجودة في الخارج ولا معدومة، بل هي ثابتة.

ومن ذلك أيضاً: أنَّه يصدق على صفات السُّلوب؛ لأنَّ مدلولها عدم أمر لا يليق به سبحانه لا يتصوَّر في العقل، مع أنَّ صفات السُّلوب من قبيل الواجب الَّذي لا يقبل الانتفاء فهي متحقِّقة في الواقع، ونفس الأمر لا يصحُّ نفيها عنه تعالى.

قوله: (كإثابة العاصي وتعذيب المطيع): هذا المثال إنَّما يتمشَّى على مذهب أهل السُّنَّة من أنَّه تعالى لا يجب عليه فعل الصَّلاح والأصلح لعباده، بل يجوز ذلك عليه، ويجوز عدمه فهو جائز عقليٌّ.

والإحراقُ عند مماسة النار، من كلِّ حكم عادي؛ فإنه جائز عقلي.

والحاصل كما قرَّره شيخنا: أنَّ مثل الإحراق عند مماسة النَّار إن نظرت إليه من حيث ذاته، بقطع النَّظر عن التَّكرُّر فهو حكم عقليٌّ؛ لأنَّه من الجائز النَّظريِّ؛ لأنَّ العقل إذا تأمَّل في وحدانية الله تعالى، وأنَّه الفاعل المختار المنفرد بالإيجاد والإعدام، علم أنَّ الأفعال كلَّها لله تعالى وحده، ولا تأثير لما سواه، خلافاً لمن غلط وجَعلَها من الأحكام الواجبة العقلية التي لا يمكن انفكاكها، فأسند التأثير لنحو النَّار إما بالطَّبع أو بقوَّة أُودِعت فيها.

وأمَّا عند المعتزلة: فيحكمون باستحالته؛ لقولهم: بوجوب الصَّلاح والأصلح.

قوله: (من كلِّ حكم عادي): أي: كالرَّيِّ عند الماء، والقطع عند السِّكِّين، ونبات الزَّرع عند بذر الأرض، وجميع ما يحصل عند الأسباب العاديَّة.

قوله: (أنَّ مثل الإحراق): أي: من كلِّ أمر عاديٍّ اقترن بسببه، وخبر (أنَّ) محذوف تقديره فيه تفصيل، أشار له بقوله: (إن نظرت... إلخ).

قوله: (إمَّا بالطَّبع... إلخ): أي: والقائل بالطَّبع كافر، وبالقوَّة فاسق، وسيأتي إيضاح ذلك متناً وشرحاً[١].

---

(١) انظر (ص٢١٥).

وإن نظرتَ إليه من حيث تكرُّره على الحسِّ سُمِّي حكماً عادياً، وقد علمتَ أنَّ الحركة والسُّكون للجِرم يصحُّ أن يمثل بهما لأقسام الحكم العقليِّ الثلاثة، فالواجبُ ثبوت أحدهما لا بعينه للجرم، والمستحيلُ نفيهما معاً عنه، والجائزُ ثبوت أحدِهما له بالخصوص.

فإن قلت: التَّعريف للماهيَّة، و(كل) للأفراد، فكيف يصحُّ أخذُك لفظ (كل) في تعريف المستحيل والجائز.

قلت: لفظ (كل) هنا زائدة ارتكبتُها للضَّرورة، أو أنّ ما ذُكر ضابط لا تعريف إلا أنَّه يشير للتَّعريف، فتسميته تعريفاً مجاز.

وإنَّما عبَّرت بالثُّبوت والانتفاء دون الوجود والعدم لتشمل التعاريف الأحوال ....

قوله: (من حيث تكرُّره على الحسِّ): أي: على إحدى الحواس الخمس، ومثلها الوجدانيَّات.

قوله: (وكلٌّ: للأفراد): أي:لضبط حكم الأفراد.

قوله: (في تعريف المستحيل والجائز): أي: لأنَّ المقصود بيان الحقيقة والماهيَّة لا ضبط الأفراد.

قوله: (للضَّرورة): أي: ضرورة الوزن.

قوله: (أو أنَّ ما ذكر): جواب آخر بالمنع.

قوله: (الأحوال): أي:أو لاعتبارات على القول بعدم الأحوال.

على القول بها، ككونه تعالى عالماً؛ فإنَّها لا تتَّصف بالوجود ولا بالعدم، وهذا من جملة الأحسنية التي أشرنا لها، فتدبر.

فصل
في بيان أن العالم حادث

ولمَّا فرغ من بيان أقسام الحكم العقليِّ ووجوب معرفة الله تعالى على كلِّ مكلَّف؛ أخذ في بيان الطَّريق الموصل إلى معرفته تعالى وهي حدوث العالم، فقال:

(**ثمَّ**) بعد أن عرفت أنَّه يجب على كلِّ مكلَّف شرعاً أن يعرف ما يجب في حقِّه تعالى وما يستحيل وما يجوز (**اعلَمَنْ**) - بنون التوكيد الخفيفة - وضمَّن العلمَ معنى التَّصديق فعدَّاه بالباء في قوله: (**بأنَّ هذا العالَما**) بجميع أجزائه - ....

قوله: (فإنَّها لا تتَّصف بالوجود ولا بالعدم): أي: بل هي حال توصف بالثُّبوت لا بالوجود ولا بالعدم، والحقُّ أنَّها أمور اعتباريَّة لا ثبوت لها في الخارج، وإنَّما هي أمور يعتبرها الذِّهن.

قوله: (أخذ في بيان الطَّريق الموصل): المراد به البرهان والدَّليل، فشبَّه بالطَّريق الحسِّيِّ بجامع أنَّ كلّاً يوصل للمقصود على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة.

قوله: (ثمَّ بعد أن عرفت): أي: من قولنا السَّابق: (وواجب شرعاً على المكلَّف... إلخ).

قوله: (وضمَّن العلم... إلخ): جواب عن سؤال حاصله: أنَّ مادَّة

سُمِّي بذلك لأنَّه علامة؛ أي: دليل، على وجود صانعه.

وفي التعبير باسم الإشارة إشارة إلى أنَّ حقائق الأشياء ثابتة، وأنَّ العلم بها متحقِّق، وهو كذلك عند جميع المِلَل إلا السوفسطائية، فقد خالفوا في ذلك، وهم فرق ثلاثة:

العلم تتعدَّى للمفعول بنفسها.

قوله: (سمِّي): أي: العالم باعتبار مدلوله.

وقوله: (بذلك): أي: بالعالم باعتبار دالِّه.

قوله: (وفي التَّعبير باسم الإشارة. . .إلخ): بيان ذلك أنَّ الإشارة إنَّما يشار بها إلى موجود حاضر.

قوله: (إلى أنَّ حقائق الأشياء): جمع حقيقة، وهي والماهيَّة والمائيَّة والهويَّة بمعنىً واحد.

وقوله: (ثابتة): أي: متحقِّقة؛ لأنَّ الثَّابت والمتحقِّق والموجود بمعنىً واحد، وحقيقة الشَّيء ما به الشَّيء هو هو؛ كالحيوانيَّة والنَّاطقيَّة بالنِّسبة للإنسان، فهو **الأول**: عائد على المتعقِّل في الأذهان، **والثَّاني**: عائد على المتعقِّل في الخارج ونفس الأمر.

قوله: (إلَّا السُّوفسطائيَّة): اسم لجماعة مخصوصة من اليونان، توغَّلوا في علم الرِّياضة حتَّى أدَّاهم ذلك إلى الضَّلال، وهو اسم مركَّب، (فسوف) بمعنى: العلم والحكمة، (وإسطائيَّة) بمعنى: المزخرف المزيَّن، فمعنى الجميع: أصحاب العلم والحكمة المزخرفة المزيَّنة، قال بعضهم:

- عناديَّة يقولون: لا ثبوت لحقيقة من الحقائق، وإنَّما هي أوهام وخيالات كالذي يرى في المنام.

- وعِنديَّة يقولون: الشَّخص عند اعتقاده، حتَّى لو اعتقد أنَّ النَّار جَنَّة أو بالعكس لكان كذلك.

- واللاأدريَّة يقولون في كل شيء: لا أدري، حتى إنَّه يشكُّ في نفسه وفي شكِّه.

وتوضيح الرَّدِّ عليهم مذكور في المطولات.

ثمَّ فسَّره بقوله: **(أي ما)** أي: الشَّيءُ الذي هو **(سوى الله العليِّ العالِما)** - نعت لله تعالى على القطع، فهو منصوب على المدح، وألفه للإطلاق - من الجواهر ....

الحقُّ أنَّهم خرجوا عن قول العقلاء، كذا قرَّره المؤلِّف.

قوله: (عناديَّة): سمُّوا بذلك لعنادهم ومكابرتهم لأهل الحقِّ.

قوله: (يقولون: الشَّخص عند اعتقاده): بيان لتسميتهم عنديَّة، وكذا يقال فيما بعده.

قوله: (وتوضيح الرَّدِّ عليهم مذكور في المطوَّلات): قال صاحب العقائد بعد كلام طويل: (الحقُّ أنَّه لا طريق إلى المناظرة معهم خصوصاً اللَّاأدرية؛ لأنَّهم لا يعترفون بمعلوم ليثبت به مجهول، بل الطَّريق تعذيبهم بالنَّار ليعترفوا أو يحترقوا)[١].

---

(١) شرح العقائد النسفية (ص٣١).

والأعراض، والجوهر: ما قام بنفسه، والعَرَض: ما قام بغيره من الجواهر كالألوان **(من غير شكٍّ)** متعلِّق بقوله: **(حادثٌ)** أي: موجود بعد عدم، وهو خبر (أنَّ) أي: إنَّ حدوثه غير مشكوك فيه لمن تأمَّل،

قوله: (والأعراض): اعلم: أنَّ بعضها يدرك بالذَّوق؛ كالحلاوة والملوحة والمرارة، وبعضها يدرك بالسَّمع؛ كالأصوات، وبعضها بالبصر؛ كالألوان، وبعضها بالشَّمِّ؛ كالرَّوائح، وبعضها باللَّمس؛ كالحرارة والبرودة، والنُّعومة والخشونة.

وأمَّا مثل القدرة والإرادة والعلم الحادثة: فإنَّما تدرك بالعقل، وكذا بقيَّة المعاني، وهذه الأعراض كلُّها موجودة يصحُّ رؤيتها، وبعضها يرى بالفعل؛ كالألوان والأجسام، وبعضها لم ير بالفعل؛ لوجود مانع وحجاب خلقه الله تعالى من رؤيتها بالفعل لا اطِّلاع لنا على حقيقة ذلك الحجاب، وذلك كبعض صفات المعاني القائمة بنا والرَّوائح والأصوات ونحو ذلك.

قوله: (والعرض: ما قام بغيره): سمِّي عرضاً؛ لأنَّه يعرض لما قام به ويطرأ عليه، ومن ثمَّ لا يقال في صفات الله تعالى: أعراض؛ لأنَّها أزليَّة يستحيل عليها الطُّروُّ.

وقوله: (من الجواهر): بيان لغيره.

قوله: (لمن تأمَّل): فيه تعريض بمن يقول: إنَّ العالم قديم؛ فإنَّه لم يتأمَّل.

أو أنَّ المراد: أنَّه يجب له الحدوث كما يجب لمُحدِثه القِدَم، فلا يرد أنَّ حدوثه لا يقول به الفلسفيُّ.

قوله: (أو أنَّ المراد. . .إلخ): تنويع في الرَّدِّ على من يقول بالقدم، وهم الفلاسفة.

وحاصل مذهب الفلاسفة: أنَّ الحادث عندهم قسمان: **حادث بالذَّات**، ويفسِّرونه بما يحتاج في وجوده إلى مؤثِّر، سواء سبقه عدم أو لا ، **فالأوَّل**: كأفراد الإنسان، **والثَّاني**: كالأفلاك؛ فإنَّها محتاجة في وجودها للمؤثِّر ولم يسبقها عدم، **وحادث بالزَّمان**، ويفسِّرونه بما سبق وجوده عدم؛ كأفراد الإنسان. **والقديم قسمان**: **قديم بالذَّات**، وهو ما لا يحتاج في وجوده لمؤثِّر؛ كذات المولى تعالى، **وقديم بالزَّمان**، وهو ما لا يسبقه عدم، واحتاج في وجوده لمؤثِّر؛ كالأفلاك فإنَّها عندهم لم يسبقها عدم؛ لأنَّها ناشئة عن العقول بطريق العلَّة.

ويقولون: إنَّ واجب الوجود ﷻ واحد من كلِّ جهة، فلا قدرة له ولا إرادة، ولا صفة له زائدة على الذَّات، والواحد من كلِّ جهة إنَّما ينشأ عنه واحد بطريق العلَّة، فالواحد الَّذي ينشأ عنه يقال له: العقل الأوَّل، ثمَّ إنَّ ذلك العقل متَّصف بالإمكان من حيث إنَّ الغير أثَّر فيه، وبالوجوب لعلَّته فهو قديم لعلَّته، حادث باعتبار ذاته، فنشأ عنه باعتبار الجهة الأولى عقل ثان، ونشأ عنه من الجهة الثَّانية فلك أوَّل، وهو المسمَّى في لسان الشَّرع بـ(العرش).

ثمَّ إنَّ هذا العقل الثَّاني متَّصف بالإمكان من حيث إنَّ الغير أثَّر فيه،

وحقيقة الشَّكِّ التَّردُّد في الطَّرفين على السَّواء، ....

وهو العقل الأوَّل، وبالوجوب لعلَّته فهو حادث لذاته، قديم لعلَّته، فنشأ عنه باعتبار الجهة الأولى فلك ثان، وهو المسمَّى في لسان الشَّرع بـ(الكرسيِّ)، وباعتبار الجهة الثَّانية عقل ثالث مدبِّر لذلك الفلك الثَّاني.

ثمَّ إنَّ ذلك العقل الثَّالث متَّصف بالإمكان من حيث إنَّ الغير أثَّر فيه، وبالوجوب من حيث علَّته، فنشأ عنه من الجهة الأوَّلى فلك ثالث، وهو المسمَّى بـ(السَّماء السَّابعة)، ونشأ عنه من الجهة الثَّانية عقل رابع مدبِّر لذلك الفلك الثَّالث، وهكذا إلى سماء الدُّنيا، فتكاملت الأفلاك تسعة والعقول عشرة.

ويسمُّون العقل المدبِّر لفلك القمر، وهو سماء الدُّنيا بـ(العقل الفيَّاض)؛ لإفاضته على ما تحت فلك القمر من أنواع الحيوانات والنَّباتات والمعادن، وبهذا ظهر لك وجه قولهم: إنَّ الأفلاك حادثة بالذَّات، قديمة بالزَّمان، وأنَّه لا أوَّل لها تبعاً لعلَّتها؛ لأنَّ المعلول يقارن علَّته، ومثلها في ذلك العقول وسائر الأنواع؛ من الحيوانات والنَّباتات والمعادن، وأمَّا أفراد تلك الأنواع؛ فهي حادثة ذاتاً وزماناً. انتهى.

ومذهب أهل السُّنَّة: أنَّ القديم هو القديم بالذَّات لا غير، وهو الله تعالى وصفاته، وأنَّ الحادث هو الحادث بالذَّات لا غير، وهو ما سوى الله تعالى، وما قالته الفلاسفة أوهام وخيالات وكفر.

قوله: (وحقيقة الشَّكِّ): أي: أصل معناه.

ومرادُه به هنا مطلق التَّردُّد الشَّامل للظَّنِّ وهو الطَّرَف الرَّاجح، والوهم: وهو المرجوح.

(مُفْتَقِرٌ) إلى موجد يوجده من العدم، وهو خبر ثان لازم للأوَّل، إذ الحادث لا يكون إلا مفتقراً ابتداءً ودواماً، وفي الحقيقة هو يشير إلى نتيجة القياس الذي صرَّح بصغراه وطوى كبراه، ونَظْمُه هكذا: العالم حادث، وكلُّ حادث فهو مفتقر إلى محدث، ينتج العالم مفتقر إلى محدث.

دليل حدوث العالم

أما دليل كون العالم حادثاً: فـ (لأنه قام به) أي: العالم؛ يعني: باعتبار بعضه، وهو الأعراض (التغيُّرُ) من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم، وذلك:

- إمَّا بالمشاهدة ....

وقوله (ومراده به هنا): أي: بقرينة المقام؛ لأنَّ الظَّنَّ والوهم يضرَّان في العقيدة؛ كالشَّكِّ.

قوله: (الَّذي صرَّح بصغراه): أي: في قوله: (ما سوى الله حادث).

وقوله: (وطوى كبراه): أي: كما ترى في نظم الدَّليل، وكلٌّ من الصُّغرى والكبرى نظريٌّ يحتاج إلى دليل، ولذلك أقام الشَّارح الدَّليل على كلٍّ منهما، ودليل الصُّغرى انتهى إلى الضَّروريِّ وهو التَّغيُّر.

قوله: (يعني: باعتبار بعضه، وهو الأعراض): أي: لأنَّها هي الَّتي شوهد تغيُّرها للعدم، وأمَّا الأجرام فلملازمتها الحادث؛ لأنَّه لا يشاهد

كالحركة بعد السُّكون، والضَّوء بعد الظُّلمة، والسَّواد بعد البياض، والحرارة بعد البرودة، إلى غير ذلك، والعكس.

- وإمَّا بالدَّليل: وذلك لأنَّ ما شُوهد سكونُه مثلاً على الدَّوام كالجبال، أو حركتُه على الدَّوام كالكواكب جاز أن يثبت له العكس، إذ لا فرق بين جِرْم وجِرْم، وإذا جاز عدمها استحال قدمها، لأنَّ ما ثبت عدمه استحال قدمه، ....

تغيُّر ذات الجرم، وأمَّا الصُّغر والكبر والموت والحياة؛ فترجع للأعراض، والميِّت إنَّما يشاهد أولاً تفرُّقُ أجزائه، ونحو الملح في الماء يستحيل ماء، ولا ينعدم انعداماً حقيقيّاً، بخلاف العرض يشاهد في لحظة عدم أفراد منه لا تضبط، خصوصاً الحركة والسُّكون.

قوله: (كالحركة): أي: الموجودة في جرم من الأجرام بعد السُّكون الَّذي كان في ذلك الجرم.

قوله: (والضَّوء بعد الظُّلمة): أي: ضوء الجرم القائم به وظلمته الَّتي تقوم به بعد الضَّوء؛ أي: بعد انعدامه.

قوله: (ولا فرق بين جرم وجرم): أي: في قبول الحركة والسُّكون؛ لأنَّ ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر، فتجوز الحركة على الجبال، كما يجوز السُّكون على الكواكب.

قوله: (وإذا جاز عدمها): أي: الأعراض من حيث هي ما شوهد وما لم يشاهد.

فتكون حادثة، فحينئذٍ جميع الأعراض حادثة، ويلزم من حدوثها حدوثُ جميع الأجرام والجواهر لعدم انفكاكها عن الأعراض الحادثة، وكلُّ ما لا ينفكُّ عن الحادث فهو حادث، فظهر أنَّ جميع العالم من أعراضه وأجرامه وجواهره حادث؛ أي: موجود بعد أن لم يكن.

وأمَّا دليل كون كلِّ حادث: فهو مفتقر إلى موجد يوجده، فلأنَّه صَنْعة بديعة محكمة الإتقان، وكلُّ ما كان كذلك فله صانع، إذ لو لم يكن له صانع للزم أن يكون حدث بنفسه، فيلزم ترجيح أحد الأمرين المتساويين - أعني: الوجود والعدم - على مساويه بلا سبب، وهو محال لما يلزم عليه من اجتماع الضِّدَّين - أعني: المساواة والتَّرجيح بلا مرجِّح - على أنَّه يلزم عليه ....

وقوله: (فتكون حادثة): مرتبط بقوله: (استحال قدمها).

[الكلام على دليل كبرى القياس]

قوله: (وأمَّا دليل كون كلِّ حادث.. .إلخ): شروع في الكلام على دليل كبرى القياس المتقدِّم بعد ما فرغ من الكلام على دليل الصُّغرى.

قوله: (لما يلزم عليه من اجتماع الضِّدَّين): أي: فيكون الوجود مساوياً للعدم راجحاً عليه بلا سبب، وكون الشَّيء مساوياً لشيء راجحاً عليه بلا سبب محال.

قوله: (على أنَّه يلزم عليه.. .إلخ): كالإضراب الانتقاليِّ إلى نوع آخر

ترجيح الأضعف على الأقوى؛ لأنَّ الأصل فيه العدم، وهو أقوى من وجوده.

هذا هو البرهان المشهور بينهم في بيان حدوث العالم وافتقاره إلى صانع، وذلك أن تستدل على حدوثه بكونه أنواعاً مختلفة وأصنافاً متباينة، كما يشير إليه آيُ القرآن العزيز[١]؛ وذلك لأنَّ بعضه علويٌّ، وبعضه سفليٌّ، وبعضه نورانيٌّ، ....

من الكلام على بطلان ترجيح أحد الأمرين المتساويين من غير مرجِّح.

قوله: (بكونه أنواعاً مختلفة...إلخ): أي: فاختلاف أنواعه يدلُّ على حدوثها، وأنَّ لها محدثاً وخالقاً قديماً بالاختيار لا بالعلَّة أو الطَّبع، إذ لو كان ذلك بالطَّبع أو العلَّة؛ لكانت تلك الأجرام كلُّها متساوية غير مختلفة، ولكانت كلُّها إمَّا متحرِّكة فقط أو ساكنة فقط، أو نورانيَّة فقط أو ظلمانيَّة فقط، أو لطيفة فقط أو كثيفة فقط، كما هو مقتضى الإيجاد بالعلَّة أو بالطَّبيعة، وثبت كونه موجوداً، بالاختيار، وأنَّ موجده لا يكون إلَّا قديماً.

قوله: (لأنَّ بعضه علويٌّ): أي: كالسَّماء.

وقوله: (سفليٌّ): أي: كالأرض.

قوله: (نورانيٌّ): أي: كالكواكب.

---

(١) كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا﴾ [الرعد: ٣]، وكقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وبعضه ظلمانيٌّ، وبعضه حارٌّ، وبعضه بارد، وبعضه متحرِّك، وبعضه ساكن، وبعضه لطيف وبعضه كثيف، وبعضه شُوهد وجودُه بعد عدمه، وبعضه شُوهد عدمُه بعد وجوده، إلى غير ذلك، وكلُّ نوع من هذه الأنواع مشتمل على أصناف وأفراد وصفات، لا قدرة لأحد على إحصائها، فدلَّ على أنَّه مفتقر إلى مخصِّص حكيم، خَصَّ كلَّ نوع ببعض الجائز عليه، فيكون حادثاً بعد عدم، وأنَّ خالقه مختار لا عِلَّة ولا طبيعة، إذ معلولُ العلَّة ومطبوعُ الطَّبيعة لا يختلف على فرض تسليمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾[2]... إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله: (ظلمانيٌّ): أي: كالأفلاك.

وقوله: (حارٌّ): أي: كالنَّار.

وقوله: (بارد): أي: كالماء.

وقوله: (متحرِّك): أي: كالكواكب السَّيَّارة.

وقوله: (ساكن) أي: كالجبال.

وقوله: (لطيف): أي: كالهواء.

وقوله: (كثيف): أي: كالحجر.

---

(١) سورة آل عمران: (١٩٠).

(٢) سورة الأعراف: (٨٥).

(حدوثُه وُجودُه بعد العَدَم) يعني: أنَّ حدوث العالم عبارة عن وجوده بعد عدمه، خلافاً للفلاسفة؛ فإنَّهم ذهبوا إلى قدمه، ومع ذلك أطلقوا القول بحدوث ما سوى الله تعالى، لكن بمعنى الاحتياج إلى الغير، لا بمعنى سبق العدم عليه، ومعتقد ذلك كافر بإجماع المسلمين.

(وضدُّه) أي: ضد الحدوث؛ أي: مقابله؛ يعني: عدم أوَّليَّة الوجود (هو المسمَّى بالقِدَم) ولا يكون إلا لله وحده كما سيأتي، ولا واسطة بين الحدوث والقدم.

قوله: (خلافاً للفلاسفة): أي: فإنَّهم ذهبوا إلى أنَّ قدمه بالتَّبع لقدمه تعالى بطريق العلَّة، ويسمُّونه أيضاً: قدماً زمانيّاً، وأمَّا قدمه تعالى؛ فهو قدم ذاتيٌّ، وتقدَّم إيضاحه[1].

قوله: (لكن بمعنى الاحتياج إلى الغير): أي: إنَّ قدم هذا العالم مستند إلى قدمه تعالى؛ أي: فقدمه تعالى أوجب قدم هذا العالم، هكذا زعموا قبَّحهم الله تعالى.

قوله: (أي: مقابله): أشار بذلك إلى أنَّه ليس المراد بالضِّدِّ حقيقته، بل المراد به مطلق المقابل، فتقابل القدم والحدوث من مقابلة الشَّيء والمساوي لنقيضه؛ لأنَّ نقيض الحدوث لا حدوث، ولا حدوث مساوٍ للقدم.

قوله: (ولا واسطة بين الحدوث والقدم): أي: خلافاً للفلاسفة، وتقدَّم

---

(١) انظر (ص١٦٢).

....

تقرير مذهبهم والرَّدُّ عليهم[١].

[مطلب في المقاصد السبعة]

وقد أوردوا سبع شُبَه أجاب أهل السُّنَّة عنها بأحسن جواب، وسمُّوها المقاصد السَّبعة:

الأولى: قالوا: لو كان العالم حادثاً؛ لكان وجود الصَّانع سابقاً عليه، وإلَّا كان حادثاً مثله؛ فإمَّا بغير مدَّة وهو تناقض، أو بمدَّة متناهية فيلزم الابتداء، أو غير متناهية فلا يخرج عن قدم العالم؛ لأنَّ تلك المدَّة حينئذ عالم قديم، أو فيها عالم قديم.

قلنا: إنَّ هذا جاءهم من جعل التَّقدُّم زمانيّاً، ونحن نقول: هذا تقدُّم ذاتيٌّ لا يتقيَّد به.

الثَّانية: قالوا: لو كان حادثاً؛ لكان عدمه متقدِّماً عليه.

وأنواع التَّقدُّم خمسة: الطَّبع؛ كتقدُّم الجزء على الكلِّ، وهو أن يكون الثَّاني محتاجاً للأوَّل من غير أن يكون الأوَّل علَّة فيه، والعلَّة والشَّرف والمكان والزَّمان، والأربعة الأول لا تصحُّ هنا، فتعيَّن الأخير، والعدم عندكم أزليٌّ، فالزَّمان الَّذي يتقدَّم به كذلك.

قلنا: جواب هذه هو جواب الأولى، وهو أنَّ هناك تقدُّماً ذاتيّاً من غير

---

(١) انظر (ص١٦١).

....

زمان؛ كتقدُّم الماضي على الآن.

الثَّالثة: قالوا: لو كان حادثاً؛ لجاز وجوده قبل زمنه، فإمَّا لغير نهاية فتنتقل الأزليَّة، أو لحدٍّ فيلزم التَّحكُّم وعجز الصَّانع إذ ذاك.

قلنا: إنَّ الانتقال من المدد للأزل خيال باطل، كيف والمدد كلُّها متناهية؟! وإنَّما هو كتوهم فراغ فوق السَّماء، أو تحت الأرض لا نهاية له، وتوهُّم سلسلة عدد لا تفرغ، مع القطع بأنَّ كلَّ ما في الخارج متناه عقلاً، فالأزل بون، والأزمنة بون، فحقيقة الأزل من مواقف العقول.

وأمَّا قولهم: (يلزم العجز) فإنَّما يصحُّ لو كان لنقص في القدرة، وإنَّما ذلك لأنَّ طبيعة الممكن لا تقبل الوجود الأزليّ، فليتأمَّل.

الرَّابعة: قالوا: لو كان حادثاً؛ لكان مسبوقاً بالإمكان، والإمكان معنىً لا بدَّ له من محلٍّ يقوم به، بل ومادَّة بها التَّكون، فذلك المحلُّ، والمادَّة قديمة، وإلَّا نقل الكلام وتسلسل أو دار.

قلنا: الإمكان اعتبار لا وجود له في الخارج حتَّى يحتاج لمحلٍّ، والقادر المطلق لا يحتاج لمادَّة، ومن هنا تعلم أنَّ إمكانه أزليٌّ بمعنى أنَّ نقيض الإمكان معدوم أزلاً، وإلَّا لزم قلب الحقائق، لكن متعلَّق الإمكان إنَّما يكون فيما لا يزال، فيمكن أزلاً وجوده فيما لا يزال، وبالجملة: فرقٌ بين أزليَّة الإمكان، وإمكان الأزليَّة، فنقول بالأوَّل دون الثَّاني.

الخامسة: قالوا: لو كان حادثاً؛ لاحتاج لموجب يخصّصُه بوقت،

....

حدوثه دون غيره، وذلك الموجب ليس مجرَّد الصَّانع، إذ لو كفي علَّة؛ لزم مصاحبة المعلول له، فيلزمه القدم، فتعيَّن أنَّ الموجب أمر آخر؛ فإمَّا قديم فيتمُّ مطلوبنا، أو حادث فيحتاج أيضاً لموجب، وهكذا.

قلنا: هو ضلال جاءكم من نفي الاختيار الَّذي هو المرجَّح في كلِّ حادث، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾(١)، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾(٢)، وتنزَّه عن ضيق التَّأثير بالتَّعليل أو الطَّبع، والاختيار ذاتيٌّ لا يحتاج لموجب.

السَّادسة: قالوا: لو سبق بالعدم؛ لكان تأثير الصَّانع فيه إمَّا حال عدمه، وهو باطل؛ لأنَّ المعدوم لا يرد عليه شيء، وإمَّا حال وجوده، وهو باطل؛ لتحصيل الحاصل فبطل سبقه بالعدم، ومن هذه الشُّبهة قالت المعتزلة: المعدوم شيء، وقال من قال: الماهيَّات ليست بجعل جاعل، وإنَّما المؤثِّر يظهرها من الخفاء.

قلنا: التَّأثير حال العدم معناه: تعقيبه بالوجود، ولا استحالة في ذلك، وإلَّا لزم ألا يخرج شيء من عدم لوجود، وحال الوجود معناه: الإمداد بنفس ذلك الوجود الحاصل لا بغيره حتَّى يلزم تحصيل الحاصل.

السَّابعة: قالوا: لو كان حادثاً؛ لكان الصَّانع في الأزل غير صانع،

---

(١) سورة القصص: (٦٨).

(٢) سورة الأنبياء: (٢٣).

....

فبإحداثه يطرأ له كونه صانعاً، والتَّغيُّر عليه تعالى محال.

قلنا: هذا تغيُّر أفعال، وهو غير ممتنع بخلاف تغيُّر الذَّات والصِّفات الذَّاتيِّة، وقد نظم تلك الشبه على هذا التَّرتيب أستاذنا الشَّيخ الأمير في بيت مفرد فقال: [من الرجز]

سبق الإله كذا العدم تدريجه إمكانه مع موجب أثَّر طرّا

فقوله: (سبق الإله) إشارة للأولى وهي قولهم: لو كان حادثاً لسبقه الإله بمدَّة... إلخ.

وقوله: (كذا العدم) للثَّانية، وهي قولهم: عدمه متقدِّم عليه بالزَّمان، فيلزم قدم الزَّمان.

وقوله: (تدريجه) للثَّالثة، وهي قولهم: وجوده قبل زمنه بمدَّة جائز، فيتدرَّج للعدم.

وقوله: (إمكانه) للرَّابعة؛ أعني: لو كان حادثاً؛ لكان مسبوقاً بإمكانه.

وقوله: (مع موجب) للخامسة، وهي لو كان حادثاً؛ لاحتاج لما يخصُّه بزمنه، وهو إمَّا قديم وإمَّا حادث... إلخ.

وقوله: (أثَّر) إشارة لشبهة التَّأثير حال الوجود أو العدم، وهي السَّادسة.

....

[مطلب في المطالب السبعة]

وقوله: (طراً) للسَّابعة، وهي لزوم التَّغيُّر في الصَّانع بطروِّ كونه صانعاً، فدونك مقاصد سبعة نرجو من فضل الله أن يسدَّ بها أبواب النِّيران ويدخلنا بها الجنان.

وذكر العلماء مطالب سبعة قصدوا بها الرَّدَّ على الفلاسفة أيضاً، جمعها بعضهم في قوله: [من الرجز]

زِيدَ مَ قام ما انتقلْ ما كَمُنَا ما انفكَّ لا عُدْمُ قديم لاحَنَا

فقوله: (زيد) إشارة لإثبات زائد على الأجرام، حتَّى يصحَّ الاستدلال به على حدوث الأجرام، ودليل ذلك المشاهدة، قال بعضهم: يقال لهم: نزاعكم معنا موجود أوَّلاً، فإن قالوا: لا، كفونا المؤنة، وإلَّا؛ فقد أثبتوا الزَّائد.

وقوله: (م قام) بحذف ألف ما للوزن، إشارة لقولهم: لا نسلِّم عدم الأعراض لجواز أنَّ الحركة تقوم بنفسها إذا سكن الجسم مثلاً.

ورده: أنَّ العرض لا يقوم بنفسه، إذ لا تعقل صفة من غير موصوف، ولا حركة بدون متحرِّك... إلى غير ذلك.

وقوله: (ما انتقل) بسكون اللَّام لردِّ قولهم: لا نسلِّم عدم الأعراض حتَّى ينتج حدوثها؛ لجواز أنَّ السَّاكن إذا تحرَّك انتقل السُّكون لمحلٍّ آخر.

....

وجوابه: أنَّ من طبع العرض لا ينتقل من محلٍّ إلى محلٍّ، ولو انتقل؛ لكان بعد مفارقة الأوَّل وقبل وصول الثَّاني قائماً بنفسه.

وقوله: (ما كمنا) إشارة لإبطال قولهم: لا نسلِّم عدم الحركة مثلاً، بل تكمن في الجسم إذا سكن، وفيه جمع الضِّدَّين، وقيام المعنى بمحلٍّ من غير أن يوجب له معنىً، إذ الحركة فيه وهو غير متحرِّك، وهو خلاف المعقول.

وقوله: (ما انفكَّ) إشارة لردِّ قولهم: لا نسلِّم ملازمة الجرم للأعراض حتَّى يلزم حدوث الأجرام.

وجوابه: أنَّه لا يعقل جرم خالياً عن حركة ولا حركة، أو بياض ولا بياض لارتفاع النَّقيضين، وأيضاً الجرم لا يتحقَّق إلا بمشخَّصات تميِّزه عن غيره، وهي أعراض ألبتَّة.

وقوله: (لا عدم قديم) ردٌّ لقولهم: نسلِّم عدم الإعراض، لكن ذلك لا ينافي أنَّ الوجود كان قديماً.

وردُّه: أنَّ القديم لا يقبل العدم، إذ لا يكون وجوده إلَّا واجباً.

وقوله: (لاحنا) رمز لإبطال حوادث لا أوَّل لها، حيث نسلِّم حدوث الأعراض وملازمة الجسم لها، ولا نسلِّم الكبرى قائلة: وملازم الحادث حادث؛ لجواز أنَّ ما من حادث إلَّا وقبله حادث، فصحَّ ملازمة السِّلسلة للقديم.

....

وجوابه: أنَّه تناقض، إذ حيث كانت حوادث فكيف تكون لا أوَّل لها مع أنَّ حدوث كلِّ جزء يستلزم حدوث المجموع المركب منه؟! فتدبَّر.

وإيضاح الاستدلال على هذه السَّبعة أن تقول: **أمَّا الأوَّل**: وهو إثبات زائد على الأجرام؛ فهو ضروريٌّ لا يحتاج لدليل، إذ ما من عاقل إلَّا وهو يحسُّ أنَّ في ذاته معاني زائدة عليها.

وأمَّا الثَّاني: وهو إبطال قيام العرض بنفسه.

والثَّالث: وهو إبطال انتقاله، فدليلهما أنَّه لو قام العرض بنفسه أو انتقل؛ لزم قلب حقيقته؛ لأنَّ الحركة مثلاً حقيقتها انتقال الجوهر من حيِّز لآخر، فلو قامت بنفسها أو انتقلت؛ لزم قلب تلك الحقيقة وصيرورة العرض جوهراً، إذ الانتقال والقيام بالنَّفس من خواص الأجرام.

وأمَّا الرابع: وهو الكمون والظُّهور، فوجهه أنَّ الكمون والظُّهور يؤدِّي إلى اجتماع الضِّدَّين في المحلِّ الواحد؛ لأنَّ الجوهر إذا تحرَّك مثلاً والسُّكون كامن فيه زمن حركته؛ لزم اجتماع الضِّدِّين وهما الحركة والسُّكون ضرورة.

وأمَّا الخامس: وهو إثبات استحالة عدم القديم، فوجهه أنَّه لو انعدم؛ لكان وجوده جائزاً لا واجباً، والجائز لا يكون إلَّا محدثاً، فيكون هذا القديم محدثاً وهو تناقض.

وأمَّا السَّادس: وهو إثبات كون الأجرام لا تنفكُّ عن ذلك الزَّائد فهو

بيان الصفات الواجبة لله تعالى

أولاً: الوجود

إذا علمت أنَّه يجب على كلِّ مكلَّف أن يعرف ما يجب وما يستحيل وما يجوز لله تعالى، وعلمت الطَّريق الموصل إلى المعرفة (فاعلمْ بأنَّ الوصفَ) ....

ضروريٌّ؛ لأنَّه لا يعقل كون الجرم منفكّاً عن كونه متحرِّكاً أو ساكناً، مثلاً، إذ لو انفكَّ عن الحركة و السُّكون؛ لزم ارتفاع النَّقيضين وهما حركة ولا حركة، وسكون ولا سكون.

وأمَّا السَّابع: وهو إثبات استحالة حوادث لا أوَّل لها، فله أدلَّة كثيرة، وأقربها أن تقول: إذا كان كلُّ فرد من أفراد الحوادث حادثاً في نفسه، فعدم جميعها ثابت في الأزل، ثمَّ لا يخلو إمَّا أن يقارن ذلك العدم فرداً من الأفراد الحادثة أو لا، فإن قارنه؛ لزم اجتماع وجود الشَّيء مع عدمه، وهو محال بضرورة العقل، وإن لم يقارن ذلك العدمَ شيءٌ من تلك الأفراد الحادثة؛ لزم أنَّ لها أولاً خلوَّ الأزلِ على هذا الفرد عن جميعها.

قوله: (أن يعرف ما يجب. . .إلخ) أي: لتوقُّف الفنِّ عليها.

قوله: (وعلمت الطريق الموصل): أي: وهو حدوث العالم.

قوله: (فاعلم): عبَّر بالعلم؛ إشارة إلى أنَّه لا يكتفي في هذا الفنِّ بغيره، والعلم هو الجزم المطابق للحقِّ عن موجب، والخطاب للمكلَّف،

أي: اتصافه تعالى ....

والمعنى: اجزم اعتقادك وصدِّق.

ولمَّا كانت مباحث هذا الفنِّ ثلاثة:

إلهيَّات: وهو ما يتعلَّق بالإله مِن واجب وجائز ومستحيل.

ونبوءات: وهو ما يتعلَّق بالأنبياء ممَّا يجب لهم وما يستحيل وما يجوز.

وسمعيَّات: وهي ما دلَّ عليها النَّقل فقط، ولا مدخل للعقل فيها؛ كالحشر والنَّشر والصِّراط والجنَّة والنَّار.

وتقدَّم ذكرها إجمالاً في قوله[1]:

وواجب شرعاً على المكلَّف ....

...إلخ.

[مطلب في الإلهيات]

شرع الآن يفصِّل ما أجمله مقدِّماً للإلهيَّات، لتعلُّقها بالحقِّ، وما تعلَّق به مقدَّم على غيره، وبدأ من الإلهيَّات بالواجب لشرفه، مقدِّماً للوجود لأصالته؛ فإنَّ ما سواه مفرَّع عليه.

قوله: (أي: اتِّصافه): أشار بذلك إلى أنَّ الوصف باق على مصدريَّته،

---

(١) انظر (ص).

(بـ) صفة **(الوجود)** ويصحُّ أن يراد أيضاً بالوصف الصِّفة، والباء للتصوير والتفسير؛ أي: بأنَّ الصِّفة المفسَّرة بالوجود **(من واجبات الواحد المعبود)** أي: بعض الصفات الواجبة له تعالى، إذ الواجبات له تعالى كثيرة لا تنحصر فيما ذكر هنا؛ لأنَّ صفاته تعالى الكماليَّة لا تتناهى، ....

وهو الإخبار عن قيام الصِّفة بالموصوف، فهو صفة للواصف؛ لأنَّه خبره وكلامه.

قوله: (بالوجود): أي: الذَّاتيُّ؛ أي: إنَّه وجد لذاته، ولا مدخل لغيره فيه.

قوله: (ويصحُّ أن يراد أيضاً بالوصف الصِّفة): أي: فالمراد المعنى الأسمى.

واعلم: أنَّ الصِّفة والوصف بمعنىً واحد عند اللُّغويِّين والنُّحاة وهو النَّعت؛ لأنَّها مصدر وصف يصف صفة، فأصلها وصف بكسر الواو، ونقلت الكسرة إلى الصَّاد، ثمَّ حذفت الواو وهي فاء الكلمة، وعوِّض عنها هاء التَّأنيث، وأما عند المتكلِّمين؛ فالصِّفة ما يحكم به على الشَّيء، سواء كان عين حقيقته، أو قائماً بها أو خارجاً عنها، فدخل في هذا التَّعريف الوجود وصفات المعاني والمعنويَّة ولو على القول بنفي الأحوال والسُّلوب، تأمَّل.

قوله: (أي: بعض الصِّفات): أشار بذلك إلى أنَّ (من) تبعيضيَّة.

قوله: (لأنَّ صفاته تعالى الكمالية لا تتناهى): أي: صفاته الوجوديَّة لا

إلا أنَّه لا يجب علينا تفصيل ما لم يَقُم عليه الدَّليل بالخصوص، بل الواجب أن نعتقد أنَّ كمالاته تعالى لا تتناهى على الإجمال، وأمَّا ما قام عليه الدَّليل بخصوصه فيجب اعتقاده تفصيلاً، وهو ثلاثة عشر صفة وأضدادها، بناء على مذهب الأشعري والمحقِّقين من أنَّ المعنويَّة ليست بصفات زائدة على المعاني، وأنَّ الحقَّ أن لا حال، وعليه فالوجودُ عين ذات الموجود ليس بصفة زائدة عليها، وفي عدِّه من الصِّفات تسامح، باعتبار أنَّ الذات توصف به في اللَّفظ، فيقال: ذات الله موجودة، فليتأمل.

نهاية لها في الذِّهن ولا في نفس الأمر، والله يعلمها تفصيلاً، وأنَّها لا نهاية لها.

قوله: (والمحقِّقين) أي: كالقاضي أبي بكر الباقلَّانيِّ، وإمام الحرمين.

قوله: (فالوجود عين ذات الموجود): تفريع على ما ذهب إليه الأشعريُّ والمحقِّقون.

وحاصل ما قالوه: أنَّ وجود كلِّ شيء عينه، إذ لو كان زائداً على الذَّات لا يخلو إمَّا أن يكون موجوداً أو لا، والأوَّل يوجب التَّسلسل، والثَّاني يلزم عليه اتِّصاف الوجود بنقيضه، وهو العدم، وهو محال.

قوله: (وفي عدِّه من الصِّفات تسامح): أي: مجاز مرسل علاقته المجاورة.

قوله: (فليتأمَّل) أمر بالتَّأمُّل؛ إشارة إلى أنَّ الحقَّ خلاف هذا، وأنَّ

ومعنى كون وجوده واجباً أنَّه لا يقبل الانتفاء أزلاً وأبداً؛ أي: لا يمكن عدمه، لما مرّ في تعريف الواجب.

برهان وجوده تعالى

ثمَّ برهن على وجوده تعالى بوجود صنعته جلَّ وعلا فقال: **(إذ ظاهرٌ بأنَّ كلَّ أثرٍ)** أي: لظهور أنَّ العالم أثر؛ أي: صنعة لما مرَّ من أنَّه حادث، وكلُّ أثر **(يهدي)** بفتح الياء **(إلى مؤثِّرٍ)** أي: يدلُّ على صانعه، إذ لا يعقل صنعة بدون صانع، وإلا لزم الترجيح بلا مرجِّح

الصِّفات المعنويَّة أمور اعتباريَّة لا بدَّ من اعتبارها في الذِّهن وإن لم يكن لها ثبوت من خارج الأذهان ونفس الأمر، فالأشعريُّ وإن كان ينفي ثبوتها في نفس الأمر لا ينفي لاعتبارها في الأذهان، ومن يقول بالأحوال يقول: بأنَّها واسطة بين الوجود والعدم، فالصِّفة الوجوديَّة عندهم ما يصحُّ أن ترى، والحال ثابتة في الخارج ولا يصحُّ أن ترى.

قوله: (أنه لا يقبل الانتفاء أزلاً وأبداً): أي: فإثبات وجوب الوجود يستلزم ثبوت القدم والبقاء، فذكرهما بعد توضيحاً، ولأنَّ علماء الكلام لا يكتفون بدلالة الالتزام.

قوله: (ثمَّ برهن): أي: ذكر برهاناً عقليّاً.

قوله: (إذ ظاهر): تعليل لما قبله.

قوله: (وإلَّا لزم التَّرجيح بلا مرجِّح): وإلَّا بأن فرض وجود صنعة من

وهو محال لما مرّ.

وإذا علمتَ أنَّ كلَّ صنعة تدلُّ على وجود صانعها (فاعتبرِ) أي: تأمَّل في ملكوت السَّماوات والأرض ودقائق الحكم لتعلم بذلك أنَّه الواجب الوجود، المالك المعبود، القادر ....

غيرصانع لزم التَّرجيح بلا مرجِّح، وذلك لأنَّ الوجود مساو للعدم، فتقديم الوجود على العدم ترجيح له، وهو لا يكون إلَّا بمرجِّح واجب الوجود، إذ لو كان جائزاً؛ لكان حادثاً، ولو كان حادثاً؛ لافتقر إلى محدث، فيلزم الدَّور أو التَّسلسل وهو محال، فكذا ما أدَّى إليه.

قوله: (لما مرَّ): أي: في تقرير حدوث العالم.

قوله: (وإذا علمت. . .إلخ): أشار بذلك إلى أنِّ قوله: (فاعتبر) جواب شرط محذوف.

قوله: (ودقائق الحكم): من إضافة الصِّفة للموصوف؛ أي: الحكم الدَّقائق، وهي الأسرار الغريبة العجيبة.

قوله: (الواجب الوجود): أي: الَّذي وجوده واجب لا يقبل الانتفاء أصلاً لا سابقاً ولا لاحقاً.

قوله: (المالك): أي: المتصرِّف في خلقه بأنواع التَّصرُّفات.

قوله: (المعبود): أي: المستحقُّ العبادة.

وقوله: (القادر): أي: الموصوف بالقدرة التَّامَّة، وفيه إشارة إلى أنَّه فاعل بالاختيار لا بالعلَّة ولا بالطبع.

الودود، العليُّ العظيم، العليم الحكيم، فتهتدي إلى ما خُلقت لأجله، ثمَّ تترقَّى إلى وُفور حُبِّه وشكره، فيترتَّب على ذلك تفجير ....

قوله: (الودود): أي: المحبُّ لعباده، المحبوب لهم.

وقوله: (العليُّ): أي: بالمنزلة لا بالمكان لاستحالته عليه.

وقوله: (العظيم): أي: الموصوف بالعظمة والجلال على الحقيقة دون غيره.

وقوله: (العليم): أي: الموصوف بالعلم التَّام المتعلِّق بالواجبات والجائزات والمستحيلات.

وقوله: (الحكيم): أي: الموصوف بالحكمة؛ وهي الإتقان للأشياء على وجه التَّناسب.

قوله: (إلى ما خلقت لأجله): أي: وهو العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

قوله: (إلى وفور حبِّه): من إضافة الصِّفة للموصوف؛ أي: حبِّه الوافر؛ أي: الزَّائد.

قوله: (فيترتَّب على ذلك...إلخ): أي: ويعين على ذلك العزلة عن النَّاس، قال ابن عطاء الله السَّكندريِّ في «حكمه»: (ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة)[2].

---

(١) سورة الذاريات: (٥٦).

(٢) الحكم العطائية (ص٢٦).

ينابيع الحكمة من قلبك، وتقعد في مقعد صدق عند ربِّك، ولنذكر لك شيئاً من ذلك لتقيس عليه غيره فنقول: قال الله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، فأنت إذا نظرت إلى مبدأ خلقك وجدت ربَّك سبحانه وتعالى قاد والدَّيْكَ بزِمام الشَّهوة مقهورَيْن في صورة مختارَيْن مع تمام البَسْط والأُنس، وفي هذا المقام أسرار عجيبة يدركها أرباب الكشف من أهل الله تعالى، حتَّى إذا حصل الوقاع صانك الله ....

قوله: (ينابيع الحكمة): الإضافة بيانيَّة، والمعنى: فيترتَّب على ذلك **ظهور الحكمة في قلبك**، والمراد بها: الأسرار والمعارف.

قوله: (عند ربِّك): المراد عندية مكانة لا مكان؛ وهي القرب المعنويُّ.

قوله: (شيئاً من ذلك): أي: من دقائق الحكم الموصلة إلى العبادة، والشُّكر المترتب على ذلك تفجُّر ينابيع الحكمة والقرب من الله تعالى.

قوله: (فأنت إذا نظرت إلى مبدأ خلقك): إنَّما بدأ بالنَّظر في النَّفس؛ لأنَّها أقرب الأشياء إلى الشَّخص، ولما ورد: **«من عرف نفسه عرف ربَّه»**[2]؛ أي: من تفكَّر في بدائعها؛ استدلَّ بها على خالقها.

قوله: (مقهورين): أي: باطناً.

وقوله: (في صورة مختارين): أي: ظاهراً.

قوله: (وفي هذا المقام أسرار): منها مشاهدة أنَّ الله تعالى جعله خليفة

---

(١) سورة الذاريات: (٢١).

(٢) ينظر «المقاصد الحسنة» (١١٤٩).

في قرار مكين، فخلق تلك النُّطفة علقة، ثمَّ خلق العلقة مضغة، ثمَّ مدَّها وصوَّرها في أحسن صورة، فجعل الرَّأس في أحسن خلقة، وخلق العين والأذن والأنف، وصوَّر الوجه في أحسن صورة، وأودعها من الجمال والكمال ما لا يخفى، ثمَّ أودع البصر في العين، والسَّمع في الأذن، والشَّمَّ في الأنف، وخلق الفم وزيَّنه بالشَّفتين، وخلق اللِّسان وخلق فيه الذَّوق، وجعله جنداً من جنوده تعالى يُترجم عمَّا في الفؤاد من العلوم والمعارف، وجعل الرَّقبة حاملة ....

في إنشاء هذا الفرد بعينه، فدلَّ هذا على المحبَّة الأصليَّة الصَّادرة منه تعالى حين أراد خلق الخلق، يشهد له حديث: (كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق)[1]، فالخلق ناشئون من المحبَّة أوَّلاً وآخراً، ولهذا السِّرِّ العظيم قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاثٌ: النِّساءُ والطِّيبُ، وجعلت قرَّةُ عيني في الصَّلاةِ**»[2].

قوله: (في قرار مكين): أي: وهو الرَّحم.

قوله: (فخلق تلك النُّطفة علقة): أي: بعد أربعين يوماً.

وقوله: (ثمَّ خلق العلقة مضغة): أي: كذلك.

قوله: (وجعله): أي: اللِّسان.

---

(١) ينظر «كشف الخفاء» (٢/ ١٣٢).

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٧/ ٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٠)، ولفظ

=

لعرش الرَّأس في حسن بديع، وجعل فيها المنفذ الموصل للأكل والشُّرب إلى المعدة، وأودع البطن من الأمعاء والمصارين والقلب والكبد وغيرها مما لا يعلم حقيقته إلا هو تعالى، وخلق الأيدي وخلق فيها الأكفَّ والأصابع وجعل مفاصلها وأبدعها، والأرجلَ كذلك، وخلق العظام وكساها لحماً، ثمَّ نفخ فيك الرُّوح - وهي سرٌّ عظيم عجيب من أسراره تعالى - فتحركتَ في بطن أمِّك، وما زال بك رؤوفاً رحيماً، ....

قوله: (لعرش الرأس): من إضافة المشبَّه به للمشبَّه؛ أي: للرَّأس الشَّبيهة بالعرش في العلوِّ والارتفاع ومحاسن البدن.

قوله: (والمصارين): عطف تفسير على (الأمعاء).

قوله: (وخلق فيها الأكفَّ والأصابع): أي: لقضاء الحوائج والاعتبار وتذكُّر اسم الله؛ فإنَّ الأصابع جلالة؛ الخنصر الألف، والبنصر والوسطى اللَّامان، والسَّبَّابة مع الإبهام الهاء، قال بعض العارفين[1]: [من الطويل]

لقد بسطت في بحر جسمك بسطةً ... أشارت إليها بالوفاء الأصابعُ

قوله: (ثمَّ نفخ فيك الرُّوح): أي: بعد مضي أربعة أشهر.

قوله: (وهي سرٌّ عظيم): أي: به قوام الجسد، سارية فيه كسريان الماء في العود الأخضر.

= الحديث: «حبب إلي من الدنيا: النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة»، وينظر «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٣٧٠) حول لفظة «ثلاث».

(١) البيت لسبط ابن الفارض كما في «رحلة الشتاء والصيف» (ص٢٩).

حافظاً لك في أضيق مكان، يوصل لك غذاءك وأنت لا تعلم شيئاً، حتى إذا تمّ خلقك أنزلك من الرَّحِم من أضيق محلٍّ فلَطَف بك وبأمِّك، حتَّى إذا برزتَ ألهمك بمجرَّد النُّزول إلى ثدي أمك وأجرى فيه اللَّبَنَ، وأنزل في قلبها الرَّأفة والرَّحمة، حتى إنَّها ترى بَوْلَكَ وغائطك من أحسن ما يكون، والمِنَّةُ له تعالى في ذلك.

ولمّا آن أوان الأكل خلق لك الأسنان والأضراس ورتَّبَها ترتيباً عجيباً مع ما فيها من كمال الزِّينة والجمال والكمال.

ثمَّ لمّا قَرُب بلوغك وكانت هذه الأسنان ضعيفة أسقطها وأبدلها بأقوى منها، ثمَّ إذا أكلت فجَّر الله في فمك عيناً جارية - وهي الرِّيق - لا ينقطع جريانها ما دمت تأكل لتبتلَّ اللُّقمة بها ويسهُل بلعها، لا تملكها النَّفْس ولا تجري على الدَّوام ولا تنقطع، فانظر إلى هذه الحكمة البديعة التي أنت في غاية الافتقار إليها، وليس في قدرتك إجراؤها ولا منعها بالضَّرورة.

قوله: (حافظاً لك): أي: ومن جملة ذلك أن جعل وجهك لظهر أمِّك وظهرك لبطنها؛ لئلّا تتأذَّى بالطَّعام والشَّراب، وجعل نفسك لمخرج أمِّك لتتنفَّس في فارغ.

قوله: (يوصل لك غذاءك): أي: من سرَّتك؛ لعدم قوَّتك على البلع والمضغ.

قوله: (ألهمك بمجرد النُّزول إلى ثدي أمِّك): أي: وعلَّمك كيفيَّة المصِّ والارتضاع.

فإذا نزل الطَّعام والشَّراب في المعدة صرفه إلى ما يشاء، فبعضُه يتربَّى به اللَّحم، وبعضُه يتربَّى به العظم، وبعضه يتربَّى به الشَّحم، وبعضُه يتربَّى به الدَّم مع كمال اللَّذَّة حال الأكل وبعده، ثمَّ ما فضُل عن ذلك وكان فيه الإيذاء للبدن على تقدير إبقائه في البطن أخرجه من مخرجيك، وانظر إلى هذين المخرجين وبديع حكمتهما وإلى إقدارك على إمساكهما عند تهيؤ الفضلة للخروج.

وبالجملة فلم يزل سبحانه بك رؤوفاً رحيماً ودوداً كريماً في كلِّ لحظة وأنت غافل عن نفسك.

وانظر إلى خروج النَّفَس ودخوله الذي به قوام الرُّوح حالة اليقظة والنَّوم والصِّحَّة والمرض.

ومن أكبر عبرة: العقلُ الذي به التَّمييزُ والتَّدبيرُ وإدراكُ العلوم والمعارف وما يضرُّ وما ينفع ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[2].

فيا ليت شعري أهذا ينبغي أن يعصى فيما أمر ونهى؟!!

ثمَّ إذا نظرتَ إلى السَّماء وكواكبها، والسَّحابِ وتسخيرها،

قوله: (أخرجه من مخرجيك): أي: ومن حكمته تعالى أن جعلهما لأسفل؛ لئلَّا يتأذَّى برؤيتهما الغير، فأظهر منك المحاسن وأخفى القبائح.

قوله: (إلى خروج النَّفَس): بفتحتين.

---

(١) سورة إبراهيم: (٣٤).

(٢) سورة المؤمنون: (١٤).

والرِّيَاح وتصريفها، وإلى الأرض وأنهارها، وإلى الأشجار وأثمارها؛ لأفضى بك إلى العجب العجاب، وعلمتَ أنَّه المحسن الوهَّاب.

اللَّهُمَّ؛ وَفِّقنا لما فيه رضاك، واقطعنا عن كلِّ شيء سواك، واملأ قلوبنا من حبِّك وحبِّ رسلك، وأذقنا لَذَّة الوصل من فيض فضلك، وخذ بأيدينا إن زللنا، وسامحنا إن أخطأنا، إنك أنت الجواد الكريم الرؤوف الرحيم.

قوله: (﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1]): مفرد مضاف؛ أي: نعمه.

قوله: (﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[2]): اسم التَّفضيل ليس على بابه، أو باعتبار الصُّورة الظَّاهريَّة.

قوله: (أهذا ينبغي أن يعصى): أي: من صدرت منه هذه الأفعال العظيمة، الَّتي هي قائمة بك وأنت جاهل بها ولا تدريها، فالواجب عليك أيُّها الشَّخص امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا تجترئ على معرفة ذات خالقك؛ فإنَّك جاهل بنفسك فكيف بربِّك.

قوله: (ثمَّ إذا نظرت إلى السَّماء.. إلخ): المراد العالم العلويِّ.

وقوله: (وإلى الأرض.. إلخ): المراد: العالم السُّفليِّ.

قوله: (لأفضى بك): أي: لأدَّاك ووصلك.

---

(١) سورة إبراهيم: (٣٤).

(٢) سورة المؤمنون: (١٤).

....

قوله: (إلى العجب العجاب) أي: من المعارف والأسرار الَّتي تحلُّ في القلوب وتنوِّرها.

قوله: (وعلمت أنَّه المحسن الوهَّاب): أي: إمَّا بالدَّليل، أو الذَّوق والعيان.

قوله: (اللَّهمَّ؛ وفِّقنا): دعاء من الشَّيخ له وللمسلمين، وتقدَّم معنى التَّوفيق[1].

قوله: (لما فيه رضاك): أي: قبولك لنا وإثابتك إيَّانا.

قوله: (واقطعنا عن كل شيء سواك): أي: فلا تجعل قلوبنا متعلِّقة به ولا ملتفتة إليه.

قوله: (واملأ قلوبنا بحبِّك.. إلخ): طلب المحبَّة؛ لأنَّها رأس السَّعادة الأبديَّة.

قوله: (وأذقنا لذَّة الوصل): أي: المترتِّبة على المحبَّة.

قوله: (وخذ بأيدينا إن زللنا): أي: لأنَّ المحبَّ المحبوب مغفور الذَّنب، قال أبو الحسن الشَّاذليُّ: (واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت).

---

(١) انظر (ص١٥٥).

الصفة النفسية معناها والخلاف فيها

(وذي) أي: وهذه الصِّفة؛ أي: صفة الوجود، (تسمَّى صفةً نفسيَّة) نسبة إلى النَّفْس؛ أي: الذَّات.

والصِّفة النَّفسيَّة: هي التي لا تُعقل الذَّات بدونها، وهي صفة ثبوتية يدلُّ الوصف بها ....

قوله: (وذي تسمَّى صفة نفسيَّة): اعلم: أنَّ الصِّفات من حيث هي منقسمة إلى أربعة أقسام لا زائد عليها: نفسيَّة، وسلبيَّة، ومعان، ومعنويَّة، ووجه ذلك: أنَّ الصِّفة إمَّا أن يكون مدلولها عدماً أو لا.

الأوَّل: السَّلبيَّة، والثَّاني: إمَّا موجودة أو لا، الأوَّل: المعاني، والثَّاني: إمَّا أن يدلَّ الوصف بها على نفس الذَّات دون معنىً زائد عليها أو لا، الأوَّل: النَّفسيَّة، والثَّاني: المعنويَّة.

قوله: (وهي صفة ثبوتيَّة. . .إلخ): هذا التَّعريف للشَّيخ سعد الدِّين التَّفتازانيِّ[1]، وقوله: (صفة): كالجنس، يدخل فيه سائر الصِّفات، وقوله: (ثبوتيَّة) نسبة للثُّبوت؛ لكونها ثابتة في الذِّهن، فخرج بذلك الصِّفات السَّلبيَّة.

قوله: (يدلُّ الوصف بها): أي: بالمشتقِّ منها لا بها نفسها؛ لعدم صحَّة ذلك، فنقول: الله موجود، ولا يصحُّ أن نقول: الله وجود.

---

(١) شرح المقاصد (٢/٤٩).

على نفس الذّات دون معنىً زائد عليها.

ويقال أيضاً: هي الحال الواجبة للذَّات ما دامت الذَّات غيرَ معلَّلة بعلَّة، وذلك كالوجود والتَّحيُّز للجرم، وكون الجوهر جوهراً، والشَّيء شيئاً، فهذا تعريف للنَّفسيَّة مطلقاً، قديمة كانت أو حادثة.

قوله: (على نفس الذَّات): أي: لا على معنىً زائد عليها، وخرج به المعاني؛ نحو القدرة والإرادة؛ فإنَّ الوصف بها يدلُّ على معنىً زائد على الذَّات.

وقوله: (دون معنىً زائد عليها): خرج به المعنويَّة، وفي الحقيقة خرج بقوله: (على نفس الذَّات) المعاني والمعنويَّة؛ لأَنَّ كلّاً منهما لا يدلُّ الوصف به على نفس الذَّات،ولا دلالة لهما عليها، وإنَّما يدلَّان على معنىً زائد عليها، إلَّا أنَّ هذا المعنى الزَّائد في المعاني وجوديٌّ، وفي المعنويَّة ثبوتيٌّ إذا علمت ذلك فقوله: (دون معنىً زائد عليها) مستدرك لا حاجة إليه إلَّا أن يقال: أتى به للإيضاح.

قوله: (ويقال أيضاً): هذا التَّعريف هو المشهور بين المتأخِّرين؛ كالسَّنوسيِّ وغيره.

قوله: (هي الحال الواجبة للذَّات): أي: الثَّابتة لها، خرج السَّلبيَّة والمعاني.

قوله: (ما دامت الذَّات): أي: مدَّة دوامها، فما مصدرية ظرفيَّة، وهذا الدَّوام واجب بالنِّسبة للقديم، جائز بالنِّسبة للحادث.

وقوله في التَّعريف الثاني: (غير معلَّلة) بالنَّصب على أنَّه حال من الحال، أو من الضَّمير في (واجبة)، واحترز به من الحال المعنويَّة، ككون الذَّات عالمة أو قادرة أو مريدة؛ فإنَّها معلَّلة بقيام العلم والقدرة والإرادة بالذَّات، فليتأمل.

وجَعْلُ الوجود صفةً نفسيَّة إنَّما يصحُّ عند من يُثبت الأحوال، فيكون صفة زائدة على الذَّات، غير موجودة في نفسها، ولا معدومة، وأمَّا عند من لم يُثبت الأحوال فليس بصفة أصلاً، وإنَّما هو عين ذات الموجود كما مرّ.

قوله: (واحترز به عن المعنويَّة): فيه شيء؛ لأنَّ المعنويَّة خارجة بقوله: (ما دامت الذَّات. . .) إلخ؛ فإنَّ المعنويَّة هي الحال الواجب للذَّات ما دامت المعاني قائمة بالذَّات.

قوله: (فإنَّها معلَّلة بقيام العلم): أي: ملازمة لها، فالمراد بالتَّعليل التَّلازم؛ أي: أنَّ المعنويَّة ملازمة للمعاني، فيلزم من قيام القدرة بالذَّات كون تلك الذَّات قادرة، وهكذا.

قوله: (فليتأمَّل): أمر بالتَّأمُّل لدقَّة المقام.

قوله: (وإنَّما هو عين ذات الموجود): أي: فليس أمراً ثابتاً في الخارج؛ كالقدرة والإرادة، فلا ينافي أنَّه أمر اعتباريٌّ يعتبره الشَّخص ذهناً فقط، وذلك كما إذا أخرجت ثوباً من صندوق مثلاً، فالثَّوب يوصف بالظُّهور، وهو أمر اعتباريٌّ لا ثبوت له في الخارج بحيث يصحُّ أن يرى ولا في نفسه، بل هو أمر يعتبره الشَّخص في نفسه فقط.

فإن قلت: إذا كنتَ قد بنيت هذه العقيدة على مذهب الأشعري القائل بنفي الأحوال، فالوجهُ حذف الوجود، ولا حاجة إلى ارتكاب التَّسامح.

قلتُ: لمَّا كان معرفة الوجود يحتاج لها، لينبني عليها غيرها من الصِّفات اعتبرت الوصف الظاهريَّ في قولنا: (ذات الله موجودة)، وارتكبت التَّسمُّح، على أنَّ التَّحقيق أنَّ الشَّيخ ولو نفى الأحوال لا ينفي الاعتبارات لظهور زيادتها ذهناً، وإن لم يكن لها ثبوت خارجاً، بل قال العلامة التفتازاني: (لا خلاف أنَّ الوجود زائد ذهناً، بمعنى أنّ للعقل أن يلاحظ الماهيَّة بدون الوجود، ....

قوله: (لينبني عليها غيرها): أي: فهي أصل لغيرها، إذ لا يصحُّ اتِّصافه بصفة إلَّا بعد إثبات وجوده.

قوله: (على أنَّ التَّحقيق. . .إلخ): ارتقاء في الجواب.

قوله: (وإن لم يكن لها ثبوت خارجاً): أي: فيكون لها ثلاث ثبوتات فقط: ثبوت في الأذهان، وثبوت في الألفاظ، وثبوت في النُّفوس، بخلاف المعاني وكلِّ موجود؛ فله أربع ثبوتات بزيادة الثُّبوت في الأعيان، وأما السَّلبيَّة: فلها ثبوتان؛ ثبوت في الألقاظ، وثبوت في النفوس.

قوله: (أي: يلاحظ الماهيَّة بدون الوجود): أي: كملاحظة ماهيَّة القول في الذِّهن مع عدم وجوده في الخارج.

قوله: (ثمَّ تليها في الذِّكر): أي: لا في الواقع ونفس الأمر، إذ لا ترتيب بين صفات الله تعالى في نفس الأمر، إذ التَّرتيب يقتضي حدوث

وبالعكس، ونتعقَّلُ الماهيَّة ونشكُّ في وجودها) انتهى[١].

ثانياً: الصفات السلبية

(ثمَّ تليها) في الذِّكر (خمسةٌ سلبيَّة) نسبة للسَّلْب؛ أي: النَّفي، إذ مدلولُ كلٍّ واحد منها سلبُ أمرٍ لا يليق به سبحانه (وهي) أي: الصِّفات السَّلبيَّة.

المرتَّب على ما قبله، والحدوث عليه وعلى صفاته محال.

قوله: (أي: النَّفي): المراد به العدم، إذ السَّلب والنَّفي والعدم بمعنىً واحد، وقدَّم السَّلبيَّة على المعاني؛ لأنَّ السَّلبيَّة؛ كالتَّخلية بالخاء المعجمة، والمعاني؛ كالتَّحلية بالحاء المهملة، والتَّخلية مقدَّمة على التَّحلية.

والحقُّ: أنَّ الصِّفات السَّلبيَّة لا تنحصر في هذه الخمسة، إذ من جملتها أنَّه لا ولد له ولا زوجة، ولا بسيطاً ولا مركَّباً، ولا في مكان ولا زمان ولا جهة، وغير ذلك، وإنَّما اقتصر على هذه الخمسة؛ لأنَّها أمها لها ولا والد لها، وهكذا يقال في باقي الصِّفات.

قوله: (إذ مدلول كلٍّ واحدة. . .إلخ): علَّة لقوله: (نسبة للسَّلبيَّة).

قوله: (وليس المراد بالقدم الذَّاتيِّ ما قابل القدم بالغير): لأنَّه يوهم أنَّ هناك قدماً بالغير في نفس الأمر، لكن ليس مراداً وليس كذلك.

---

(١) شرح المقاصد (١/٣٤١).

القدم

(**القِدَمْ بالذَّاتِ فاعلمْ**) أي: القدم الذَّاتي، بمعنى: أنَّه تعالى قديم لذاته لا لِعلَّة قديمة اقتضت وجوده، تعالى عن ذلك.

وليس المراد بالقدم الذَّاتيِّ ما قابل القدم بالغير، كما يقول الفلسفيُّ، لقيام البرهان القاطع على أنَّه لا شيء قديم بالغير، وأنَّ كلَّ ما سوى الله وصفاته حادث كما تقدَّم.

ومعنى القدم: سلبُ الأوَّليَّة؛ أي: أنَّه تعالى لا أوَّلية لوجوده.

قوله: (وأن كل ما سوى الله): أي: من الموجودات، فلا ينافي اتِّصاف الأعدام الأزليَّة بالقدم.

قوله: (ومعنى القدم: سلب الأوَّليَّة): أي: ويقال أيضاً: هو عدم الأوَّليَّة، أو عدم افتتاح الوجود، وهل الأزلي مرادف للقديم؟ وهو ما قاله ابن التِّلمسانيِّ وأئمَّة اللُّغة،[1] فهما ما لا أوَّل له عدميّاً كان أو وجوديّاً، قائماً بنفسه أو لا.

وقال السَّعد: (الأزليُّ أعمُّ من القديم، إذ القديم ما قام بنفسه، ولا أوَّل لوجوده، والأزليُّ ما لا أوَّل له عدميّاً أو وجوديّاً، قائماً بنفسه أو بالذَّات العليَّة، والأعدام الأزليَّة كذلك، وأمَّا ذات الله فيقال لها: أزليَّة قديمة)[2].

---

(١) شرح المعالم (ص٤١٢)، وينظر «تاج العروس»، مادة: (أزل).

(٢) شرح المقاصد (١/ ١٣٠ - ٢٠/ ٧١) طبعة دار المعارف النعمانية.

دليل اتصافه تعالى بالقدم:

إذ لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، تعالى عن ذلك، فيلزم افتقاره إلى محدث، لما مرّ، ثم مُحدِثه كذلك، لانعقاد التَّماثُل بينهما، وذلك مُفْضٍ إلى الدَّور أو التَّسلسل؛ لأنَّ المماثل الثاني مَثَلاً إن كان المحدث له هو الأول فالدَّور، وإن استمرَّ العددُ إلى غير نهاية فالتَّسلسل، وكلاهما محال.

بطلان الدور:

أمَّا استحالة الدَّور: فظاهرة؛ لأنَّه يلزم عليه تقدُّم كلٍّ منهما على صاحبه وتأخُّرُه عنه، وهو جمع بين متنافيين، بل ويلزم عليه أيضاً تقدُّم كلِّ واحد منهما على نفسه وتأخُّرُه عنها، وهو جليُّ البطلان.

بطلان التسلسل:

وأمَّا التَّسلسل: فلأنَّه يؤدِّي إلى وجود آلهة لا نهاية لها، كلٌّ منها متَّصف بالحدوث والعجز والافتقار، وهو باطل قطعاً؛ لأنَّه مُنافٍ لمقام الألوهيَّة من القدرة والغنى المطلق، إذ العاجز الفقير لا يصحُّ أن يكون خالقاً للعالم البديع الإتقان.

قوله: (إذ لو لم يكن قديماً. . .إلخ): شروع في تقرير الدَّليل التَّفصيليِّ للقديم.

قوله: (فظاهرة): أي: واضحة سهلة الأخذ، وليس المراد بديهيَّة، وإلَّا فلا يحتاج للدَّليل عليها مع أنَّه أقامه بقوله؛ لأنَّه يلزم عليه. . .إلخ.

قوله: (وأمَّا التَّسلسل): أي: بيان استحالته.

وما أفضى إلى المحال - وهو عدم القدم - محال، إذ استحالة اللَّوازم تقتضي استحالة الملزومات، فثبت القدم، وهو المطلوب.

البقاء

(و) ثاني الصِّفات السَّلبيَّة (البَقَا) بالقصر للضرورة، وهو سلبُ الآخرية؛ أي: نفيها؛ أي: أنَّه تعالى لا آخر لوجوده تعالى.

دليل اتصافه تعالى بالبقاء:

لأنَّ ما ثبت قدمه استحال عدمه، وإلا لجاز عليه العدم، فيحتاج إلى مرجِّح، فيكون حادثاً لا قديماً، كيف وقد ثبت قدمه.

قوله: (وما أفضى إلى المحال): أي: أدِّي إليه.

قوله: (إذ استحالة اللَّوازم): أي: وهي الدَّور أو التَّسلسل.

وقوله: (تقتضي استحالة الملزومات): أي: وهو الأوَّليَّة.

قوله: (وهو سلب الآخريَّة): أي: ويقال أيضاً: هو عدم الآخريَّة، أو عدم اختتام الوجود.

إن قلت: إنَّ وجوب الوجود يغني عن القدم والبقاء والمخالفة للحوادث.

أجيب: بأنَّه لمَّا كان التَّوحيد أهمَّ الأمور المطلوبة من الشَّخص، إذ به ينجو من دار البوار؛ وضَّح علماء الكلام المقام، ولم يكتفوا بدلالة الالتزام.

قوله: (لأنَّ ما ثبت قدمه.. .إلخ): شروع في تقرير الدَّليل على البقاء،

القيام بالنفس

(و) ثالث الصِّفات السَّلبيَّة (قيامُه) تعالى (بنفسه)، ....

وهذا الدَّليل إمَّا القدم نفسه أو دليله؛ لأنَّ لك أن تقول: لو جاز عليه طروُّ العدم؛ لاستحال عليه القدم؛ لأنَّ من جاز عدمه استحال قدمه، أو تقول: لو لم يتَّصف بوجوب البقاء؛ لجاز عليه العدم، ولو جاز عليه العدم؛ لكان حادثاً... إلى آخر ما قال الشَّرح.

قوله: (قيامه بنفسه): اختلف في معنى هذه الباء، فقيل: للآلة، وقيل: للسَّببيَّة، وقيل: بمعنى (في) وهو الأقرب، والمعنى أنَّه مستغنٍ في نفسه ليس باعتبار شيء آخر، ويؤخذ من هذه الصِّفة جواز إطلاق النَّفس على الله تعالى[1]، وقد ورد ذلك: قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2]، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[3].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا أحصي ثناءً عليكَ، أنت كما أثنيتَ على نفسك**»[4]... إلى غير ذلك، خلافاً لمن يقول: إنَّه لا يجوز إطلاقها على الله إلَّا في مقام المشاكلة؛ مستدلّاً بقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[5].

---

(١) ينظر «حاشية الأمير على الإتحاف» (ص١٢٥).

(٢) سورة الأنعام: (٥٤).

(٣) سورة طه: (٤١).

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٦٥٥)، وأبو داود (٨٧٩) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٥) سورة المائدة: (١١٦).

بمعنى: سلب الافتقار إلى المحلِّ أو المخصِّص؛ أي: الفاعل.

دليل عدم افتقاره تعالى إلى محل:

أمَّا أنَّه تعالى لا يفتقر إلى محلٍّ يقوم به قيامَ الصِّفة بموصوفها، فلأنَّه لو افتقر إلى ذلك لكان صفة لا ذاتاً، إذ الذَّات لا تقوم بالذَّات، لكنَّ كونه تعالى صفة محال، إذ لو كان صفة لاستحال قيام الصِّفات الثبوتيَّة؛ كالعلم والقدرة والإرادة به تعالى، إذ الصِّفة لا تقبل صفة أخرى تقوم بها، وإلا لزم أن لا تخلو عنها، أو عن مثلها، أو عن ضدِّها، ويلزم مثل ذلك في الأخرى التي قامت بها، وهكذا، إذ القَبول أمر نفسيٌّ لابدَّ أن يتَّحد بين المتماثلين أو المتماثلات، وهو محال لما يلزم عليه:

- من اتِّصاف الصِّفة بمثلها أو بضدِّها أو بخلافها، فيكون العِلْمُ عالماً وجاهلاً وقادراً، وكذا العكس، وهو باطل.

- ومن دخول ما لا نهاية له من الصِّفات الوجوديَّة، على أنَّ الصِّفة لو اتَّصفت بأخرى للزم التَّرجيح بلا مرجِّح، إذ جَعْلُ إحداهما موصوفةً والأخرى صفةً لها دون أن تكون صفة للذَّات التي قامت بها الموصوفة، ودون أن تكون الموصوفة هي الصِّفة للأخرى تحكُّم، فليتأمل.

قوله: (بمعنى: سلب الافتقار إلى المحلِّ أو المخصِّص): واعلم: أنَّ القسمة رباعيَّة: **مستغنٍ عن المحلِّ والمخصِّص معاً**، وهو ذات الله، **ومستغنٍ عن المخصِّص فقط**، وهو صفات الله تعالى، **ومفتقر إليهما معاً**، وهو صفاتنا، **ومفتقر إلى المخصِّص فقط**، وهو ذواتنا.

وهو تعالى قد ثبت أنَّه قامت به الصِّفات الثُّبوتيَّة فلا يكون صفة لغيره، فوجب أن يكون ذاتاً فلا يفتقر إلى محلٍّ، وهو المطلوب.

دليل عدم افتقاره تعالى إلى مخصِّص:

وأمَّا أنَّه لا يفتقر إلى المخصِّص؛ أي: موجد ومؤثِّر، فلِمَا يلزم من الحدوث كما مرّ في القدم.

(نِلتَ) أي: أدركت **(التُّقى)** أي: التقوى، وهي امتثال المأمورات فعلاً والمَنهيَّاتِ تركاً.

قال الإمام الرازي: التُّقى والتَّقوى واحد، وهما لغة: بمعنى الاتِّقاء، وهو اتِّخاذ الوِقاية؛ أي: ما يقي الشَّخص؛ يعني: يحفظه ويحول بينه وبين ما يخافه؛ مثل الترس ونحوه في الأجسام، فكأنَّ المعنى: جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها، من قوَّة عَزْمِه على تَرْكِها واستحضارِ علمه بقُبحها، نقله الشيخ عبد السلام اللَّقاني في «شرح الجزائرية»[1].

وهذه الجملة إنشائيَّة في المعنى، قَصَد بها الدُّعاءَ ....

قوله: (فكأن المعنى. . .إلخ): التفت الشَّيخ إلى أنَّ المراد بالتَّقوى: الخوف من الله تعالى، النَّاشئ عنه عدم صدور ما يغضب الله تعالى.

قوله: (إنشائيَّة في المعنى): أي: خبريَّة في اللَّفظ.

---

(١) فتح المجيد بكفاية المريد (ق/ ١٣١)،

لمن حاول معرفة صفات الله تعالى، وتكملة البيت، كأنَّه قال: اللَّهمَّ؛ اجعله محصِّلاً للتَّقوى.

المخالفة للحوادث

ورابع الصِّفات السَّلبيَّة (**تَخَالُفٌ للغير**) أي: مخالفته تعالى لغيره من الحوادث.

ومعناها: عدم الموافقة لشيء من الحوادث، فليس تعالى بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا متحرِّك ولا ساكن، ولا يوصف تعالى بالكِبَر

قوله: (لمن حاول معرفة صفات الله تعالى): أي: زاولها واشتغل بها.

قوله: (وتكملة البيت): بالنَّصب عطفاً على الدُّعاء؛ أي: فقصد بها أمرين: الدُّعاء والتَّكملة.

قوله: (تخالف للغير): عطفه على ما قبله من عطف اللَّازم على الملزوم، إذ يلزم من وجوب الوجود والقدم والبقاء والقيام بالنَّفس مخالفته لكلِّ ما سواه تعالى، ولم يكتف بذكر اللَّازم لما سبق من خطر هذا الفنِّ، فلا يكتفى فيه بدلالة الالتزام.

قوله: (من الحوادث): جمع حادث، وهو الموجود بعد عدم، وهو الجواهر والأعراض.

قوله: (ولا جسم): هو أخصُّ من الجوهر، إذ الجسم خاصٌّ بالمركَّب والجوهر الصَّادق به، وبالجوهر الفرد.

قوله: (بالكبر): أي: الحسِّي، وأمَّا الكبر المعنويُّ: بمعنى العظم؛

ولا بالصِّغَر، ولا بالفوقيَّة ولا بالتَّحتيَّة، ولا بالحلول في الأمكنة، ولا

فهو من أوصافه، قال تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾[(١)].

قوله: (ولا بالفوقيَّة): أي: الحسِّيَّة، وأمَّا المعنويَّة: فقد وصف تعالى نفسه بها، قال في كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[(٢)].

والحاصل: أنَّ معتقد الجهة فيه تفصيل، فإن كان جهة السِّفل؛ فهو كافر لظهور النَّقص في اعتقاده، وأمَّا غيرها من الجهات؛ فجهل وفسق، ولا يكفَّر إلَّا باعتقاد الحلول.

قوله: (ولا بالحلول في الأمكنة): أي: وما ورد ممَّا يوهم ذلك فيجب تأويله، ففي الحديث: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي، وإنَّما وسعني قلبُ عبدي المؤمن**»[(٣)].

---

(١) سورة غافر: (١٢).

(٢) سورة الأنعام: (١٨).

(٣) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/ ٢٠٧)، وبنحوه أورده الديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (٤٤٦٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه أحمد في «الزهد» (٤٢٣) عن وهب بن منبه قال: (إن الله عز وجل فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش - أو كما قال - فقال لحزقيل: سبحانك، ما أعظمك يا رب! فقال الله: إن السماوات والأرض لم تطق أن تحملني، وضقن من أن تسعني، ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين).
وفي «الرسالة القشيرية» (٢/ ٣٧٧): (وفي بعض الكتب: أن موسى عليه السلام قال: يا رب؛ أين تسكن؟ فأوحى الله تعالى إليه: في قلب عبدي المؤمن، ومعناه: سكون الذكر في القلب؛ فإن الحق سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن كل سكون وحلول، وإنما هو إثبات ذكر وتحصيل)، وينظر «إتحاف السادة المتقين» (٧/ ٢٣٤).

بالاتحاد، ولا بالاتصال ولا بالانفصال، ولا باليمين ولا بالشِّمال، ولا بالخلف ولا بالأمام، ولا بغير ذلك من صفات الحوادث.

دليل مخالفته تعالى للحوادث:

إذ لو كان مماثلاً لها، لوجب له تعالى ما وجب لها من الحدوث والافتقار، وذلك محال لما مرّ.

وفي الحديث: «**القلبُ بيتُ الرَّبِّ**»[1]، وتأويله أن تقول قوله: وإنَّما وسعني؛ أي: وسع هيبتي ورحمتي.

وقوله: «القلب بيت الرَّبِّ» أي: محلُّ رحمته وتجلِّيه، وذلك لأنَّ النَّوع الإنسانيَّ مهبط أوامر الله ونواهيه، إذ هو المتحمِّل للأمانة الَّتي عرضت على السَّماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

قوله: (ولا بالاتِّصال... إلخ): أي: ما ورد ممَّا يوهم الاتِّصال مؤوَّل، ففي الحديث القدسيِّ: «**ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببته؛ كنتُ سمعه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يُبصر به، ورِجْلَه الَّتي يمشي بها، ويده الَّتي يَبْطُشُ بها**»[2]، وتأويله: أنَّ ذلك كناية عن استيلاء محبَّة الله على الشَّخص حتَّى أغنته عن شهود سواه.

قوله: (إذ لو كان مماثلاً لها... إلخ): شروع في الدَّليل على المخالفة.

---

(١) ينظر «كشف الخفاء» (٢/ ٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

واعلم: أنَّ العالم وإن عَظُم في نفسه فهو بالنِّسبة لِعِظَم قدرته تعالى ليس بشيء، فكيف يكون العليُّ الكبير، القديم القدير، حالّاً أو متَّصلاً أو منفصلاً أو مستَقِرّاً أو على جهة لهذا الشيء الحقير الحادث الفقير.

الوحدانية

وخامس الصفات السلبية (وَحْدانية) وهي: عبارة عن سلب الكثرة في الذَّات والصِّفات والأفعال؛ أي: عدم الإثنينية (في الذَّات) أي: في ذاته تعالى، اتِّصالاً وانفصالاً.

فوحدانية الذَّات تنفي عنه تعالى الكمَّ المتَّصل والمنفصل، أي: تنفي العدد في الذَّات، متَّصلاً كان أو منفصلاً؛ فتنفي التَّركيب في ذاته تعالى، ....

قوله: (واعلم: أنَّ العالم... إلخ): زيادة في الإيضاح.

قوله: (وحدانيَّة): الياء للنسبة، والتَّاء للوحدة، والألف والنُّون للمبالغة؛ كرقبانيٍّ، وهذه الصِّفة أهمُّ الصِّفات، ولذا سمَّى علم التَّوحيد بها، ولم يكفر بضدِّها إلَّا بعض الإنس، وأمَّا الجنُّ برمَّتهم؛ فلا يعتقدون الشِّرك لله سبحانه، وإنَّما الكافر منهم بغير الشِّرك[1].

قوله: (أي: عدم الإثنينيَّة): مراد بها التَّعدُّد مطلقاً، واقتصر على الإثنينيَّة؛ لأنَّها مبدأ التَّعدُّد.

قوله: (فتنفي التَّركيب): راجع للمتَّصل.

---

(١) ينظر «حاشية الأمير على الإتحاف» (ص١٣٤)

ووجودَ ذات أخرى تماثل الذَّات العليَّة؛ أي: أنَّه تعالى ليست ذاتُه مركَّبة من أجزاء متَّصِلٍ بعضُها ببعض، وإلا لكان مماثلاً للحوادث من حيث التَّركيب، فيحتاج إلى من يُركِّبُه، وهو محال.

وليس له نظير في ذاته.

(أو) أي: وعدم الإثنينية في **(صفاته العليَّة)** اتصالاً أو انفصالاً أيضاً، فوحدانية الصِّفات تنفي عنه تعالى الكمَّ المتَّصِل والمنفصل فيها؛ أي: تنفي العدد في حقيقة كلٍّ واحدة منها، متَّصِلاً كان أو منفصلاً؛ أي: أنَّه تعالى له حياة واحدة، وعِلْمٌ واحد، وهكذا لا أكثر.

وليس ثَمَّ من يتَّصف بصفات الألوهيَّة سواه تعالى.

(و) وحدانية؛ أي: عدم الإثنينيَّة في **(الفعل)** يعني: أنَّه تعالى متَّصف بوحدانيَّة الأفعال، فليس ثَمَّ من له فعل من الأفعال سواه تعالى، إذ كل ما سواه عاجز، لا تأثير له في شيء من الأشياء.

دليل اتصافه تعالى بالوحدانية:

والمشهور في إثبات الوحدانيَّة ....

وقوله: (ووجود ذات أخرى): راجع للمنفصل، فهو لفٌّ ونشر مرتَّب.

قوله: (فليس ثمَّ من له فعل... إلخ): هذا هو الكمُّ المنفصل في الأفعال، وأمَّا المتَّصل فيها؛ فثابت لا ينفى؛ لأنَّ أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه، وهذا على مختار الأشعريِّ من أنَّ صفات الأفعال حادثة، وأمَّا على كلام الماتريديِّ من أنَّ صفات الأفعال قديمة ترجع لصفة واحدة؛ وهي التَّكوين، فالكمَّان معاً منفيَّان أيضاً.

برهان التَّمانع، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[1].

وحاصله: أنَّه لو أمكن التعدُّد ....

قوله: (برهان التَّمانع): أي: ويقال له: برهان التَّطارد، وهذا في فرض اختلافهما، ويقال له: برهان التَّوارد في فرض اتِّفاقهما.

قوله: (﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾): (إلَّا) صفة لـ(آلهة) بمعنى غير، فهي اسم، لكن لم يظهر إعرابها إلَّا فيما بعدها؛ لكونها على صورة الحرف، ولا يجوز أن تكون أداة استثناء، لا من جهة المعنى ولا من جهة اللَّفظ.

أمَّا الأوَّل: فلأنَّه يلزم منه نفي التَّوحيد، إذ التَّقدير: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، فيقتضي بمفهومه أنَّه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا، وهو باطل.

وأمَّا الثَّاني: فلأنَّ المستثنى منه يشترط أن يكون عامّاً، و(آلهة) جمع منكر في الإثبات فلا عموم له، فلا يصحُّ الاستثناء منه، كذا قال المحقِّقون.

قوله: (أنَّه لو أمكن التَّعدُّد): أي: في الذات والصِّفات والأفعال، فتدبَّر.

---

(١) سورة الأنبياء: (٢٢).

لأمكن التَّمانُعُ بينهما؛ بأن يريد أحدهما حركة زيد مثلاً، والآخرُ سكونَه، إذ كلٌّ منهما أمر ممكن في نفسه، وكذا تعلُّقُ الإرادة بكلٍّ منهما، وحينئذٍ إمَّا أن يحصل الأمران، فيلزم اجتماع الضِّدَّين، أو لا فيلزم عجزهما أو عجز أحدهما، وهو أمارة الحدوث والإمكان لما فيه من شائبة الاحتياج، فالتعدُّدُ مستلزم لإمكان التَّمانُع، المستلزم للمحال، فيكون التعدُّد محالاً.

وبما ذكر اندفع ما يقال: إنَّه يجوز أن يتَّفقا من غير تمانُع، وحاصلُ الدَّفْع: أن الإمكان محال وإن لم يقع تمانع بالفعل.

قوله: (أو عجز أحدهما): أي: وهو من لم يحصل مراده.

قوله: (وحاصل الدَّفع. . .إلخ): أي: فالآية حجَّة قطعيَّة لا دليل إقناعيٌّ كما قيل، بل قال في «التَّبصرة»: (إنَّ هذا القول كاد أن يكون كفراً)[1].

وإيضاح الآية: أنَّه لو تعدَّد الإله لم تتكوَّن السَّماوات والأرض؛ لأنَّ تكوَّنهما إمَّا بمجموع القدرتين أو بإحديهما، والكلُّ باطل.

أمَّا الأوَّل: فلأنَّ شأن الإله كمال القدرة، فإذا توجَّهت لشيء أبرزته.

وأمَّا الآخر: فلما مرَّ، فيلزم عجزه، فلا يوجد شيء من العالم، وعدم وجود العالم محال؛ لأنَّه خلاف الحسِّ والعيان، فيكون معنى (فسدتا): لم توجدا.

---

(١) تبصرة الأدلة (ص٢٣٦).

....

قال أبو إسحاق الإسفراييني: (**أجمع أهل الحقِّ على أنَّ جميع ما قاله المتكلِّمون في التَّوحيد يرجع إلى كلمتين؛ إحداهما**: اعتقاد أنَّ كلَّ ما تصوَّر في الأذهان فالله بخلافه، **ثانيهما**: اعتقاد أنَّ ذاته تعالى ليست مشبَّهة بذات، ولا خالية عن الصِّفات، وناهيك بسورة الإخلاص دليلاً؛ فإنَّها نفت أصول الكفر الثَّمانية؛ الكثرة بمعنى: التَّركيب والعدد، والنَّقص بمعنى: الاحتياج، والقلَّة بمعنى: البساطة، والعلَّة والمعلول، والشَّبيه والنَّظير، أمَّا الكثرة والعدد؛ فانتفاؤهما بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والنَّقص والقلَّة بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، والعلَّة والمعلول بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، والشَّبيه والنَّظير بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾).

تتمَّة

في آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾[1] سؤال مشهور، وهو أنَّ الجمع بين الكاف ومثل يوهم محالاً في حقِّه تعالى؛ لأنَّ الكاف بمعنى مثل، والنَّفي إنَّما تسلَّط عليها، وهو باطل من وجهين:

أحدهما: أنَّ المقصود من الآية نفي مثل ذاته لا نفي مثل مثله.

والآخر: أنَّ نفي مثل المثل يقتضي إثبات المثل وهو محال.

(١) سورة الشورى: (١١).

أفعال العباد والخلاف فيها

وإذا علمت أنَّه تعالى يجب له الوحدانيَّة (**فالتأثيرُ**) الاختراع والإيجاد للأشياء من العدم (**ليس**) أي: لا يصحُّ لأحد (**إلا** * **للواحد**

أجيب عنه بستَّة أجوبة:

أحدهما: أنَّ الكاف زائدة لغير توكيد.

والثَّاني: أنَّها مؤكِّدة لنفي الشَّبيه؛ أي: انتفى المثل انتفاء مؤكَّداً، لا أنَّه من نفي المؤكِّد الَّذي هو مثل المثل، حتَّى يتوهَّم بقاء المثل.

الثَّالث: أنَّ مثل بمعنى: المَثَل - بفتحتين - أي: الصِّفة.

الرَّابع: أنَّه بمعنى نفس؛ نحو: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[1].

الخامس: أنَّه من باب الكناية، وفيها طريقان ثانيهما هو السَّادس، وتقرير **أوَّلهما**: أنَّ نفي مثل المثل أريد به نفي المثل؛ لأنَّ مثل المثل لازم للمثل، ونفي اللَّازم يدلُّ على نفي الملزوم، **الثَّاني**: أنَّها من باب مثلك لا يبخل، بمعنى: أنت لا تبخل، فالقصد نفي مثله تعالى بأبلغ وجه، إذ هي أبلغ من الصَّريح؛ لتضمُّنها إثبات الشَّيء بدليله.

قوله: (وإذا علمت أنَّه تعالى يجب له الوحدانيَّة): أشار بذلك إلى أنَّ قوله: (فالتَّأثير. . .إلخ): مفرَّع على وجوب الوحدانيَّة له تعالى في الذَّات والصِّفات والأفعال.

---

(١) سورة البقرة: (١٣٧).

القهّار) وحده **(جلّ وعلا)** فلا تأثير لقدرتنا في شيء من أفعالنا الاختيارية؛ كالحركات والسَّكنات والقيام والقعود ونحو ذلك، بل جميع ذلك مخلوق له سبحانه وتعالى بلا واسطة، كما أنَّ قدرتنا مخلوقة له تعالى، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: وخلق عملكم.

فإن قلتَ: إذا لم يكن لنا قدرة على إيجاد شيء، فكيف يُنسب لنا العمل، وكيف يصحُّ تكليفنا به ونخاطب به؟ قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[1]؛ وذلك كثير في الكتاب والسنة.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]): استدلال على انفراده تعالى بالإيجاد، سواء كانت (ما) مصدريَّة، أو موصولة بمعنى الَّذي، وجعلها مصدريَّة كما قاله الشَّرح أولى؛ لأنَّ الحجَّة النَّافية ظاهرة، وأيضاً لا يحوج إلى تقدير عائد بخلاف جعلها موصولة؛ فإنَّه محوج لتقدير العائد؛ أي: وخلق العمل الَّذي تعملونه، والحجَّة فيه خفيَّة، والمراد بالعمل الحاصل بالمصدر، وهي الحركات والسَّكنات، لا المعنى المصدريّ، وهو الإتباع؛ أي: مقارنة القدرة الحادثة للحركات، إذ هو أمر اعتباريٌّ لا يتعلَّق به الخلق، بل هو متجدِّد بنفسه بعد عدم، وعلى كلٍّ في الآية حجَّة لنا على انفراده تعالى بالإيجاد، وردٌّ على المعتزلة القائلين: إنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختياريَّة.

إن قلت: يحتمل أنَّ العائد على جعلها موصولة يقدَّر مجروراً؛ أي:

---

(١) سورة التوبة: (١٠٥).

(٢) سورة الصافات: (٩٦).

قلنا: النسبة إلينا، ومخاطبتُنا بتحصيله من حيث إنَّه كسب أو اكتساب، لا من حيث إنَّه إيجاد واختراع.

وتوضيح ذلك: أنَّ قدرته تعالى أبرزت الأشياء على طبق إرادته، من العدم إلى الوجود، وهذا الإبراز هو المسمَّى بالإيجاد والاختراع، وهو المراد بتعلُّق القدرة القديمة، وأمَّا قدرتنا فقد تعلَّقت ببعض الأفعال، وهي الأفعال الاختيارية؛ أي: التي لنا فيها الاختيار والميل والقصد من غير إيجاد واختراع، وهذا التعلُّق على طبق إرادتنا هو المسمَّى بالكسب والاكتساب.

وخلق الَّذي تعملون فيه؛ أي: الأجساد الَّتي يقع عملكم فيها، فيكون المعنى: خلقنا وخلق الذَّوات الَّتي تحلُّ فيها أعمالنا؛ من أحجار لبناء، وشاة لجزَّار، وخشب لنجَّار، وغير ذلك، فحينئذ ليس في الآية دليل على أنَّ الله خالق أفعال العباد، فلا وجه للرَّدِّ بها على المعتزلة؛ لأنَّ الدَّليل متى طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال.

أجيب: بأنَّ هذا احتمال بعيد؛ لعدم شرط جواز حذفه من كونه جرَّ بما جرَّ به الموصول، والموصول هنا لم يجرَّ، فلا يخرج كلام الله عليه، وعلى فرض تسليم وجود الشَّرط فحذف العائد المنصوب أصل وكثير، بخلاف المجرور.

قوله: (من حيث إنَّه كسب): أي: إن كان طاعة.

وقوله: (أو اكتساب): أي: إن كان معصية.

فتعلُّقُ قدرة الله تعالى على وفق إرادته تعلُّقُ إيجاد، وتعلُّقُ قدرتنا على طبق إرادتنا تعلُّقُ كسب؛ أي: تعلُّقٌ هو كسبٌ لا إيجاد.

فأفعالنا الاختياريَّة قد تعلَّقت بها القدرتان، القدرةُ القديمة والقدرةُ الحادثة، وليس للقدرة الحادثة تأثير، وإنَّما لها مجرَّد مقارنة، فالله تعالى يخلق الفعل عندها لا بها؛ كالإحراق عند مماسَّة النَّار للحطب، فمن حيث إنَّه خَلَقَ لنا ميلاً إلى الشَّيء، وقصداً إليه، وخلق لنا قدرة مصاحبة لِخَلْقه تعالى ذلك الذي قصدناه؛ نَسَبَ إلينا ذلك الفعل وطالَبَنا به، إذ هو في ظاهر الحال يتراءى أنَّه فعلٌ للعبد، وإذا نظر إلى دليل التَّوحيد قطع النَّاظر بأنَّ الفعل ليس مخلوقاً إلا لله تعالى، وإلا لزم الشَّريك له تعالى عن ذلك.

قوله: (تعلُّق إيجاد): الإضافة بيانيَّة؛ أي: تعلُّق هو إيجاد؛ بدليل ما يأتي في نظيره.

قوله: (قطع النَّاظر بأنَّ الفعل ليس مخلوقاً إلَّا الله تعالى): ويسمَّى عند العارفين بـ(وحدة الأفعال)، بمعنى أنَّ العارف لا يشهد فعلاً لسوى الله تعالى، وقد قال العارف في ذلك[1]: [من الطويل]

ولي في خيال الظِّلِّ أكبر عبرة ... لمن كان في بحر الحقيقة راقي

شخوصٌ وأشكالٌ تمرُّ وتنقضي ... فتفنى جميعاً والمحرِّك باقي

وقال بعض العارفين في هذا المعنى أيضاً[2]: [من الطويل]

---

(١) البيتان لابن الجوزي، أوردهما ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» (٦/ ١٧٦).

(٢) الأبيات لمصطفى البكري في ديوانه «روح الأرواح» (ق/ ٥).

فعلم أنَّ هذا التعلُّق عبارة عن مقارنة القدرة الحادثة من غير تأثير، وبحسبه تضاف الأفعال للعبد، كقوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[1]، ويترتَّب الثَّواب والعقاب بمحض الفضل أو العدل، ويسمَّى العبد حينئذٍ: مختاراً.

وعند خلق الله تعالى الفعل في العبد بلا قدرة له مقارنة يسمَّى مجبوراً ومضطراً، وقد تفضَّل الله سبحانه علينا في هذه الحالة بإسقاط التَّكليف، ولو شاء لكلَّفنا عندها أيضاً.

وما الخلق في التِّمثال إلَّا كثلجة ... لها صورةٌ لكن تبدَّت عن الماءِ

فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده ... تبدَّى بوصف الثَّلج من غير إخفاءِ

إذا ظهرت شمس الوجود تُذيبها ... فترجعها ماءً يُجاء مع الياءِ

ومن حجَّته صورةُ الثَّلج جاهلٌ ... تغطِّي عليه الأمر من لمع أضواءِ

قوله: (ويترتَّب الثَّواب والعقاب): لفٌّ ونشر مرتَّب، وكذا قوله: (بمحض الفضل والعدل)، أمَّا الفضل في الثَّواب فظاهر؛ لأنَّ العبد لا يستحقُّ عند الله شيئاً، وأمَّا العدل في العقاب؛ فلأنَّ الله تعالى مالك، والمالك يتصرَّف في ملكه كيف يشاء، فتعذيبه عدل لا ظلم.

قوله: (ولو شاء لكلَّفنا عندها أيضاً): أي: لأنَّ التَّكليف بما لا يطاق جائز.

---

(١) سورة البقرة: (٢٨٦).

والفرق بين الحركة الاختيارية والاضطرارية مما هو بديهيٌّ عند كلِّ عاقل.

فبطل قولُ الجبرية بأنه لا قدرة للعبد تقارن فعلاً له أصلاً، بل هو مجبور ظاهراً وباطناً؛ كالخيط المعلَّق في الهواء، تميله الرِّياح بلا اختيار له في شيء أصلاً، وقولُ القدرية بتأثير القدرة الحادثة في الأفعال على طبق إرادة العبد.

والجبريةُ كفارٌ قطعاً؛ لأنَّ مذهبهم ينفي التَّكليف الذي جاء به الرُّسُل عليهم السَّلام، وفي كفر القدرية خلاف، الأصحُّ عدم كفرهم؛ لأنَّهم وإن لزمهم إثبات الشَّريك لله تعالى، إلا أنَّهم لما أثبتوا لله تعالى خَلْقَ العبد وقدرته وإرادته، صار فعل العبد في الحقيقة مخلوقاً له تعالى.

وعُلم أيضاً أنَّه لا تأثير للأمور العاديَّة في الأمور التي اقترنت بها، فلا تأثير للنَّار في الإحراق، ولا للطَّعام في الشِّبَع، ولا للماء في الرِّيِّ ولا في إنبات الزَّرع، ولا للكواكب في إنضاج الفواكه وغيرها، ولا

قوله: (فبطل قول الجبريَّة): بسكون الباء وفتحها.

وقوله: (وقول القدريَّة): بالرَّفع معطوف على (قول الجبريَّة).

قوله: (بتأثير القدرة الحادثة في الأفعال. . .إلخ): أي: وبنوا على ذلك أموراً فاسدة باطلة؛ منها: أنَّهم قالوا: لو كانت هذه الأفعال مخلوقة لله كما تقولون؛ لكان تعذيب الله له ظلماً.

قلنا: التَّعذيب بالنَّظر للجزء الاختياريِّ، وهو الكسب.

للأفلاك في شيء من الأشياء، ولا للسِّكِّين في القطع، ولا لشيء في دفع حرّ أو برد، أو جلبهما، أو غير ذلك لا بالطَّبع ولا بالعلَّة ولا بقوَّة أودعها الله فيها، بل التأثير في ذلك كلِّه لله تعالى وحده، بمحض اختياره عند وجود هذه الأشياء.

حكم القول بالطبع أو بالعلة

(ومن **يَقُل**) من أهل الضَّلال كالفلاسفة (**بالطَّبع**) أي: بتأثير الطَّبع؛

قالوا: ومن خلق الكسب؟

نقول لهم: هو الله، ولا يسئل عمَّا يفعل.

ومنه قولهم: لو كان الفعل لله؛ لكان متَّصفاً بذلك الفعل، وهو غير لائق.

مثلاً: خلق الكفر في الإنسان، فعليه يسمَّى الله كافراً، ولم يقل به أحد.

قلنا لهم: إنَّ ذلك قائم بالمفعول لا بالفاعل، ألا ترى الأشخاص والألوان؛ فإنَّها فعله وليست قائمة به؟ ويردُّ عليه بالعقل والنَّقل.

أما النَّقل: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[2]... إلى غير ذلك.

---

(١) سورة البقرة: (٢٨٤).

(٢) سورة الفرقان: (٢).

أي: الطَّبيعة والحقيقة؛ بأن يقول: إنَّ الأشياء المذكورة تؤثِّر بطبعها، (أو) يقل (بالعِلَّة) أي: بتأثيرها؛ بأن يقول: إنَّ الأشياء علَّة - أي: سبب - في وجود شيء من غير أن يكون لله تعالى فيه اختيار.

والفرق بين تأثير الطَّبع وتأثير العِلَّة - وإن اشتركا في عدم الاختيار -:

وأمَّا العقل: فلأنَّ العبد لو كان خالقاً لأفعال نفسه؛ لكان عالماً بها تفصيلاً، واللَّازم باطل فكذا الملزوم، وأيضاً لا يخلو إمَّا أن يكون حصول هذا الفعل بقدرة الله وقدرة العبد معاً، فإن قالوا: نعم، قلنا: لزم اجتماع مؤثِّرين على أثر واحد.

وإن قالوا: بقدرة العبد فقط، قلنا: لزم وقوع شيء في الكون قهراً عن الله، ولزم ألا يكون الله تعالى واحداً في الأفعال.

وأمَّا قولهم: إنَّه يلزم على كلام أهل السُّنَّة: أنَّ تعذيب الله للعصاة ظلم فباطل؛ لأنَّ الظلم هو التَّصرُّف في ملك الغير.

وحكي أنَّ القاضي عبد الجبَّار بن أحمد المعتزليَّ قاضي قزوين دخل عند ابن عبَّاد وزير المعزِّ، فرأى عنده الأستاذ أبا إسحاق الإسفرايينيِّ إمام أهل السُّنَّة، فقال عبد الجبَّار: سبحان من تنزَّه عن الفحشاء، ففهم السُّنِّيُّ مراده، فقال: سبحان من لا يقع في ملكه ما لا يريده، فقال المعتزليُّ: أيريد ربُّك أن يعصى؟ فقال له السُّنِّيُّ: أيعصى ربُّنا قهراً عليه؟ فقال له المعتزليُّ: أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليَّ بالرَّدى، أحسن إليَّ أم أساء؟ فقال السُّنِّيُّ: إن منعك ما هو لك؛ فقد أساء، وإن منعك ما هو له؛

- أنَّ التَّأثير بالطَّبع يتوقَّف على وجود الشَّرط وانتفاء المانع؛ كالإحراق بالنِّسبة للنَّار؛ فإنَّه يتوقَّف على شرط مماسَّة النَّار للشَّيء المحرَق، وانتفاء مانع البلل فيه مثلاً.

- وأمَّا التَّأثير بالعِلَّة: فلا يتوقَّف على ذلك، بل كلَّما وُجدت العِلَّة وُجد المعلول؛ كحركة الخاتم بالنِّسبة لحركة الإصبع، ولذا كان يلزم اقتران العِلَّة بمعلولها، ولا يلزم اقترانُ الطَّبيعة بمطبوعها؛ أي: لتخلُّف الشَّرط، أو انتفاء المانع.

(فذاك) القائل (كُفْر) أي: كافر أو ذو كفر، ويصحُّ رجوع اسم الإشارة للقول المفهوم من (يقل)، ....

فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء، فانصرف الحاضرون وقالوا: ليس بعد هذا جواباً، والله؛ كأنَّه ألقم حجراً[1].

قوله: (مثلاً): أي: وكالرَّيِّ للعطشان يحصل بالماء إن وجد الشَّرط، وهو مماسَّة الماء العذب للجوف، ولم يكن مانع كعلَّة في الجوف، وقس.

قوله: (أي: لتخلُّف الشَّرط. . .إلخ): علَّة لما قبله.

قوله: (أي: كافر أو ذو كفر): أي: أو بولغ فيه حتَّى جعل نفس الكفر على حدِّ: زيد عدل.

---

(١) أورد القصة السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٤/ ٢٦٢)، وابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٥١)، والسفاريني في «لوامع الأنوار» (١/ ٣٣٩).

فالحمل ظاهر على معنى: فقَوْلُه (كُفْرٌ)، فيكون القائل به كافراً؛ لأنَّه أثبت الشَّريك والعجزَ لله تعالى عن ذلك (عند) جميع (أهل الملَّة) أي: ملّة الإسلام.

والمِلَّة والدِّين والشَّريعة: عبارة عن الأحكام الشَّرعية، فهي متَّحدة بالذَّات لكنَّها مختلفة بالاعتبار؛ لأنَّ الأحكام الشَّرعيَّة من حيث إنَّها تُملى لِتُنقَلَ مِلَّة، ومن حيث إنَّها يُتَدَيَّن بها - أي: يُتعبَّد بها - دِينٌ، ومن حيث إنها شرعت - أي: بيَّنها الشارع - شريعة؛ أي: مشروعة.

واعلم: أنَّ الفلاسفة كما قالوا بتأثير الطَّبائع والعِلَل، قالوا: إنَّ الواجب الوجود أثَّر في العالم بالعِلَّة، فهو تعالى عِلَّة فيه، فلذا قالوا: إنَّ العالم قديم؛ لأنَّه يلزم من قِدَم العِلَّة قِدَمُ المعلول، فقد أثبتوا له تعالى عدم الاختيار وعدم القدرة، ولا شك في كفرهم عند المسلمين.

والحاصل: أنَّ الفاعل بحسب الفرض والتَّقدير ثلاثة، فاعل بالطَّبع، وفاعل بالعِلَّة، وفاعل بالاختيار، وهو الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك، وكلُّها قال بها الفلاسفة، والثالث كالإنسان عندهم، وأمَّا المسلمون فلم يقولوا إلا بالأخير، ثمَّ هو مخصوص بالواحد القهَّار سبحانه وتعالى.

قوله: (فالحمل ظاهر): أي: الإخبار عنه ظاهر واضح لا يحتاج لتأويل.

قوله: (قالوا: إنَّ الواجب الوجود. . .إلخ): وقد تقدَّم ذلك[1].

---

(١) انظر (ص١٦٨).

حكم القول بالقوة المودعة

(ومَنْ يَقُل) من أهل الزَّيغ: إنَّ هذه الأمور العادية تؤثِّر (بالقوَّة المودَعَةِ) أي: بواسطة قوَّة أودعها الله تعالى فيها، كما أنَّ العبد يؤثِّر بقدرته الحادثة التي خلقها الله تعالى فيه، فالنَّار تؤثِّر بقوَّة خلقها الله تعالى فيها، وكذا الباقي.

(فذاك) القائل (بِدْعِيٌّ) نسبة للبدعة خلاف السُّنَّة؛ لأنَّه لم يتمسَّك بسنَّة السَّلف الصَّالح، التي أخذوها عن النَّبيِّ ﷺ، وليس بكافر على الصَّحيح لما تقدَّم، وإذا كان بدعياً (فلا تلتفت) أي: لقوله، بل يجب الإعراض عنه والتَّمسُّك بقول أهل السُّنَّة من أنَّه لا تأثير لما سوى الله تعالى أصلاً، لا بطَبْع ولا عِلَّة ولا بواسطة قوَّة أُودِعت فيها، وإنَّما التَّأثير لله وحده بمحض اختيار.

فإن قلتَ: إنَّ بعض أهل السُّنَّة قالوا بالتَّأثير بواسطة القوَّة، ورجَّحه الإمام الغزالي[1] والإمام السُّبكي كما نقله السُّيوطي، فكيف يكون القائل به بدعيّاً، وفي كفره قولان؟

قوله: (بواسطة قوَّة): أي: فهي عندهم كالآلة للفعل؛ كالقدوم للنجّار، والإبرة للخيَّاط.

قوله: (لما تقدَّم): أي: لكونهم لمَّا أثبتوا لله تعالى خلق العبد قدرته

---

(١) هذا الكلام ينسب للإمام الغزالي وليس له، وإنما تناقلته كتب المتأخرين.

قلت: معنى القول بالتَّأثير بالقوَّة عند بعض أئمَّتنا أنَّ الله تعالى هو المؤثِّر والفاعل بسبب تلك القوَّة التي خلقها الله تعالى في تلك الأشياء، فالتَّأثير عنده لله وحده، وإن كان بواسطة تلك القوة، وأمَّا القدرية فينسبون التَّأثير لتلك الأشياء بواسطة القوَّة، ففرق بين الاعتقادين، ومع ذلك فالرَّاجح الأوَّل، وهو أنَّ التَّأثير له وحده عندها لا بها، وإن جرت العادة بأنَّه إنَّما يحصل التأثير عندها.

وإرادته؛ صار فعل العبد في الحقيقة مخلوقاً له تعالى.

قوله: (ففرَّق بين الاعتقادين): أي: فاعتقاد المعتزليِّ: أنَّ التَّأثير للأشياء بواسطة القوَّة، والسُّنِّيِّ: أنَّ التَّأثير لله بسبب القوَّة.

قوله: (ومع ذلك): أي: مع حصول الفرق المذكور.

قوله: (فالرَّاجح الأوَّل): أي: وما قال البعض المذكور خلاف الرَّاجح، فتحصَّل أنَّ **من قال**: إنَّ الأسباب العاديَّة تؤثِّر بذاتها من غير جعل من الله تعالى؛ كفر بالإجماع، **ومن قال**: بقوَّة خلقها الله فيها؛ فمبتدع، **ومن قال**: إنَّها تؤثِّر بإذن الله لكن بينها وبين ما قارنها ملازمة عقليَّة فلا يصحُّ التَّخلُّف؛ فهو جاهل واعتقاده يؤول به إلى الكفر؛ لأنَّه يستلزم إنكار المعجزات، وما أخبر به الأنبياء من المغيبات؛ كأحوال القبر والآخرة، إذ هو من باب خرق العوائد الَّتي تتخلَّف فيها الأسباب العاديَّة عمَّا يقارنها، ومن اعتقد عدم تأثيرها فيما قارنها؛ وإنَّما جعلها مولانا أمارات ودلائل على ما شاء من الحوادث من غير ملازمة عقليَّة بينها وبين ما جعلت دليلاً عليها، فهو المؤمن حقّاً، والسُّنِّيُّ صدقاً، كما تفيده عبارة

البرهان الإجمالي لاتصافه تعالى بالصفات السلبية

ثمَّ أشار غفر الله له إلى برهان الصِّفات السَّلبيَّة إجمالاً بقوله:

(لو لم يكن) أي: إنَّما وجب اتِّصافه بالصِّفات السَّلبيَّة لأنَّه لو لم يكن (متَّصفاً بها) بأن كان غير قديم أو باق، أو كان مماثلاً للحوادث، أو غير قائم بنفسه، أو غير واحد فيما مرَّ، (لزم * حدوثه) تعالى عن ذلك.

أمَّا القِدَم: ....

السَّنوسيِّ في كتبه.

قوله: (إجمالاً): أي: وأمَّا تفصيلاً؛ فقد تقدَّم دليل كلٍّ منها عند ذكره.

قوله: (أي: إنَّما وجب اتِّصافه. . .إلخ): أشار بذلك إلى أنَّ قوله: (لو لم يكن. . .) إلخ علَّة في الحقيقة لمحذوف واقع في جواب سؤال مقدر؛ قدَّره بقوله: إنَّما وجب. . .إلخ.

قوله: (متَّصفاً بها): أي: بهذه الخمسة؛ بأن انتفى عنه الاتِّصاف ولو ببعضها.

قوله: (بأن كان غير قديم): أي: فقط، ومن باب أولى إذا كان غير متَّصف بجميعها، فنفي أي واحد منها يلزم منه الحدوث، تعالى الله عنه.

قوله: (فيما مرَّ): أي: في الذَّات والصِّفات والأفعال.

فظاهر، وأمَّا البقاء: فلأنَّه لو لم يكن متَّصفاً به لم يكن قديماً؛ لأنَّ من ثبت قِدَمُه استحال عدمه، وإلا لكان جائز العدم، فيحتاج إلى مرجِّح، وكلُّ محتاج إلى مرجِّح حادث.

وأمَّا القيام بالنَّفس: فلأنَّه لو قام بغيره لكان عرضاً، وقد تقدَّم بيان حدوث الأعراض، أو كان صفة قديمة قائمة بموصوفها، فيلزم ألا يتَّصف بصفات المعاني، لما مرّ، وهو باطل.

قوله: (فظاهر): أي: لأنَّه لا واسطة بين القدم والحدوث، فإن انتفى عنه القدم؛ فقد ثبت له الحدوث.

قوله: (لو لم يكن متَّصفاً به): أي: بالبقاء، بمعنى: وجوب البقاء.

قوله: (لم يكن قديماً): أي: لوجود التَّلازم بينهما، إذ من جاز عليه العدم؛ يستحيل عليه القدم.

قوله: (وإلَّا لكان جائز العدم): أي: وإن لم يستحيل العدم لكان. . .إلخ، ومن باب أولى وجوب العدم، فذكر الجائز اقتصار على الشِّقِّ المتوهِّم.

قوله: (فلأنَّه لو قام بغيره): أي: بأن كان صفة حادثة.

قوله: (وهو باطل): أي: كونه صفة، سواء كانت حادثة أو قديمة، وهذا هو أحد شقَّي القيام بالنَّفس، وترك الآخر وهو عدم احتياجه للمخصِّص؛ لوضوحه وعلمه من دليل القدم والبقاء.

وأمَّا المخالفة للحوادث: فلأنَّه لو ماثل شيئاً منها لكان حادثاً مثلها.

وأمَّا الوحدانيَّة: فلأنَّه لو كان له نظير في ذاته أو صفاته للزم العجز، لما مرّ، وكلُّ عاجز حادث، **(وهو)** أي: الحدوث عليه تعالى **(محال)** لا يقبل الثُّبوت عقلاً، وهذا إشارة إلى الاستثنائيَّة، فهو في قوَّة قولنا: **(لكن حدوثه محال)**.

(فاستقم) تكملة، ولا تخلو عن فائدة.

وإنَّما كان حدوثه تعالى محالاً **(لأنَّه يُفضي)** أي: يؤدِّي **(إلى التَّسلسل)** إن استمر العدد إلى ما لا نهاية له، وهو محال لما مرَّ، **(و)** أي: أو يفضي إلى **(الدَّور)** إن لم يستمرَّ؛ بأن رجع إلى الأوَّل، فيكون الأوَّل متأخِّراً، والمتأخِّر أولاً، **(و)** الدَّور **(هو المستحيل المنجلي)** أي: الظاهر، لظهور دليله، وقد مرَّ.

قوله: (لما مرَّ): أي: من برهان التَّمانع.

قوله: (وهذا إشارة إلى الاستثنائيَّة): أي: لأنَّه ذكر المقدَّم بقوله: (لو لم يكن متَّصفاً بها)، والتالي بقوله: (لزم حدوثه)، وحذف النَّتيجة لوضوحها، وهي عدم اتِّصافه بها محال؛ لأنَّ استثناء التَّالي ينتج نقيض المقدَّم.

قوله: (ولا تخلو عن فائدة): أي: وهي أنَّه لمَّا كان بصدد إقامة الدَّليل على ثبوت الصِّفات السَّلبيَّة، وكان مقاماً تزلُّ فيه الأقدام، وقد خالف في ذلك بعض فرق؛ نبَّه الطَّالب على الاستقامة على الطَّريق القويم.

وإذا كان كلٌّ من التَّسلسل والدَّور محالاً فما أفضى إليهما - وهو الحدوث - يكون محالاً، وإذا كان الحدوث عليه تعالى محالاً ثبت اتِّصافه تعالى بالصِّفات السَّلبيَّة على ما تقدَّم بيانه.

وقد تقدَّم برهان كلِّ صفة على حدتها تفصيلاً أيضاً عند ذكرها، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

متفرقات في بيان بعض الأسماء والتنزيهات

ثمَّ فرّع على ما ذكره من صفات السُّلوب بعض أسماء وتنزيهات فقال:

(**فهو**) سبحانه وتعالى (**الجليل**) أي: العظيم الشَّأن، الذي يخضع لجلاله كلُّ عظيم، ويستحقر بالنِّسبة لعظمته كلُّ فخيم، والأظهر أنَّ الجلال ....

قوله: (فما أفضى إليهما): أي: بالوسائط، كما هو معلوم من تقرير البرهان.

قوله: (وقد تقدَّم برهان كلِّ صفة): أي: في الشَّارح.

قوله: (والحمد لله الَّذي هدانا لهذا): اقتباس من الآية الكريمة المحكية عن أهل الجنَّة؛ إشارة إلى عظم نعمة المعرفة بالله تعالى، إذ هي جنَّة الشُّهود المعجَّلة لأولياء الله تعالى في الدُّنيا، فمن أجل ذلك حمد بحمد أهل الجنَّة.

قوله: (فهو الجليل): الفاء للفصيحة واقعة في جواب سؤال مقدَّر

يرجع للصِّفات السَّلبيَّة والكماليَّة معاً، لا لأحدهما فقط، كما قيل بكلٍّ.

(**والجميل**) أي: المتَّصف بصفات الجمال والكمال، من علم وحياة وقدرة وإرادة وغيرها، وإنَّما تتمُّ بالتَّنزيه عن كلِّ عيب ونقص ممَّا لا يليق بالجناب الأعزِّ الأحمى، ويندرج في ذلك اللُّطف والحلم والكرم والعفو وغير ذلك ممَّا لا يحصى، ....

تقديره: إذا علمت ما ذكر من تلك الصِّفات؛ فهو تعالى الجليل... إلخ.

قوله: (يرجع للصِّفات السَّلبيَّة والكماليَّة معاً): أي: فهو من الصِّفات الجامعة، فالجلال في حقِّه تعالى هو التَّنزُّه عن النَّقائص والاتِّصاف بالكمالات.

قوله: (كما قيل بكلٍّ): أي: بأنَّه يرجع للصِّفات السَّلبيَّة فقط، والكماليَّة فقط.

قوله: (وإنَّما تتمُّ): أي: صفات الجمال والكمال، فتحصَّل أنَّ الجمال والجلال من الصِّفات الجامعة للتَّنزيه عن النَّقائض والاتِّصاف بالكمالات، لكنَّ مظهر الجلال؛ الانتقام والغضب، ومظهر الجمال: الرَّحمة والفضل والرِّضا.

قوله: (الأعزّ) أي: عديم المثيل.

وقوله: (الأحمى): أي: المحمي المنزَّه عن كلِّ ما لا يليق به.

قوله: (وغير ذلك): أي: من باقي أسمائه الحسنى وصفاته الحسنى؛

إذ هي ترجع للإرادة أو مع القدرة.

ولجلاله ترى العارفين به تعالى من هيبته خاشعين، ولجماله تراهم من حبِّه مولهين.

(والولي) أي: مالك الخلائق، ومتولِّي أمورهم، ....

لأنَّ سائر أسمائه وصفاته الواردة نتائج تلك الصفات.

قوله: (إذ هي ترجع للإرادة): أي: صفة الذَّات.

وقوله: (أو مع القدرة): أي: تعلُّقها، وهي صفة الفعل، فيقال في اللُّطف: هو إرادة الإحسان، أو هو نفس الإحسان، والحلم: هو إرادة ترك الانتقام، أو هو ترك الانتقام، وهكذا.

قوله: (من هيبته خاشعين): أي: خاضعين متذلِّلين من شهود هيبته تعالى.

قوله: (تراهم من حبِّه مولهين): أي: هائمين، فتحصَّل: أنَّ العارفين بربِّهم إذا تجلَّى عليهم بالجلال؛ خشعوا وخضعوا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ولو كانوا في أعزِّ النَّعيم، وإذا تجلَّى عليهم بالجمال؛ تولَّهوا وتهيَّموا وازدادوا فرحاً وسروراً و لو كانوا في ضيق الحال رضي الله عنهم وعنَّا بهم.

قوله: (ومتولِّي أمورهم): أي: متصرِّف فيها فلا يكلهم لغيره، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: (٢٥٧).

(٢) سورة الشورى: (٩).

(**والطَّاهر**) أي: المنزَّه عن كلِّ ما لا يليق به، (**القدُّوس**) من القدس، وهو الطُّهر؛ أي: العظيم التَّنزيه عن كلِّ نقص، (**والرَّبُّ**) أي: المالك ومربِّي الخلائق، (**العلي**) أي: المرتفع القدر، المبرَّأُ عن كلِّ عيب.

(**منزَّه**) أي: هو منزَّه ومطهَّر (**عن الحلول**) في الأمكنة، أو حلول السَّريان، كسريان الماء في العود الأخضر، (**والجهةِ**) لشيء، فلا يقال: إنَّه فوق الجرم ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، ولا خلفه ولا أمامه.

(**و**) منزَّه عن (**الاتِّصالِ**) في الذَّات، ....

قوله: (أي: العظيم التَّنزيه): من إضافة الصِّفة للموصوف؛ أي: التَّنزيه العظيم.

قوله: (ومربِّي الخلائق): أي: منمِّيهم شيئاً فشيئاً إلى الحدِّ الَّذي أراده.

قوله: (المبرَّأ عن كلِّ عيب): تفسير لما قبله.

قوله: (أي: هو منزَّه): أشار بذلك إلى أنَّ قوله: (منزَّه) خبر لمبتدأ محذوف.

قوله: (أو حلول السَّريان): أي: في الأشياء بحيث يسري في كلِّ جزء منها.

قوله: (الاتِّصال في الذَّات): أي: بأن يكون مركَّباً تتَّصل أجزاؤه ببعضها.

أو بالغير، وعن (**الانفصال**) فلا يقال: إنَّه متَّصل بالعالم ولا منفصل عنه؛ لأنَّ هذه الأمور من صفات الحوادث، والله ليس بحادث، وقد تقدَّم أنَّ العالَم وإن عظُم في نفسه فهو في جانب باهر قدرته كأنَّه ليس بشيء، فكيف يكون العلي الكبير الغني القدير حالّاً أو متّصلاً، أو منفصلاً في شيء حقير فقير، هو في نفسه عدم.

قال العارف ابن عطاء الله في «الحكم»: (أيا عَجَبا كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القِدَم؟) انتهى[1].

سبحانه قد دلَّت على وجوب وجوده آياتُه، وشهدت بوحدانيته مصنوعاتُه، ....

وقوله: (أو بالغير): أي: فليس متَّصلاً بالعالم بحيث يكون حالّاً أو سارياً فيه.

قوله: (كيف يظهر الوجود): أي: صاحب الوجود الواجب، وهو وجود الله تعالى.

وقوله: (في العدم): أي: في صاحبه، وهو ما سواه تعالى.

قوله: (أم كيف يثبت الحادث): أي: على سبيل الاتِّصال والانفصال، وهو ما سواه تعالى.

وقوله: (مع من له وصف القدم): أي: وهو الله تعالى.

قوله: (سبحانه قد دلَّت على وجوب وجوده.. .إلخ): هذا نتيجة ما

---

(١) الحكم العطائية (ص١٠٨).

واشتبه الأمر على أقوام وقوفاً مع الأمور العادية، وتمسُّكاً بظواهر نصوص شرعية، فقال قوم بالجهة، وقال آخرون بالجسميَّة، ويلزم منهما الحلول والاتِّصال أو الانفصال، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وأجاب أئمَّتُنا سَلَفُهم بأنَّ الله تعالى منزَّه عن صفات الحوادث، مع تفويض معاني هذه النُّصوص إليه تعالى، إيثاراً للطَّريق الأسلم، وما يعلم تأويله إلا الله، وخَلَفُهم بتعيين محامل صحيحة إبطالاً لمذهب الضَّالين، وإرشاداً للقاصرين، فحملوا اليدَ على القدرة، والوجهَ على الذَّات، ...

قبله؛ أي: وحيث علمت ممَّا تقدَّم اتِّصافه تعالى بتلك الصِّفات، فهو سبحانه قد دلَّت... إلخ، وفي الكلام حذف الواو مع ما عطفت؛ أي: وتنزيهه عن النَّقائص، وإنَّما قلنا ذلك؛ ليصحَّ ترتُّب قوله: (واشتبه الأمر...) إلخ عليه؛ لأنَّه لا يترتَّب إلَّا على التَّنزُّه على النَّقائص، فتدبَّر.

قوله: (واشتبه الأمر على أقوام): أي: وهم المعتزلة.

وقوله: (وقوفاً): علَّة لما قبله؛ أي: اختلط الأمر عليهم من أجل وقوفهم... إلخ.

وقوله: (وتمسُّكاً): عطف على (وقوفاً).

قوله: (بظواهر نصوص شرعيَّة) أي: والأخذ بالظَّواهر أصل من أصول الكفر.

قوله: (سلفهم): بدل من (أئمَّتنا)، وقوله فيما يأتي: (وخلفهم) عطف على (سلفهم)، والمراد بالسَّلف ما قبل الخمس مئة، ومنهم الأئمَّة الأربعة.

والاستواءَ على الاستيلاء ... .

قوله: (والاستواء على الاستيلاء): أي: لأنَّه أحد معنييه، ومنه قول الشَّاعر[(١)]: [من الرجز]

قد استوى بِشْرٌ على العراقِ مِن غير سيفٍ ودمٍ مهراقِ

وفي آخر «حكم ابن عطاء الله السَّكندريِّ»: (يا من استوى برحمانيَّته على عرشه، فصار العرش غيباً في رحمانيَّته، كما صارت العوالم غيباً في عرشه)[(٢)]، فهو يشير إلى أنَّ معنى الآية: أنَّ العرش وإن كان أكبر المخلوقات وكلُّها مغيَّبة فيه هو صغير بالنِّسبة لرحمة الله، ومغيَّب فيها كما غيِّبت العوالم فيه.

ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(٣)].

وسأل الزَّمخشريُّ أبا حامد الغزالي عن هذه الآية، فأجابه بقوله: إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفيَّة أو أينيَّة فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الرُّبوبيَّة بأين أو كيف، وهو مقدَّس عن الأين والكيف؟! ثمَّ جعل يقول[(٤)]:

[من الرمل]

---

(١) البيت للبعيث المجاشعي، ينظر «الأزمنة والأمكنة» (١/ ٣٦)، و «يتيمة الدهر» (٥/ ٢٧٦)، و«مرآة الجنان» (١/ ١١٩).

(٢) الحكم العطائية (ص١٥٠).

(٣) سورة الأعراف: (١٥٦).

(٤) اشتهرت هذه الأبيات عن الإمام الغزالي، وقيل: بل هي لابن غانم المقدسي، كما في كتابه «حل الرموز» (ص١١٣)، وكما نقلها الإمام الذهبي في كتابه «العرش» (٢/

=

....

قل لمن يفهم عنِّي ما أقولُ — قصر القول فذا شرحٌ يطولْ
ثَمَّ سرٌّ غامضٌ من دونه — ضُربت والله أعناقُ الفحولْ
أنت لا تعرف إيَّاك ولا — تدري مَنْ أنت ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ رُكِّبتْ — فيك حارتْ في خفاياها العقولْ
أين منكَ الرُّوحُ في جوهرها — هل تراها فترى كيف تجولْ
وكذا الأنفاسُ هل تحصرها — لا ولا تدري متى عنكَ تزولْ
أين منكَ العقلُ والفهمُ وإذا — غلب النَّومُ فقل لي يا جهولْ
أنت أَكْلُ الخبزِ لا تعرفه — كيف يجري منك أم كيف تبولْ
فإذا كانتْ طواياك الَّتي — بين جنبيك كذا فيها ضلولْ
كيف تدري مَنْ على العرش استوى — لا تقل كيفَ استوى كيف النُّزولْ
كيف يحكى الرَّبُّ أم كيف يرى — فلعمري ليس ذا إلَّا فضولْ
فهو لا أين ولا كيف له — وهو ربُّ الكيف والكيفُ يحولْ
وهو فوقَ الفوقِ لا فوقَ له — وهو في كلٍّ النَّواحي لا يزولْ
جلَّ ذاتاً وصفاتٍ وسما — وتعالى قدره عمَّا نقولْ

= ٣٠٣)، وذكرها الإمام السيوطي في رسالته «القول الأشبه» ضمن «الحاوي للفتاوي» (٢/ ٢٩٠) فقال: وفيه أقول: . . . فذكرها، وهي أيضاً في «الجوهرة المضيئة» لسيدي إبراهيم الدسوقي (ص٣٩٨)، والله أعلم.

وهكذا؛ نظراً إلى الطَّريق الأحكم، وذهاباً إلى أنَّ الوقف في الآية ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[١]، ومن ثَمَّ قيل: إنَّ طريق السَّلف أسلم، وطريق الخلف أعلم.

والحاصل: أنَّه لا بدَّ من تأويل - أي: حَمْل اللَّفظ على غير ظاهره - إلَّا أنَّ الخلف عيَّنوا المحامل، فتأويلهم تفصيليٌّ، وتأويلُ السَّلَف إجماليٌّ، فقول العلامة اللَّقاني: (وكلُّ نصّ أَوْهَم التَّشبيها أَوِّلْه) أي: تفصيلاً، وقوله: (أو فوِّضْ) أي: بأن تؤوِّله إجمالاً على معنى أنَّك لا تعيِّن له محملاً، بدليل قوله بعده: (ورُمْ تنزيها)[٢]،

قوله: (وهكذا): أي: فتؤوَّل الفوقيَّة في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[٣] بالتَّعالي في العظمة دون المكان، والنُّزول في حديث: «ينزل ربُّنا»[٤] بنزول رحمته، أو هو ملك ينادي، وكذا يقال في كلِّ موهم معنىً غير لائق ورد في كتاب أو سنَّة.

قوله: (إلَّا أنَّ الخلف عيَّنوا. . .إلخ): فارتكاب أحدهما كاف في العقيدة، والشَّخص مخيَّر في اتِّباع أيِّهما شاء؛ لأنَّهما متَّفقان على تنزيهه تعالى عن المعنى المحال، وعلى الإيمان بأنَّه من عند الله جاء به رسول الله، لكنَّهم اختلفوا في تعيين معنىً صحيح وعدم تعيينه.

---

(١) سورة آل عمران: (٧).

(٢) جوهرة التوحيد (ص١٧).

(٣) سورة النحل: (٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

و(أو) في كلامه رحمه الله للتخيير.

(و) منزَّه أيضاً عن (السَّفَهْ) وهو: وضع الشَّيء في غير محلِّه، إذ هو المدبِّر الحكيم، الخبير العليم، ولذا قال بعض أهل العرفان لمَّا شاهد من عجيب الإتقان: (ليس في الإمكان أبدع ممَّا كان).

قوله: (بعض أهل العرفان): هو حجَّة الإسلام الغزالي[1].

واستشكل قوله قديماً بأنَّه يوهم العجز، وهو عليه محال، تعالى الله عنه.

وأجيب عنه بأجوبة؛ منها: أنَّ المراد بالإمكان إمكان الخلائق، فالمعنى :ليس في إمكان الخلائق تغيير ما أراده الله وأبدعه، فالمنفيُّ تعلُّق قدرة الخلق.

ومنها: أنَّ المراد إمكان الله باعتبار تعلُّق علمه أزلاً بإيجاد هذا العالم على هذا النِّظام، وتعلُّق القدرة التَّنجيزيُّ لا يكون إلَّا على طبق ما سبق به العلم، وإلَّا لانقلب العلم جهلاً، فليس من الممكن إيجاد عالم غير هذا الموجود، وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾[2]، فباعتبار الجواز العقليِّ بقطع النَّظر عن تعلُّق العلم.

ومنها: أنَّ المراد ليس في الإمكان جعل الحادث قديماً؛ لعدم تعلُّق القدرة بذلك؛ لأنَّ الشَّيء إمَّا قديم أو حادث، فالحادث يستحيل خروجه

---

(١) إحياء علوم الدين (٨/ ٢٤٤).

(٢) سورة المعارج: (٤٠-٤١).

ثالثاً: صفات المعاني

ولمَّا فرغ من الكلام على الصِّفات السَّلبيَّة: شرع في بيان صفات المعاني، وقدَّمها لأنَّها من باب التَّخلية، والمعاني من باب التَّحلية، وشأنُ التَّخلية أن تُقدَّم على التَّحلية فقال:

(ثمَّ المعاني) أي: ثمَّ بعد أن عرفتَ ما تقدَّم من النَّفسيَّة والسَّلبيَّة،

عن وصف الحدوث إلى القدم،ولو زيد في إتقانه مهما زيد؛ لا يخرج عن وصف الحدوث والافتقار، وذكر شيخنا الأمير نقلاً عن ابن العربيِّ والشَّعرانيِّ ما يفيد ذلك[1].

قوله: (ولمَّا فرغ من الكلام على الصِّفات السَّلبيَّة): أي: بعد ذكر الصِّفة النَّفسيَّة الوجود.

قوله: (وقدَّمها لأنَّها من باب التَّخلية... إلخ): أي: واقتداء بالكتاب العزيز حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، حيث قدَّم النَّفي الَّذي هو من القسم الأوَّل على الإثبات الَّذي هو من القسم الثَّاني.

قوله: (ثمَّ المعاني): ثمَّ للتَّرتيب الذِّكريِّ الإخباريِّ لا للتَّرتيب في الزَّمان، إذ لا تأخير في الوجوب.

---

(١) حاشية الأمير على الإتحاف (ص١٤٥).

(٢) سورة الشورى: (١١).

فيجب عليك معرفة الصِّفات المسمَّاة بالمعاني؛ لأنَّ كلَّ واحدة منها معنىً قائم بذاته تعالى.

ومرادُهم بصفات المعاني الصِّفاتُ الوجوديَّة؛ أي: التي لها وجود في نفسها، قديمة كانت أو حادثة؛ كعلمه وقدرته تعالى، وكعلمنا وقدرتنا، والبياض والسَّواد.

والحاصل: أنَّ الصِّفات إن كانت وجوديَّة سُمِّيت صفات معانٍ، وإن لم تكن وجوديَّة، فإن كان مدلولُها عدمَ أمر لا يليق سُمِّيت سلبيَّة،

قوله: (المسمَّاة بالمعاني): أي: في اصطلاح المتكلِّمين، وتسمَّى أيضاً بالصِّفات الذَّاتيَّة؛ لأنَّها لا تنفكُّ عن الذَّات والوجوديَّة؛ لأنَّها متحقِّقة باعتبار نفسها.

وهي في **اللُّغة**: ما قابل الذَّات، فيشمل النَّفسيَّة والسَّلبيَّة والمعنويَّة، وفي **الاصطلاح**: كلُّ صفة قائمة بموصوف زائدة على الذَّات، موجبة له حكماً، فخرج بقولنا: (قائمة بموصوف) السَّلبيَّة، وبقولنا: (زائدة على الذَّات) النَّفسيَّة؛ لأنَّها عين الذَّات، وبقولنا: (موجبة له حكماً) المعنويَّة؛ لأنَّها نفسها حكم، وعلى القول بأنَّها أمور اعتباريَّة، فقد خرجت بقولنا: (قائمة بموصوف)، وهذا التَّعريف للمعاني من حيث هي كانت لقديم أو حادث، وحينئذ فالفرق بين صفات القديم والحادث أنَّ صفات القديم قديمة، ولا تسمَّى أعراضاً، وصفات الحادث حادثة وتسمَّى أعراضاً.

قوله: (صفات معان): الإضافة للبيان.

قوله: (سلبيَّة): ليس المراد بكونها سلبيَّة أنَّها مسلوبة عن الله ومنفية

وإن لم يكن مدلولُها عَدَماً، فإن كانت واجبة للذَّات ما دامت الذَّات غيرَ معلَّلة بعلَّة سُمِّيت صفة نفسيَّة وحالاً نفسيَّة؛ كالوجود ....

عنه، وإلَّا لزم أن يثبت له الحدوث وطروُّ العدم والمماثلة للحوادث مثلاً، بل المراد بكونها سلبيَّة أنَّ كلَّ واحدة منها سلبت أمراً لا يليق به جلَّ وعزَّ.

قوله: (فإن كانت واجبة للذَّات): أي: ثابتة لها على طريق الوجوب، بحيث لا يمكن انفكاكها عن الذَّات، ولمَّا كان هذا يوهم القصر على النَّفسيَّة القديمة وعدم شموله للنَّفسيَّة الحادثة؛ أتي بقوله: (ما دامت الذَّات) دفعاً لذلك الإبهام، والمراد بالذَّات مطلق الشَّيء، سواء كان قائماً بنفسه؛ كالجوهر، أو قائماً بغيره؛ كالعرض، ألا ترى أنَّ اللَّون عرض قائم بغيره ومع ذلك له صفة نفسيَّة لا يمكن انفكاكها عنه ما دام موجوداً، وهي قيامه بالغير.

قوله: (ما دامت الذَّات): (ما) مصدريَّة ظرفيَّة معمولة لقوله: (واجبة للذَّات)، ودام تامَّة لا خبر لها؛ أي: مدَّة دوام الذَّات، وفيه إشارة إلى أنَّ الأمر النَّفسيَّ لا يتخلَّف عن الذَّات الَّتي ذلك الأمر نفسيٌّ لها.

قوله: (غير معلَّلة بعلَّة): ليس خبراً لـ(دام)، لما علمت أنَّها تامَّة لا خبر لها، بل هو حال من الضَّمير في (واجبة)، ولا يصحُّ أن تكون ناقصة، (وغير معلَّلة) خبرها؛ لأنَّ الذَّات لا تعلَّل؛ أي: لا تلزم غيرها، فالمراد بالتَّعليل التَّلازم، وليس المراد به التَّأثير في المعلول إذ لا يقول به أهل السُّنَّة.

وكالتَّحيُّز للجرم وقبوله للأعراض، وإن كانت معلَّلة بعلَّة بأن كانت واجبةً للذَّات ما دامت علَّتُها سمِّيت معنوية؛ كالعالمية والقادرية؛ أي: كون الذَّات المتَّصفة بالعلم عالمة، وكونُ الذَّات المتَّصفة بالقدرة قادرة، نسبة إلى المعاني، وهي (سبعة للرَّائي) أي: النّاظر المتأمِّل، ثمَّ فسَّرها بقوله:

العلم

(**أي: عِلْمُه**) وما عطف عليه (**المحيطُ بالأشياء**) كلِّها، واجبِها وجائزِها ومستحيلها، فليس مراده بالأشياء الموجودات فقط كما هو المتعارف عندهم.

قوله: (وكالتَّحيُّز للجرم): المراد بالجرم ما قام بذاته، سواء كان جسماً أو جوهراً فرداً، والمراد بتحيُّزه أخذه قدراً من الفراغ، وفي تمثيل الشَّارح بالتَّحيُّز إشارة لما قلناه من أنَّ هذا في الصِّفة النَّفسيَّة مطلقاً قديمة وحادثة.

قوله: (أي: كون الذَّات المتَّصفة بالعلم عالمة): أي: فتكون الذَّات عالمة معلَّلة بالعلم؛ أي: ملازمة له، فالمراد بالعلَّة الملزوم، والمراد بالمعلول اللَّازم.

قوله: (نسبة إلى المعاني): مرتبط بقوله: (سمِّيت معنويَّة).

قوله: (وما عطف عليه): دفع به ما يقال: إنَّ العلم وحده ليس تفسيراً للمعاني كلِّها.

قوله: (واجبها وجائزها ومستحيلها): جواب عن سؤال مقدَّر، تقديره: الشَّيء هو الموجود، فيقتضي قصر تعلُّق العلم على الموجودات، مع أنَّه يتعلَّق بالمعدومات أيضاً.

وهو: صفة أزليّة ينكشف بها الموجودات والمعدومات ....

فأجاب: بأنّه ليس المراد بالشّيء المصطلح عليه، بل المراد به الأمر الصّادق بالموجود والمعدوم.

قوله: (صفة أزليّة... إلخ): اعلم: أنّ النّاس اختلفوا في العلم هل يحدُّ أو لا؟ فقال بعضهم: إنّه لا يحدُّ؛ لظهوره أنّه كاشف لغيره، فهو غنيٌّ عن أن يظهره غيره، ولعسره إذ لم يُحدّ بحدٍّ إلّا نوزع فيه، والقائلون بحدّه لهم فيه تعاريف كثيرة وأكثرها مدخول، وأصحّها قولنا: هو صفة أزليّة قائمة بذاته تعالى تتعلّق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلّق إحاطة وانكشاف.

قوله: (ينكشف): المراد بالانكشاف التّمييز والاتّضاح.

إن قلت: التّعبير بـ(ينكشف) يوهم حدوث الانكشاف؛ لأنّ المضارع يدلّ على الحال والاستقبال، وهو لا يناسب علم الله تعالى.

أجيب: بأنّ الأفعال الواقعة في التّعاريف مجرّدة عن الزّمان، ولا دلالة لها عليه، فكأنّه قيل: صفة يحصل بها انكشاف ما تعلّقت به، كذا قيل.

وأنت خبير بأنّ الفعل وإن كان الملاحظ منه المصدر وهو الانكشاف، إلّا أنّ التّعبير بالانكشاف هنا غير لائق من جهة أنّه انفعال يوهم حدوث إيضاح بعد خفاء.

قوله: (الموجودات والمعدومات): دخل فيه العلم نفسه، فيعلم بعلمه علمه، كما يعلم به ذاته وسائر صفاته؛ لأنّ كلّ صفة ليست من صفات

على ما هي عليه انكشافاً لا يحتمل النَّقيض بوجه.

الحياة

و(حياته) تعالى، وهي: صفة أزليَّة توجب صِحَّة العلم والإرادة.

القدرة

(وقدرة) وهي: صفة أزليَّة ....

التأثير لا يستحيل تعلُّقها بنفسها وبغيرها.

قوله: (لا يحتمل النَّقيض بوجه): أي: لا بحسب الذِّهن ولا بحسب الخارج عند العالم، أمَّا عند غيره فلا، إذ كثيراً ما يعلم الإنسان شيئاً ويتردَّد فيه غيره أو ينفيه.

قوله: (أزليَّة): خرجت الحادثة.

وقوله: (توجب صحَّة العلم والإرادة): أي: وباقي صفات المعاني والمعنويَّة، وذلك بأن تقول: الله متَّصف بالصِّفات المعاني والمعنويَّة، وكلُّ من كان كذلك تجب له الحياة، ينتج: الله يجب له الحياة، إذ لا يتصوَّر قيامها بغير حيٍّ، وحياة الله لا بروح؛ بخلاف حياة الحادث فإنَّها بالرُّوح.

قوله: (وقدرة): هي لغة: القوَّة، واصطلاحاً: ما قاله الشَّارح.

قوله: (أزليَّة): لم يقل قديمة، إمَّا بناء على أنَّ القديم والأزليَّ مترادفان، أو على أنَّ الأزليَّ أعمُّ من القديم؛ لأنَّه يشمل الذَّات والصِّفات، والمعدوم والموجود، وتخصيص القديم بالذَّات الواجب الوجود.

يتأتَّى بها إيجادُ الممكن وإعدامه.

الإرادة

و(إرادة) وهي: صفة أزليَّة ....

قوله: (يتأتَّى بها إيجاد الممكن[١]): دخل فيه أفعالنا الاختياريَّة، ففيه ردٌّ على المعتزلة القائلين: بأنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختياريَّة.

وقوله: (وإعدامه): هذا هو المشهور، وقيل: لا تتعلَّق بالإعدام، بل إذا أراد الله إعدام شيء أمسك عنه المدد، والتَّعاريف في صفات الباري جلَّ وعلا ليست حدوداً حقيقيَّة وإنَّما هي رسوم؛ لأنَّه لا يعلم كنه ذاته وصفاته إلَّا هو.

واعلم: أنَّ أعدامنا الأزليَّة لا تتعلَّق بها القدرة ولا الإرادة اتِّفاقاً لوجوبها، وأمَّا أعدامنا فيما لا يزال السَّابقة على وجودنا، ووجودنا بعد عدمنا، واستمرار وجودنا وأعدامنا بعد وجودنا، وإيجادنا يوم القيامة فمن تعلُّقات القدرة والإرادة.

قوله: (وإرادة): هي **لغة**: القصد، **واصطلاحاً**: ما قاله الشَّارح، وهذا مذهب **أهل السُّنَّة**، وعند **الجبائيِّ**: هي صفة زائدة على الذَّات قائمة لا بمحلٍّ، وعند **الكراميَّة**: صفة حادثة قائمة بالذَّات، وعند **ضرار**: نفس الذَّات، وعند **النَّجَّار**: صفة سلبيَّة هي كون الفاعل ليس بمكره ولا ساه، **والحقُّ**: مذهب أهل السُّنَّة الَّذي ذكره الشَّارح.

---

(١) في المطبوع: (كل ممكن).

تُخصِّص الممكنَ ببعض ما يجوز عليه، من وجود أو عَدَم، ومِقدار وزمان، ومكان وجِهَة.

إذ لو لم يتَّصف بواحدة من هذه الصِّفات الأربعة لاتَّصفَ بأضدادها، من جهل وموت وعَجْز وعَدَم قصد إلى شيء، والمتَّصفُ بأضدادها لا يمكنه أن يَخلُق شيئاً من العالم البديع الإتقان، كيف والعالَمُ موجود على أتمّ النِّظام؟ وسيأتي لهذا مزيد بيان.

بيان أن الإرادة تغاير الأمر

ثم ذكر مسألة تتعلَّق بالإرادة، وقع فيها النِّزاع بيننا وبين المعتزلة بقوله:

قوله: (تخصِّص الممكن): خرج به ما عداها من الصِّفات.

قوله: (من وجود أو عدم): بيان لبعض ما يجوز عليه قصد به تعداد الممكنات المتقابلات، وهي ستَّة جمعها بعضهم بقوله[1]: [من الرجز]

الممكنات المتقابلات وجودنا والعدم الصِّفات
أزمنة أمكنة جهات كذا المقادير روى الثِّقات

وقد أسقط الشَّارح سادسها وهو الصِّفة.

قوله: (إذ لو لم يتَّصف... إلخ): شروع في الاستدلال على ثبوت هذه الأربعة؛ لأنَّ دليلها عقليٌّ؛ لتوقُّف صنع العالم عليها، بخلاف باقي الصِّفات الثَّلاثة، فدليلها سمعيٌّ.

---

(١) عزاها العلامة العارف بالله السيد محمد الهاشمي في «مفتاح الجنة» (ص ١٠٨) إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن قاسم القيسي المشهور بالقصار الفاسي المتوفى سنة (١٠١٢هـ).

(**وكلُّ شيءٍ كائنٍ**) أي: موجود من الجواهر والأعراض، وهذا مبتدأ، وجملة قولِه: (**أراده**) أي: أراد وجوده، خبرُه.

فلا يقع في ملكه تعالى إلا ما يريد، وهذا إذا كان الكائن قد أمر الله به؛ كإيمان أبي بكر رضي الله عنه، وكذا إيمان بقيَّة المؤمنين، بل (**وإنْ يكُنْ بضِدِّه**)، أي: بضدّ ذلك الكائن (**قد أَمَرَا**) - بألف الإطلاق - والضمير يعود عليه تعالى؛ أي: وإن كان ذلك الكائن قد أمر الله تعالى بضدِّه؛ ككفر أبي جهل لعنه الله، وكذا كفر بقيَّة الكافرين، فإنَّه كائن وقد أمر الله بضدِّه؛ وهو الإيمان، ونهى عنه ومع ذلك هو مرادٌ له تعالى بدليل وقوعه.

والحاصل: أنَّ كلَّ كائن؛ أي: واقع، فهو مراد له تعالى، سواء أمر به أو لا، ومفهومُه: أنَّ ما لم يكن فهو غير مراد الوقوع، سواء أمر به؛ كالإيمان من أبي جهل، أو لم يأمر به؛ كالكفر من المؤمنين، فالأقسام أربعة كما يأتي.

قوله: (وهذا مبتدأ): أي: لفظ (كل) و(شيء) مضاف إليه، و(كائن) صفته.

قوله: (وهذا وإذا كان الكائن. . .إلخ): دخول على كلام المتن؛ إشارة إلى أنَّ قوله: (وإن يكن. . . إلخ) مبالغة في محذوف.

قوله: (بألف الإطلاق): أي: وليست للتَّثنية.

وإذا عرفت ذلك (**فالقَصْدُ**) يعني: الإرادة، (**غيرُ الأمرِ**) بالشَّيء، بل ولا يستلزمه، كما أنه لا يستلزمها، لما علمتَ أنَّهما قد يجتمعان في شيء كإيمان أبي بكر، وقد ينفردان، وذلك لأن الإرادة صفة تخصِّص الممكن ببعض ما يجوز عليه، والأمر يرجع للكلام النفسي كالنهي.

(**فاطرحِ**) أي: اترك، (**المِرَا**) وهو: الجدال والنِّزاع الباطل من المعتزلة الذَّاهبين إلى أنَّه تعالى يقع في ملكه ما لا يريد، بناء على اتِّحاد الإرادة والأمر، وهو تعالى لا يأمر بالفحشاء، فلا يريد القبائح كالكفر والمعاصي، وإلا لزم أنَّه يأمر بها، وهو باطل، وحينئذٍ فهو تعالى لم يرد من الفاسق إلا إيمانه وطاعته لا كفره ومعصيته.

قالوا: ولأنَّ إرادة القبائح قبيحة كخَلْقه وإيجاده، فعندهم أكثر ما يقع من أفعال العباد ليس بإرادة الله ولا بخَلْقِه وإيجادِه، وإنَّما هو بمراد العبد وإيجاده؛ وهو شنيع.

قوله: (لمَّا علمت أنَّهما قد يجتمعان في شيء): أي: فبينهما عموم وخصوص من وجه يجتمعان في مادَّة، وينفرد كلٌّ واحد في مادَّة.

قوله: (كإيمان أبي بكر): أي: وسائر المؤمنين.

قوله: (بناء على اتِّحاد الإرادة والأمر): هذا قول بعض المعتزلة، وقال بعضهم: إنَّهما غيران، إلَّا أنَّ تعلُّق الإرادة تابع للأمر.

قوله: (وحينئذ فهو تعالى. . .إلخ): هذا من جملة كلام المعتزلة.

قوله: (وهو شنيع): أي: لأنَّه يلزم وقوع شيء في الكائنات قهراً عليه، فيلزمه إثبات العجز، تعالى الله عن ذلك.

هذا، ونحن نمنع اتِّحاد الإرادة والأمر بدليل «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»، والقبيحُ إنَّما هو كسب القبائح والاتصافُ بها لا خَلْقُها وإرادتُها، وبالجملة: ما ذهبوا إليه يشهد بفساده العقل والنقل.

(فقد عَلِمْتَ) من قولنا: (وكل شيء كائن أراده. . . إلخ) منطوقاً ومفهوماً، (أربعاً أقساماً) عطف بيان لأربع (في الكائنات) جمع كائنة؛ أي: ذات كائنة.

القسم الأول: مأمور به ومراد؛ كإيمان أبي بكر؛ الثاني: عكسه؛ كالكفر منه، **الثالث**: مأمور غير مراد؛ كالإيمان من أبي جهل، **الرابع**: عكسه ككفره.

(فاحفَظْ) هذا (المقاما) فإنَّه قد زلّت فيه أقدام المعتزلة، ومعرفتُه واعتقادُه على الوجه المتقدِّم هو مذهب أهل السُّنَّة من سَلَف الأمة وخَلَفِهم.

قوله: (بدليل: «ما شاء الله كان. . .» إلخ): هذا لفظ حديث ورد عن رسول الله ﷺ[1].

قوله: (منطوقاً): أي: وهو أنَّ ما شاءه وقع وإن لم يأمر به.

وقوله: (ومفهوماً): أي: وهو أنَّ ما لم يشأه لم يقع وإن أمر به.

قوله: (مأمور به ومراد. . .إلخ): عدل الشَّارح رضي الله عنه عن التَّقسيم

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٧٥٦) عن بنت من بنات النبي ﷺ.

الكلام

وخامس صفات المعاني (كلامُه) تعالى، وهو: صفة أزليَّة نفسية، ليست بحرف ولا صوت، تدلُّ على جميع المعلومات.

المشهور، وهو قولهم: (فقد يأمر ويريد. .إلخ)؛ لما فيه من التَّجوُّز؛ فإنَّ التَّقسيم للمتعلِّق وهو المأمور به والمراد، لا للأمر والإرادة.

قوله: (نفسيَّة): أي: قائمة بالنَّفس؛ أي: الذَّات، وعبَّر عنها بـ(نفسيَّة) دون سائر الصِّفات؛ ردّاً على المعتزلة القائلين: ليس لله كلام نفسيٌّ، بل معنى كونه متكلِّماً خلق الكلام.

قوله: (ليست بحرف ولا صوت): الحرف أخصُّ من الصَّوت، ولمَّا كان لا يلزم من نفي الأخصِّ نفي الأعمِّ؛ ذكر الأعمَّ بعده، وإنَّما كان الصَّوت أعمَّ من الحرف؛ لأنَّ الكيفيَّة الحاصلة عند انضغاط الهواء وانحباسه بشيء صوت، سواء انحبس في مخرج من مخارج الحروف، ويقال له: حرف وصوت، أو في غير ذلك، ويقال للكيفيَّة الحاصلة حينئذ: صوت فقط.

واعلم: أنَّ كلام الله تعالى يطلق بالاشتراك على الحسِّيِّ والنَّفسيِّ، الَّذي هو الصِّفة القديمة، فهو حقيقة عرفيَّة في كلٍّ، فالحسِّيُّ: ما كان بحرف وصوت، ومدلوله بعض مدلول الكلام النَّفسيِّ القديم القائم بذاته تعالى، والنَّفسيُّ: ما ليس بحرف ولا صوت، ولا يوصف بتقديم ولا تأخير، ولا تقسيم ولا بداية ولا نهاية، وهو قديم ليس بمخلوق، فالكتب السَّماويَّة دالَّة على بعض مدلول الكلام النَّفسيِّ، ولا يحيط بكلِّ مدلوله إلَّا هو؛ لأنَّ مدلول الكلام النَّفسيِّ الواجبات والمستحيلات والجائزات تفصيلاً.

....

وأمَّا الكتب السَّماويَّة: فقد دلَّت على بعض الواجبات تفصيلاً، وكلُّ الواجبات إجمالاً وكذا المستحيلات والجائزات، وتكليم الله لموسى على الجبل كان بالكلام النَّفسيِّ على التَّحقيق عند الأشاعرة وبعض الماتريديَّة، خلافاً للمعتزلة والبعض الآخر من الماتريديَّة، فتقسيم الكلام إلى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد إنَّما هو لتلك المدلولات الَّتي دلَّ عليها الكلام الحسِّيُّ.

وأما الصِّفة القديمة: فيستحيل انقسامها كما علمت.

أخرج الطَّبرانيُّ عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس قال: (أوحى الله إلى موسى عليه السلام: إنِّي جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتَّى سمعت كلامي، وعشرة آلاف لسان حتَّى أجبتني)[(١)].

وأخرج القضاعيُّ: «**أنَّ الله ناجى موسى بمئة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة**»[(٢)]، فأشرق وجهه بالنُّور لمَّا جاء من عند ربِّه؛ ليعرف النَّاس صدق ما ادَّعاه، فما رآه أحد إلَّا عمي، فكان يمسح الرَّائي إليه وجهه بثوب ممَّا عليه فيردُّ الله عليه بصره، فتبرقع؛ لئلَّا تذهب أبصار النَّاس عند رؤيته، وبقي البرقع على وجهه إلى أن مات، وكان يسدُّ أذنيه بعد رجوعه من المناجاة مدَّة؛ لئلَّا يسمع كلام النَّاس فيموت من وحشة قبحه، وصار

---

(١) أخرجه القشيري في «رسالته» (٢/ ٥١٩).

(٢) مسند الشهاب (١٤٥٨).

....

يسمع دبيب النَّملة السَّوداء في اللَّيلة الظَّلماء من مسيرة عشرة فراسخ.

وقال سيِّدي علي الخواص: (نشأة أهل الجنَّة مخالفة لنشأة أهل الدُّنيا الَّتي نحن عليه صورة ومعنىً، كما أشار إليه حديث: «**إنَّ في الجنَّة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ**»[1]، فيبصر الإنسان في الجنَّة بسائر جسده، ويسمع كذلك، ويأكل كذلك، ويشمُّ كذلك، وينطق كذلك، ويدرك كذلك، وهذا القدر القليل من أحوال الجنَّة يبعده عقل من يسمع ذلك، فكيف بغير القليل مما هو أعظم من ذلك؟

قال: ولم أر أحداً تكلَّم على ما ذكرته غير سيِّدي عمر ابن الفارض في «تائيته») انتهى ملخَّصاً من «السُّحيميِّ على الشَّيخ عبد السَّلام»[2].

أي: حيث قال[3]: [من الطويل]

يشاهد منِّي حسنها كلَّ ذرَّةٍ ... بها كلُّ طرفٍ جال في كلِّ طرفةِ

ويثني عليها في كلِّ لطيفة ... بكلِّ لسان جال في كلِّ لفظةِ

وأنشق رياها بكلِّ رقيقة ... بها كلُّ أنف ناشق كل هبةِ

ويسمع منِّي لفظها كلَّ بضعةٍ ... بها كلُّ سمع سامع متنصِّتِ

ويلثم منِّي كلُّ جزء لثامها ... بكلِّ فمٍ في لثمه كلُّ قبلةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤/ ٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٦١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حاشية السحيمي (ق ٢/ ٢١٦).

(٣) ديوان ابن الفارض (ص٨٢).

السمع والبصر

(و) سادسها (السَّمعُ، و) سابعها (الإبصارُ)، يعني: البصر، فقد أطلق اسم المسبَّب وأراد السَّبب مجازاً، يدلُّ على مراده أنَّ الكلام في المعاني، وكذا ما يأتي في التعلُّق، ولو قال: ثمَّ البصر.. لكان أوضح.

والسَّمعُ والبصرُ: صفتان أزليَّتان ينكشف بهما جميع الموجودات

فإذا علمت ذلك؛ فلا يستغرب قول العلماء: إنَّ موسى سمع الكلام بجميع أجزائه من جميع جهاته.

قوله: (الإبصار): بكسر الهمزة، مصدر أبصر.

قوله: (فقد أطلق اسم المسبَّب): مفرعً على قوله: (يعني).

قوله: (يدلُّ على مراده): أي: الَّذي هو البصر.

وقوله: (أنَّ الكلام في المعاني): أي: في صفات المعاني القائمة بالذَّات الوجوديَّة.

قوله: (ولو قال: ثمَّ البصر.. لكان أوضح): أي: مع تغيِّر تركيب البيت، وإلَّا ضاع الوزن.

قوله: (جميع الموجودات): أي: عند السَّنوسيِّ[1] والأشعريِّ، فلا يخصُّ البصر بالمبصرات، والسَّمع بالمسموعات، خلافاً للسَّعد[2].

---

(١) أم البراهين (ص٥٦).

(٢) ينظر «شرح العقائد النسفية» (ص٨٥).

انكشافاً تاماً.

والانكشاف بهما يغاير الانكشاف بالعلم، كما أنَّ الانكشاف بإحداهما يغاير الانكشاف بالأخرى.

ثمَّ فرَّع على صفات المعاني في الجملة، إذ التفريع إنَّما يظهر ...

قوله: (يغاير): أي: في الحقيقة ونفس الأمر وإن كنَّا لا نطَّلع على ذلك، وبهذا اندفع ما أورد أنَّ العلم والسَّمع والبصر متعلِّقات بكلِّ موجود، فيلزم إمَّا تحصيل الحاصل إن كان ما تعلَّق به أحدها تعلَّق به الباقي، أو خفاء بعض المعلومات عن العلم إن كان ما تعلَّق به السَّمع والبصر لم يتعلَّق به العلم، وكلا الأمرين محال.

ودليل هذه الصِّفات الثَّلاثة نقليٌّ من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والتَّواتر، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[١]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٢].

وأجمع أهل الأديان والعقلاء على أنَّه تعالى سميع بصير متكلِّم، والمشتقُّ يدلُّ على المشتقِّ منه، خلافاً للمعتزلة النَّافين للمعاني، حيث قالوا: سميع بذاته... وهكذا، وإنَّما كانت أدلَّة هذه الثَّلاثة نقليَّة؛ لأنَّ إيجاد العالم ليس متوقِّفاً عليها؛ لأنَّ صفة العلم مغنية، فإن كان الغرض أنَّ علمه محيط بحقائق الواجبات والجائزات والمستحيلات، على ما هي عليه تفصيلاً في كلِّ جزئيَّة؛ فهو غنيٌّ عن المؤكِّد.

---

(١) سورة النساء: (١٦٤).

(٢) سوة الشورى: (١١).

على الأربعة الأُوَل، ....

إن قلت: إنَّه يمكن أن يكون دليلها عقليّاً، وتقديره أن تقول: لو لم يتَّصف بها؛ لاتَّصف بضدِّها، وهو نقص، والنَّقص عليه محال.

أجيب: بأن النَّقص مشاهد في الحوادث، ولا يقاس القديم على الحادث؛ لأنَّ كمال الحادث لا يلزم أن يكون كمالاً في حقِّ الله، ألا ترى الزَّوجة والولد فإنَّهما كمال في حقِّ الحادث، مستحيل في حقِّ الله، فضعف الدَّليل العقليُّ.

إن قلت: في الاستدلال بالنَّقل على صفة الكلام دور، وذلك لأنَّها لا تثبت إلَّا إذا ثبت صدق الرَّسول، ولا يثبت صدقه إلَّا بالمعجزة، وهي لا تثبت إلَّا إذا ثبت كون الباري متكلِّماً؛ لأنَّ المعجزة تنزل منزلة قول الله: (صدق عبدي في كلِّ ما يبلِّغ عنِّي)، وكونه متكلِّماً يتوقَّف على إثبات الكلام له بالدَّليل الشَّرعيِّ.

أجيب: بأنَّ الجهة منفكَّة، وذلك لأنَّ معنى تنزيل المعجزة مَنْزِلة قول الله. . . إلخ، أنَّها تدلُّ على ما يدلُّ عليه القول من صدق الآتي بها، وليس معناه أنَّ فاعلها تكلَّم بتصديق من ظهرت على يديه، وهذا كما تقول: الإشارة تدلُّ وضعاً على ما يدلُّ عليه الكلام، وهل المشير المتكلِّم، أو أخرس؟ محتمل وليس في الإشارة ما يدلُّ على شيء منها، والكلام المستدلُّ عليه هو النَّفسيُّ لا اللَّفظيُّ.

قوله: (على الأربعة الأول): أي: الَّتي هي العلم والحياة والقدرة والإرادة.

قوله: **(فهو الإله)** أي: المعبود بحق، **(الفاعلُ المختارُ)** أي: الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[1]، لا أنَّه فاعل بالطَّبع أو بالعِلَّة، خلافاً للفلاسفة الملعونين، ولذا قالوا بِقدَم العالم؛ لأنَّه يلزم من قِدَم العِلَّة قِدَمُ المعلول، ونفوا عن الله تعالى صفاته الذاتية، وهو مذهب باطل وكفر صراح.

وممَّا يدلُّ على بطلانه تنوُّعُ العالم إلى أنواع مختلفة، فبعضه جماد، وبعضه حيوان، وبعضه ظلماني، وبعضه نوراني، وبعضه حلو، وبعضه مرّ، إلى غير ذلك، كما أشار له الكتاب العزيز في كثير من الآي، قال تعالى ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]، فهذا يشير إلى أنَّ هؤلاء الخاسرين ليسوا بعقلاء، إذ فِعلُ العلَّة والطَّبيعة ليس إلا شيئاً واحداً غير مختلف، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[3]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[4] ولكن من يضلل الله فما له من هاد.

وممَّا بنَوْه على مذهبهم عدم المعاد الجسماني، وقد زخرفوا مذاهبهم بشُبَه ظنِّيَّة خيالية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا

---

(١) سورة القصص: (٦٨).

(٢) سورة الرعد: (٤).

(٣) سورة الغاشية: (١٧-٢٠).

(٤) سورة ق: (٦-٧).

جاءه لم يجده شيئاً، فضَلُّوا وأضلّوا حتى ظنَّ كثير من النَّاس أنَّ هذه الزَّخارف علم، بل فَضَّلوا المتمسِّكين بها على علماء الشَّريعة، كلا سوف يعلمون، ثمَّ كلا سوف يعلمون.

واعلم: أنَّ من اشتغل بعلم الفلاسفة قلَّ أن تنجو عقيدته من ظلمة، أقلُّها كثرة التشكيك والوسوسة التي تجرُّه إلى الابتداع أو إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، فالحذر من الاشتغال بخرافاتهم، على أنَّ المطلوب من العبد إنَّما هو عبادة الله، اعتقاداً وعملاً؛ لينجو من النار في الآخرة.

والعلمُ من حيث إنه علم لا ينجي من عذاب الله ما لم يعمل به، والعبادة المطلوبة شرطُ صحَّتِها العلمُ، فينبغي للعاقل أن يقتصر من العلم على ما به العملُ، وهو العلم الشَّرعي، وهو ثلاثة أنواع: علم أصول الدِّين، وعلم الفقه، وعلم التفسير، وما يتَّصل بذلك من آلاتها؛ كعلم النحو والمعاني والبيان، بخلاف علوم الفلاسفة؛ فإنَّها باطلة إن سَلِم صاحبُها من الضَّلال، وإلَّا فهي عين الوبال.

قوله: (عدم المعاد الجسمانيِّ): أي: فهم يقولون: إنَّ أصول العالم القديمة لا تنعدم، وفروعه تنعدم ولا تعود.

قوله: (بل فضَّلوا): إضراب عمَّا قبله، قصد به التَّرقي في الرَّدِّ عليهم.

قوله: (كلَّا سوف يعلمون): كلَّا: ردع وزجر، وفيه تعريض لهم بوعيد التَّكاثر.

قوله: (وعلم التَّفسير): أي: للقرآن والحديث، فدخل علم الحديث

نعم؛ علم الطِّبِّ وما يوصل إلى معرفة الوقت والجهات من علم النُّجوم فذلك جائز، على أنَّا لا نسلّم أن هذا من علم الفلاسفة، بل هو من الشَّرعيِّ، بدليل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾[1]، والإذن بالطِّبِّ مشهور في السُّنَّة.

واعلم: أنَّ هذه الصِّفات السَّبع هي المتَّفق عليها بين القوم، فلذا اقتصرت عليها، ولم أزد ما زاد بعضهم من صفة الإدراك، ولأنَّ الحقَّ فيها الوقفُ، ولم أذكر الصفات المعنوية اللازمة للسبع المعاني، وهي

بهذا المعنى.

قوله: (نعم؛ علم الطِّبِّ. . .إلخ): استدراك على ما ذكره من أنَّ الاشتغال بعلم الفلاسفة بطالة.

قوله: (على أنَّا لا نسلِّم. . .إلخ): ترق في الاستدراك.

قوله: (من صفة الإدراك): ظاهره أنَّها صفة واحدة، وهو أحد قولين، وعليه فقيل: متعلِّقة بالموجودات، وقيل: بالمشمومات والملموسات والمذوقات، والآخر أنَّها إدراكات ثلاثة كلٌّ واحد متعلِّق بشيء خاص، فعلى أنَّه يتعلَّق بالموجودات يكون كالسَّمع والبصر، له ثلاث تعلُّقات، ولا يعلم المغايرة بينها إلَّا هو تعالى، وعلى تعلُّقه بالأمور الثَّلاثة سواء قلنا: إنَّه واحد أو متعدِّد؛ فله تعلُّقان: صلوحيٌّ قديم، وتنجيزيٌّ حادث، فتدبَّر.

قوله: (ولأنَّ الحقَّ الوقف): الأظهر حذف الواو وجعله علَّة لعدم

---

(١) سورة الأنعام: (٩٧).

كونه تعالى عالماً، وكونه حياً، وكونه تعالى قادراً. . . إلخ؛ لأنَّ الحقَّ ما ذهب إليه إمامنا إمامُ أهل السُّنَّة أبو الحسن الأشعري رضي الله تعالى عنه من أنَّها ليست زائدة على المعاني، بل هي عبارة عن قيام المعاني بالذَّات، لا أنّ لها ثبوتاً في الخارج عن الذِّهن، بناء على نفي الحال، وأنَّه لا واسطة بين الموجود والمعدوم.

الزيادة، وإنَّما كان الحقُّ الوقف؛ لأنَّ دليل الصِّفات الثَّلاثة نقليٌّ، ولم يرد سمع بإثباتها، وهذا أحد أقوال ثلاثة هو أصحُّها.

والثَّاني: إثباتها بناء على أنَّ إثبات الصِّفات الثَّلاثة بالدَّليل العقليِّ، وهي من جملة الكمالات.

والثَّالث: نفيها بناء على أنَّ إثباتها بالدَّليل السَّمعيِّ، ولم يرد في الإدراك نصٌّ، وأيضاً إثباتها بدون نقل يوهم النَّقص؛ لأنَّ الشَّمَّ والذَّوق واللَّمس تفيد التَّكيُّف والاتِّصال، وهو محال عليه تعالى.

قوله: (لا أنَّ لها ثبوتاً في الخارج): أي: بحيث تكون قائمة بالذَّات، فلا ينافي أنَّ هذا الأمر اعتباريٌّ متحقِّق في نفسه، بقطع النَّظر عن اعتبار المعتبر، فالقدرة مثلاً: صفة قائمة بالذَّات وجوديَّة يصحُّ أن ترى، وكونه قادراً على غير قول الأشعريِّ صفة قائمة بالذَّات لازمة للقدرة، ثابتة في الخارج لا ترى، وهكذا، وعلى كلام الأشعريِّ صفة اعتباريَّة لها ثبوت في الذِّهن فقط.

بيان تعلق الصفات

ولما فرغ من بيان صفات المعاني شرع في بيان تعلقها.

تعريف التعلق:

والتعلُّق: اقتضاء الصفة أمراً زائداً على قيامها بالذات؛ كاقتضاء العلم معلوماً ينكشف به، واقتضاء الإرادة مراداً يتخصَّص بها، واقتضاء القدرة مقدوراً، وهكذا.

فقال: (**وواجبٌ**) عقلاً (**تعليقُ ذي**) أي: هذه (**الصِّفاتِ**) أي: صفات المعاني (**حَتْماً**) أي: لزوماً، (**دواماً**) أي: على سبيل الدوام والاستمرار، وهذا من زيادة التأكيد؛ ....

واعلم: أنَّه على القول بإثبات الأحوال فليس للمعنويَّة تعلُّقات كالمعاني؛ لأنَّ التعلُّق حال، وحينئذ يلزم وصف الحال بالحال، وكان المناسب للشَّارح رضي الله عنه أن يعدَّها كما عدَّها السَّنوسيُّ واللَّقاني[1]؛ لأجل الإيضاح والتَّعليم، ولأنَّ تركها ربَّما يوقع العوام في نفي نسبتها إلى الله تعالى وهو كفر.

قوله: (وهذا من زيادة التَّأكيد): أي: قوله: (دواماً)، فحتماً توكيد لمعنى الوجوب، و(دواماً) زيادة تأكيد.

قوله: (تصحِّح): أي: توجب.

---

(١) ينظر «أم البراهين» (ص٦٠)، و«إتحاف المريد» (ص١١٥).

لأنَّ الواجب النقليَّ شأنه ذلك، **(ما عدا الحياة)** بالجر، فما زائدة، وعدا حرف جرٍّ، فيجب على كلِّ مكلَّف أن يعتقد ذلك.

وحاصله: أنَّ هذه الصِّفات بالنِّسبة للتَّعلُّق وعدمه أربعة أقسام:

- **قسم منها لا يتعلَّق بشيء**، وهو الحياة، إذ هي صفة تُصحِّح لمن قامت به الإدراك، من غير أن تَطلُب أمراً زائداً على قيامها بمحلِّها.

- **وقسم يتعلَّق**، وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول من الصفات التي لها تعلق

الأول منها: ما يتعلَّق بجميع أقسام الحُكم العقليِّ، وهو صفتان: العلم والكلام، وإليه أشار بقوله:

(فالعِلمُ جَزْماً) معمول لقوله: (تعلَّقا) قدم عليه، **(والكلامُ السّامي)** أي: العالي المرتفع القدر، المنزَّه عن الحروف والأصوات، والتَّقديمِ والتَّأخيرِ، والسُّكوتِ واللَّحن والإعراب، وغير ذلك ممَّا يتَّصف به

وقوله: (الإدراك): أي: الاتِّصاف به أزلاً وأبداً، فهي شرط عقليٌّ يلزم من عدمها عدم الإدراك، ولا يلزم من وجودها وجود الإدراك ولا عدمه، وهذا تعريف للحياة من حيث هي قديمة أو حادثة، وتقدَّم تعريف القديمة في الشَّرح.

قوله: (معمول): أي: لقوله: (جزماً).

قوله: (والتَّقديم والتَّأخير): أراد به لازمه، وهو التقدُّم والتأخُّر؛ لأنَّه هو الَّذي من صفات الكلام.

كلامُ الحوادث، (**تعلَّقا**) أي: إنَّ هاتين الصِّفتين تَعلَّقا جزماً؛ أي: مجزوماً به (**بسائر**) أي: بجميع جُزئيَّات (**الأقسام**) أي: أقسام الحُكم العقليِّ الثلاثة، الواجب والمستحيل والجائز.

- أمَّا كونهما متعلِّقين؛ فلأنَّهما طلبا أمراً زائداً على قيامهما بمحلِّهما، إذ العلم يقتضي معلوماً ينكشف به، والكلامُ يقتضي معنى يدلُّ عليه.

- وأمَّا تعلُّقهما بجميع أقسام الحكم العقليِّ: فظاهر، إلا أنَّ تعلُّقهما مختلف، فتعلُّق العلم تعلُّقُ انكشاف، وتعلُّقُ الكلام تعلُّقُ دِلالة كما فُهم مما ذكرته لك.

- تعلق العلم:

فالعلم يتعلَّق بجميع الكلِّيَّات والجزئيَّات، أزلاً وأبداً، بلا تأمُّل واستدلال، ولا سببٍ من الأسباب، فلا يوصف بالضَّروريِّ ولا بالنَّظريِّ، وله تعلُّق واحد تنجيزيٌّ قديم.

- تعلقات الكلام:

والكلامُ يدلُّ على ما ذُكر دلالة مستمرَّة بلا انقطاع، أزلاً وأبداً، فهو تعالى به آمرٌ ناهٍ مُخبِر، فهو في نفسه واحد، وتكثُّره إنَّما هو بتكثر التَّعلُّقات؛ كالعلم والقدرة، ولذا قسموه إلى أمر ونهي، وخبر واستخبار.

- فمن حيث اقتضاؤه فعلاً أو تركاً يسمَّى أمراً ونهياً.

قوله: (ولذا قسموه): أي: من حيث التَّعلُّقات.

قوله: (يسمَّى أمراً ونهياً): لفٌّ ونشر مرتَّب.

- ومن حيث تعلُّقه بثُبوت أمر لأمر، أو نفيه عنه، يسمَّى خبراً.

وهل يشترط في تسميته بذلك كالخطاب؛ وجودُ مخاطبين بالفعل أو لا؟ خلاف، وينبني عليه الخلاف في الأحكام، هل هي حادثة أو قديمة باعتبار تنـزيل من سيوجَد منـزلةَ الموجود اكتفاءً بوجود المأمور في علم الآمر.

وله تعلُّقات ثلاثة:

- تنجيزيٌّ قديم باعتبار دلالته على الواجبات والمستحيلات والجائزات، التي سيوجد منها وما لا يوجد.

- وصُلوحيٌّ قديم باعتبار دلالته على الأمر والنَّهي قبل وجود المخاطبين.

- وتنجيزيٌّ حادث عند وجودهم.

قوله: (وهل يشترط. . .إلخ): المعتمد أنَّه لا يشترط، وعليه فالأحكام قديمة.

قوله: (وتنجيزيٌّ حادث عند وجودهم): هذا مبنيٌّ على أنَّه لا يشترط في الخطاب وجود المخاطبين بالفعل.

القسم الثاني من الصفات التي لها تعلق

القسم الثاني: ما يتعلَّق بجميع الممكنات، وهو صفتان أيضاً، القدرة والإرادة، وإليه أشار بقوله:

(**وقدرة إرادة تعلَّقا*بالممكنات**)، لا بالواجبات ولا بالمستحيلات.

وأشار بقوله: (**كلِّها**) يا (**أخا التقى**) أي: يا أيُّها الملازم على التَّقوى، للردّ على المعتزلة القائلين بأنَّ قدرته تعالى لا تتعلَّق بأفعال العبد الاختياريَّة، بل العبدُ مستقِلٌّ بخَلْق فعله الاختياريِّ، وإنَّ بعض أفعاله الاختياريَّة كالمعاصي ليست بإرادة الله تعالى، بناءً على أنَّ الإرادة تستلزم الأمر، أو هي عينه، ولا ريب في أنَّه مذهب فاسد.

ومن ثَمَّ أشرتُ بقولي: (أخا التقى) إلى أنَّ من لم يعتقد ما قلنا فليس بتقيٍّ.

- تعلُّق الإرادة:

وهما وإن تعلَّقا بالممكن إلا أنَّ تعلُّق الإرادة به تعلُّقٌ مخصوص، إذ هي صفة تُخصِّص الممكنَ ببعض ما يجوز عليه، ولها تعلُّقان قديمان، تنجيزيٌّ وصُلوحيٌّ:

- فتَخصيصُها في الأزل الأشياءَ على الوجه الذي ستوجد عليه فيما لا يزال تنجيزيٌّ قديمٌ.

قوله: (للرَّدِّ على المعتزلة): وتقدَّم له بسط الرَّدِّ عليهم[1].

قوله: (ولها): أي: للإرادة.

---

(١) انظر (ص٢٤٠).

- وصُلوحُها لأن يكون على خلاف ما هو عليه صُلوحيٌّ قديم.

قيل: ولها تعلُّق ثالث، تنجيزيٌّ حادث، وهو: تخصيصُها الشَّيءَ بالفِعل وقت وجوده على وَفق التَّخصيص الأزليِّ.

- **تعلق القدرة**:

وأمَّا تعلُّق القدرة به: فتَعلُّق إيجاد أو إعدام على طِبق الإرادة، ولها تعلُّقان: صُلوحيٌّ قديم، وتنجيزيٌّ حادث، وهذا التَّعلُّق الحادث هو المعبَّر عنه بالخلق والرّزق والإحياء والإماتة، المسمَّاة عندنا بصفات الأفعال، فهي حادثة، وسيأتي له زيادة إيضاح في قسم الجائز.

واعلم: أنَّ تعلُّق القدرة والإرادة والعلم مترتِّب، فتَعلُّق القدرة تابعٌ لتعلُّق الإرادة، وتعلُّق الإرادة تابعٌ لتعلُّق العلم، فلا يُوجِد شيئاً أو يعدمه إلا إذا أراده، ولا يُريده إلا إذا عَلِمه، فما علم أنَّه يكون أراد كونه، ثمَّ أبرزه على طبق الإرادة، وما عَلِم أنَّه لا يكون فلم يرد كونه، فلم يوجد وإن أمر به؛ كالإيمان ممَّن عَلِم الله أنَّه يستمرُّ على الكفر حتَّى الموت.

وإنَّما لم تتعلَّق القدرة والإرادة بالواجب والمستحيل؛ لأنَّهما لمَّا

قوله: (قيل: ولها تعلُّق ثالث، تنجيزيٌّ حادث): **إن قلت**: إنَّ فيه تحصيل حاصل فما الحكمة في هذا التَّعلُّق؟

أجيب: بأنَّ حكمته إظهاره للملائكة.

قوله: (مترتب): أي: في التَّعقُّل فقط بالنَّظر لتعلُّق القدرة الحادثة مع

كانا صفتي تأثير، ومن لازم الأثر وجودُه بعد عدم، لزم أنَّ ما لم يقبل العدم أصلاً، وهو الواجب، وما لم يقبل الوجود أصلاً، وهو المستحيل، لم يصحَّ أن يكون أثراً لهما، وإلا لزم تحصيلُ الحاصل وقلبُ الحقائق بصيرورة الواجب أو المستحيل جائزاً، وهو تهافت لا يعقل؛ فالكمالُ المطلق في عدم تعلُّقهما بالواجب والمستحيل لما علمت، والنَّقصُ الذي ما بعده نَقصٌ تعلُّقهما بهما المؤدِّي ذلك إلى إعدامهما أنفسهما وإعدامِ الذَّات العليَّة وإيجادِ الشَّريك والعجز والجهل، نعوذ بالله من الضَّلال الذي تمسَّك به بعض أهل الاختلال.

القسم الثالث من الصفات التي لها تعلق

والقسم الثالث ما يتعلَّق بجميع الموجودات، وهو صفتان أيضاً، السَّمع والبصر، وإليه أشار بقوله: (**واجزم**) أيُّها المكلَّف (**بأنَّ سمعه**) تعالى (**والبصرا**) الألف للإطلاق، (**تعلَّقا**) معاً تعلُّقَ انكشاف، (**بكلِّ**

تعلُّق الإرادة التَّنجيزيِّ الحادث، ولتعلُّق الإرادة القديم مع تعلُّق العلم، وأمَّا بالنَّظر إلى تعلُّق القدرة الحادث مع تعلُّق الإرادة التَّنجيزيِّ القديم، وكذا تعلُّق الإرادة التَّنجيزيِّ الحادث مع تعلُّق العلم؛ فهو ترتُّب خارجيٌّ، كترتُّب الحادث على القديم في الخارج.

قوله: (وإلا لزام تحصيل الحاصل...إلخ): أي: إن تعلقت بإيجاد الواجب، أو بإعدام المستحيل.

وقوله: (وقلب الحقائق): أي: إن تعلَّقت بإعدام الواجب، أو بإيجاد المستحيل.

موجود يُرى) بالبناء للمجهول؛ أي: يعلم؛ أي: معلوم له تعالى، قديماً كان كذاته وصفاته، أو حادثاً كذوات المخلوقين وصفاتهم.

والانكشافُ بهما يغاير الانكشاف بالعلم، وكذا الانكشافُ بكلٍّ منهما يغاير الانكشاف بالأخرى.

ومتعلَّقهما أخصُّ من متعلَّق العلم، فيسمع ويرى سبحانه الذَّوات والصِّفات، كانت من قبيل الأصوات أو من غيرها، فسَمْعُه وبصرُه تعالى يخالفان سمعنا وبصرنا في التَّعلُّق؛ لأنَّ سمعنا إنَّما يتعلَّق عادةً ببعض الموجودات، وهي الأصوات، بشرط عدم البعد جداً، وبصرَنا إنَّما يتعلَّق عادةً ببعض الموجودات، وهي الأجسام وألوانها، في جهة مخصوصة على وجه مخصوص.

قوله: (لأنَّ سمعنا إنَّما يتعلَّق عادة. . .إلخ): أي: ومن غير العادة قد يتعلَّق سمعنا بغير الأصوات؛ كسماع موسى لكلام الله القديم الَّذي ليس بحرف ولا صوت، وكسماعنا كلام ربِّ العالمين في الجنَّة.

قوله: (وهي الأصوات): الضَّمير لبعض الموجودات، وأنث الضَّمير لاكتساب المضاف التَّأنيث من المضاف إليه.

قوله: (وبصرنا إنَّما يتعلَّق عادة ببعض الموجودات): بشرط المقابلة واتِّصال الأشعَّة، وقد تخرق العادة، كما في رؤية وجه الله الكريم.

قوله: (وهي الأجسام): جمع جسم، وهو ما تركَّب من جوهرين فردين فأكثر، وهو المتحيِّز القابل للقسمة، وقضيَّته أنَّ الجوهر الفرد لا يرى، وهو كذلك بحسب العادة، وما ذكره الشَّرح من أنَّ المرئيَّ هو

كما أنَّهما يخالفان سمعنا وبصرنا أيضاً في الذَّات، فهما صفتان قديمتان قائمتان بذاته تعالى، وأمَّا سمعُنا وبصرُنا فحادثان قائمان بمحلٍّ مخصوص:

- فبصرُنا قائم بإنسان العين، أو هو: قوَّةٌ مودَعةٌ في العصبتين المجوَّفتين اللَّتين يتلاقيان ثمَّ يفترقان، كما هو مذهب الحكماء.

- وسمعُنا قائم بالصِّماخ؛ أي: ثقب الأذن، أو هو: قوَّةٌ قائمة بالعصب المفروش في مقعَّر الصِّماخ.

والله تعالى منزَّه عن ذلك، وسمعُنا وبصرُنا من أسباب علومنا، بخلاف سمعه وبصره تعالى.

الأجسام والألوان معاً لا الألوان فقط، هو مذهب أهل السُّنَّة، خلافاً للمعتزلة القائلين: المرئيُّ الألوان فقط.

قوله: (بإنسان العين): أي: النُّقطة الصَّغيرة التي في وسط السَّواد.

قوله: (مودعة): أي: كائنة ومستقرة.

قوله: (اللَّتين يتلاقيان): أي: ويتقاطعان تقاطعاً صليبيّاً، وقيل: يتلاقيان ثمَّ يرجعان؛ كالدَّالين المقلوبتين ظهر إحديهما في ظهر الأخرى، فقول الشَّارح: (ثمَّ يفترقان) مرور على القول الثَّاني، وهذان القولان للفلاسفة.

قوله: (من أسباب علومنا): أي: فإذا رأينا أو سمعنا شيئاً؛ نعلم بسبب ذلك معاني تقوم بعقولنا.

[تعلقات السمع والبصر]

ولهما تعلُّقات ثلاثة:

- تنجيزيٌّ قديم بذاته وصفاته تعالى.
- وصُلوحي قديم بذواتنا وصفاتنا.
- وتنجيزيٌّ حادث عند وجودنا.

بيان
أن صفات المعاني قديمة بذاتها

(وكلُّها) أي: صفات المعاني، **(قديمةٌ بالذَّات)** أي: بذاتها؛ أي: إنَّ قِدَمها ذاتيٌّ وليست بممكنة في نفسها، وإنَّما قِدَمُها بقِدَم الذَّات المقدَّس، أو أنَّ ذاته تعالى علَّة فيها، كما قال بذلك بعض علماء أهل السُّنَّة، وهو قول شنيع، تمجُّه قلوب الصَّالحين العارفين بربِّهم، إذ لا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بمقام الله الأعزِّ الأحمى، مع أنَّه لا حجَّة على ارتكابه، بل الحجَّة قائمة على ما ذكرنا، كما أشرت له بقولي:

قوله: (وصلوحيٌّ قديم بذاتنا وصفاتنا): أي: قبل وجودنا.

قوله: (أو أنَّ ذاته تعالى علَّة فيها): (أو) بمعنى الواو؛ لأنَّ هذا هو معنى قوله: وإنَّما قدمها بقدم الذَّات.

قوله: (بعض علماء أهل السُّنَّة): أي: وهو الفخر الرَّازي، وتبعه السَّعد[1] والبيضاويِّ وجماعة، وشنَّع ابن التِّلمسانيِّ على الفخر بقوله:

---

(١) ينظر «شرح العقائد النسفية» (ص٨١).

(لأنَّها ليست بغير الذَّات) العليَّة، بمعنى أنَّها لا تنفكُّ عنها، فلا يُعقل قيامُ الذَّات بدونها، ولا وجودُها في غير الذَّات المقدَّس، فلا يصحُّ القول بأنَّها ممكنة في نفسها، ....

وصرَّح الفخر - والعياذ بالله - بكلمة لم يسبق إليها، فقال: هي ممكنة باعتبار ذاتها، واجبة بوجوب ذاته جلَّ وعلا، وضاهى قول الفلاسفة: العالم ممكن باعتبار ذاته، واجب بوجوب مقتضيه، ونعوذ بالله من زلَّة عالم، وبناها على اعتقاد صحَّة شبهة الفلاسفة؛ بأنَّ الافتقار بمعنى مطلق التَّوقُّف يوجب الإمكان، وأنَّ كلَّ مركَّب مفتقر إلى أجزائه، وجزؤه غيره، والمفتقر للغير لا يكون إلَّا ممكناً، وتوهَّم التَّركيب باعتبار الصِّفات، وادَّعى أنَّ الإمكان لا ينافي القدم، وهي عقيدة باطلة تهدم كثيراً من مسائل أهل السُّنَّة.

قوله: (لأنَّها ليست بغير الذَّات): أي: ولا بعينها كما يأتي، فلا يقال لها: غير الذَّات ولا عينها، وقصد المصنِّف بذلك الرَّدَّ على المعتزلة، حيث أوردوا على أهل السُّنَّة شبهة حاصلها: أنَّكم ادَّعيتم وجود صفات المعاني وقد كفَّرتم النَّصارى، بزيادة إلهين، فأنتم أولى في الكفر لإثبات قدماء ثمانية.

وحاصل الجواب: أن المحظور المبطل للتَّوحيد إنما هو تعدُّد القدماء المتغايرة المنفكَّة، وصفات المعاني ليست كذلك، فعلم أنَّ **مذهب أهل السُّنَّة**: أنَّ صفات الذَّات زائدة عليها، قائمة بها، لازمة لها لزوماً لا يقبل الانفكاك، فهي دائمة الوجود، مستحيلة العدم، فهو حيٌّ بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، وهكذا.

أو أنَّ الذَّات العليَّة علَّة فيها.

وكما أنَّها ليست بغير الذَّات ليست بعينها أيضاً، وهو واضح، وإلا لزم أن تكون الذَّاتُ صفاتٍ، وأنَّ الحياة عين العلم مثلاً، وهو باطل، فبطل ما ذهب إليه المعتزلة، من أنَّه تعالى قادر بذاته، وحَيٌّ بذاته، وعالم كذلك، وهكذا، لا بصفات زائدة على الذَّات تسمَّى بالقدرة والحياة، وهكذا؛ لئلا يلزم تعدُّد القدماء المحال.

والجواب: أنَّ المُحال إنَّما هو تعدُّد ذواتٍ، أمَّا ذات واحدة متَّصفة بصفات لا يصحُّ الانفكاك عنها فليس بمحال، بل هو الواجب. وإنَّما اقتصرنا على الأول لأنَّنا في مقام الاستدلال على أنَّ قِدَمها ذاتيٌّ.

وقد نفى المعتزلة تلك الصِّفات هروباً من تلك الشُّبهة، وقالوا: قادر بذاته... إلى آخرها؛ وهو مذهب باطل، لكنَّه فسق وليس بكفر.

والحاصل: أنَّ الصِّفات: إمَّا عين الذَّات وهي النَّفسيَّة، أو غير الذَّات وهي السَّلبيَّة؛ لكون مدلولها عدماً والفعليَّة لحدوثها، أو لا عين الذَّات ولا غيرها وهي وجوديَّة، **وتسمَّى المعاني**، أو لا عين الذَّات ولا غيرها وهي اعتباريَّة، **وتسمَّى معنويَّة**، أو صفات جامعة، وهي العزَّة والجلال والجمال والغنى، وغير ذلك.

قوله: (أو أنَّ الذَّات... إلخ): (أو) بمعنى الواو كما تقدَّم نظيره، فكان الأوضح التَّعبير بها.

بيان
معنى الكلام عند أهل السنة

ولمَّا ذهب المعتزلة إلى استحالة الكلام عليه تعالى، لأنَّه إنَّما يكون بحروف وأصوات، وتقديم وتأخير، وغير ذلك، وهذه كلُّها حادثة، ولا يصحُّ اتِّصافه تعالى بالحوادث، وإلا لكان حادثاً.

وصرفوا ما ورد في الكتاب والسُّنَّة، من أنَّه تعالى متكلِّم، عن ظاهره، على معنى أنَّه خالق الكلام في غيره؛ كالشَّجرة التي كلَّمت موسى عليه السَّلام مثلاً، فالكلامُ صفةُ غيرِه لا صفته تعالى.

أجاب أهل السُّنَّة بمَنْع حصر الكلام في الحروف والأصوات، بجَعْل الكلام قسمين: لفظيٍّ ونفسيٍّ، والثاني هو المراد، كما أشار إليه بقوله:

(**ثمَّ الكلام**) أي: كلامه تعالى، الذي هو صفة ذاته، نفسيٌّ، (**ليس بالحروف**) والأصوات، (**وليس**) متلبِّساً (**بالترتيب**) من تقديم وتأخير، (**كـ**) الكلام الحادث (**المألوف**) لنا، وحينئذٍ فلا يلزم المحال.

وفي قولي: (ليس بالحروف . . .) إلخ ردٌّ أيضاً على الكرَّاميَّة

قوله: (ولمَّا ذهب المعتزلة إلى استحالة الكلام عليه تعالى. . .إلخ): حاصله: أنَّ المعتزلة يقولون: إنَّ الكلام لا يكون إلَّا حروفاً وأصواتاً، وحينئذ فلا يتَّصف به المولى بحيث يكون قائماً به؛ لئلَّا يلزم قيام الحوادث به، ومعنى كونه متكلِّماً أنَّه خالق للكلام في غيره.

والحنابلة الزَّاعمين أنَّ كلامه تعالى عَرَض من جنس الأصوات والحروف، إلا أنَّه قديم قائم بذاته تعالى.

ردَّ عليهم أهل السُّنَّة: بأنَّ كلامنا النَّفسيَّ ليس بحرف ولا صوت وهو كلام حقيقة، وليس مراد أهل السُّنَّة التَّماثل في الحقيقة، بل التَّشبيه في أنَّ كلّاً منهما ليس بحرف ولا صوت وإن تباينا في الحقيقة.

إن قلت: إنَّ المعتزلة ينكرون تسمية ما يجده الإنسان في نفسه كلاماً، ويردُّون ذلك للإرادة أو العلم أو الخواطر.

قلت: كلامهم ساقط لمخالفته لإطلاق العرب عليه كلاماً، قال الأخطل[1]: [من الكامل]

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنَّما جُعل اللِّسان على الفؤاد دليلا

قوله: (والحنابلة): المراد بهم فرقة من الفرق الضَّالَّة، وليس المراد بهم أتباع الإمام أحمد بن حنبل؛ فإنَّهم متزَّهون عن القول بذلك.

قوله: (إلَّا أنَّه قديم قائم بذاته): راجع للحنابلة، وأمَّا الكراميَّة فإنَّهم يقولون: إنَّ كلامه تعالى بحروف وأصوات حادثة، ولا يبالون بقيام الحادث بالقديم.

---

(١) البيت نسب للأخطل وليس في «ديوانه»، ونسب إلى ابن صمصام الرقاش. ينظر «ذيل مرآة الزمان» (٣/ ١٨٩).

بيان
ما يستحيل عليه تعالى من أضداد الصفات الواجبة

ولمَّا فرغ سامحه الله من القسم الأول - وهو ما يجب لله تعالى - شرع في بيان القسم الثاني - وهو ما يستحيل عليه تعالى - فقال:

(ويستحيل) عليه تعالى **(ضدُّ ما تقدَّما)** الألف للإطلاق، **(من الصِّفات)** بيان لـ (ما)، أي: الصِّفات النَّفسيَّة والسَّلبيَّة والمعاني، **(الشَّامخات)** أي: المرتفعات المنزَّهات عن الحدوث ولوازمه، **(فاعلما)** أصله: (فاعلمن) بنون التوكيد الخفيفة، فقلبت في الوقف ألفاً.

قوله: (سامحه الله): إنَّما دعا بالمسامحة ولم يدع برفع الدَّرجات مثلاً؛ لأنَّ شأن العارفين لا يرون لأنفسهم عملاً، بل حالهم الذُّلُّ والانكسار والتَّقصير، وإن وصلوا في المعرفة الغاية القصوى، فإن صدر منهم كلام يدلُّ على التعظيم والإجلال لأنفسهم؛ فذلك بالنَّظر لإنعام الله عليهم، لا بالنَّظر لأنفسهم.

قوله: (من الصِّفات): (أل) للعهد الذِّكريِّ؛ أي: الصِّفات المتقدِّم ذكرها، ولذا فسَّرها الشَّارح: بالنَّفسيَّة والسَّلبيَّة والمعاني.

قوله: (فقلبت في الوقف ألفاً): أي: لقول ابن مالك[1]:

وأبدلنها بعد الفتح ألفا ... وقفاً كما تقول في قفن قفا

---

(١) ألفية ابن مالك (ص٨٥).

والمراد بالضِّدِّ هنا الضِّدُّ اللُّغويُّ، وهو: مطلق المنافي، سواء كان وجوديّاً أو عدميّاً، فكأنَّه قال: ويستحيل عليه تعالى كلُّ ما ينافي ما تقدَّم من الصِّفات، لا الضد الاصطلاحي على ما سيأتي.

أنواع المنافاة عند المناطقة:

وأنواع المنافاة عند المناطقة أربعة: تنافي النَّقيضين، وتنافي الضِّدَّين، وتنافي العَدَم والمَلَكة، وتنافي المتضايفين.

قوله: (كلُّ ما ينافي... إلخ): أي: سواء كان ضدّاً حقيقة، أو نقيضاً أو مساوياً للنَّقيض أو أخصَّ منه.

قوله: (وأنواع المنافاة عند المناطقة): أي: وأمَّا عند الأصوليِّين؛ فهما اثنان فقط تنافي النَّقيضين وتنافي الضِّدَّين، ويجعلون العدم والملكة داخلين في النَّقيضين، والمتضايفين داخلين في الضِّدَّين.

قوله: (أربعة): وجه الحصر فيها أنَّ المتقابلين إمَّا أن يكونا وجوديِّين أو وجوديّاً وعدميّاً، فإن كانا وجوديِّين؛ فلا يخلو إما أن يتوقَّف تعقُّل أحدهما على تعقُّل الآخر أو لا.

الأوَّل: المتضايفان كالأبوَّة والبنوَّة، **والثَّاني**: المتضادَّان، كالبياض والسَّواد، وإن كان أحدهما وجوديّاً والآخر عدميّاً، فإن اعتبر في العدميِّ كون محلِّه قابلاً للوجوديِّ؛ كالبصر والعمى بالنِّسبة لزيد، لا بالنِّسبة للحائط؛ فعدم وملكة، وإن لم يعتبر ذلك فتقابل النَّقيضين؛ كسواد ولا سواد.

- أمَّا النَّقيضان: فهما إيجاب الشَّيء وسلبُه، نحو: (زيد، لا زيد) و (زيد قائم، زيد ليس بقائم).

- وأمَّا الضِّدَّان: فهما المعنيان الوجوديَّان اللَّذان بينهما غاية الخلاف، ولا يتوقَّف تعقُّل أحدهما على تعقُّل الآخر؛ كالبياض والسَّواد، واحترزنا بـ (غاية الخلاف) من نحو: البياض مع الحركة.

- وأمَّا العَدَم والمَلَكة: فهما وجود الشَّيء وعدمه عمّا من شأنه أن يتَّصف به؛ كالبصر والعمى، والعلم والجهل البسيط، فالبصرُ وجوديٌّ، وهو المَلَكة، والعمى عدمي، إذ العمى عدم البصر عمَّا من شأنه البصر، وكذا العلم والجهل.

واعترض الحصر بأنَّ العدميَّ قد يقابل بالعدميِّ؛ كالعمى، ولا عمى فهو أعمُّ من أن يكون باعتبار الاتصاف بالبصر، أو باعتبار عدم القابليَّة، وعلى هذا فتزيد الأقسام على الأربعة المذكورة، ولكنَّ المنقول عن المناطقة هذه الأربعة، والإشكال لا يدفع الأنقال.

قوله: (فهما إيجاب الشَّيء وسلبه): أي: ويكون في المفردات؛ كالمثال الأوَّل والمركَّبات كالثَّاني.

قوله: (من نحو: البياض مع الحركة): أي: فليس بينهما غاية الخلاف، إذ قد يرتفعان بأن يكون ساكناً أسود، وقد يجتمعان بأن يكون أبيض.

قوله: (وأمَّا العدم والملكة. . .إلخ): اعلم: أنَّ الملكة عبارة عن الأمر

- وأمَّا المتضايفان: فهما الأمران الوجوديَّان اللَّذان بينهما غاية الخلاف، ويتوقَّف تعقُّل أحدهما على تعقُّل الآخر؛ كالأُبوَّة والبنوَّة.

والمرادُ بالوجوديِّ في المتضايفين ما ليس معناه عدمُ كذا، لا الموجود في الخارج عن الذِّهن، إذ الأبوَّة مثلاً لا وجود لها في الخارج عن الذِّهن.

ولا تنافي بين الخلافين؛ كالبياض والحركة، وكذا بين المثلين؛ كالبياض والبياض؛ والمحقِّقون على التنافي بينهما، قالوا: لأنَّ المحلَّ لو قَبِل المِثلين لزم أن يقبل الضِّدَّين؛ لأنَّ القابل للشَّيء لا

الوجوديِّ القائم بالشَّيء؛ كالبصر؛ فإنَّه أمر وجوديٌّ قائم بالعين، والعدم عبارة عن انتفاء تلك الملكة على المحلِّ، الَّذي شأنه أن يتَّصف بتلك الملكة وقت انتفائها، فقول الشَّرح: (عمَّا من شأنه أن يتَّصف به) أي: عن المحلِّ الَّذي شأنه أن يتَّصف به وقت النَّفي والتَّمثيل لمقابلة العدم للملكة، بمقابلة العمى للبصر، بناء على مذهب الحكماء، وعند المتكلِّمين: العمى وصف وجوديٌّ قائم بالعين؛ كالبصر، وحينئذ فالتَّقابل بينهما من تقابل الضدَّين.

قوله: (لا وجود لها في الخارج عن الذِّهن): أي: خلافاً للفلاسفة القائلين: بأنَّ الأمور النِّسبيَّة كالإضافات وغيرها أعراض موجودة.

قوله: (كالبياض والحركة): أي: وكلُّ متخالفين في الحقيقة يمكن اجتماعهما؛ كالقدرة والعلم مثلاً.

قوله: (بأنَّ المحلَّ لو قبل المثلين.. إلخ): حاصله قياس استثنائيٌّ

يخلو عنه أو عن ضدّه أو عن مثله، فلو قبل المثلين لجاز وجود أحدهما في المحلّ مع انتفاء الآخر، فيخلفه ضدّه، فيجتمع الضدّان وهو محال.

إذا علمت ذلك فيستحيل عليه تعالى ثلاثة عشر صفة، وهي أضداد الصّفات الأولى، لما علمت أنّها واجبة له تعالى، والواجب لا يقبل الانتفاء، فيستحيل عليه تعالى:

- العدمُ والحدوثُ.

ذكر شرطيّه وحذف الاستثنائيّة منه.

وتقريره: لو قبل المحلُّ المثلين، لزم أن يقبل الضّدّين، لكنّ قبول المحلّ للضّدّين باطل فبطل المقدّم.

ولمّا كانت الاستثنائيّة ظاهرة تركها، ولمّا كانت الملازمة في الشّرطيّة خفية بيّنها بقوله: (لأنّ القابل. . .) إلخ.

قوله: (ثلاثة عشر صفة): أي: بمقتضى ذكره للصّفات كذلك، ومن عدّ المعنويّة، كالسّنوسيّ[1]، فالمستحيلات عشرون.

قوله: (العدم): هو مساو لنقيض الوجود، لأنّ نقيضه لا وجود وهو العدم على القول بنفي الأحوال، وأمّا على القول بثبوتها، فالعدم أخصّ من نقيض الوجود، إذ يصدق نقيضه بالثّبوت وبالعدم.

قوله: (والحدوث): أي: الوجود بعد عدم وهو أخصّ من نقيض

---

(١) أم البراهين (ص٦٠).

- وطروُّ العدم، ويسمَّى الفناء.

- والمماثلةُ للحوادث؛ من جرميَّة أو عرضيَّة، أو حلول، أو اتِّصال أو انفصال، أو بُعد أو قرب، أو كِبَر أو صِغَر.

- وكذا يستحيل عليه تعالى عدم القيام بنفسه؛ بأن يفتقر إلى محلٍّ أو مخصِّص.

- وعدمُ الوحدانيَّة، بأن يكون ذا كثرة في ذاته أو صفاته، أو يكون له شريك في فعل من الأفعال.

- وكذا يستحيل عليه تعالى الجهلُ، مركَّباً أو بسيطاً، أو ما في معناه: من ظنٍّ أو غفلة أو نسيان أو نوم، أو اشتغال بشأن عن شأن.

- ويستحيل عليه تعالى الموتُ ....

القدم، إذ نقيض القدم لا قدم، وهو يصدق بالوجود بعد العدم الَّذي هو الحدوث بالعدم المنقطع بالوجود واللَّاحق.

قوله: (وطروُّ العدم): هو مساو لنقيض البقاء.

قوله: (والمماثلة للحوادث) هي مساوية لنقيض المخالفة.

قوله: (عدم القيام بنفسه): هو نقيض القيام، وكذا عدم الوحدانيَّة نقيض الوحدانيَّة.

قوله: (الجهل، مركَّباً أو بسيطاً): مقابلة العلم للأوَّل من مقابلة الضِّدَّين، وللثَّاني: من مقابلة العدم للملكة.

قوله: (الموت): مقابلته للحياة من تقابل العدم، والملكة إن قلنا: إنَّ

والعجزُ، وما في معناه: من فتور أو نصب.

- والكراهيةُ: أي: عدم الإرادة؛ بأن يقع في ملكه ما لا يريده، أو تصدُرَ الكائنات عنه تعالى بالتَّعليل أو بالطَّبع، لما يلزم من قِدَم العالم، الذي قام البرهان القاطع على حدوثه؛ وورد الشَّرع به؛ لأنَّه يجب اقتران العلَّة بمعلولها، والطَّبيعةِ بمطبوعها، والقائلُ بذلك كافر بإجماع المسلمين، كما تقدم، وتقدم الفرق بين الفاعل بالعلَّة والفاعل بالطَّبع: من أنَّ العلَّة لا تتوقَّف على وجود شرط ولا انتفاء مانع، والطَّبيعةُ تتوقَّف على ذلك.

وممَّا يدلُّ على بطلانها اختلاف أنواع العالم على كثرتها، إذ معلولُ العِلَّة والطَّبيعة لا يختلف.

- وكذا يستحيل عليه تعالى البكم؛ أي: عدم الكلام بوجود آفة تمنع منه، وفي معناه السُّكوت النَّفسيُّ.

الموت عدم الحياة، وتقابل الضِّدَّين إن قلنا: إنَّه أمر وجوديٌّ.

قوله: (والعجز): هو مساو لنقيض القدرة.

قوله: (والكراهيَّة): هي مساوية لنقيض الإرادة.

قوله: (البكم): هو وما بعده من الصَّمم والعمى، إمَّا من مقابلة الضِّدَّين، أو العدم والملكة.

قوله: (السُّكوت النَّفسيُّ): أي: وأمَّا السُّكوت اللَّفظيُّ؛ فلا يتوهَّم في حقِّ الله؛ لاستحالة الكلام اللَّفظيِّ عليه تعالى.

- ويستحيل عليه تعالى الصَّمم والعمى، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

الدليل الجملي

لما وجب له من الصفات ولما استحال عليه

وإنَّما وجبت له هذه الصِّفات، واستحال عليه أضدادها (**لأنَّه**) تعالى (**لو لم يكن موصوفاً * بها لكان بالسِّوى**) أي: بسواها من الجهل والعجز وغيرهما ممّا تقدَّم من المستحيلات (**معروفاً**) يعني: موصوفاً؛ أي: أنَّه لو لم يكن متَّصفاً بها لاتَّصف بأضدادها، لكن اتِّصافه تعالى بأضدادها باطل لما يلزم عليه من الافتقار والحدوث، كما أشار إليه بقوله:

(**وكلُّ من قام به سواها**) أي: غيرها من الجهل، أو ما في معناه، أو العجز إلى آخر الأضداد، (**فهو الذي في الفقر**) أي: الاحتياج إلى

قوله: (لأنَّه لو لم يكن موصوفاً بها... إلخ): **شروع في الاستدلال على وجوب هذه الصِّفات واستحالة أضدادها، وهو زيادة في الإيضاح، وإلَّا فتقدَّمت أدلَّتها مفصَّلة، وقد ذكر أوَّلاً قياساً شرطيّاً صرَّح منه بالمقدَّم، والتَّالي بقوله:**

لو لم يكن موصوفاً بها لكان بالسِّوى معروفاً

حذف الاستثنائيَّة الَّتي قدرها الشَّرح.

وقوله: (وكلُّ من قام به سواها... إلخ): **شروع في قياس حمليٍّ ذكر صغراه وحذف كبراه ونتيجته، قصد به الاستدلال على الاستثنائيَّة الَّتي أنتجتها القياس الشَّرطي، وقد وضَّح الشَّرح المقام، فتدبَّر.**

مَن يكمِّله، وهو متعلِّق بقوله: **(قد تناهى)** أي: بلغ النِّهاية في الفقر، وهو محال؛ لأنَّه يؤدِّي إلى الحدوث، فيكون من جملة العالم الحادث المفتقر.

والواو في قولنا: **(والواحدُ المعبود)** للحال، **(لا يفتقر * لغيره)**، وهو في المعنى دليل لقولنا: (وكل من قام به . . . إلخ)؛ لأنَّه في قوَّة قولنا: (لأنَّه معبود، وكلُّ معبود لا يفتقر لغيره)، وقد حذفنا كبرى القياس مع النَّتيجة، والتَّقديرُ: (وكلُّ مَن تناهى في الفقر، فهو حادث، فكلُّ مَن قام به سواها فهو حادث) كما أشرنا له في التقرير.

وهذا القياس دليل الاستثنائية المطلوبة؛ أعني قولنا: (لكن اتِّصافه بأضدادها باطل)، كما أشرنا له أيضاً.

(جلّ) عن ذلك الافتقار **(الغني)**، بالسكون للوزن؛ أي: عن كل ما سواه، لاتّصافه تعالى بكلِّ كمال، وتنزُّهِه عن كلِّ نقص **(المقتدر)** على كلِّ شيء، وكلُّ شيء فهو إليه فقير.

بيان
ما يجوز في حقه تعالى

ولمَّا أنهى الكلام على قسمي الواجب والمستحيل، شرع في بيان الجائز فقال:

(وجائز في حقِّه) تعالى **(الإيجاد)** أي: إيجاد الممكنات، ....

قوله: (أي: إيجاد الممكنات): أشار بذلك إلى أنَّ (أل) عوض عن المضاف إليه.

سواء وجدت بالفعل أو لم توجد.

والإيجادُ والخلق بمعنى واحد، وهو: تعلُّق القدرة بوجود المقدور، فإن تعلَّقت بالحياة سمِّي إحياء، وبالموت سمِّي إماتة، وبالمرزوق سمِّي رزقاً وترزيقاً، وهذه التعلُّقات هي المسمَّاة بصفات الأفعال، وهي حادثة كما ترى؛ لأنَّها عبارة عن التَّعلُّق التَّنجيزيِّ للقدرة، وهو حادث قطعاً.

فإن قلت: قد تقدَّم أنَّ تعلُّق القدرة واجب، فكيف يُحكم عليه هنا بالجواز؟

قلتُ: الواجب التَّعلُّق الصُّلوحيُّ القديم، أمَّا التَّنجيزيُّ فجائز، وكلُّ جائز حادث.

قوله: (سواء وجدت بالفعل... إلخ): **إن قلت**: إنَّها إذا وجدت بالفعل كان واجباً لا جائزاً، وإيجاده ثانياً تحصيل حاصل؟

أجيب: بأنَّ المراد إيجاد الممكن في حدِّ ذاته بقطع النَّظر عن كونه موجوداً أو لا.

قوله: (وبالمرزوق): أي: بالشَّيء المرزوق، وكان الأوضح أن يقول: وبالمرزوق به.

قوله: (قد تقدَّم أن تعلُّق القدرة واجب): أي: في قوله:

وواجب تعليق ذي الصِّفات　　　حتماً دواماً ما عدا الحياة

قوله: (التَّعلُّق الصُّلوحيُّ): أي: كونها صالحة للفعل والتَّرك وهذا السُّؤال، والجواب: تقييد لما تقدَّم من الإطلاق.

فإن قلت: الخلق والإيجاد من صفاته تعالى، وكيف يتَّصف تعالى بالحوادث؟

قلنا: هذه أمور اعتبارية تعرض للقدرة لا وجود لها في الأذهان، ولا تحقُّقَ لها في نفسها، ككونه قَبلَ العالم ومعه وبعده، فلا يلزم قيام الحوادث به تعالى.

(**والتَّركُ**) أي: ترك الإيجاد للمكنات، سواء وجدت أو لم توجد؛ يعني: أنّ إيجاد كلٍّ ممكن أو تَرْكَه أمرٌ جائز في حقِّه تعالى، إن شاء فعل وإن شاء ترك، ومن ذلك: بعثةُ الرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام، ورؤيةُ الباري تعالى، وإثابةُ العاصي، وتعذيبُ المطيع.

قوله: (فلا يلزم قيام الحوادث به تعالى): أي: ولا يلزم قيام الحوادث بذاته، إلَّا إذا كانت تلك الصِّفات الحادثة المتَّصف بها وجوديَّة؛ كالبياض والسَّواد ونحوهما، وأمَّا إذا كانت الصفات الحادثة المتَّصف بها اعتباريَّة، ولا وجود لها في الخارج ولا ثبوت؛ فلا يلزم قيام الحوادث بذاته؛ لأنَّ الأمر العدميَّ الاعتباريَّ لا يقوم بشيء.

قوله: (ومن ذلك: بعثة الرُّسل. . .إلخ): ردَّ بذلك على المعتزلة القائلين بوجوب بعثتهم، والحكماء القائمين باستحالتها.

قوله: (ورؤية الباري): ردَّ به على المعتزلة القائلين بأنَّها محالة.

السعادة والشقاوة عند الأشاعرة والماتريدية

(والإشقاء) وهو: خلق قدرة الكفر، أو خلق الكفر في العبد، والعياذ بالله تعالى، ويسمَّى الخذلان والضَّلال، وقيَّده الأشعريُّ بحالة الموت، وأطلقه الماتُريديُّ.

(والإسعاد) وهو: خلق قدرة الطَّاعة، أو خلق الطَّاعة في العبد، ويسمَّى بالهداية، وقيَّده الأشعريُّ بحالة الموت، فالشَّقيُّ والسَّعيدُ ...

قوله: (وهو: خلق قدرة الكفر): هذا تعريف إمام الحرمين.

وقوله: (أو خلق الكفر) تعريف الأشعريِّ، والمراد بالقدرة عند إمام الحرمين سلامة الأسباب والآلات، بناء على أنَّ العرض يبقى زمانين[1]، والمراد بها عند الأشعريِّ العرض المقارن للفعل، بناء على أنَّ العرض لا يبقى زمانين.

والحقُّ في هذه المسألة مع إمام الحرمين دون الأشعريِّ، لكنَّ عبارة الأشعريِّ أوفق بمذهب أهل السُّنَّة من أنَّ الأفعال كلَّها مخلوقة لله، وليست قدرة العبد مؤثِّرة فيما قارنها من الأفعال، وعبارة إمام الحرمين محتملة له، ولمذهب المعتزلة إذ يحتمل أنَّ معناه خلق قدرة الكفر الَّتي بها التَّأثير فيه.

قوله: (ويسمَّى الخذلان): هو ضدُّ التَّوفيق، وفيه الخلاف المتقدِّم بين الأشعريِّ وإمام الحرمين.

---

(١) الإرشاد (ص٢٥٤)، وتقدم (ص٥٥).

من مات على الكفر أو الإيمان، وعند الماتُريديِّ هو الكافر أو المؤمن.

وينبني على هذا الخلاف هل الشَّقاوة والسَّعادة يتبدَّلان؟

فقال الأوَّل: لا، والثاني: نعم، والخُلف لفظيٌّ.

وأمَّا الإشقاء والإسعاد: فلا يتبدَّلان اتّفاقاً:

- أمَّا عند إمامنا الأشعريِّ: فلأنَّهما الإماتة على الشَّقاوة أو السَّعادة، فهما من صفات الأفعال، وهي عنده حادثة؛ لأنَّها عبارة عن تعلُّق القدرة بالمقدور، كما مرّ.

قوله: (من مات على الكفر أو على الإيمان): لفٌّ ونشر مرتَّب.

قوله: (فقال الأوَّل): أي: وهو الأشعريُّ.

وقوله: (لا): أي: لا يتبدَّلان بل هما أزليَّتان، والإسلام والكفر علامة السَّعادة والشَّقاوة.

قوله: (والثَّاني): أي: وهو الماتريديُّ.

وقوله: (نعم): أي: يتبدَّلان، فإذا مات المسلم على الكفر؛ فقد انقلبت سعادته شقاوة، وإذا أسلم الكافر عند الموت؛ فقد انقلبت شقاوته سعادة.

قوله: (والخلف لفظيٌّ): أي: لأنَّ العبرة بالخاتمة على كلا القولين، وإنَّما الخلاف في التَّسمية فقط، فالأشاعرة يقولون: الإسلام علامة على السعادة لأنفسها، والكفر علامة على الشَّقاوة لأنفسها.

(قوله: (عبارة عن تعلُّق القدرة): أي: التنجيزيُّ الحادث.

- وأمَّا عند الماتُريديِّ: فلأنَّهما قديمان؛ كالإحياء والإماتة والخلق والرّزق، وجميعُ ما نعبِّر عنه بصفات الأفعال فقد جزم الماتريديَّة بقِدَمها، ومجموعُها عند محقِّقيهم: عبارة عن صفة واحدة تسمَّى بالتَّكوين، قائمة بذاته تعالى لكونها صفة معنى؛ كالقدرة والإرادة، يتأتَّى بها وجود الأشياء على وَفْق الإرادة.

الفرق بين صفتي القدرة والتكوين

والفرق بينها وبين القدرة: أنَّ القدرة عندهم بها صحَّةُ التَّأثير في الممكن، والتَّكوينُ به وجود الأشياء.

وحاصله: أنَّه لا يصحُّ أن يكون مبدأ الوجود القدرة؛ لأنَّ أثرها صحَّة الفعل والتَّرْك من الفاعل، فتكون نسبتها إلى الطَّرفين على السَّواء، فلا بدَّ من صفة أخرى بها الصُّدور - وهي التَّكوين - فهي ليست التَّعلُّق التَّنجيزيَّ للقدرة حتَّى تكون حادثة وجائزة، والجائزُ إنَّما هو الحدوث وعدمه، ....

قوله: (لكونها صفة معنى؛ **كالقدرة والإرادة**): أي: فتكون المعاني عنده ثمانية، وعند الأشعريِّ سبعة.

قوله: (وهي التَّكوين): أي: المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1].

قوله: (إنَّما هو الحدوث): أي: الَّذي هو أثر الإحداث، فالإحداث

---

(١) سورة البقرة: (١١٧).

لا الإيجاد فإنَّه قديم لكونه صفة ذاته تعالى، فالإشقاءُ والإسعادُ لا يتبدَّلان لقِدَمهما، لما علمت أنَّهما يرجعان إلى التَّكوين، الذي هو صفة ذاته تعالى، والشَّقاوة والسَّعادة يتبدَّلان لأنَّهما الكفر والإيمان لا بقيد الموت على ذلك.

ولا يلزم من قِدَم التَّكوين قِدَمُ المكوَّن، إذ لا يلزم من قِدَم الصِّفة قِدَمُ متعلَّقها.

وجملة القول في ذلك: أنَّ الإيجاد والخلق والرزق والإحياء والإماتة والإشقاء والإسعاد والتَّصوير، إلى غير ذلك عند الأشعرية صفاتٌ حادثة؛ لأنَّها إضافات واعتبارات بين القدرة والمقدور.

وعند الماتريدية قديمة؛ لأنَّها صفة أزليَّة بها صدور العالم، وكلِّ جزء من أجزائه، ويسمَّى تكويناً، لكن إن تعلَّقت بوجود الشَّيء سمِّيت إيجاداً وخلقاً، أو بموته سمِّيت إماتة، أو بصورته سمِّيت تصويراً، وهي زائدة على القدرة والإرادة، فالإرادة بها التَّخصيصُ، والقدرة هي القوَّة على فعل الشَّيء أو تَرْكه، ونسبةُ الأمرين إليها على السَّواء، فليس بها صدور الأشياء، وإنَّما بها قَبول الصُّدور، فهي مبدأ لقَبُول الصُّدور، والتَّكوينُ مبدأ لنفس الصُّدور.

عنده قديم، والحدوث حادث.

قوله: (لكن إن تعلَّقت. . . إلخ)؛ أي: فتسمَّى باسم متعلَّقها.

قوله: (هي القوَّة على فعل الشَّيء أو تركه): أي: الصَّلاحيَّة للفعل والتَّرك.

والمحقِّقون من الأشاعرة على أنَّه ليس في الأزل إلا مبدأ الإيجاد والإشقاء والإسعاد وغير ذلك، ولا دليل على صفة أخرى سوى القدرة والإرادة، فإنَّ القدرة وإن كان نسبتها إلى وجود المكوَّن وعدمه على السواء، لكن مع انضمام الإرادة يتخصَّص أحدُ الجانبين.

وإنَّما نصَّ على الإشقاء والإسعاد وإن دخلا في الإيجاد اهتماماً بشأنهما.

القول بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى بدعة شنيعة وإساءة أدب

ودخل في الجائز رعاية الصَّلاح والأصلح، إذ لو وجب عليه تعالى ما هو الأصلح في حقِّ العبد ما وقعت محنة، وما خلق الله الكافر الفقير المعذَّب دنيا وأخرى، وما حصل ألم لطفل لا تكليف عليه، ولَمَا كانت بعض البهائم والطُّيور في غاية الضَّعف والبلاء، ولَمَا كان لطلب الهداية وكَشْف الضُّرِّ معنى؛ لوجوب إيصال ما هو الأصلح للعبد، ولَمَا بقي في قدرة الله تعالى بالنِّسبة إلى مصالح العباد شيء آخر، إذ قد أتى على ما في وُسعه من الأصلح الواجب.

(ومن يقل فعل الصَّلاح وجبا) - الألف للإطلاق - **(على الإله)**

قوله: (رعاية الصَّلاح): **هو ما يقابل الفساد؛ كالإيمان في مقابلة الكفر، والصِّحة في مقابلة المرض.**

وقوله: (والأصلح): **هو يقابل الصَّلاح؛ كالثَّواب بلا تكليفٍ في مقابلة الثَّواب مع التَّكليف، وكونه في أعلى الجنان في مقابلة كونه في الجنَّة.**

قوله: (ما وقعت محنة... إلخ): **أي: مع أنَّ المشاهد خلاف.**

تعالى، وهم المعتزلة، (قد أساء) حذف الفاء ضرورة؛ أي: فقد أحزن (الأدبا) اللائق بحقِّه تعالى، والألف للإطلاق أيضاً.

ففي الأدب استعارة بالكناية، وفي الإساءة استعارة تخييلية، ثمَّ الكلامُ كناية عن عدم اتِّصافهم بالأدب؛ لأنَّه يلزم من إساءتك لغيرك بُعده عنك، ونُفْرته منك، بل لا يستطيع أن ينظر إليك، وهي أبلغ من الحقيقة؛ يعني: أنَّهم أخلُّوا بالأدب مع الله تعالى غاية الإخلال، حتى خَلَت قلوبهم عن بوارق الإجلال، وارتكبوا بدعة شنيعة وقوَّة فظيعة، وذلك لأنَّ مَن وجب عليه شيء فهو مقهور.

ثمَّ لا يصحُّ أن يراد بالوجوب عليه تعالى ما يستحقُّ تاركُه الذَّمَّ والعقابَ ....

قوله: (حذف الفاء ضرورة): أي: ولولا الضَّرورة لوجب اقتران الجملة بالفاء؛ لتصديرها بـ(قد).

قوله: (استعارة بالكناية): أي: فقد شبَّه الأدب بإنسانٍ أحزنه شخص، وطوى ذكر المشبَّه به ورمز له بشيءٍ من لوازمه؛ وهو الإساءة، فإثباتها تخييل.

قوله: (وهي): أي: الكناية.

قوله: (عن بوارق الإجلال): أي: عن أنوار التَّعظيم والاحترام.

قوله: (وذلك): أي: وبيان الدَّليل على وجوب عدم وجوب الصَّلاح والأصلح.

قوله: (ما يستحقُّ تاركه الذَّمَّ والعقاب): أي: وهو الوجوب الشَّرعيُّ.

كما في حقِّ المكلَّفين، وهو ظاهر، فما بقي إلا أنَّ معناه لزومُ صدور الأصلح عنه، بحيث لا يتمكَّن من التَّرك، وإلا فلا معنى للوجوب.

وأقوى ما تمسَّكوا به في ذلك: أنَّ تَرْكَ الأصلح يستلزم المحال؛ من سفه أو جهل أو عبث أو بخل، وظاهرٌ أنَّه رفضٌ لقاعدة الاختيار، وتمسكٌ بالفلسفة الظاهرة العوار.

وحُكي أنَّ أبا الحسن الأشعري رضي الله عنه سأل شيخه أبا هاشم الجبائي - وهو يقرِّر مسألة وجوب الصَّلاح - فقال له: ما تقول في ثلاثة إخوة، مات أحدهم مطيعاً، والآخر عاصياً، والثالث صغيراً؟

فقال: الأوَّل يثاب في الجنَّة، والثَّاني يعاقب في النَّار، والثَّالث لا يثاب ولا يعاقب.

فقال الأشعريُّ: فإن قال الثَّالث: يا ربِّ؛ لم أمتَّني صغيراً، ولم تبقني إلى أن أكبر فأطيعك لأثاب في الجنَّة؟

فقال الجُبّائي: يقول الرَّبُّ تعالى: إنِّي كنت أعلم منك أنَّك لو كبِرتَ لعصيتَ فدخلت النَّار، فكان الأصلح لك موتك صغيراً.

فقال الأشعريُّ: لا فإن قال الثَّاني: يا ربِّ؛ لِمَ لَمْ تمتني صغيراً لئلا أعصي فأدخل النَّار؟ فماذا يقول الرَّبُّ؟

فَبُهت الجُبَّائي، ويروى أنَّه قال للأشعري: أَبِكَ جنون؟

فقال الأشعريُّ: لا ولكن وقف حمار الشَّيخ في العقبة.

فترك الأشعريُّ مذهبه واشتغل هو ومن معه بإبطال رأي المعتزلة، وإثبات ما وردت به السُّنَّة ومضى عليه الجماعة، فسُمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة.

وسبب تسمية المعتزلة معتزلة: أنَّ رئيسهم واصلَ بن عطاء اعتزل عن مجلس الحسن البصري يقرِّر أنَّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويُثبِت المنزلة بين المنزلتين، فقال الحسن: (اعتزل عنَّا واصلٌ).

الجزم برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

(واجزِمْ) أي: اقطع واعتقد وجوباً (أخي) في الإسلام، إذ الأب الذي خرجنا بسببه من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان واحد، وهو النبي ﷺ، (برؤية الإله) سبحانه وتعالى، بمعنى الانكشاف التَّامِّ بالبصر؛

قوله: (لزوم صدور الأصلح عنه): أي: وهو الوجوب العقليُّ، وهو ما لا يتصوَّر في العقل عدمه.

قوله: (الظَّاهرة العوار): أي: الخلل.

قوله: (وجوباً): أي: شرعيّاً، يثاب على فعله، ويعاقب على تركه.

قوله: (وهو النبي ﷺ): أي: فبينه وبين المؤمنين نسبة، هو أصلهم وهم فروعه، والجامع بينهم وبينه دين الإسلام، بل هو أعلى وأجلُّ من أب الجسم، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[1].

قوله: (بمعنى الانكشاف التَّامِّ بالبصر): أي: فالانكشاف بالعلم أقلُّ من الانكشاف بالبصر، وإن كان كلٌّ من العلم والبصر لا يحيط به، ولذا قال ابن العربيِّ: (إنَّ رؤية الله جعلت تقويةً للمعرفة الحاصلة في الدُّنيا؛ لأنَّه ليس راء كمن سمعا).

---

(١) سورة الأحزاب: (٦).

أي: بوقوعها **(في جنّة الخُلد)** أي: الإقامة على سبيل الدَّوام حالَ كون الرُّؤية حاصلة **(بلا تناهي)** للمرئي تعالى؛ أي: من غير إحاطة بحدود المرئيِّ ونهاياته؛ لاستحالة الحدود والنِّهايات عليه تعالى.

فكما أنَّهم يعلمونه بلا حدّ ونهاية وبلا كيف يرونه كذلك، فيُرى لا في مكان ولا في جهة، ولا باتصال شعاع، ولا على مسافة بينه تعالى وبين الرَّائي؛ لأنَّ الرُّؤية عندنا بخَلْق الله تعالى في أيِّ محلٍّ شاء، وليس بلازم ألا يكون إلا عند اجتماع الشَّرائط كما سيأتي توضيحه.

وتقع لكلِّ مَن دخل الجنَّة؛ من إنسٍ وجنٍّ من هذه الأمَّة وغيرها، حتَّى النِّساء والصِّبيان.

وتتفاضل الرُّؤية كمّاً ....

قوله: (أي: بوقوعها): أي: حصولها.

قوله: (أي: الإقامة على سبيل الدَّوام): تفسير للخلد، وفيه إشارة إلى أنَّ المراد دار السَّعادة مطلقاً لا خصوص المسمَّاة بهذا الاسم.

قوله: (لكلِّ من دخل الجنَّة): أي: من الحيوانات التي شأنها التَّكليف، فخرج الحيوانات الغير العاقلة، فلا ترى ولو دخلت الجنَّة.

قوله: (حتَّى النِّساء والصِّبيان): أي: من هذه الأمَّة وغيرها، وهذا هو المعتمد، وقيل: لا يرونه، وقيل: يرونه في الأعياد.

قوله: (وتتفاضل الرُّؤية): أي: تزيد.

وقوله: (كمّاً): أي: عدداً.

وكيفاً ولذَّةً على قدر العلم بالله وحُبِّه في الدُّنيا، حتَّى إنَّ البعض لا تنقطع عنه أبداً، كما أنَّه كان في الدُّنيا لا يتعلَّق قلبُه بغير الله تعالى أبداً، كذا ذكروا.

الدليل على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

(إذ الوقوع) أي: وقوع رؤيته تعالى **(جائز بالعقل)** إذ العقل إذا خُلِّي ونفسَه لم يحكم بامتناعها.

وقوله: (وكيفاً): أي: قدراً وعظماً.

قوله: (حتَّى إنَّ البعض لا تنقطع عنهم أبداً): أي: ولذا قال أبو يزيد: (إنَّ لله رجالاً لو حُجبوا عن الرُّؤية طرفة عينٍ؛ لاستغاثوا من الجنَّة ونعيمها، كما يستغيث أهل النَّار من النَّار)[١].

ومن هذا المقام قول بعض العارفين:

ليسَ قصدي من الجنان نعيما   غير أنِّي أريدها لأراكا

قوله: (إذ الوقوع. . .إلخ): علَّة لما تقدَّم من الأمر بالجزم بالرُّؤية.

قوله: (إذا خلِّي ونفسه): الواو للمعية، (ونفسه): منصوبٌ على المفعوليَّة معه، وهو المختار دون الرَّفع لضعفه، إذ يكون معطوفاً على الضَّمير المتَّصل المرفوع من غير فاصلٍ، قال ابن مالك[٢]:

---

(١) أورده القشيري في «رسالته» (٢/ ٤٩٨).

(٢) ألفية ابن مالك (ص٧٤).

وتقرير الدَّليل العقليِّ: إنَّا قاطعون برؤية الأعيان والأعراض، ضرورةَ أنَّا نُميِّز بين الأعيان والأعراض، ولابدَّ للحكم من عِلَّة مشتركة بينهما، وهي إمَّا الوجود أو الحدوث أو الإمكان، إذ لا رابع لها يشترك.

والحدوثُ الوجودُ بعد العدم، والإمكانُ استواءُ الوجود والعدم، ولا مدخل للعدم في الرُّؤية ضرورة، فتعيَّن الوجود، وهو مشتَرك بين الله تعالى وبين غيره، فصحَّ أن يُرى لتحقيق العِلَّة، وهي الوجود، فيصحُّ أن تُرى سائر الموجودات من الطُّعوم والرَّوائح والأصوات، وعدمُ رؤيتها لكون الله تعالى لم يخلق في العبد رؤيتها بطريق جَرْي العادة.

وقد استُدلَّ على الجواز أيضاً بدليل سمعيٍّ، وهو: أنَّ موسى عليه الصَّلاة والسَّلام قد سألها بقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾[1]، فلو لم تكن جائزة ما سألها، وإلا كان طلبها إمَّا جهلاً بأحكام الأُلوهيَّة، وإمَّا سفهاً أو عبثاً بطلب المحال، والأنبياء منزَّهون عن ذلك كلِّه.

وأنَّ الله تعالى قد علَّقها على ممكن - وهو استقرار الجبل - والمعلَّق على الممكن ممكن، إذ معنى التّعليق: الإخبارُ بوقوع المعلَّق عند ثبوت المعلَّق عليه، والمحالُ لا يقع على شيء من التّقادير الممكنة، فلو لم تكن ممكنة لزم الخُلف في خبره تعالى، وهو محال.

وما قيل من أنَّ سؤال موسى عليه السَّلام لم يكن لتحصيل مطلوبه،

---

(١) سورة الأعراف: (١٤٣).

وإنّما كان لتعليم قومه أنّها ممتنعة حين قالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[1]، ولا نُسلِّم أنَّ المعلَّق عليه ممكن، بل هو استقرار الجبل حال تحرُّكه وهو محال.

فجوابه: أنَّ كلّاً من ذلك خلاف الظَّاهر، فلا وجه للحمل عليه، على أنّ قومه إن كانوا مؤمنين كفاهم قوله لهم: (إنّها ممتنعة) وإلا لم يصدّقوه في حكم الله بالامتناع، فالسّؤال عبثٌ على كلِّ حال، والاستقرارُ حال التَّحرُّك ممكن بأن يقع السُّكون بدل الحركة، إنَّما المحال اجتماع الحركة والسُّكون.

. . . . وبـلا فـصـل يـرد　　　في النَّظم فاشياً وضعفه اعتقد

وقال أيضاً في باب المفعول معه[2]:

. . . .　　　والنَّصب مختارٌ لدى ضعف النَّسق

قوله: (على أنَّ قومه. . .إلخ): ترق في الرَّدِّ عليهم، وأيضاً ذكر المحقِّقون من علماء التَّفسير أنَّ سؤال موسى الرُّؤية كان قبل قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[3] بالزَّمن الطَّويل، فحينئذٍ لا يصحُّ ترتُّب سؤاله على سؤالهم.

قوله: (اجتماع الحركة والسُّكون): أي: في زمن متَّحدٍ في جرمٍ متَّحد.

---

(١) سورة البقرة: (٥٥).

(٢) ألفية ابن مالك (ص٤٤).

(٣) سورة النساء: (١٥٣).

(وقد أتى فيه) أي: في وقوع الرُّؤية للمؤمنين (دليلُ النَّقل) من الكتاب والسّنة، وأجمعت الأمّة على ذلك قبل ظهور البدع، بإبقاء النصوص الواردة على ظاهرها من غير تأويل، وكلُّ ما هو كذلك فالجزم به واجب:

- أمّا الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١].

- وأمّا السّنّة: فغير ما حديث؛ منها قوله ﷺ: «**إنّكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلةَ البدر**»، وهو حديث مشهور.

قوله: (فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾): أي: حسنة مضيئة، وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٣]؛ فالحسنى هي: الجنة، والزيادة هي: رؤية الله، وعليه جمهور المفسِّرين.

قوله: (فغير ما حديث): ما زائدة؛ أي: فغير حديث؛ أي: أكثر منه.

قوله: (منها قوله ﷺ): هذا الحديث رواه الشَّيخان والدَّارقطنيُّ عن جريرٍ قال: (كنَّا جلوساً عند النَّبيِّ ﷺ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «أما إنَّكم سترون ربَّكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته»[٤].

---

(١) سورة القيامة: (٢٢-٢٣).

(٢) سورة المطففين: (٢٣).

(٣) سورة يونس: (٢٦).

(٤) صحيح البخاري (٧٤٣٤)، صحيح مسلم (٦٣٣/ ٢١١)، الرؤية للدارقطني (١٠٧).

وخالف في ذلك المعتزلة، فأحالوها متمسّكين بشُبَه؛ أقواها شبهة المقابلة، وتقريرُها: أنّه تعالى لو كان يُرى لكان مقابلاً للرَّائي ضرورةً، فيكون في جهة وحَيِّز، ويلزم اتِّصالُ الأشعَّة من الباصرة بالمرئيِّ، والمسافةُ بين الرَّائي والمرئيِّ بحيث لا يكون بعيداً جدّاً، ولا قريباً جداً، ولكان المرئيُّ إمّا جوهراً وإمَّا عرضاً، ولكان المرئيُّ إمَّا كلَّه فيلزم التَّناهي والحصر، وإمَّا بعضَه فيلزم التَّبعيض والتَّجزُّؤ، واللوازم كلّها محالة فالملزوم مثلها.

وحاصل الجواب ما أشرنا له سابقاً: من أنَّ الرُّؤية عبارة عن نوع من الإدراك يخلقه الله متى شاء، ولأيِّ شيء شاء، في أيِّ محلٍّ شاء، فلا يلزم ما ذكر، وقياس الغائب على الشّاهد فاسد، فكما أنّ العلم إدراك، وهم يعلمونه لا في مكان ولا جهة ولا محدوداً ولا محصوراً، فكذا الرّؤية نوع من أنواع الإدراك، فيدركونه كذلك، ومع ذلك هو انكشاف تامٌ كما نصَّ عليه النبيُّ ﷺ في كثير من الأحاديث.

قوله: (فأحالوها): أي: قالوا: بعدم جواز رؤيته في الدُّنيا والآخرة، بل قال أكثرهم: تجويزها كفر.

قوله: (متمسِّكين بشبه): أي: عقليَّة ونقليَّة، ذكر العقليَّة وترك النَّقليَّة، وأقواها قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[1]، وهو واردٌ مورد المدح، فيكون إدراكه بالبصر نقصاً وهو عليه محال.

وأجيب عن ذلك بأنَّ معنى (لا تدركه): لا تحيط به، على أنَّه قال: لا تدركه، ولم يقل: لا تراه؛ فالأبصار لا تحيط به، كما أنَّ العقول لا تحيط به.

---

(١) سورة الأنعام: (١٠٣).

وبالجملة فالمعتزلة في مخالفتهم لأهل السُّنَّة قد مالوا عن الحقِّ، إمّا لتمسُّكهم بالعادات، وإمَّا لميلهم إلى القواعد الفلسفية، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قوله: (ففي السُّنَّة ما يقتضي وقوعها فيها للمؤمنين أيضاً): أي: لما ورد في الحديث ما معناه: ينادي منادٍ من قبل الله تعالى يوم القيامة: كلُّ أمَّة تتَّبع معبودها، فعبَّاد الشَّمس يلقون معها في النَّار، وهكذا كلُّ معبودٍ مع عابده إلَّا من ﷺ؛ كعيسى، ومريم، وعليٍّ؛ فإنَّ من عبدهم يلقى مع شيطانه في النَّار... إلى أن قال في الحديث: «**فتبقى هذه الأمَّة وفيها منافقوها، فيقولون: لا نبرح حتَّى نرى معبودنا، فيتجلَّى لهم ملك لو وضعت بحار الأرض في نقرة إبهامه لوسعها، فيقول لهم: أنا ربُّكم امتحاناً لهم، فيقولون: نعوذ بالله لست ربَّنا؛ فإنَّ ربَّنا لا يتحيَّز وأنت متحيِّزٌ؛ ثمَّ يتجلَّى لهم ملك آخر لو وضعت بحار الأرض ومثلها معها في نقرة إبهامه لوسعها، فيقولون له مثل ما قالوا للأوَّل، ثمَّ يتجلَّى الله ﷻ، فيخرُّ المؤمنون سجَّداً، فيريد المنافقون السُّجود كالمؤمنين، فلا يقدرون؛ لأنَّه يصير ظهوره مطبقاً، فينادى المنادي: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1]**»، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ...﴾ الآية[2]، فكشف السَّاق عند الخلف مؤوَّل بكشف الحجاب، أو كما قال[3].

---

(١) سورة يس: (٥٩).

(٢) سورة القلم: (٤٢).

(٣) بنحوه أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣/ ١٣٠٢) عن أبي سعيد الخدري ﵁.

وقولي: (في جَنَّة الخُلد) وأمّا في عَرَصَات القيامة؛ ففي السُّنَّة ما يقتضي وقوعُها فيها للمؤمنين أيضاً وهو الصَّحيح، بل قيل: وللكفَّار؛ ليكون الحَجْب عليهم حسرةً، ولا مانع من أن يروه في صفات الجلال.

وأمّا رؤيته تعالى في المنام: فقد وقعت لكثير من الصَّالحين من سلف الأمّة وخَلَفهم، ولا خفاء في أنّها نوع مشاهدة تكون بالقلب لا بالعين.

قوله: (وهو الصَّحيح): مقابله قول من قال: لا يرى قبل دخول الجنَّة.

قوله: (بل قيل: وللكفَّار): أي: والمنافقين، لكنَّ الحقَّ أنَّهم لم يروا لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[1]، ولا يلزم من مزاحمة المنافقين للمؤمنين في القيامة رؤيته، وإنَّما قولهم وفعلهم تقليد كما كانوا يفعلونه في الدُّنيا.

قوله: (وأمَّا رؤيته تعالى في المنام: فقد وقعت. . .إلخ): من جملة من رآه في المنام الإمام أحمد بن حنبل، فقد نقل عنه: أنَّه رآه في المنام تسعة وتسعين مرَّةً، وقال: لئن رأيته تمام المئة؛ لأسألنَّه عن أفضل ما يتقرَّب به المتقرِّبون، فرآه تمام المئة، وسأله فقال له: (بتلاوة كلامي يا أحمد)، فقال: بفهمٍ وبغير فهم؟ فقال: (بفهم وبغير فهم)[2].

واعلم: أنَّه إذا رئي في المنام؛ فقد يرى بالصِّفة الَّتي ذُكرت في التَّوحيد وهي حقٌّ، وقد يرى بصفة الحوادث؛ فإنَّ رئي كذلك وأمر الرَّائي

---

(١) سورة المطففين: (١٥).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٨٣).

والمعتمد أنّ النّبيّ ﷺ رآه ليلة الإسراء بالبصر ....

بما يخالف الشَّرع، كأن قال له: أسقطت عنك التَّكليف؛ فهو الشَّيطان، فإن أطاعه وفعل بمقتضاه؛ فهو ضالٌّ مضلٌّ قد خسر الدُّنيا والآخرة، وإن لم يأمره بذلك؛ فهو رسولٌ من عند الله، فإذا علمت ذلك تعلم أنَّ الشَّيطان قد يتمثَّل بالمولى جل جلاله على أحد قولين.

وأمَّا النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام: فلا يتمثَّل به الشَّيطان، فمن رأى النَّبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام؛ فقد رآه حقّاً لما في الحديث: «**من رآني في المنام؛ فقد رآني حقّاً، فإنَّ الشَّيطان لايتمثَّل بي**»[1]، فإذا رأى شخص النَّبيَّ قال له مثلاً: أسقطت عنك التَّكاليف؛ فالرُّؤيا حقٌّ والغلط من الرَّائي.

والفرق أنَّ الله ليس كمثله شيء، فتمثيل الشَّيطان به لا يضرُّ في العقيدة؛ لقيام البرهان على خلافه.

وأمَّا النَّبيُّ ﷺ: فهو بشرٌ، فلو تمثَّل به الشَّيطان؛ لأفسد الدِّين، وسمعت من شيخنا المؤلِّف يقول: إنَّ كبار الأولياء لا يتمثَّل بهم الشَّيطان أيضاً لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾[2].

قوله: (والمعتمد أنَّ النَّبيَّ ﷺ رآه ليلة الإسراء): أي: وهو قول ابن عبَّاس[3] والجمهور.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦/ ١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الحجر: (٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٨).

لا بالقلب فقط.

وقوله: (لا بالقلب فقط): هو قول السَّيدة عائشة، ورجِّح قول ابن عبَّاس؛ بأنَّه مثبت وهو مقدَّم على النَّافي، على أنَّها لم تدرك زمنها[١].

ولم تقع في الدُّنيا لغيره ﷺ، وأمَّا الكليم فلم ير، وإنَّما حصل له الكلام وهو أعظم عطاياه، فسمِّي كليماً ولم يسمَّى النَّبيُّ كليماً، مع أنَّه أُعطي الكلام أيضاً؛ لكونه فاز بالأشرف وهو الرُّؤية، فمن ادَّعى رؤية الله يقظةً بعيني رأسه؛ فهو ضالٌّ مضلٌّ، قيل: فاسق، وقيل: مرتدٌّ.

إن قلت: كيف تصنع في قول العارف ابن الفارض[٢]: [من الكامل]

وأباح طرفي نظرةً أمَّلتها ... فغدوتُ معروفاً وكنت مُنَكَّراً

وقوله أيضاً[٣]: [من الكامل]

وإذا سألتك أن أراك حقيقةً ... فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

وقوله أيضاً[٤]: [من الطويل]

ومنَّ على سمعي بلن إن منعت أن ... أراك فمن قبلي لغيري لذَّتِ

إذ يوهم أنَّ مقصوده رؤية الله وأنَّه رأى بالفعل، مع أنه من ادَّعى ذلك؛ فهو كافرٌ على أحد القولين.

---

(١) ينظر «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٦٧) وما بعدها.
(٢) ديوان ابن الفارض (ص١٦٩).
(٣) ديوان ابن الفارض (ص١٦٩).
(٤) ديوان ابن الفارض (ص٤٧).

....

قلت: أحسن ما يجاب به؛ أنَّ ذلك خطاب للحضرة النَّبويَّة، فقوله: (ومنَّ على سمعي. . .)إلخ؛ أي: يا رسول الله؛ إن لم ترني ذاتك فأسمعني خطابك، وقوله: (وإذا سألتك. . .)إلخ؛ أي: يا رسول الله؛ لا تعاملني في رؤيتك كما عومل به موسى، بل عاملني في رؤيتك وأرني ذاتك، كما أراك الله ذاته.

ولذا قال أيضاً[1]: [من الخفيف]

أبق لي مقلةً لعلِّي يوماً قبل موتي أرى بها من رآكا

ويجاب أيضاً بأنَّ الكلام في الحضرة الإلهيَّة، والرُّؤية محمولة على الرُّؤية القلبيَّة الَّتي قال فيها[2]: [من الطويل]

أنلنا مع الأحباب رؤيتك الَّتي إليها قلوب الأولياء تسارع

فقوله: (وأباح طرفي) أي: قلبي، وسمَّاه طرفاً تجوُّزاً؛ لأنَّ الكلام خارج مخرج الكناية؛ لأنَّه ليس صريحاً في الذَّات العليَّة.

تتمَّة

من جملة ما أنكر رؤية الله تعالى الزَّمخشريُّ في «الكشَّاف» وأنشد يهجو أهل السُّنَّة بقوله[3]:

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص١٥٧).

(٢) ديوان ابن الفارض (ص٢١٣).

(٣) وفي حاشية المطبوع: وقد أجاب عن بيتي المعتزلي حضرة الفاضل الشيخ أحمد علي المليجي بقوله -أجزل الله له الأجر والثواب-:

....

لجماعة سمُّوا هواهم سنَّة … وجماعة حمر لعمري موكفة
قد شبَّهوه بخلقه وتخوَّفوا … شنع الورى فتستَّروا بالبلكفة

قال ابن المنير حيث انتقل للهجو، فقد أذن النَّبيُّ ﷺ لحسَّان فيه، ونقتدي به فنقول:

وجماعة كفروا برؤية ربِّهم … هذا لوعد الله ما لن يخلفه
وتلقَّبوا النَّاجين كلَّا إنَّهم … إن لم يكونوا في لظى فعلى شفى

وقال أبو حيان:

شبَّهت جهلاً صدر أمَّة أحمد … وذوي البصائر بالحمير الموكفة
وجب الخسار عليك فانظر منصفاً … في آية الأعراف فهي المنصفة

= يا منكر نظر العباد لربها … في جنة من غير كيف للصفة
الله أثبتها بنص كتابه … والعقل جوّزها بنور المعرفة
ودليله لذوي البصائر ظاهر … وبه أقرّ أولو العقول المنصفة
وهو القياس على وجود إلهنا … والكل أجمع أنه بالبلكفة
وعليه فاجزم بالجواز ولا تكن … ممن تعنت وارتضى قول السفه
وأخبر بها حيث القياس مطابق … وأرح فؤادك من عناء السفسفة
أو فاترك الإثنين واتبع الهوى … وإذاً تقاد إلى المهاوي المتلفة
وتعد في الدنيا لدى عقلائها … أغبى غبي كالحمير الموكفة.
وبها يكون جزاء مثلك محقه … منها ولكن بالسيوف المرهفة.
هذا اعتقادي لا أميل لغيره … وهو الصواب ولم يكن بالزخرفة

قال ناظم هذه الأبيات: هذا ما فتح الله به، ومن كان لديه جواب أقوى منه؛ فليأت به وله الأجر.

....

أترى الكليم أتى بجهلٍ ما أتى ... وأتى شيوخك ما أتوا عن معرفة
إنَّ الوجوه إليه ناظرة بذا ... جاء الكتاب فقلتمُ هذا سفه
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى ... فهوى الهوى بك في المهاوي المتلفة

وقال الجاربردي:

عجباً لقوم ظالمين تستَّروا ... بالعدل ما فيهم لعمري معرفة
قد جاءهم من حيث لا يدرونه ... تعطيل ذات الله مع نفي الصِّفة

وقال التَّاج السُّبكيُّ:

لجماعة جاروا وقالوا إنهم ... للعدل أهل ما لهم من معرفة
لم يعرفوا الرَّحمن بل جهلوا ومن ... ذا أعرضوا بالجهل عن لمح الصِّفة

وقال أبو الحسن البكريُّ:

يا جامعاً بين الضَّلالة والسَّفه ... ومشبِّثاً في دينه بالفلسفة
ومذمِّماً في عدله جور بلا ... عرف ويزعم وصفه بالمعرفة
فبزعمه لم ينصرف عن غيِّه ... بل ظلَّ في حجج تلوح مزخرفة
قد قلت قول الله حقٌّ ثمَّ لم ... تؤمن برؤياه وذلك متلفة
ومنعت من قدم الصِّفات ضلالة ... فلظى لذاتك كلَّ وقت[1] مشرفة
فلك الَّذي قد قلته في رؤيةٍ ... وجزيت بالعدل السِّيوف المرهفة

انتهى من «حاشية شيخنا الأمير على الشَّيخ عبد السَّلام»[2].

---

(١) في «حاشية الأمير»: (في الورى) بدل (كل وقت).

(٢) حاشية الأمير على الإتحاف (ص٢٠٣)، وينظر «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/ ٩).



القســم الثانــي

النّبــوّات

بيان ما يجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام

أولاً: الأمانة:

ولمَّا فرغ من القسم الأوّل من أقسام هذا الفنِّ - وهو الألوهيَّات - شرع في القسم الثاني وهو النّبوات، فقال:

(وَصِفْ) أيُّها المكلَّف وجوباً (**جميع الرُّسْل**) بسكون السّين للضَّرورة؛ أي: يجب عليك أن تعتقد أنّهم عليهم الصّلاة والسّلام متّصفون (**بالأمانة**).

تعريف الأمانة ودليلها:

وهي: حفظ الله تعالى بواطنَهم وظواهرَهم من التَّلبُّس بمنهيٍّ عنه ولو نهيَ كراهة، ولو حال الطُّفولية، وهي المسمَّاة بالعِصمة.

قوله: (وهو الألوهيَّات): أي: ما يتعلَّق بحضرة الإله من الواجب والمستحيل والجائز في حقِّه تعالى، والرَّد على المخالفين في ذلك، وختم ذلك المبحث بالرُّؤية؛ لأنَّه المقصد الأعظم للعارفين، ولذا قال بعضهم:

ليس قصدي من الجنان نعيما غير أنِّي أريدها لأراكا

قوله: (وصف أيُّها المكلَّف وجوباً): أي: يجب عليك أن تعتقد أنَّهم موصوفون بتلك الصِّفات.

قوله: (ولو حال الطُّفوليَّة): إن قلت: إنَّه لا تكليف قبل البعثة، فلا معصية قبلها، فكيف يقال: إنَّهم معصومون من المعاصي قبل النُّبوَّة؟ والحال أنَّه لا معصية قبلها.

....

قلت: المراد الصُّورة الَّتي يحكم عليها بأنَّها معصية بعد البعثة.

إن قلت: إنَّ إخوة يوسف قد فعلوا معه ما ظاهره الحرام، فعلى أنَّهم ليسوا بأنبياء فلا إشكال، وأمَّا على أنَّهم أنبياء فهو مشكل.

أجيب: بأنَّهم وإن كانوا أنبياء إلَّا أنَّهم ليسوا برسل مشرِّعين، فللنَّبي أن يفعل بمقتضى الحقيقة وباطن الأمر، كما في خرق السَّفينة وقتل الغلام الواقع من الخضر عليه السَّلام، فهو بحسب الظَّاهر حرام، وبحسب الباطن مصلحة، فأخوة يوسف أعلمهم الله بالإلهام أو الوحي أنَّ يوسف يملك مصر وتحصل له السِّيادة العظمى بها، فتعيَّن عليهم أن يفعلوا أموراً وإن كان ظاهرها الحرام، إلَّا أنَّها في الباطن والواقع واجبة عليهم؛ ليتوصَّلوا بذلك إلى وصوله مصر، ففعلهم هذا حرام ظاهراً، مأمورون به باطناً، ويقال فيهم كما قال الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾[1]، وكذا يقال في أكل آدم من الشجرة، ويوضِّح المقام قول العارف الجيليِّ: [من الطويل]

ولي نكتة غرا هنا سأقولها	**وحقَّ لها أن ترعويها المسامع**
هي الفرق ما بين الوليِّ وفاسق	**تنبَّه لها فالأمر فيه بدائع**
وما هو إلَّا أنَّه قبل وقعه	**يخبر قلبي بالَّذي هو واقع**
فأجني الَّذي يقضيه في مرادها	**وعيني لها قبل الفعال تطالع**
فكنت أرى منها الإرادة قبل ما	**أرى الفعل منِّي والأسير مطاوع**

---

(١) سورة الكهف: (٨٢).

إذ لو جاز عليهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرَّم أو مكروه للزم أن يكون ذلك المحرَّم أو المكروه طاعة.

إذا كنت في أمر الشَّريعة عاصياً فإنِّي في حكم الحقيقة طائعٌ

ويؤوَّل أيضاً ما يوهم خلاف الأمانة في حقِّهم؛ كقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١)، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾(٢)؛ **بأنَّ المراد**: ذنوب أمَّته ووزرهم.

أو المراد: وزره على فرض وقوعه؛ أي: إن وقع منك ذنب أو وزر؛ فقد غفرناه لك، ووضعناه عنك.

أو المراد بالوزر: أثقال الوحي؛ فإنَّه كان يثقل عليه نزول الوحي، فأخبره الله بأنَّه وسع صدره، ووضع عنه أثقال الوحي، فكان بعد ذلك لا يثقل عليه.

قوله: (إذ لو جاز عليهم أن يخونوا...إلخ): هذا قياس استثنائيٌّ مركَّب من شرطيَّة متَّصلة مذكورة، واستثنائيَّة محذوفة، استثنى منها نقيض التَّالي، فأنتج نقيض المقدم ونظم القياس هكذا: لو خانوا بفعل محرَّم أو مكروه؛ لانقلب المحرَّم أو المكروه طاعة في حقِّهم، لكنَّ انقلاب المحرَّم أو المكروه طاعة مأموراً بها باطل، فبطل المقدَّم وهو صدور الخيانة منهم، وإذا بطل صدور الخيانة منهم؛ وجبت لهم الأمانة وهو المطلوب.

---

(١) سورة الفتح: (٢).
(٢) سورة الشرح: (٢).

وبيان الملازمة: أنّ الله تعالى قد أمرنا باتّباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل، إلا فيما ثبت اختصاصُهم به عن الأمّة، وحينئذٍ فكلُّ ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكلُّ مأمور به فهو طاعة؛ لأنّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء.

ثانياً: الصّدق:

(والصّدق) أي: في دعواهم الرِّسالةَ في تبليغهم الأحكام.

تعريف الصّدق ودليله:

وهو: مطابقة حُكْم الخبر للواقع، قال تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[1].

قوله: (باتِّباعهم في أقوالهم وأفعالهم): مراده بالأفعال ما قابل الأقوال، فيشمل الإقرار، إذ لا يقرُّون على محرَّم أو مكروه.

قوله: (والصِّدق): أي: ولو في المزاح؛ لما في الحديث: «**أمزح ولا أقول إلا حقّاً**»[2]، ويؤول له ما ظاهره الكذب في حقِّ الأنبياء، كما في واقعة إبراهيم الخليل مع الأصنام في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[3]، كلام خارج مخرج التَّقريع والتَّهديد والتَّبكيت؛ لأنَّه لم يكن عند الأصنام غيره، فما فائدة قولهم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾؟[4].

---

(١) سورة النجم: (٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٩٠)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة الأنبياء: (٦٣).

(٤) سورة الأنبياء: (٥٩).

ولأنّهم لو جاز عليهم الكذب، للزم الكذب في خبره تعالى، لأنّه تعالى صَدَّقهم بالمعجزة النَّازلة منزلةَ قوله: (صدق عبدي في كلِّ ما يبلّغ عنّي) وتصديقُ الكاذب كذبٌ محضٌ، والكذبُ على الله محالٌ لأنّه نقصٌ، وما أدّى إلى المُحال محال.

بيان معنى المعجزة:

والمعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتَّحدي مع عدم المعارضة.

فدخل في قولنا: (أمر) الفعلُ والتَّركُ؛ كعدم إحراق النّار لإبراهيم عليه السَّلام.

وقولنا: (خارق . . . إلخ) احترازٌ من أن يتمسَّك بالعادات.

وقولنا: (مقرون بالتَّحدِّي) أي: دعوى الرّسالة، احتراز من كرامات الأولياء، ....

قوله: (المعجزة): هي في الأصل مشتقَّة من الإعجاز: وهو إثبات العجز في الغير، ثمَّ استعمل في لازمه وهو إظهاره، ثمَّ نقلت للأمر الخارق الَّذي ذكره الشَّرح، والتَّاء في (معجزة) للنَّقل من الوصفيَّة للاسميَّة.

قوله: (مع عدم المعارضة): أي: مع عدم القدرة على المعارضة والإتيان بمثله.

قوله: (كرامات الأولياء): أي: وهي الأمور الخارقة للعادة الظَّاهرة على يد ظاهر الصَّلاح.

والإرهاصات: وهي ما تتقدَّم بعثةَ الأنبياء تأسيساً لها.

وقولنا: (مع عدم المعارضة) احترازٌ من السِّحر والشَّعوذة.

والحاصل: أنَّ أحوال الخارق للعادة ستَّة، جمعها بعضهم بقوله:

[من الطويل]

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادةً	**فمعجزة إن من نبيٍّ لنا صدر**
وإن بان منه قبل وصف نبوَّة	**فالإرهاص سمِّه تبَّع القوم في الأثر**
وإن جاء يوماً من وليٍّ فإنَّه	**الكرامة في التَّحقيق عند ذوي النَّظر**
وإن كان من بعض العوام صدوره	**فكنُّوه حقّاً بالمعونة واشتهر**
ومن فاسقٍ إن كان وفق مراده	**يسمَّى بالاستدراج فيما قد استقر**
وإلَّا فيدعى بالإهانة عندهم	**وقد تمَّت الأقسام عند الَّذي اختبر**

قوله: (والإرهاصات): مأخوذ من الرِّهص - بالكسر -، وهو أساس الحائط، سمِّيت بذلك؛ لأنَّها مؤسسة للنُّبوَّة ومقوِّية لها، وذلك كخمود نار فارس، وانشقاق إيوان كسرى، وتظليل الغمام، وغير ذلك.

قوله: (من السِّحر والشَّعوذة): أي: فإنَّ كلّاً منهما يمكن معارضته والإتيان بمثله، وما ذكره الشَّارح من أنَّ السِّحر خارج بقيد عدم المعارضة؛ مبنيٌّ على القول بأنَّه خارق للعادة.

وقال القرافيُّ: (إنَّه معتاد، وغرابته للجهل بأسبابه، فمن عرف أسبابه وتعاطاها؛ أجاب معه، وعليه فهو خارج بقوله: (خارق للعادة).

والشَّعوذة هي: خفَّةٌ في اليد تُري الشَّيء على خلاف ما هو عليه، ويقال: شعبذة بالباء أيضاً.

معجزاته عليه الصَّلاة والسلام

وسيِّدُنا محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ وعلى والديه وأولاده وآله وصحبه وأمَّته قد ادّعى أنَّه رسول الله إلى الإنس والجنّ، بل إلى الخلق جميعاً، وأظهر المعجزة على دعواه.

أمَّا دعواه الرِّسالة: فقد علم بالتَّواتر، حتى لا ينكر ذلك مؤمن ولا كافر.

وأمَّا إظهار المعجزة فلوجهين:

أحدهما: أنّه أظهر كتاباً من عند الله تعالى، وتحدَّى به مع كمال بلاغتهم وقوَّتهم على معرفة أساليب الكلام، وطَلَب من إنسهم وجنّهم

قوله: (وعلى والديه): الأحسن كسر الدَّال ليشمل الأجداد[١].

قوله: (إلى الإنس والجنِّ): أي: إرسال تكليف.

وقوله: (بل للخلق جميعاً)[٢]: أي: ولكن إرساله للجمادات والحيوانات الغير العاقلة إرسال تشريف، وللملائكة قيل: تكليف، وقيل: تشريف، وللثَّقلين إرسال تكليف.

---

(١) أي: لأنهم كانوا على ملة إبراهيم، فهم مؤمنون من أهل الجنة، ولا عبرة بقول من قال في أبويه خلاف ذلك، بل الذي اشتهر أن نوره عليه الصلاة والسلام كان ينتقل من أصلاب الفاخرة إلى الأرحام الطاهرة، فهذا يدل على أن أبويه وأجداده كانوا على دين حق؛ أي: على ملة إبراهيم. «تقريرات بصيلة».

(٢) فبعثته ﷺ عامة في الزمان والمكان إلى جميع المكلفين، فرسالته عامة إلى يوم القيامة، وكذا شريعته باقية إليها.

ذلك، فلم يقدروا على المعارضة ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١]؛ أي: معيناً، فتحدّى بعَشْر سُوَر فلم يقدروا، فتحدَّى بسورة - الصَّادق بأقصر سورة - فلم يقدروا على المعارضة مع شدَّة حِرْصهم على ذلك، حتّى خاطروا بمُهَجِهم، وأعرضوا عن المعارضة بالحروف إلى المقارعة بالسُّيوف.

ولم يُنقل عن واحد منهم - مع توفُّر دواعيهم - الإتيانُ بشيء ممّا يدانيه، بل جعل الكذاب أن يعارضه، فأتى بخرافات مضحكة، أيُّ

قوله: (الصَّادق بأقصر سورة): الظَّاهر أنَّه منصوب نعت لمحذوفٍ معمول، تحدِّي تقديره التَّحدِّي الصَّادق. . .إلخ.

قوله: (ممَّا يداينه): أي: يقرب منه.

قوله: (بل جعل الكذَّاب): أي: واسمه مسيلمة من أرض اليمامة، ادَّعى النُّبوَّة في زمنه ﷺ، وكتب كتاباً وبعثه لرسول الله ﷺ، صورته: من عند مسيلمة رسول الله إلى محمَّد رسول الله، أما بعد: فإنَّ الأرض بيني وبينك نصفان، لي نصفها ولك نصفها، فأرسل له رسول الله ﷺ يقول له: «**من عند محمَّد رسول الله إلى مسيلمة الكذَّاب.**

أمَّا بعد: فإنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده»[٢].

---

(١) سورة الإسراء: (٨٨).

(٢) ينظر «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٣٣١)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠١).

إنسانٍ سمعها إلا وضحك وعلم أنّها هذيان، كما في معارضته لسورة الكوثر بقوله: (إنّا أعطيناك العقعق، فصلِّ لربِّك وازعق، إن شانئك هو الأبلق)، وكما في معارضته سورة الفيل بقوله: (الفيل ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب طويل ومشفر وتيل).

وما أحسن قول شرف الدين البوصيري في البردة[١]: [من البسيط]

ردّت بلاغتُها دعوى معارِضِها ... ردَّ الغَيُور يدَ الجاني عن الحُرَم

ثانيهما: أنّه نُقل عنه عليه الصَّلاة والسَّلام من خوارق العادات ما بلغ القدر المشترك من حدّ التّواتر، وإن كان تفاصيلها آحاداً؛ كتسبيح الحصى في كفّه[٢]، وتكليم الجمادات[٣] والحيوانات[٤]، ونبع الماء من

قوله: (ردَّ الغيور): مفعول مطلق لقوله: (ردَّت)، **والغيور**: صفة لموصوف محذوف؛ أي: الرَّجل الغيور، وهو كثير الغيرة عظيمها.

وقوله: (عن الحرم): جمع حرمة؛ أي: إنَّ الرَّجل إذا كان عظيم الغيرة ووجد جانياً على حريمه؛ يدفعه بشدَّة وقوَّة ولو أدَّى إلى قتله، فآيات القرآن العزيز بلاغتها تردُّ معارضها كهذا الرَّدِّ.

---

(١) بردة البوصيري (ص٢٠).

(٢) أخرج الطبراني في «الأوسط» (١٢٤٤) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: (إني لشاهد عند النبي ﷺ في حلقة وفي يده حصى، فسبحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فسمع تسبيحهن من في الحلقة....) الحديث.

(٣) أخرج مسلم (٢٢٧٧) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، وإني لأعرفه الآن**».

(٤) روي أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاءه أعرابي وقد صاد ضباً، =

الأصابع[1]، وظهور البركة في الأطعمة والأشربة[2]، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة.

هذا مع ما كان عليه من حُسْن الخُلُق، الذي لا يراه أحد إلا ويقطع أنّه ليس بكذّاب، وإن كان يقع من الضَّالين العِناد.

ومن كمال خلقه تمام الحلم والعلم مع كونه ولد في قوم لا يعرفون شيئاً، من غير أن يتعاطى أسباب العلم، ووفور البركة، مع قلّة أكله جداً، فيقدم حيث تحجم الأبطال، ويقف حيث يفرُّ عند شدّة

قوله: (فيقدم حيث تحجم الأبطال): أي: يتقدَّم لقتال الكفَّار في محلٍّ يرجع منه الشُّجعان، ولا يستطيعون الإقبال منه ولا الوقوف فيه.

= فقال الأعرابي: من هذا؟ قالوا: نبي الله، فقال: واللات والعزى، لا آمنت به إلا أن يؤمن هذا الضب، وطرحه بين يديه ﷺ، فقال: «**يا ضب**»، فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى يوم القيامة، قال: «**من تعبد؟**»، قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: «**فمن أنا؟**»، قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك، فأسلم الأعرابي. أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٩٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضؤوا من عند آخرهم) أخرجه البخاري (١٦٩) ومسلم (٢٢٧٩).

(٢) أخرج مسلم (١٧٢٩) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في

=

الهول صناديدُ الرِّجال، ويَثبُت على حاله من الدَّعوى لدى شدائد الأهوال، حتَّى لم يجد أعداؤه إليه مَطعناً في حال من الأحوال، بل شهد له العدوُّ والحبيب بوُفُور الكمال والإفضال.

كلُّ ذلك نُقل إلينا بالتواتر، فعلمنا ذلك علماً ضروريَّاً، فلا يُعاند في ذلك إلا مَن استحق من الله تعالى شديد النَّكال.

وأمَّا نُبوَّة غيره كآدم فمن بعده: فقد عُلم بالكتاب والسُّنَّة، وأثنى عليهم الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1]، وغير ذلك، فيجب لهم ما يجب له عليه الصَّلاة والسَّلام، والبعضُ قد عيَّنه الكتاب ....

قوله: (صناديد الرِّجال): جمع صنديد، وهو الشُّجاع.

قوله: (بل شهد له العدوُّ والحبيب. . . إلخ): أي: وناهيك بما وقع من هرقل لأبي سفيان[2].

قوله: (والبعض قد عيَّنه الكتاب): أي: وهو خمسة وعشرون؛ منهم

= غزوة، فأصابنا جهدٌ، حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزادونا، فبسطنا له نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع، قال: فتطاولت لأحرزه كم هو؟ فحرزته كربضة العنز، ونحن أربع عشرة مئة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جربنا، فقال نبي الله ﷺ: «فهل من وضوء؟»، قال: فجاء رجل بإداوة له فيها نطفة فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا، ندغفقه دغفقة، أربع عشرة مئة.

(١) سورة النساء: (١٦٥).

(٢) أخرج القصة البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣/ ٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والبعضُ لم يعيّنه.

وقد ثبت بالكتاب والسُّنَّة أنّه آخر النّبيّين[١]، فلا تُبتدأ نُبوَّةٌ بعده عليه الصلاة والسلام.

وقد ضرب الأشياخ لصدق مدَّعي الرّسالة بدليل المعجزة مثالاً يتَّضح به دلالتُها على صدقه ويُعلم ذلك بالضَّرورة، فقالوا: مثال ذلك ما إذا قام رجل في مجلس مَلِك بحضور جماعة، وادّعى أنَّه رسول هذا المَلِك إليهم، فطلبوا منه الحُجَّة على ذلك، فقال: دليلي على صدق قولي أن يُغيِّر المَلِك عادتَه؛ بأن يقوم عن سريره، ويقعد ثلاث

ثمانية عشر في (الأنعام) في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ...﴾ الآيات[٢]، والباقي محمَّد، وآدم، وهود وصالح، وشعيب، وإدريس، وذو الكفل كما يأتي[٣].

قوله: (والبعض لم يعيِّنه): أي: وهو ما عدا هذه الخمسة والعشرين،

---

(١) أما الكتاب: فقوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾ الآية (٤٠)، والسنة: ما أخرجه الترمذي (٢٨٤٠) عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي».

(٢) سورة الأنعام: (٨٣- ٨٦) وتتمتها: ﴿ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٨٥ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

(٣) انظر (ص٣٤٨).

مرات، والمَلِك يسمع ذلك، ففعل المَلِك ذلك، فلا شكّ أنّه يحصل للجماعة العلمُ الضَّروريُّ أنَّه صادق في دعواه، ومُنزَّلٌ منزلة قوله: (صدق هذا الرَّجل فيما ادعاه)، ولا فرق في حصول العلم بذلك لمن شاهده أو لم يشاهده، ولكن نُقل إليه خبر هذا الفعل بالتواتر.

ثالثاً: التبليغ:

(والتَّبليغ) أي: إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المرسَل إليهم، إذ هم مأمورون بالتبليغ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[1]، والأمر للوجوب، وقد تقدَّم أنَّهم لا يخونون الله تعالى بفعل منهيٍّ عنه.

وما ثبت له عليه الصَّلاة والسَّلام يثبُتُ لهم، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[2]، ولا يتمُّ التبشيرُ والإنذار إلا بالتَّبليغ.

رابعاً: الفطانة:

(والفَطانة)، بفتح الفاء، وهي حِدَّة العقل وذكاؤه.

فلا يجوز أن يكون الرَّسول ولا النّبيُّ مُغفَّلاً أو أبله أو بليداً؛ لأنَّهم أُرسلوا لإقامة الحُجَج وإبطال شُبَه المجادلين، ولا يكون ذلك من مُغفَّل ولا أبله، ولأنَّا مأمورون بالاقتداء بهم في الأقوال والأفعال، والمقتدى به لا يكون بليداً، ولأنَّ البَلادة صفةُ نَقْص تُخِلُّ بمنصبهم الشَّريف، ومن ذلك يعلم أنَّهم لا يكونون إلا من أشرف

(١) سورة المائدة: (٦٧).

(٢) سورة النساء: (١٦٥).

الناس؛ رجالاً ونساءً، إذ شأنُ دنيء الأصول أن تأنف النَّفس من اتّباعه والاقتداء به، ولذا كانوا مُنزَّهين عن كلِّ ما يُخِلُّ بالمروءة، وكلِّ ما يؤدِّي إلى نقص في مراتبهم العليَّة عليهم صلوات الله وسلامه.

بيان

ما يستحيل في حقّهم عليهم الصلاة والسلام

(ويستحيل) في حقِّهم عليهم السلام (ضدُّها) أي: ضدُّ هذه الواجبات الأربعة المتقدّمة (عليهم) فيمتنع في حقِّهم:

أولاً: الخيانة ....

قال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1].

قوله: (ضدُّها): المراد بالضِّدِّ: مطلق المنافي؛ وذلك لأنَّ الكذب عدم مطابقة الخبر للواقع، والخيانة فعل المحرَّمات والمكروهات، والكتمان: عدم الوفاء بما أمروا بتبليغه للخلق، وحينئذٍ فالتقابل بين الصِّدق والكذب تقابل الشَّيء والمساوي لنقيضه.

وأمَّا بين الأمانة والخيانة: فتقابل الضِّدَّين؛ لأنَّه فسَّر الخيانة بالفعل وهو وجوديٌّ.

وأمَّا بين التَّبليغ والكتمان: فتقابل الشَّيء والمساوي لنقيضه، وكذا بين الفطانة والبلادة.

(١) سورة غافر: (٧٨).

بفعل منهيٍّ عنه، إذ أفعالهم لا تخلو عن الواجب والمندوب والمباح، وهذا بالنَّظر إلى الفعل في حدِّ ذاته، وأمَّا لو نُظر إليه بحسب عوارضه فالحقُّ أنَّ أفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب لا غير، وأمَّا المباحُ فلا يقع منهم كما يقع من غيرهم، بل لا يقعُ منهم إلا مصاحباً لنيَّةٍ تَصرِفه إلى كونه مطلوباً، وأقلُّه قصدُ التَّشريع للغير، وذلك من باب التَّعليم، وناهيك به مرتبة.

وإذا كان بعض تابعيهم؛ كالأولياء لا تخلو أفعاله من الواجب والمندوب بصرف المباحات بالنيَّة الصَّالحة إلى المندوبات، كأن يصرف الأكلَ للتَّقوي على العبادة وإقامة البُنْية، والجماعَ لصَوْن النَّفس عن الحرام وللنَّسل المطلوب، وغير ذلك، فكيف بهؤلاء السّادة الكرام عليهم أفضل الصّلاة والسَّلام.

ثانياً: وكذا يستحيل عليهم الكذب لما مرّ، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[1].

ثالثاً: وكذا يستحيل عليهم كتمان شيء ممَّا أُمروا بتبليغه، إذ كيف

قوله: (بفعلٍ منهيٍّ عنه): الباء للتَّصوير.

قوله: (لما مرَّ): أي: من الدَّليل العقليِّ.

وقوله: (ولقوله تعالى. . . إلخ): هذا هو الدَّليل النقليُّ.

---

(١) سورة الحاقة: (٤٤-٤٧).

يقع منهم الكتمان، وهو ملعون صاحبه بنصّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ...﴾ الآية[1].

وأمَّا ما لم يؤمَروا بتبليغه؛ فبعضُه يُخيَّرون في تبليغه، **وهو ما لم يؤمروا بعدم تبليغه**، وبعضُه يجب كتمانه، **وهو ما أمروا بكتمانه**؛ كبعض الأسرار الإلهية، وبعضُ هذا القسم أُذن لهم في إيصاله لبعض الأفراد؛ كالخلفاء الأربعة وكأبي هريرة رضي الله عنهم، وهذه الأسرار هي المتداولة بين الأولياء.

رابعاً: وكذا يستحيل عليهم البلاهة والغفلة والبلادة.

بيان
ما يجوز في حقّهم عليهم الصّلاة والسلام

(وجائز) عليهم كلُّ عَرَض بشريٍّ لا يؤدّي إلى نقص في مراتبهم العَليَّة، بألا يكون مَنهيّاً عنه، ولا مباحاً مُزْرياً، ولا مرضاً مُزْمناً أو

قوله: (وبعض هذا القسم أذن لهم في إيصاله. . .إلخ): وبعض العلماء يجعل هذا من القسم المخيَّر فيه، فتكون الأقسام ثلاثة: **ما أمروا بتبليغه** لم يكتموا منه حرفاً، **وما أمروا بكتمانه** لم يبلِّغوا منه حرفاً، **وما خيِّروا فيه** بلَّغوا البعض وكتموا البعض، وما بلَّغوه منه هو الأسرار الإلهيَّة السَّارية في الأولياء، وهذا هو الظَّاهر.

---

(١) سورة البقرة: (١٥٩).

تعافُه النَّفس؛ كالجُذام والبَرَص، سواء كان ممَّا لا يستغنى عنه عادة، (كالأكل) والشّرب والنّوم، أم كان ممّا يستغنى عنه كأكل الفواكه والنّكاح، أو كان من الأمراض غير المُزْمنة وغير المنفِّرة، فكلُّ ذلك جائز (في حقِّهم) عليهم الصّلاة والسّلام.

ولا تخلو هذه الأعراض النّازلة بهم من فوائد:

- كتعظيم أجورهم، وعُلوِّ مراتبهم عند اللهِ تعالى، واللهُ تعالى وإن كان قادراً على أن يفعل بهم ذلك من غير ابتلاء ومشقَّة تحصُل لهم، إلّا أنَّ حكمته تعالى اقتضت ترتُّب ذلك على الابتلاء، لا يُسأل عمّا يفعل.

- وكالتَّشريع، كما عرفنا أحكام السَّهو في الصَّلاة من سهوه ﷺ[1]، وكيف تؤدَّى الصّلاة في حال المرض والخوف من فعله عليه الصلاة والسلام حال ما ذكر، ودلالة الفعل أقوى من دلالة القول.

- وكالتَّسلِّي بأحوالهم إذا نزل بنا ما نزل بهم.

قوله: (والنِّكاح): المراد به الجماع في الحلِّ أعمُّ من أن يكون بعقدٍ أو ملك يمين، لكن بقيد العقد بالمسلمات الحرائر.

قوله: (وكالتَّسلِّي): أي: التَّصبُّر، وعدم الحزن على فقد الدُّنيا، فإذا

---

(١) أخرج البخاري (٤٨٢) ومسلم (٥٧٣/ ٩٩) واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فسلم في ركعتين، فقام ذو اليدين، فقال: أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«كل ذلك لم يكن»** فقال: قد كان بعض ذلك يا رسول الله، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: **«أصدق ذو اليدين؟»** فقالوا: نعم يا رسول الله، فأتم رسول الله ﷺ ما بقي من الصلاة، ثم سجد سجدتين وهو جالس بعد التسليم.

- وكالتَّنبيه على حقارة الدُّنيا وخِسَّة قدرها عند الله تعالى، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لو كانت الدُّنيا تَزِن عند الله جَناحَ بعوضة ما سقى الكافرَ منها جَرْعةَ ماء**»[١]، فإذا نظر العاقل في أحوالهم عليهم الصّلاة والسّلام من أمراض وأسقام وقِلَّة مال، وأذيَّةِ الخلق لهم، عَلِم أنّها لا قَدْر لها عند الله تعالى فأعرض عنها بقلبه بالكلّية، وعلّق قلبه بربّه في البكرة والعشيَّة إن كان ذا هِمَّة عَليَّة، حتى يرى إثر موته عاقبة هذه العيشة المَرْضيَّة.

ودخل في قولنا: المباح المزري سؤالُ الصَّدقة، بل قَبولها، فلا يجوز عليهم، والأكلُ في السّوق.

ودخل في المرض المُزمن العمى والجنون ولو قلَّ؛ لأنَّ شأنه أن يزمن، ولأنّه نقص، ولم يعمَ نبيٌّ قَطُّ، وما قيل: إنَّ شعيباً عليه السلام كان

حصل لك فقر مثلاً أو مرض تسلَّى بما وقع للأنبياء قبلك.

قوله: (وخسَّة قدرها): أي: لأنَّ حلالها حساب، وحرامها عقاب.

قوله: (جرعة ماء): بضمِّ الجيم وفتحها، والمعنى: لو كان للدُّنيا قيمة قليلة توازن جناح بعوضة، فضلاً عن كونها كثيرة ما سقى... إلخ.

قوله: (العيشة المرضيِّة): مفعول ثان لـ(يرى)، والأوَّل قوله: (عاقبة هذه).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٤١) عن سهل بن سعد رضي الله عنهما.

ضريراً لا أصل له، ويعقوبُ إنمَّا حصلت له غشاوة وزالت.

وأمَّا السَّهو: فيجوز في الأفعال كالسَّلام من ركعتين دون الأقوال، وأمّا نسيان الأحكام فلا يجوز عليهم قبل التَّبليغ، ويجوز بعده لحفظه بعده، ولوجوب ضبطه على المبلَّغ ليعمل به وليبلّغه، ويجوز نسيان المنسوخ مطلقاً قبل التبليغ وبعده.

واعلم: أنّ ما جاز عليهم من الأعراض البشريّة التي لا تؤدِّي إلى نقص في مراتبهم العَليَّة، فإنَّما هو بحسب ظواهرهم فقط، وأمَّا بواطنهم فهي معمورةٌ بالأسرار الإلهيَّة، متعلّقةٌ بحبِّ خالق البريَّة، فلا يحصل منهم ضَجَر ولا شكوى ولا تأوُّه منها، بل لا يزيدهم منه إلا قرباً وحبّاً، بل هذه الحالة تكون في كثير من أمَّتهم، فكيف بهم عليهم الصّلاة والسّلام.

إرسال الرّسل تفضّل ورحمة من الله

ولَمَّا أوجبت المعتزلة إرسالَ الرُّسل بناءً على قاعدتهم، من وجوب الصَّلاح عليه تعالى، والأصلحُ في حقِّ عبيده أن يُرسِل إليهم الرُّسل لِينبِّهوهم على ما يُنجيهم من المهالك وما يُوبقهم فيها، وأحالَه السمنية والبراهمة ....

قوله: (وزالت): أي: حين جاءه البشير بقميص يوسف، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾[1].

قوله: (والبراهمة): نسبة لبرهام كبيرهم.

---

(١) سورة يوسف: (٩٦).

نظراً إلى أنّه عبث؛ لكون العقل كافياً عنه، أشار إلى الرّدّ عليهم بقوله:

(إرسالُهم تفضُّل) وإحسان من الله تعالى، **(ورحمة)** منه **(للعالمين)** وليس بواجب عليه، لما علمتَ أنَّه الفاعل المختار الذي لا حرج عليه، ولا يُسأل عمَّا يفعل، ولا بمستحيل؛ لأنّ العقل إذا خلا ونفسَه قد يغفُل عن أكثر الأحوال المناسبة له في معاشه، فكيف بدقائق الشَّرع والسَّمعيَّات التي لا تُتلقَّى إلّا من الصَّادق.

(جلَّ مولي) بضم الميم وكسر اللّام؛ أي: معطي، **(النّعمة)** التي من أجلِّها إرسال الرّسل إلينا، فله الحمد على ذلك، وعلى كلّ حال.

قوله: (نظراً إلى أنَّه عبث. . .إلخ): أي: فهو بناء على أصلهم الفاسد من التَّحسين والتَّقبيح العقليين.

قوله: (أشار للرَّدِّ عليهم): أي: الفرق الثَّلاث، وكذا على الفلاسفة القائلين: إنَّ الرُّسل موجودون بالعلَّة والطَّبيعة، لكنَّ السُّمنية، والبراهمة، والفلاسفة كفَّار، والمعتزلة فسَّاق.

قوله: (فله الحمد على ذلك): أي: على إرسال الرُّسل لنا ولم يدعنا كالبهائم هملاً.



القسم الثالث

السمعيّات

الإيمان بالحساب

ولمَّا كانت مباحث هذا الفنِّ ثلاثة: إلهيَّات ونبوّات وسمعيّات، وقد تقدّم الكلام على بيان الأوّلين؛ شرع في الثالث وهو السَّمعيَّات فقال:

(ويلزم) أي: يجب على المكلفين (الإيمان) أي: التَّصديق (بالحساب).

وهو لغة: العدُّ.

واصطلاحاً: توقيفُ الله عبادَه في المحشر على أعمالهم، فعلاً أو

قوله: (أي: يجب على المكلَّفين): أي: وجوب الأصول من أنكره كفر لثبوته كتاباً، وسنَّة، وإجماعاً.

فالكتاب: قال تعالى: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1]، وغير ذلك من الآيات.

والسُّنَّة قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «حَاسِبوا أنفُسَكُم قبلَ أن تُحَاسَبوا»[2]، وغير ذلك من الأحاديث.

وأجمع المسلمون عليه، والمراد بالمكلَّفين ما يشمل الجنَّ؛ لأنَّ لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

قوله: (في المحشر): بفتح الشِّين وكسرها.

---

(١) سورة البقرة: (٢٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) عن شداد بن أوس ﷺ.

قولاً أو اعتقاداً، تفصيلاً بأن يكلِّمهم الله تعالى بكلام قديم ليس بحرف ولا صوت، بأن يُزيل عنهم الحجابَ حتَّى يسمعوه، أو بصوت يخلقه الله تعالى يدّل عليه، وقد يكون من الملائكة فقط، وقد يكون منه تعالى ومن الملائكة جميعاً.

وكيفيّته مختلفة، فمنه اليسير ومنه العسير، والسِّرُّ والجهر، والفَضْل والعَدْل، على حسب الأعمال، فيغفر لمن يشاء ويعذِّب من يشاء.

ويكون للمؤمنين والكافرين، إنساً وجنّاً، بعد أَخْذهم الكُتُب لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[1].

وأيسر الحساب محاسبة الله فقط، حتَّى لا يعلم بذلك إنسٌ ولا جنٌّ ولا مَلَك، يقول تعالى له: هذه سيئاتك قد غفرتها لك، وهذه حسناتك قد ضاعفتها لك.

قوله: (وقد يكون من الملائكة فقط): أي: وهو أصعبها.

قوله: (بعد أخذهم الكتب): أي: وبعد الشَّفاعة في فصل القضاء.

قوله: (وأيسر الحساب محاسبة الله فقط): أي: لأنَّ الغالب فيها العفو.

قوله: (يقول تعالى له: هذه سيئاتك. . .إلخ): أي: بعد أن يضع كنفه عليه، وهذا لمن يحبُّ السَّتر على عباد الله.

---

(١) سورة الانشقاق: (٧-٩).

ولا يكون للمعصومين، ويستثنى ممَّن يحاسب سبعون ألفاً، أفضلُهم أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، فإنّهم يدخلون الجنّة بغير حساب كما ورد بذلك الحديث.

وهذه الأمّة وإن كانت آخر الأمم إلا أنّها تُقدَّم في الآخرة في الحساب وغيره.

الإيمان بالحشر

(و) يجب الإيمان بـ (**الحشر**) أي: حشر الأجساد، وهو: سَوْقُها إلي الموقف، المسمَّى بالحشر بعد بعثهم من قبورهم، ....

قوله: (كما ورد بذلك الحديث): وهو ما معناه: «**أعطاني ربِّي سبعون ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب، فاستزدت ربِّي فزادني، فقال لي: هكذا وهكذا**»[(١)]، كناية عن كونه أعطاه من غير عددٍ، فهؤلاء يسمَّون عتقاء الرَّحمن، وورد في بعض الرِّوايات: «**إنَّ مع كلِّ واحدٍ من السَّبعين ألفاً سبعين ألفاً**»[(٢)].

قوله: (وهو: سوقها إلى الموقف): أي: وأوَّل من تنشقُّ عنه الأرض المصطفى ﷺ، ثمَّ صاحباه، ثمَّ أهل البقيع، ثمَّ أهل مكَّة، ثمَّ أهل الشَّام، ثمَّ من بقي.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠/ ٣٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والإمام أحمد في «مسنده» (٦/١)، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/١) وأبو يعلى في «مسنده» (١١٢) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المسمَّى بالنَّشر كما سيأتي.

ومراتب الناس في الحشر متفاوتة: فمنهم الرَّاكب، ومنهم الماشي على رجليه، ومنهم من يمشي على وجهه[١].

ويكون في صُوَر مختلفة على حسب الأعمال؛ **فمنهم**: من هو

وأنواع الحشر أربعة: اثنان في الدُّنيا:

أحدهما: إجلاؤه عليه الصَّلاة والسَّلام اليهود من المدينة إلى الشَّام.

ثانيهما: سوق النَّار الَّتي تخرج من قعر عدن النَّاس قرب قيام السَّاعة إلى المحشر.

واثنان في الآخرة:

أحدهما: جمعهم إلى الموقف بعد إحيائهم.

والثَّاني: صرفهم من الموقف إلى الجنَّة أو النَّار.

قوله: (المسمَّى بالنَّشر): أي: فالحشر السَّوق، والنَّشر الإخراج من القبور، وهو أحد قولين، والآخر أنَّهما متَّحدَّان، وأنَّهما اسم للإخراج من القبور مع السُّوق.

---

(١) أخرج الترمذي (٣١٤٢) عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم» قيل: يا رسول الله؛ وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «**إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك**».

على صورة القردة، وهم الزّناة، **ومنهم**: من هو على صورة الخنازير، وهم آكلون السُّحت والمكس، **ومنهم**: الأعمى، وهو الجائر في الحكم، **ومنهم**: الأصمُّ والأبكم، وهو الذي يُعجب بفعله، **ومنهم**: من يمضع لسانه مُدْلَعاً على صدره يسيل القيح من فمه، وهمُ الوُعَّاظ الذين تخالف أفعالُهم أقوالَهم، **ومنهم**: المقطوع الأيدي والأرجُلِ، وهم الذين يؤذون الجيران، **ومنهم**: من يصلب على جذوع من النَّار، وهم السُّعاة بالنَّاس إلى السُّلطان، **ومنهم**: من هو أشدُّ نَتَناً من الجِيَف، وهم الذين يُقبلون على الشَّهوات واللَّذَّات ويمنعون حقَّ الله من أموالهم، **ومنهم**: من يُلبس جُبَّة سابغة من قَطِران لاصقةً بجلده، وهم أهل الكِبْر والعُجْب والخُيَلاء، كذا رأيته بخطّ شيخنا ناقلاً له عن الثعلبي[١].

الإيمان بالثواب والعقاب

(والعقاب) على الذّنوب والكفر، في القبر وفي المحشر وبعده بأنواع مختلفة على حسب الأعمال: **فمنهم**: من يعاقب بالحيَّات أو بالعقارب، **ومنهم**: من يعاقب بالضَّرب، **ومنهم**: من يعاقب بغير

قوله: (مدلعاً): أي: مدلىً.

قوله: (وهم الَّذين يقبلون على الشَّهوات واللَّذَّات): أي: المحرَّمة.

(قوله بخطِّ شيخنا): المراد به العلَّامة العدويِّ نفعنا الله به.

(١) الكشف والبيان (١٠/ ١١٥).

ذلك، ثمَّ مآل الكفَّار إلى النَّار ويُخلَّدون فيها، وأمَّا أهل المعاصي: فقد يُغفر لهم فلا يدخلون النَّار، وبعضُهم يدخلها ولكن لا يخلد فيها، بل لا بدَّ من خروجه منها بشفاعة نبيِّنا ﷺ أو غيره على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وأمَّا بعد البعث: فمحلُّه الرُّوح والجسد قطعاً، وكذا قبلَه في البرزخ على المشهور بأن يعيد الله الرُّوح إليه، أو إلى جزء منه إن قلنا إنَّ المعذَّب بعض الجسد، ولا يمنع من ذلك كونُ الميت قد تفرَّقت أجزاؤه أو أكلتْه السِّباع أو الحيتان، فإنّ القادر لا يعجزه شيء، وقيل: إنه يتعلّق بالأرواح فقط.

(والثواب) أي: الجزاء على الأعمال بالجَنَّة في الآخرة، وغيرها من أنواع النّعيم، وكذا في البرزخ وبعده.

قوله: (وكذا قبله في البرزخ): أي: ويكون للكفَّار، والمنافقين، والعصاة من هذه الأمَّة أو غيرها، ويدوم على الكفَّار والمنافقين، وبعض العصاة، وينقطع عمَّن خفَّت ذنوبهم.

قوله: (وغيرها من أنواع النَّعيم): أي: كرؤية وجه الله الكريم.

قوله: (وكذا في البرزخ): هو في **اللُّغة**: الحاجز بين الشَّيئين، **وعرفاً**: الحاجز بين الدُّنيا والآخرة، وله زمان ومآل ومكان؛ فزمانه من الموت إلى يوم القيامة، ومآله الأرواح، ومكانه من القبر إلى الجنَّة لأرواح السُّعداء، أو إلى النَّار لأرواح الأشقياء.

وقوله: (وبعده): أي: وبعد البرزخ وهو يوم القيامة، فينعم بظلِّ العرش مثلاً.

وأنواعُه مختلفة أيضاً على حسب الأعمال، والإفضالُ من الواحد المتعال.

الإيمان بالنّشر والصّراط

(والنّشر) وهو البعث، والمراد به إحياء الله الموتى من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصليّة؛ بأن يجمعها الله بعد تفرُّقها، وقيل: بعد عدمها بالكلّيَّة ما عدا عجب الذَّنب فإنَّه لا يُعدم.

قوله: (وقيل: بعد عدمها بالكلِّيَّة): أي: فيصير الجسم معدوماً بالكلِّيَّة، كما كان قبل وجوده، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1]، وهذا القول: هو المعتمد، وهذا الخلاف في غير من لا تأكل الأرض أجسامهم، ونظمهم التَّتائي فقال[2]: [من البسيط]

لا تأكل الأرض جسماً للنَّبيِّ ولا ... لعالمٍ وشهيدٍ قتل معتركْ

ولا لقارئ قرآنٍ ومحتسب ... أذانه لإلهٍ مُجري الفلكْ

وزاد العلَّامة الأجهوريُّ خمسة فقال[3]: [من البسيط]

وزيد من صار صديقاً كذلك من ... غدا محبّاً لأجل الواحد الملك

ومن يموت بطعن أو رباط أو ... كثير ذكر وهذا أعظم النُّسك

---

(١) سورة الأعراف: (٢٩).

(٢) البيتان في «السيرة الحلبية» (٢/ ٣٤٠)، وفي «خلاصة الأثر» (٤/ ٤٦) من قول ابن كمال باشا.

(٣) شرح الأجهوري على عقيدته (ق/ ١٩٧).

وقيل: هو الإخراج من القبور بعد الإحياء بردِّ الرُّوح فيه.

(والصّراط) وهو **لغة**: الطّريق الواضح.

وشرعاً: جسر ممدود على مَتْن جهنَّم بين الموقف والجنَّة؛ لأنَّ جهنَّم بينهما، تَرِدُه المؤمنون والكفَّار للمرور عليه إلى الجنَّة، أدقُّ من الشَّعر وأحدُّ من السَّيف.

وأنكر القرافيُّ تبعاً لشيخه العزّ كونَه أدقَّ من الشَّعرة وأحدَّ من السَّيف، بل هو متَّسع لما ورد ما يدل على ذلك.

والأظهر: أنَّه مختلف في الضِّيق والاتِّساع باختلاف الأعمال.

وقيل: إنَّ الكفار لا يمرون عليه، بل يؤمر بهم إلى النَّار من أوَّل الأمر، وقيل: بعضُهم يمرُّ وبعضُهم لا يمر.

والمارُّون عليه مختلفون:

- فمنهم سالم بعَمَله ناجٍ من الوقوع في نار جهنَّم، وهم على أقسام: **فمنهم**: من يجوزه كلمحة البصر، **ومنهم**: من يجوزه كالبرق الخاطف، **ومنهم**: كالرّيح العاصف، **ومنهم**: كالطير، **ومنهم**: كالجواد السّابق، **ومنهم**: من يسعى سعياً، **ومنهم**: من يمشي، **ومنهم**: من يمرُّ عليه حَبْواً على قَدْر تفاوتهم في الأعمال الصَّالحة والإعراض عن المعاصي، فكلُّ من كان أسرع إعراضاً عنها إذا مرَّت

قوله: (على متن جهنَّم): أي: ظهرها.

قوله: (والأظهر: أنَّه مختلف): أي: وهو الصَّواب.

قوله: (وهم على أقسام): أي: ثمانية.

على خاطره كان أسرع مروراً، **ومنهم**: من تخدشه كلاليبه فيسقط ولكن يتعلّق بها فيعتدل ويمرّ ويجاوزه بعد أعوام.

- **ومنهم**: غير السالم، بل يسقط في نار جهنَّم، وهم متفاوتون أيضاً بقَدْر الجرائم، ثمّ منهم من يخلد في النَّار كالكفَّار، **ومنهم**: من يخرج منها بعد مدَّة على حسب ما شاء الله تعالى، وهم عصاة المؤمنين بشفاعة النّبيّ ﷺ أو غيره من الأخيار، وهو من الممكنات التي أخبر بها الصَّادق، وكلُّ ما كان كذلك فيجب الإيمان به، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾[1].

وفي الحديث: «ويُضرَب الصِّراط بين ظَهرانَيْ جهنَّم فأكون أنا وأمّتي أَوَّلَ من يجوزه»[2]، وغير ذلك، قال ابن الفاكهاني: (وهو موجود

قوله: (من تخدشه كلاليبه): أي: وهي في حافَّتيه معلَّقة مأمورة بأخذ من أمرت به؛ كشوك السَّعدان كما ورد ذلك[3].

قوله: (كالكفَّار): الكاف استقصائيَّة، والأوضح أن يقول: وهم الكفَّار.

قوله: («بين ظهرانيِّ جهنَّم»): تثنية ظهر، والمراد به الجانب؛ أي: بين جانبيها، أو النُّون والياء زائدتان للمبالغة، والمعنى: بين أجزاء ظهر جهنَّم.

---

(١) سورة يس: (٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث طويل.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢/ ٢٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والأخبار عنه صحيحة) انتهى.

فذهب أهل السُّنَّة إلى إبقائها على ظاهرها مع تفويض علم حقيقته إلى الله تعالى خلافاً للمعتزلة، وقال بعضهم: إنّه سيوجد عند الحاجة إليه.

الإيمان بالميزان

(**والميزان**) وهو قبل الصِّراط، توزن به أعمال العباد، ودلَّ عليه الكتاب في آيات متعدّدة والسُّنَّة حتى بلغت أحاديثُه مبلغَ التَّواتر،

قوله: (خلافاً للمعتزلة): أي: فإنَّهم يقولون: بعدم وجوده ويؤوِّلون ما ورد.

وقوله: (وقال بعضهم): أي: بعض المعتزلة، فهم افترقوا فرقتين؛ فرقة تنكره رأساً، وفرقة تنكر وجوده الآن، ويقولون: يوجد عند الحاجة إليه.

قوله: (في آياتٍ متعدِّدة): منها قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[2] ... إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) سورة الأنبياء: (٤٧).

(٢) سورة الأعراف: (٨-٩).

والحَمْلُ على الحقيقة ممكن فيجب الإيمان به وإن كنّا لا نعرف حقيقة جوهره، والتَّأويلُ بتمام العَدْل كما ذهب إليه المعتزلة عناد ومكابرة.

والصَّحيحُ أنّه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال، والجَمْعُ في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾[١] للتعظيم.

وإنَّ خِفَّة الموزون وثقله على صورته في الدُّنيا، وإنَّ الكفَّار توزن أعمالهم ....

قوله: (وإن كنَّا لا نعرف حقيقة جوهره): أي: فغاية ما نعرف منه أنَّه كفَّتان، نورانيَّة للحسنات، وظلمانيَّة للسَّيِّئات.

قوله: (عناد ومكابرة): أي: لأنَّه إذا أمكن الحمل على الحقيقة؛ فلا يعدل عنها، والعدول عنها بارتكاب المجاز تكلُّف ومكابرة.

قوله: (للتَّعظيم): أي: فهو نظير: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾[٢].

قوله: (على صورته في الدُّنيا): أي: فالخفيفة تطيش وتعلو، والثَّقيلة تسقط لأسفل.

قوله: (وإنَّ الكفَّار توزن أعمالهم): أي: فيوزن غير الكفر من السَّيِّئات؛ ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر، وحسناتهم الَّتي لا تتوقَّف على نيَّةٍ؛ كالعتق، والوقف، وصلة الرَّحم، يخفَّف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر؛ فتوزن أعمالهم لأجل ذلك لا للنَّجاة من عذاب

---

(١) سورة الأنبياء: (٤٧).

(٢) سورة المؤمنون: (٩٩).

. . . .

الكفر؛ فإنَّه لا يخفَّف عنهم ولا ينقطع، بدليل: أنَّ أبا لهب جُوزي بالتَّخفيف؛ بسبب عتقه جاريته الَّتي بشَّرته بولادته ﷺ[1].

وقيل: حسناته الَّتي فعلها يجازى عليها في الدُّنيا؛ كسعة الرِّزق وعافية البدن، ولا يجازى عليها في الآخرة أصلاً، ويكون ثمرة وزن عمله التَّشديد في عذاب الكفر وعدمه؛ لأنَّ الكفَّار يتفاوتون في العذاب، بقدر تفاوتهم في الكفر.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٠١).
قال الإمام ابن الجزري في كتابه «عرف التعريف بالمولد الشريف» (ص٢٢): (قد رئي أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وأمصُّ من بين إصبعي ماءً بقدر هذا - وأشار لرأس إصبعه - وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة محمد ﷺ، وبإرضاعها له.
فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه؛ جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به، فما حال المسلم الموحِّد من أمة محمد ﷺ يسرُّ بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته، لعمري؛ إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم).
وقال الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه المسمى «مورد الصادي في مولد الهادي» (ص٢٦): قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين لإعتاقه ثويبة؛ سروراً بميلاد النبي ﷺ، ثم أنشد:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه ... وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً ... يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحدا

كالمؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم...﴾ الآيـة(١)، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾(٣)؛ أي: نافعاً.

ولا يكون للأنبياء ولا للملائكة، ولا لمن يدخل الجنَّة بغير حساب؛ لأنَّه فرع عن الحساب، ولا حساب على من ذكر.

وهو على صورة ميزان الدنيا، له كِفَّتان ولسان.

وتوزن الأعمال بأن تُصوَّر الأعمال الصَّالحة في صورة حسنة نورانيَّة، فتوضع في كِفَّة النُّور، وهي المُعدَّة للحسنات، وهي عن يمين العرش، مقابلة للجَنَّة، وتُصوَّر الأعمال السّيِّئةُ بصورة قبيحة ظُلمانيَّة، فتوضع في كِفَّة الظُّلْمة المُعدَّة للسّيئات، وهي عن شمال العرش تجاه النَّار.

قوله: (ولا لمن يدخل الجنَّة بغير حساب): أي: لما ورد: «**يا محمَّد؛ أدخل الجنَّة من أمَّتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن**»(٤).

قوله: (بأنَّ تصوَّر الأعمال... إلخ): أي: ولا يقال: إنَّ فيه قلباً للحقائق؛ لأنَّه مثال، وعلى تسليم أنَّ فيه قلباً للحقائق، يقال: إنَّ الممتنع قلب أقسام الحكم العقليِّ لا تصيير المعنى جرماً؛ لأنَّ قدرته تعالى صالحة لذلك، فإنَّه من جملة الممكنات.

---

(١) سورة المؤمنون: (١٠٣).

(٢) سورة القارعة: (٨-٩).

(٣) سورة الكهف: (١٠٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤/٣٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: توزن الصُّحُف المكتوبةُ فيها الأعمال، بناءً على أنَّ الحسنات متميِّزة عن السَّيِّئات بكتاب، ويشهد لهذا حديث البطاقة.

وهناك صنج مثاقيل الذّر يعلم بها كميّة التّفاوت تحقيقاً لتمام العدل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[١].

الإيمان بالحوض

(والحوض) أي: حوض رسول الله ﷺ، وورد فيه أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التَّواتر، ....

قوله: (حديث البطاقة): أي: فقد ورد ما معناه: «أنَّ عبداً كتب عليه تسعة وتسعون سجلّاً من المعاصي، كلُّ سجلٍّ طوله مدُّ البصر، فتوضع في كفَّة السَّيِّئات، فيقول الله له: يا عبدي؛ هل فعلت حسنة؟ فيقول: لا يا ربِّ، فيقول ﷻ: بل بقي لك عندنا أمانة، فيأمر بإخراج بطاقة وهي ورقة صغيرة قدر الأنملة، مكتوب فيها: (لا إله إلا الله محمَّد رسول الله)، فتوضع في كفَّة الحسنات، فتطيش سجلَّات المعاصي، ولا يثقل مع اسم الله شيء، فيقول: امضوا بعبدي إلى الجنَّة بفضلي ومغفرتي»[٢].

قوله: (يعلم بها كمِّية التَّفاوت): أي: فتوضع السَّيِّئات في مقابلة الحسنات، فإن رجَح أحدهما؛ وضع صنج بقدر ما رجَح، فينعم بقدره أو

---

(١) سورة الزلزلة: (٧-٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وفي «الصّحيحين»: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللّبن، وريحُه أطيب من المِسْك، وكِيزانُه أكثر من نجوم السّماء، من شرب منه لا يظمأ أبداً».

والصّحيحُ أنّ لكلّ نبيّ حوضاً، فليس من خصوصيّات نبيّنا ﷺ، وأنّه يكون قبل الميزان.

يعذَّب بقدره، فإن لم يكن له إلّا حسنات فقط أو سيِّئات فقط؛ وضعت الصَّنج في الكفَّة الأخرى.

قوله: (وفي «الصَّحيحين»[1]... إلخ): وقد ورد فيما أوحى الله إلى عيسى في صفة نبيِّنا ﷺ: له حوض أبعد من مكَّة إلى مطلع الشَّمس، فيه آنية مثل نجوم السَّماء، وله كلُّ لون شراب الجنَّة، وطعم كلِّ ثمار الجنَّة[2].

قوله: (والصَّحيح أنَّ لكلِّ نبيٍّ حوضاً)[3]: أي: ولم يصحَّ أنَّ حوض صالح ضرع ناقته[4].

قوله: (وأنَّه يكون قبل الميزان): أي: وهل هو قبل الصِّراط أو بعده قولان؟ وبالجملة: فالواجب علينا اعتقاد أنَّه ثابت، وجَهْل تقدُّمه على

---

(١) صحيح البخاري (٦٥٧٩)، صحيح مسلم (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢) ينظر «إتحاف السادة المتقين» (٢/ ٤٠).
(٣) كما أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) عن سمرة رضي الله عنه.
(٤) ينظر «التذكرة» للقرطبي (١/ ٣٤٧).

وهل هو حوض واحد أو حوضان، والثاني بعد الصّراط؟ قولان، وقيل: الذي بعد الصِّراط هو الكوثر، وهو نهر في الجَنَّة لا حوض، وإنَّما الحوض قبل الصّراط، وهو جسم مخصوص يصبّ فيه ميزابان من ماء الكوثر، تَرِدُه أمَّتُه عليه الصَّلاة والسّلام، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

ويكون الشّرب في الجنَّة، إنَّما هو على سبيل التَّلذُّذ لا العطش، ويُطرد عنه من بدَّل وغَيَّر، إمّا بالارتداد وإمّا أن يُحدِث في الدِّين ما ليس منه؛ كأهل البدع على اختلاف أنواعهم، وكأهل الكبائر المعلنين بها، وكالظَّلَمة الجائرين في أحكامهم؛ لأنَّ المرتدَّ مخلَّد في النّار، وخالف المعتزلة في ذلك، وهم أحقُّ للطّرد عنه من غيرهم.

الإيمان بالجنّة والنّار، وأنّهما مخلوقتان الآن

(والنيران) بكسر النّون، جمع نار، وهي: جسم لطيف مُحرِق يميل إلى جهة العُلوِّ، والمراد بها ....

الصِّراط والميزان أو تأخُّره لا يضرُّ في الاعتقاد.

قوله: (ترده أمَّته): أي: والأمين عليه علي بن أبي طالبٍ كما ورد.

قوله: (لا يظمأ بعدها أبداً): أي: ولو دخل النَّار؛ فلا يعذَّب فيها بالعطش.

قوله: (ويطرد عنه من بدل وغير): أي: فالكافر لا يشرب منه، والمبتدع يشرب منه بعد الرَّدِّ.

دار العقاب الذي أشدُّه النّار بجميع طبقاتها السَّبع، أعلاها جهنَّم وهي لعصاة المؤمنين، ثمّ تخرب بعد خروجهم منها، فلَظَى، فالحُطَمة، فالسَّعير، فَسَقَر، فالجَحِيم، فالهاوية، وباب كلٍّ من داخل الأخرى على الاستواء.

وحرُّها هواء مُحرِق، لا جمر لها سوى بني آدم والجِنِّ والأحجار المتَّخذَة آلهةً من دون الله، نعوذ بالله منها.

(**والجنان**) جمع جنَّة، وهي لغة: البستان، والمراد منها ....

قوله: (دار العقاب): ورد في وصفها[١]: أنَّ أرضها من رصاص، وسقفها من نحاس، حيطانها من كبريت وقودها النَّاس والحجارة[٢].

قوله: (فلظى): أي: وهي لليهود.

قوله: (فالحطمة): وهي للنَّصارى.

قوله: (فالسَّعير): وهي للصَّائبين؛ فرقة من اليهود ازدادوا ضلالاً بعبادتهم العجل.

قوله: (فسقر): وهي للمجوس عبَّاد النَّار.

قوله: (فالجحيم): وهي لعبدة الأصنام.

قوله: (فالهاوية): وهي للمنافقين، وكلٌّ من اشتدَّ كفره؛ كفرعون، وهامان، وقارون.

---

(١) في المطبوع: (صفتها).

(٢) ينظر «الزهر الفائح» لابن الجزري (ص٢٢).

دار الثَّواب، وهي سبع، أعلاها وأفضلُها الفردوس، وفوقَها عرشُ الرَّحمن، ومنها تنفجر أنهار الجنَّة، فجنَّةُ المأوى، فجنَّةُ الخُلد، فجنَّةُ النَّعيم، فجنَّةُ عَدْن، فدارُ السَّلام، فدارُ الجلال، هذا ما ذهب إليه ابن عباس وجماعة.

وذهب الجمهور إلى أنَّها أربع بدليل ما في سورة (الرحمن)[1]، وقيل: الجنّة واحدة، وما تقدَّم أسماء لمسمّىً واحد، إذ كلُّ اسم صالح لها.

وقد نظم ذلك شيخنا الأمير بقوله: [من الطويل]

جهنَّم للعاصي لظى ليهودها ... وحطمة دار للنَّصارى أولى الصَّمم
سعير عذاب الصَّابئين ودارهم ... مجوس لها سقر جحيم لذي صنم
وهاوية دار النِّفاق وقيتها ... وأسأل ربَّ العرش أمناً من النِّقم

وما ذكره الشَّرح تبع فيه بعض الأحاديث، ولكنَّ آيات القرآن شاهدة بأنَّ كلَّ اسم من تلك الأسماء يطلق على ما يعمُّ الجميع؛ لأنَّه يذكر صفات الكفَّار بأيِّ وجهٍ، ويعبِّر عن وعيدهم، بأيِّ اسم من هذه الأسماء، فتدبَّر.

وذكر ابن العربيِّ: (أنَّ نار الدُّنيا من جهنَّم طفئت في البحر مرَّتين، ولولا ذلك لم ينتفع بها، وبعد أخذ نار الدُّنيا منها أوقد عليها ألف سنة حتىَّ ابيضَّت، ثمَّ ألف سنة حتَّى احمرَّت، ثمَّ ألف سنة حتَّى اسودَّت فهي سوداء مظلمة).

قوله: (دار الثَّواب): أي: ولها ثمانية أبواب كبار؛ باب الشَّهادتين،

---

(١) أي: قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] جنة النعيم وجنة المأوى، =

والجنّة والنّار موجودتان الآن، والجنَّةُ هي التي أُهبِط منها آدم عليه السَّلام، خلافاً للمعتزلة الذاهبين إلى أنّهما سيوجدان في الآخرة، وأنّ

وباب الصَّلاة، وباب الصِّيام، وباب الزَّكاة، وباب الحجِّ، وباب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وباب الصِّلة، وباب الجهاد في سبيل الله، ومن داخلها عشرة أبواب صغار، ومحلُّ الجنَّة فوق السَّماوات السَّبع، ولم يصحَّ في محلِّ النَّار خبر.

قوله: (موجودتان الآن): أي: ويبقيان ببقاء الله تعالى، خلافاً للجهميَّة القائلين بفنائهما، وفناء أهليهما وهم كفَّار، وقوله تعالى: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[1]: المراد سقف الجنَّة والنَّار وأرضهما، لا سماء الدُّنيا وأرضهما؛ لتبدُّلهما قبل الدُّخول.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[2]؛ أي: بدخول النَّار أوَّلاً، ثمَّ يخرجون منها، فخلودهم إمَّا من غير سابقة عذاب، أو مع سابقته وهذا في السُّعداء، ويقال في الأشقياء: إلَّا ما شاء ربك من مدَّة البرزخ والموقف، وانظر بسط الأجوبة في «حاشيتنا على الجلالين» إن شئت[3].

قوله: (إلى أنَّهما سيوجدان في الآخرة): أي: وخلافاً للفلاسفة؛

= وقوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] جنة عدن وجنة الفردوس.

(١) سورة هود: (١٠٧).

(٢) سورة هود: (١٠٧).

(٣) حاشية الصاوي على الجلالين (٢/ ١٩٣-١٩٤).

آدم أهبط من بستان على ربوة من الأرض.

الإيمان بالملائكة والجنّ

(و) يجب الإيمان بوجود (**الجنِّ**) وهم: أجسام لطيفة ناريَّةٌ، لهم قدرة على التشكُّلات، (و) بوجود (**الأملاك**) وعصمتهم أيضاً، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، جمع مَلَك، وهو: جسم لطيف روحانيٌّ نورانيٌّ له القدرة على التشكُّلات الجميلة.

ويجب الإيمان بهم إجمالاً فيمن عُلم منهم إجمالاً، وتفصيلاً فيمن عُلم منهم تفصيلاً بالشَّخص؛ كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، وهم رؤساء الملائكة عليهم الصلاة والسلام أجمعين، ومُنكَر ونكير،

فإنَّهم أنكروا وجودهما بالمرَّة.

قوله: (ويجب الإيمان بوجود الجنِّ): أي: ومن أنكر وجودهم كفر لمصادمة القرآن.

قوله: (على التَّشكُّلات): أي: بأيِّ صورة جميلة أو قبيحة، وتحكم عليهم الصُّورة.

قوله: (على التَّشكُّلات الجميلة): المراد بها ما عدا الخسيسة؛ كالكلب والخنزير، فيشمل الفظيعة الهائلة؛ كمالك خازن النَّار، ومنكر ونكير، وعزرائيل في إتيانهم الكفَّار، ولا تحكم عليهم الصُّورة.

---

(١) سورة التحريم: (٦).

ورضوان خازن الجِنَان، ومالك خازن النِّيران، أو بالنَّوع؛ كحملة العرش، وأعوان السَّيِّد عزرائيل.

والحفظة: وهم ملائكة موكَّلون بحفظ البشر - ولو صغيراً وكافراً - من الجنّ مثلاً، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[1].

والكتبة: وهم ملائكة يكتبون على المكلَّف جميعَ ما صَدَر منه من قول ولو نفسيّاً وفِعْل واعتقاد، ....

قوله: (كحملة العرش): وهم في الدُّنيا أربعة، وفي الآخرة ثمانية.

قوله: (موكَّلون بحفظ البشر): أي: تكرمة لهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[2].

قوله: (من الجنِّ مثلاً): أي: والعاهات والآفات.

قوله: (﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾): أي: من ضرر خلقه الجنِّ والإنس وغيرهم، وقيل: (من) بمعنى الباء؛ أي: بأمره عن كلِّ مكروه، فإذا جاء القدر تخلَّوا عنه، قال كعب الأحبار: (لولا أنَّ الله تعالى وكَّل بكم حفظة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم؛ لتخطَّفتكم الجنُّ)[3].

قوله: (يكتبون... إلخ): أي: وحكمة الكتابة: أنَّ العبد إذا علم بها

---

(١) سورة الرعد: (١١).

(٢) سورة الإسراء: (٧٠).

(٣) أورده الواحدي في «تفسيره الوسيط» (٣/٨).

لا يفارقونه إلا في حالة الجماع والغُسل والخلاء[١]، والمشهور أنّهما ملكان يسمَّى أحدهما: الرّقيب، والثاني: العتيد، كما في سورة (ق)[٢].

استحيا وترك المعصية.

قوله: (لا يفارقونه إلَّا في حالة الجماع. . .إلخ): أي: فإذا فعل في تلك الأحوال الثَّلاث حسنة أو سيِّئة؛ فإنَّهم يعرفونها بنتن رائحة السَّيِّئة وطيب رائحة الحسنة.

قوله: (يسمَّى أحدهما: الرَّقيب): أي: وهو كاتب الحسنات.

وقوله: (والثَّاني: العتيد): أي: وهو كاتب السَّيِّئات، وقيل: كلٌّ يسمَّى بكلٍّ، وجعل الله كاتب الحسنات أميراً على كاتب السَّيِّئات، فإن فعل حسنة كتبت حالاً، وإن فعل سيِّئة يقول كاتب السَّيِّئات: اكتب، فيقول له كاتب الحسنات: اصبر لعلَّه يستغفر ويتوب، فإن تاب؛ كتب حسنة، فإن لم يتب بعد ستِّ ساعات فلكيَّة؛ قال له كاتب الحسنات: اكتب، اراحنا الله منه[٣].

وتعرض صحائف الأعمال صباحاً ومساءً على رسول الله ﷺ؛ فإن رأى خيراً؛ حمد الله وشكر لصاحبه، وإن رأى غير ذلك؛ استغفر لفاعله[٤].

---

(١) أخرج الترمذي (٢٨٠٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إياكم والتعري؛ فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرموهم».

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٧).

(٤) أخرج البزار في «مسنده» (١٩٢٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

=

ولكلِّ يوم وليلة مَلَكان يتعاقبان عند صلاة العصر وصلاة الصُّبح، وقيل: بل هما ملكان فقط لا يتغيَّران ما دام حيّاً، فإذا مات جَلَسا على قبره يستغفران له، أي: إن كان مؤمناً.

قوله: (ولكلِّ يوم وليلة ملكان. . .إلخ): المعتمد أنَّ الحفظة: عشرة باللَّيل وعشرة بالنَّهار، ويجتمعون في صلاة الصُّبح والعصر، فيسألهم الله وهو أعلم بهم، فيقول لهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: يا ربَّنا؛ تركناهم وهم يصلُّون، وأتيناهم وهم يصلُّون، كما ورد بذلك الحديث الصَّحيح[(١)].

ولا يفارقون الشَّخص أبداً إلى الممات، فإذا مات؛ فقد فرغ حفظهم له.

وهم واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، وآخر أمامه وآخر خلفه، واثنان على عينيه، وواحد على شفتيه، واثنان على فمه يحفظان الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ، وواحد آخذ بناصيته؛ فإن تواضع رفعه، وإن تكبَّر خفضه.

إن قلت: إنَّا نجد تخلُّف حفظهم له بأن تفقأ عينه مثلاً.

يجاب: بأنَّ هذا أمر مبرم، فلا بدَّ من إنفاذه، وهكذا كلُّ مبرم.

قوله: (إن كان مؤمناً): أي: ويلعنانه إن كان كافراً.

= **«حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير؛ حمدت الله عليه، وما رأيت من شر؛ استغفرت الله لكم»**.

(١) صحيح البخاري (٥٥٥)، صحيح مسلم (٦٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومحلُّهما من الإنسان عاتقاه، وقيل: ذقنه، وقيل: شفتاه، وقيل: عنقه، وقيل: الناجذان، وقيل: إنّ الكَتَبَة هم الحَفَظَة، وبالجملة: الواجبُ اعتقادُه أنّ على الإنسان حَفَظة وكَتَبَة على سبيل الإجمال.

الإيمان بالأنبياء

(ثمّ) يجب الإيمان بوجود (**الأنبياء**) عليهم الصَّلاة والسَّلام تفصيلاً فيما عُلِم منهم تفصيلاً، وهم المذكورون في القرآن؛ كمحمد عليه الصلاة والسلام وآدم ونوح وإدريس وهود وصالح واليسع وذي الكفل وإلياس ويونس - وهو ذو النّون، أي: الحوت - وأيوب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان وشعيب وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، وإجمالاً فيما عُلِم منهم إجمالاً[(١)].

قوله: (وقيل: النَّاجذان): هما مؤخّر أضراسه اليمين واليسار، وقلمهما لسانه ومدادهما ريقه.

قوله: (وقيل: إنَّ الكتبة هم الحفظة): هذا ضعيف، والمعتمد أنَّهم غيرهم، فالحفظة عشرون باللَّيل والنَّهار، والكتبة ملكان رقيب وعتيد كما علمت.

قوله: (تفصيلاً. . . إلخ): المراد أنَّه بحيث لو سئل عن واحد منهم لم ينكر كونه نبيّاً، وإن لم يحفظ أسماءهم عن ظهر قلب.

---

(١) وقد نظمهم العلامة العارف بالله السيد محمد الهاشمي في «مفتاح الجنة» (ص ٢٣٨):

=

والأولى ترك حصرهم في عدد معيّن لقوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1]، ولا يؤمن في ذكر العدد أن يُدخَل فيهم من ليس منهم لجواز أن يذكر أكثر من الواقع، أو يُخرَج منهم من هو منهم إن كان العدد أقلَّ، وما روي أنّ النبيّ ﷺ سُئِل عن عددهم فقال: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»، وفي رواية: «مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً»[2]، فخبر آحاد لا يفيد القطع، ولا عبرة بالظَّنِّ في باب الاعتقادات.

قوله: (لا يفيد القطع): أي: والكلام في الاعتقاديَّات، وهي لا تكون إلَّا بالقطعيِّ.

= يجب الإيمان برسل وهم ... آدم إدريس نوح هود هم
صالح لوط إبراهيم إسما ... عيل إسحاق ويعقوب علما
ويوسف شعيب والكليم ... هارون داود سليمانهم
أيوب ذو الكفل ويونس وإليا ... س اليسع زكريا ويحيى
عيسى وخاتم الجميع أحمد ... صلى عليهم الإله الواحد
ذكرتهم بحسب الإرسال ... والحمد لله على الكمال
رجزه محمد بن الهاشمي ... مصلياً على النبي الخاتم

(١) سورة غافر: (٧٨).

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٥، ٢٦٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه في حديث طويل، جاء فيه: أن أبا ذر سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ كم عدة الأنبياء؟ قال: «**مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاث مئة وخمسة عشر جماً غفيراً**».

بيان مراتب الخلق

ويجب اعتقاد أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين أفضلهم وأنّه آخرُهم، ويليه في الفضل ....

قوله: (أفضلهم): أي: الأنبياء، ومن باب أولى غيرهم فهو أفضل الخلق على الإطلاق جنّاً وإنساً وملكاً، دنيا وأخرى في جميع الخصال بإجماع المسلمين، ما عدا الزَّمخشريَّ؛ فإنَّه خرق الإجماع، وقال بتفضيل جبريل على محمَّد ﷺ؛ مستدلّاً بما في سورة (التَّكوير) من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ...﴾ الآية[1]، حيث وصف جبريل بأنَّه رسول كريم إلى قوله: ﴿أَمِينٖ﴾[2]، واقتصر في وصف محمَّد ﷺ على قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾[3].

فردَّ عليه: بأنَّ القرآن في أعلى طبقات البلاغة؛ وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ فإنَّ كلام الكفَّار كان في الواسطة الَّذي كان يأخذ عنه النَّبيّ، حيث قالوا: إنَّما يعلمه بشر، وقالوا: إنَّ به جِنَّة؛ أي: أخذاً من الجنِّ، فردَّ عليهم المولى بمدح الواسطة وبراءة المصطفى ممَّا يقولون؛ فإنَّه كان معروفاً بينهم بالصَّادق الأمين، قال تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[4]، وتفضيله ﷺ دلَّ عليه أساطير الأوَّلين والآخرين.

---

(١) سورة التكوير: (١٩).

(٢) سورة التكوير: (٢٠-٢١).

(٣) سورة التكوير: (٢٢)، الكشاف (٤/ ٧١١).

(٤) سورة المؤمنون: (٦٩).

أولو العَزْم من الرُّسُل، فبقيّة الرّسل، فالأنبياء، فرؤساء الملائكة، فبقيّة الملائكة من غير تعيين إذ لا تُعلم الحقيقة، فأصحاب النبيّ ﷺ،

قوله: (أولو العزم): أي: وهم خمسة ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾[١].

قوله: (فالأنبياء): أي: وغير الرُّسل.

قوله: (فبقيَّة الملائكة. . .إلخ): هذه طريقة الأشاعرة وهي مرجوحة، وطريقة الماتريديَّة هي الرَّاجحة، وحاصلها أن تقول: أفضل الخلق نبيُّنا، ثمَّ إبراهيم، ثمَّ موسى، ثمَّ عيسى، ثمَّ نوح، ثمَّ بقيَّة الرُّسل، ثمَّ الأنبياء غير الرُّسل، وهم متفاضلون فيما بينهم، لكن لا يعلم تفضيلهم إلَّا الله تعالى، ثمَّ جبريل، ثمَّ إسرافيل، ثمَّ ميكائيل، ثمَّ عزرائيل، ثمَّ عامَّة البشر، ثمَّ عامَّة الملائكة[٢].

قوله: (فأصحاب النَّبيِّ): أي: فمرتبتهم تلي الملائكة على طريقة الأشاعرة، وعلى طريقة الماتريديَّة الملائكة دون البشر في الفضل، دلَّ على فضلهم الكتاب[٣]، والسُّنَّة[٤]، والإجماع، وقرن الصَّحابة مئة

---

(١) سورة الأحزاب: (٧).

(٢) وهم غير الرسل كحملة العرش مثلاً.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ...﴾ الآية [التوبة: ١٠٠].

(٤) قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»**.

وأفضلهم: أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعليّ، فبقيّة العشرة، فبقيّةُ البدريِّين، فأهلُ بيعة الرِّضوان، فبقيَّةُ الصَّحابة، ....

وعشرون سنة مبدؤها البعثة.

قوله: (وأفضلهم: أبو بكر. . .إلخ): رد بذلك على الخطَّابيَّة القائلين بتقديم عمر على أبي بكر، وعلى الشِّيعة القائلين بتقديم عليٍّ على عثمان(١).

قوله: (فبقيَّة العشرة): أي: يلون علياً في الفضل؛ وهم: طلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوَّام ابن عمَّة رسول الله، وعبد الرَّحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر ابن الجرَّاح، ولا يعلم تفاوتهم في الفضل إلَّا الله.

قوله: (فبقيَّة البدريِّين): أي: فمرتبتهم تلي مرتبة السِّتَّة من العشرة، ولا فرق بين من استشهد فيها وهم أربعة عشر رجلاً؛ستَّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وجملتهم ثلاث مئة وثلاثة عشر، وقيل: وخمسة عشر، وقيل: وسبعة عشر، وقيل: وتسعة عشر، وإنَّما قال: وبقيَّة البدريِّين؛ لأنَّ العشرة رؤساء أهل بدر.

قوله: (فأهل بيعة الرِّضوان): أسقط الشَّرح أهل أحد الَّذين لم يحضروا بدراً، وهم أفضل من أهل بيعة الرَّضوان الَّذين لم يحضروا بدراً ولا أحداً، وكانوا ألفاً وأربع مئة، وقيل: وخمس مئة.

---

(١) ينظر «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٥/ ١٤٨).

فالتَّابعون، فتابع التابعين.

ويجب الإمساك عما وقع بين الصَّحابة من النِّزاع.

الإيمان بالحور والولدان

(و) يجب الإيمان بوجود (الحور) جمع حَوْراء، والحَوَر: شدَّة بياض العين مع شدَّة سوادها، ....

قوله: (فالتَّابعون): أي: فرتبتهم تلي رتبة الصَّحابة، وقرن التَّابعين الَّذين انفردوا فيه عن الصَّحابة سبعون سنة.

قوله: (فتابع التَّابعين): أي: فرتبتهم تلي رتبة التَّابعين في الفضل وقرنهم ثلاثون سنة، والأصل في ذلك التَّفضيل قوله ﷺ: «**خيركم قرني، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم**»(١)، ومن بعد هذه القرون، قيل: سواء في الفضل، وقيل: متفاوتون، فكلُّ قرن أفضل من الَّذي بعده، وهو الحقُّ لحديث: «**ما من يوم إلَّا والَّذي بعده شرٌّ منه**»(٢).

قوله: (ويجب الإمساك عمَّا وقع بين الصَّحابة من النِّزاع): أي: لأنَّ التَّفتيش عمَّا جرى بينهم ليس من العقائد الدِّينيَّة، ولا ممَّا ينتفع به في الدِّين، بل ربَّما ضرَّ في اليقين، فلا يباح الخوض فيه إلَّا للتَّعليم، أو الرَّدِّ على المتعصِّبين، ومع ذلك فيجب تأويله وصرفه إلى محمل حسن؛ فإنَّهم مجتهدون، والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٩٥٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وهنّ نساء الجنّة، ووُصِفْن بالعِين لاتّساع أعينهنّ.

(والولدان) أي: الغلمان، وهم على صورة غلمان الدُّنيا، وهم خدَمة أهل الجنّة، وقيل: إنّهم أولاد الكفّار الذين يموتون قبل البلوغ؛ فإنّه ورد أنّهم خدَمة أهل الجنّة.

قوله: (وهنّ نساء الجنّة): روي أنّ سحابة أمطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات الرّحمة، ثمّ ضرب على كلّ واحدة منهنّ خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلاً، وليس لها باب حتّى إذا حلّ وليّ الله الجنّة انصدعت الخيمة عن باب؛ ليعلم وليُّ الله أنّ أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها، فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين[١]، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾[٢]، والصَّحيح أنّ نساء الدُّنيا يكنّ أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف[٣].

قوله: (والولدان): بكسر الواو، جمع وليد بمعنى مولود، وسمُّوا أولاداً؛ لكونهم على شكلهم وصورتهم.

قوله: (وهم خدمة أهل الجنّة): أي: فهم مخلوقون في الجنّة ابتداء؛ كالحور العين، ليسوا من أولاد الدُّنيا، وهو الصَّحيح من أقوال كثيرة، وقيل: هم أولاد المؤمنين الَّذين ماتوا صغاراً.

---

(١) ينظر «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٨٨).

(٢) سورة الرحمن: (٧٢).

(٣) ينظر «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٨٧).

الإيمان بالأولياء

(ثمَّ) يجب الإيمان بـ (الأوليا) ....

وردَّ بأنَّ الله أخبر عنهم أنَّهم يلحقون بآبائهم في السِّيادة والخلقة.

قوله: (ثمَّ يجب الإيمان بالأوليا): أي: وجوب الأصول، فمن أنكر وجودهم؛ كفر لمصادمة القرآن، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١)، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٢).

وأمَّا من أنكر كراماتهم: كالحليميِّ من أهل السُّنَّة، والمعتزلة؛ فهو فاسق مبتدع، محتجِّين بأنَّها لو وجدت الكرامات؛ لالتبست بمعجزات الأنبياء، فيلتبس النَّبيُّ بغيره، ولو وجدت واستمرَّت؛ لكثرت وخرجت عن كونها خارقة للعادة.

وردَّ ذلك بأنَّا لا نسلِّم التباس الوليِّ بالنَّبيِّ؛ للفرق بينهما، وهو دعوى النُّبوَّة وعدمها، ولا نسلِّم أنَّ كثرتها تصيِّرها غير خارقة بالعادة، بل تفيد استمرار الخارق، وهو أمر واقع لا شكَّ فيه.

وسئل بعضهم: لأيِّ شيء كثرت الكرامات في الزَّمان المتأخِّر دون المتقدِّم؟

فأجاب: بأنَّ ذلك لضعف إيمان المتأخِّرين، فاحتيج لتأليفهم بالكرامات ليعتقدوا في الصَّالحين، وأمَّا في الزَّمن المتقدِّم؛ فاعتقادهم تابع

---

(١) سورة يونس: (٦٢).

(٢) سورة الأنفال: (٣٤).

جمع وليّ، وهو: القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد حسب الإمكان، وهو معنى قول من قال: هو العارفُ بالله تعالى وصفاته حسب الإمكان، المواظبُ على الطَّاعات، المُجتَنِب للمخالفات، المُعرِض عن الانهماك في اللَّذَّات والشَّهوات.

ويجب اعتقاد كراماتهم، والكرامة: أمر خارق للعادة يظهر على

لميزان الشَّرع.

قوله: (جمع وليٍّ): سمِّي بذلك؛ لأنَّه تولَّى خدمة الله، أو لأنَّ الله تولَّى أمره، فلم يكله لغيره طرفة عين.

قوله: (اعتقاد كراماتهم) أي: ثبوتها[١]، فهي واقعة شرعاً جائزة عقلاً، ودليل ذلك: قصَّة مريم وولادتها عيسى من غير زوج، وآصف ابن برخيَّا[٢]، وعمر بن الخطَّاب مع نيل مصر[٣]، ومع النَّار الَّتي ظهرت من جهة المدينة في زمنه، فأشار إليها بردائه فأطفأها[٤]، وغير ذلك من كرامات الصَّحابة

---

(١) قال صاحب «الجوهرة» (ص٢٠):

وأثبتن للأوليا الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

وكرامات الأولياء ثابتة للأولياء بعد الموت أيضاً خلافاً لمن نفاها عنهم. «تقريرات بصيلة».

(٢) هو صاحب سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام عندما جاء بعرش بلقيس على الأشهر. ينظر «تفسير الطبري» (١٨/ ٧١).

(٣) ينظر «كرامات الأولياء» للالكائي (٦٦)، و«العظمة» لأبي الشيخ (٤/ ١٤٢٤)، و«تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٣٧).

(٤) ينظر «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٣٢٦).

يد عبد ظاهر الصّلاح، غير مقرون بدعوى النُّبوَّة.

كلُّ ذلك ورد به الكتاب[(١)] والسُّنَّة[(٢)] وأجمعت عليه الأمّة قبل ظهور المخالفين، وكلُّ ما كان كذلك فالإيمان به واجب.

(و) كذا يجب الإيمان (بكلِّ ما جاء) أي: روي ونقل (عن) أي: عن النبيّ (البشير) أي: المبشِّر لمن أوفى بالعهود، بأنّه محمود العاقبة ﷺ، (من كلِّ حكم) بيان لكلِّ ما جاء (صار) في الاشتهار بين الخاصّة والعامّة (كـ) الأمر (الضَّروري) الذي لا يخفى على أحد.

والتَّابعين إلى وقتنا هذا.

قوله: (في الاشتهار): بيان لوجه الشَّبه؛ أي: إنَّ الأحكام الَّتي أتى بها النَّبيُّ ﷺ واشتهرت حتَّى صارت كالأمور الضَّروريَّة يجب الإيمان بها، وكلُّ من أنكر شيئاً منها فقد كفر، وأمَّا الأحكام الَّتي لم تبلغ في الاشتهار هذا الحدَّ؛ فلا يكفَّر منكرها؛ كالرَّفع من الرُّكوع والسُّجود، ونحو ذلك.

---

(١) أما الكتاب: ما جاء فيه من قصة مريم، حيث ساق الله لها الرزق في غير أوانه، ومن غير حضور أسبابه، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، فقد كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس، وكذلك ما جاء في قصة آصف وزير سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وقد كان يعرف اسم الله الأعظم، فدعا به، فأتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان إليه، قال سبحانه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

(٢) أما السنة: ما أخرجه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (١/٢٧٤٣) قصة أصحاب الغار عندما دعوا بصالح أعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وهذا من عطف العامِّ على الخاصِّ؛ لشموله ما تقدَّم من الحساب وما عُطف عليه وغيره:

- كوجوبِ شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصّلاة، وإيتاءِ الزّكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ بيت الله الحرام، وحرمة الزِّنا والخمر والرِّبا، وحِلِّ النِّكاح والبيع، ونحو ذلك.

- وكالمعراج بجسده الشَّريف ﷺ يقظة، وهو العروج إلى السّماء مع جبريل عليه السلام بلا براق بعد الإسراء، ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً للبُراق، وهو دابَّة أبيض طويل، فوق الحمار، ودون البغلِ، يضع حافره عند منتهى طرفه، والمراد بالمعراج ما يعمُّ الإسراء، وقصَّتُه مشهورة.

بيان أن سؤال القبر حق

- وكسؤال المَلَكَين ....

قوله: (كوجوب شهادة أن لا إله إلَّا الله): تمثيل لما جاء عن البشير.

قوله: (بلا براق): هذا هو المعتمد، وقيل: عرج بالبراق.

قوله: (والمراد بالمعراج ما يعمُّ الإسراء): جواب عمَّا يقال: إنَّ منكر المعراج فاسق، فكيف تحكم عليه بالكفر؟!

فأجاب: بأنَّ المراد بالمعراج ما يشمل الإسراء، فمنكر الإسراء كافر، ومنكر المعراج فاسق.

قوله: (وكسؤال الملكين): أي: فهو ممَّا يجب الإيمان به، لكنَّ منكره

منكر ونكير، وهما ملكان أسودان أزرقان؛ أي: أعينهما، يأتيان للميت، مؤمناً كان أو كافراً أو منافقاً، بعد تمام الدَّفْن في القبر الذي يستقرُّ فيه دائماً، وعندَ انصراف النَّاس فيُقْعِدانه، ....

لا يكفَّر للاختلاف فيه.

قوله: (منكر): بفتح الكاف اسم مفعول، ويجوز كسرها على أنَّه اسم فاعل؛ لأنَّه ينكر على غيره كلامه.

قوله: (ونكير): فعيل بمعنى مفعول؛ من نكرت الرَّجل إذا لم تعرفه، سمِّيا بذلك؛ لأنَّ الميّت لم يكن يعرفهما، ولم ير صورة مثل صورتهما.

قوله: (أزرقان): أي: أعينهما ؛أي: كقدور النُّحاس من شدِّة حمرتهما، يراها النَّاظر كالبرق الخاطف، جعلهما الله تكرمة للمؤمن ليثبته وينصره، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ، وإخافة للكافر ليتحيَّر في الجواب، وهما للمؤمن الطَّائع وغيره على الصَّحيح.

وقيل: هما للكافر والعاصي، وأمَّا المؤمن الموفَّق؛ فله ملكان آخران اسمهما مبشِّر وبشير.

قوله: (مؤمناً كان أو كافراً.. إلخ): هذا هو الصَّحيح، خلافاً لقول ابن عبد البرِّ والسُّيوطيِّ، لا يسئل الكافر[1].

قوله: (الَّذي يستقرُّ فيه): أي: وأمَّا من عَلِمَ الله أنَّه ينقل من قبر

---

(١) ينظر «شرح الصدور» (ص ١٤٥).

ويُعيد الله فيه الرُّوحَ بتمامه، وقيل: في نصفه، ويسألانه: «مَن ربُّك وما دينك؟ وما تقول في الرّجل الذي بعث فيكم؟» فيقول المؤمن: ربِّيَ الله، وديني الإسلام، والرَّجلُ المبعوث فينا رسولُ الله ﷺ، فيقولان له: «انظر مقعدك من النّار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنّة» فيراهما جميعاً.

وأما المنافق أو الكافر فيقول: لا أدري، فيقولان له: «لا دريت ولا تليت»، ويضرب بمِطْراق من حديد في يد أحدهما، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين[1].

ويَتَرفَّقان بالمؤمن، ويَنْهران الكافر والمنافق.

ويسألان كلَّ أحد بلسانه ....

لآخر؛ فلا يسئل إلَّا في القبر الَّذي يبعث منه.

قوله: (ويعيد الله الرُّوح فيه تمامه): هذا هو قول الجمهور لظاهر الأحاديث المتواترة، ولذا قال السُّيوطيُّ[2]: [من الرجز]

وكلُّه يحيا لدى الجمهور ... لا جزؤه لظاهر المأثور

قوله: (ويترفَّقان بالمؤمن): أي: ولو عاصياً بحسب تفاوت مراتب المؤمنين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨) عن أنس رضي الله عنه، وأبو داود (٤٧٥٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) منظومة التثبيت عند التبييت (ق/ ٥).

على الصّحيح، ولو تمزّقت أعضاؤه أو أكلته السّباعُ أو حُرِق وسُحِق وذُرِّي في الهواء، إذ لا يَبْعُد أن يخلق الله تعالى الحياة فيه.

وأحوال المسؤولين مختلفة: فمنهم من يسأله المَلَكان، ومنهم من يسأله أحدهما، قال القرطبي: (اختلفت الأحاديث في كيفيَّة السُّؤال، والجوابُ: وذلك بحسب الأشخاص، فمنهم مَنْ يُسأل عن بعض اعتقاداته، ومنهم مَن يُسأل عن كلِّها) انتهى[١].

واختلف في اختصاصه بهذه الأُمَّة، ولا يُسأل الأنبياء ولا الملائكة ولا الصِّدِّيقون ....

قوله: (على الصَّحيح): أي: كما هو ظاهر الأحاديث وأقوال السَّلف، وقيل: بالعربيَّة، وقيل: بالسِّريانيَّة[٢]، والمعتمد: أنَّ السُّؤال مرَّة واحدة للمسلم والمنافق والكافر.

وذهب أكثر العلماء إلى أنَّه ثلاث مرَّات في ساعة واحدة عقب نزوله القبر[٣].

وذهب السُّيوطيُّ إلى أنَّه يتكرَّر على المؤمن سبعة أيَّام المرَّة الأولى عقب نزوله، والباقي بعد الفجر له[٤].

قوله: (ولا الصِّدِّيقون): جمع صدِّيق، وهو من صدَّق الله ورسوله،

---

(١) التذكرة (١/ ٣٥٨).

(٢) ينظر «شرح الصدور» (ص ١٤٧).

(٣) ينظر «شرح الصدور» (ص ١٤٧).

(٤) ينظر «شرح الصدور» (ص ١٤١).

والمرابطون والشُّهداء وملازمُ قراءة تبارك كلَّ ليلة، ومَن قرأ في مرض موته الإخلاصَ ثلاثاً، والمَبْطون، ومن مات في أيّام الطّاعون ولو لم يُطعن، والمَجنون والأبله، وجَزَم الجلال السّيوطي بعدم سؤال

وأخلص لله ظاهراً وباطناً.

قوله: (والمرابطون): جمع مرابط، وهو الملازم طرف بلاد المسلمين لحفظهم من الكفَّار.

قوله: (والشُّهداء): أي: قتلى المعركة أو شهداء الآخرة، وهم فرق كثيرة؛ منهم المبطون الآتي.

قوله: (وملازم قراءة تبارك كلَّ ليلة)[1]: أي: بعد غروب الشَّمس إلى طلوع الفجر، ويدخل وقتها بالزَّوال، ومثله ملازم قراءة سورة (السَّجدة).

قوله: (والمبطون): أي: الَّذي مات بإسهال بطنه، لما ورد: «**من قتله بطنه لم يعذَّب في قبره**»[2].

قوله: (والمجنون): أي: إن جنَّ قبل البلوغ أو بعده وهو مسلم، واستمرَّ به الجنون إلى الموت.

قوله: (والأبله): هو الَّذي له عقل لا يصل إلى حدِّ تدبير دينه أو دنياه، وهو المغفَّل.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٦٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٢١٩٠) عن سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة رضي الله عنهما.

الأطفال(١)، ويَسألان الجِنَّ لتكليفهم وعمومِ أدلَّة السّؤال.

وهذا السُّؤال هو فتنة القبر.

نعيم القبر وعذابه

- وكنعيم القبر وعذابه، والمرادُ عذابُ البرزخ ونعيمُه، ولو لم يُقبر، والتَّعبير بالقبر جَرْيٌ على الغالب، ومحلُّه الرُّوح والجسد جميعاً، إذ لا مانع أن يخلق الله تعالى في جميع الأجزاء أو بعضها نوعاً من الحياة قَدْرَ ما يُدرك أَلَمَ العذاب أو لَذَّة النَّعيم، وهذا لا يستلزم أن يتحرَّك أو يضطرب أو يُرى أثر العذاب عليه، حتّى إنَّ من أكلته السِّباعُ أو صُلب في الهواء يُعذَّب وإن لم نطَّلع على ذلك، وقيل: مختصٌّ بالرُّوح.

والنَّعيم يكون للمؤمنين، والعذابُ للكافرين ولعصاة المؤمنين من هذه الأُمَّة وغيرها، وهو قسمان:

- دائم، وهو للكفَّارِ وبعضِ العُصاة.

- ومنقطع، وهو لبعض العُصاة ممَّن خفَّت جرائمهم، وانقطاعُه: إمَّا بسببٍ كصدقة أو دعاء، أو بلا سبب بل بمجرَّد العَفْو.

ومن عذاب القبر ضغطتُه: وهي التقاءُ حافتيه حتَّى تختلف أضلاعُ الميت، ويختلفُ باختلاف العمل، حتّى إنّ الصَّالح يضمُّه ضمَّةَ الأمِّ

قوله: (والمراد عذاب البرزخ): أي: وإنَّما أضيف إلى القبر لأنَّه الغالب، وإلَّا فكلُّ ميِّت أراد الله تعذيبه عذِّب قبر أو لم يقبر.

---

(١) شرح الصدور (ص ١٥٢).

الشَّفوقة على ولدها.

الشهداء أحياء في قبورهم

وكحياة الشُّهداء، وهم من قُتلوا في جهاد الكفَّار لإعلاء كلمة الله تعالى، حتّى إنَّهم يأكلون ويشربون ويتنعَّمون في الجنَّة قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(١).

وإن لم تُعلَم كيفية هذه الحياة، إذ هي غير معقولة لأكثر البشر.

وسُمُّوا شهداء لأنَّ أرواحهم شَهِدت دارَ السَّلام؛ أي: حضرتها ودخلتها، بخلاف غيرهم فإنَّه لا يدخلها إلا يوم القيامة، أو لأنّ الله وملائكته شهدوا له بالموافاة.

أخذ العباد الصحف

- وكأخذ العباد المكلَّفين من الثَّقلين في المحشر، ما عدا الأنبياء والسَّبعين ألفاً الذين يدخلون الجنّة بغير حساب، كُتُبَهم التي كتبت فيها الملائكةُ الحَفَظَةُ أعمالَهم التي صدرت عنهم في الدُّنيا، بالأيمان

قوله: (في جهاد الكفَّار): مثله من قتل على الحقِّ؛ كقتال البغاة، وقطَّاع الطَّريق، وإقامة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

قوله: (لإعلاء كلمة الله): أخرج به من قاتل لا لإعلاء كلمة الله، بل للغنيمة، أو لإظهار الشَّجاعة؛ فإنَّ له حكم شهداء الدُّنيا من عدم غسلهم والصَّلاة عليهم لا ثوابهم الكامل.

---

(١) سورة آل عمران: (١٦٩).

والشَّمائل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[١].

وحاصل ما قيل في ذلك: أنّ صحائف الأيّام واللّيالي توصَل حتى تكون صحيفة واحدة، وقيل: يُنسخ ما في جميعها في صحيفة واحدة، فإذا مات العبد جُعِلَت في خزانة تحت العرش، حتّى إذا كان يوم القيامة والنَّاسُ في الموقف بعث الله تعالى ريحاً فتطيِّرُها من تلك الخزانة، فلا تخطئ صحيفةٌ عُنُقَ صاحبها.

ثمَّ تأخذها الملائكة من الأعناق فيعطونها لهم في أيديهم على حسب حالهم من إيمان أو كفر، فالمؤمن يُعطى كتابه بيمينه، والكافرُ بشماله، ويُثقب صدرُه فَيُدخِل يده اليسرى فيه ويأخذ كتابه من وراء ظهره.

وأوَّلُ من يأخذ كتابه بيمينه على الإطلاق عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه له شعاعٌ كالشَّمس، وأما أبو بكر فهو رئيس السَّبعين ألفاً الذين يدخلون الجَنَّة بغير حساب، وبعد عمر أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه، وأوَّلُ من يأخذه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد المخزومي.

ثمَّ إذا أخذ العبد كتابه وَجَدَ حروفَه نَيِّرَةً أو مُظلمةً على حسب الأعمال الحسنة أو القبيحة، وأوَّلُ خطّ فيها ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ

---

(١) سورة الانشقاق: (٧-١٢).

﴿ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[(١)] فإذا قرأه ابيضَّ وجهُه إن كان مؤمناً، واسودَّ إن كان كافراً، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾ الآية[(٢)].

ويخلُق الله تعالى له عِلْمَ القراءة وإن لم يكن يقرأ في الدُّنيا.

والصَّحيحُ: أنّ عصاة المؤمنين يأخذون صحائفهم بأيمانهم، ويكون علامة على دخولهم الجنَّة، ولو بعد دخولهم النار.

الشّفاعة وأنواعها

- وكالشَّفاعة وهي أنواع:

الأوّل: شفاعته ﷺ في فَصْل القضاء لإراحة الخَلْق من طول الوقوف ومشقَّته، وهي مختصَّة به ﷺ.

قوله: (وهي مختصَّة به ﷺ): أي: إجماعاً؛ وذلك لأنَّ النَّاس في ذلك الوقت يذهبون إلى الرُّسل من آدم إلى عيسى فرداً فرداً يسألونهم الشَّفاعة في الانصراف من ذلك الموقف، فكلٌّ يبدي حجَّة إلى أن يذهبوا إليه ﷺ يسألونه الشَّفاعة فيقول: «**أنا لها أنا لها**»، فيسجد تحت العرش، فيقول الله له: «**ارفع رأسك واشفع تشفَّع**»[(٣)]، فيرفع رأسه، وهذا هو المقام المحمود؛ لأنَّه من حينها يكثر حمد النَّاس له، فينصب له لواء له ثلاث ذؤابات؛ ذؤابة بالمشرق، وأخرى بالمغرب، وأخرى بالوسيط،

---

(١) سورة الإسراء: (١٤).

(٢) سورة آل عمران: (١٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣/٣٢٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

الثّاني: شفاعته في إدخال قوم الجنَّة بغير حساب، قال النَّوويُّ: (وهي مختصَّة به)[١].

الثّالث: الشَّفاعة فيمن استحقَّ دخول النَّار أن لا يدخلها، قال عياض: (وليست مختَّصة به)[٢]، وتردَّد النّوويُّ؛ أي: لأنَّه لم يرد تصريح بذلك.

الرّابع: الشَّفاعة في إخراج قوم من النَّار، ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة وصالحو المؤمنين.

الخامس: الشّفاعة في زيادة الدَّرجات، وجوَّز النّوويُّ اختصاصها به عليه الصّلاة السلام[٣].

السّادس: الشَّفاعة في تخفيف العذاب عمَّن استحقَّ الخلود في النَّار، كما في حقِّ أبي طالب، ففي الصحيح: «**أنا أوّل شافع وأوّل**

والأنبياء ومن دونهم تحت ذلك اللِّواء[٤].

قوله: (قال عياض: وليست مختصَّة به): أي: وهو المعتمد.

قوله: (وصالحو المؤمنين): أي: والأطفال، بل والمولى يشفع أيضاً فيمن قال: لا إله إلَّا الله، ولم يعمل خيراً قطُّ.

---

(١) شرح صحيح مسلم (٣/ ٣٥).
(٢) إكمال المعلم (١/ ٣٦٧).
(٣) شرح صحيح مسلم (٣/ ٣٦).
(٤) ينظر «شرف المصطفى» ﷺ للخركوشي (٦/ ١٢٦).

مشفّع»، وإنَّه ذُكِر عنده عمُّه أبو طالب فقال: «**لعلَّه تنفعه شفاعتي فَيُجْعَل في ضَحْضَاح من النار**».

علامات يوم القيامة

- وكشرائط السّاعة الخَمْسة المتَّفَق عليها؛ أي: علاماتها؛ أي: العلامات الدَّالة على قربها:

أوّلها: خروج المسيح الدَّجّال - بالحاء المهملة - على الصَّحيح، سمّي مسيحاً لِمَسْحه الأرضَ في أَمَد يسير؛ أي: مدّة أربعين يوماً كما سيأتي في الحديث، وقيل: لأنَّه ممسوح العين اليسرى، وقيل: لأنه ممسوح القدم؛ أي: لأنه لا أخمص له.

قوله: («فيجعل في ضحضاح من نار»)[1]: أي: لما ورد أنَّه أقلُّ أهل النَّار عذاباً، ففي الحديث: «**أقلُّ أهل النَّار عذاباً رجل ينتعل بنعلين من نار تغلي منهما دماغه**»[2].

قوله: (أي: العلامات الدَّالَّة على قربها): أي: وهي العلامات الكبرى.

قوله: (على الصَّحيح): وقيل: بالخاء المعجمة؛ لأنَّه ممسوخ الصُّورة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠/ ٣٦٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦١) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، ومسلم (٢١١/ ٣٦١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ووُصِف بالدَّجَّال؛ أي: الكّذاب؛ للفَرْق بينه وبين المسيح عيسى بن مريم عليه الصّلاة والسلام.

وسُمِّي عيسى مسيحاً لِمَسحه الأرض؛ أي: سياحته فيها، وقيل: لأنَّه ما مَسح على ذي عاهة إلا بَرِئ بإذن الله تعالى، وقيل: لأنَّه ممسوح بالبركة.

ثانيها: نزول المسيح عيسى بن مريم عليه الصَّلاة والسَّلام من السَّماء وقَتْلُه للدَّجَّال، ففي الصَّحيح: «**لينزلَنَّ ابنُ مريم حَكَماً عدلاً فلَيَكْسِرَنَّ الصَّليب، ولَيَقْتُلَنَّ الخنزير، ولَيَضَعَنَّ الجزية . . .**» الحديث، وفي «مسند أحمد» من حديث جابر: «**يخرج الدَّجَّالُ في خفقة من الدّين وإدبارٍ من العلم، وله أربعون ليلةً يسيحها في الأرض، اليومُ منها كالسَّنة، واليومُ منها كالشَّهر، واليومُ منها كالجُمعة، ثمَّ سائر أيّامه كأيّامكم هذه، وله حمار يركبه، عَرْضُ جانب أذنيه أربعون ذراعاً، فيقول للنّاس: أنا ربّكم، وهو أعور، وإنَّ ربَّكم ليس بأعور،**

قوله: (وليضعن الجزية): أي: لا يقبلها، بل إمَّا الإسلام أو السَّيف.

قوله: (في خفقة من الدِّين): أي: قلَّة.

قوله: (وإدبار): أي: إعراض.

قوله: (اليوم منها كالسَّنة): أي: وهو أوَّل يوم منها.

وقوله: (واليوم منها كالشَّهر): أي: الثَّاني.

وقوله: (واليوم منها كالجمعة): أي: الثَّالث.

مكتوبٌ بين عينيه: كافر، يقرؤه كلُّ مؤمن كاتبٍ وغير كاتب، يَرِد كلَّ ماء ومَنْهَل إلا المدينةَ ومكَّةَ حرَّمهما الله عليه، وأقامت الملائكة بأبوابهما، ومعه جبالٌ من خُبز، والنَّاسُ في جَهد إلَّا مَنْ تَبِعه، ومعه نَهران أنا أعلم بهما منه، نهرٌ يقول: الجنَّة، ونهرٌ يقول: النَّار، فمَنْ أُدخل الذي يسمِّيه الجنَّةَ فهوَ في النَّار، ومن أُدخل الذي يسمِّيه النَّار فهوَ في الجنَّة، قال: وتبعث معه شياطين تلكم، ومعه فتنة عظيمة، يأمر السّماءَ تُمطر فيما يرى النّاس، ويَقتُل نفساً ثم يُحييها فيما يرى النَّاس، فيقول للنَّاس: أيُّها النَّاس؛ فهل يفعل مثلَ هذا إلا الرَّبُّ؟ فيفِرُّ النَّاسُ إلى جبلِ الدُّخان بالشَّام، فيأتيهم فيحاصرهم، فيشتدُّ حصارهم ويُجهدهم جهداً شديداً، ثمَّ ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام ....

قوله: (ومعه نهران. . .إلخ): هو معنى قوله في بعض الرِّوايات: (ومعه جنَّة ونار)[١].

قوله: (شياطين تلكم): هو اسم موضع.

قوله: (ويقتل نفساً ثمَّ يحييها): أي: وهو الخضر عليه السلام، ورد أنَّه حين يحييه يقول له: أولم تؤمن بي؟ فيقول له: والله؛ما ازددت فيك إلَّا بصيرة، ثمَّ بعد إحيائه تمسك يده فلا يقتل أحداً[٢].

قوله: (فيفرُّ النَّاس): أي: مع المهدي.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٤/ ١٠٤) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٨/ ١١٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فيأتي في السَّحَر فيقول: أيُّها النّاس؛ ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذّاب الخبيث، فينطلقون فإذا هم بعيسى فتُقَام الصَّلاة، فيقال له: تقدَّم يا روح الله، فيقول: لِيتقدَّم إمامُكُم فليصلِّ بكم، فإذا صلّوا صلاةَ الصُّبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذَّابُ فينماع - أي: يذوب - كما ينماع الملح في الماء، فيقتلُه حتَّى إنَّ الشَّجر والحَجَر يُنادي: يا روح الله؛ هذا يهودي، فلا يترك ممَّن كان يتَّبعه أحداً إلا قتله»[1]، وفي الصحيح أحاديث بمعنى ذلك. انتهى، ذكره السيوطي.

ثالثها: خروج يأجوج ومأجوج - بالهمز ودونه - وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام، فهما من ذرية آدم عليه السلام من غير خلاف.

قوله: (فيأتي في السَّحر): أي: في وقته.

قوله: (ليتقدَّم إمامكم): أي: وهو المهدي.

قوله: (يأجوج ومأجوج): اسمان أعجميَّان لا اشتقاق لهما، ومنعا من الصَّرف للعلميَّة والعجمة.

قوله: (بالهمز ودونه): أي: فهما لغتان وقراءتان سبعيَّتان.

قوله: (من ولدي يافث بن نوح): اعلم: أنَّ أولاد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، **فسام**: أبو العجم والعرب والرُّوم، **وحام**: أبو الحبشة والزِّنج والنَّوب، **ويافث**: أبو التُّرك والبربر وصقليَّة، ويأجوج ومأجوج، قال ابن عباس: (هم عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء)[2]، كلُّهم كفَّار،

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٦٩).

(٢) أورده الواحدي في «تفسيره الوسيط» (٣/ ١٦٧).

روى مسلم من حديث النّوّاس بن سمعان: «إنّ الله تعالى يوحي إلى عيسى عليه السلام بعد قتله الدَّجّال: أنّي قد أخرجتُ عباداً لي لا يَدانِ لأحد بقتالهم فَحَرِّزْ عبادي إلى الطّور، ويبعث الله يأجوجَ ومأجوجَ وهم من كلِّ حَدَب يَنْسِلون - أي: من كل نشز يمشون مسرعين - فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبريّة، فيشربون ماءها - وهي بالشَّام، طولُها عشرة أميال - ويمرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذا أَثَرُ ماء، ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكونَ رأسُ الثَّور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم، فيرغَبُ نبيُّ الله وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبيّ الله عيسى وأصحابه في الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأته زهمتهم، فيرغب إلى الله نبيّ الله وأصحابه، فيرسل الله طيراً كأعناق البُخْت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ....

دعاهم النَّبيُّ ﷺ إلى الإيمان ليلة الإسراء فلم يجيبوا[١].

قوله: (فيرغب نبي الله): أي: يدعو ويتضرَّع.

قوله: (زهمتهم): أي: جيفتهم فتنتن الأرض منهم.

قوله: (فتطرحهم حيث شاء الله): في بعض الرِّوايات: (فتطرحهم في البحر)[٢]، ولا يدخلون مكّة ولا المدينة، ولا بيت المقدس[٣]، ولا

---

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (١٠/ ١٨٥).
(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٨٣) عن أبي سريحة الغفاري رضي الله عنه.
(٣) ينظر «التذكرة» للقرطبي (٢/ ١٣٢٧).

ثم يرسل الله تعالى مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك. . .» الحديث[١].

مفردات الحديث:

وقوله: (لا يَدان لأحد) تثنية يد، ومعناه: لا قدرة ولا طاقة.

ومعنى: (حرزهم إلى الطُّور) ضُمَّهُم إليه واجعله لهم حرزاً.

وقوله: (النغَفَ) بتحريك الغين المعجمة، الدّود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم.

وقوله: (فرسى) كقتلى وزناً ومعنىً، واحده فريس.

وفي الثَّعلبي من حديث حذيفة، قلت: يا رسول الله؛ ما يأجوج ومأجوج؟ قال: أمم، كلُّ أمَّة أربع مئة ألف، لا يموت الرَّجل حتَّى يرى ألفَ عين تطوف بين يديه من صُلبه، وهم من ولد آدم، فيسيرون

يصلون إلى من تحصَّن بورد أو ذكر.

قوله: (أمم): في بعض الرِّوايات: إنَّهما جبلان[٢]، كلُّ جبل مشتمل على أربعة آلاف أمَّة.

قوله: (حتَّى يرى ألف عين. . .إلخ): في رواية: لا يموت الواحد منهم حتَّى يرى ألف ذكر من صلبه كلُّهم قد حمل السلاح؛ وهم أصناف، صنف منهم طوله عشرون ومئة ذراع في السَّماء، وصنف منهم طوله

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٧/ ١١٠).

(٢) ينظر «التفسير الوسيط» للواحدي (٣/ ١٦٦).

إلى خَراب الدُّنيا، فيكون مقدَّمتُهم بالشَّام، وساقتُهم بالعراق، فيمرُّون بأنهار الدُّنيا فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة طبريَّة، حتَّى يأتون بيت المقدس، فيقولون: قد قتلنا أهلَ الدنيا، فقاتلوا مَن في السَّماء، فيرمون نُشَّابهم إلى السَّماء، فيردُّ الله تعالى نشابهم محمّراً دماً[١].

وقد ورد أنَّ الدَّجَّال يقتله عيسى بن مريم، فيخرج بعده يأجوج ومأجوج فيقتلون من اتَّبع الدَّجَّال الذي قتله عيسى، وينحصر عيسى

وعرضه سواء عشرون ومئة ذراع، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرُّون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلَّا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه[٢].

فلمَّا رأى ذلك ذو القرنين؛ شرع في بناء السَّدِّ واهتمَّ به، فبنى الجدار على الماء بالصَّخر والحديد والنُّحاس المذاب، فلمَّا وصل إلى ظاهر الأرض؛ بنى بقطع الحديد وأفرغ عليه النُّحاس المذاب.

روي أنَّهم يحفرونه كلَّ يوم حتَّى إذا كادوا يخرقونه، قال الَّذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعيده الله كأشدَّ ممَّا كان، حتَّى إذا بلغ مدَّتهم وأراد الله أن يبعثهم إلى النَّاس؛ قال الَّذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه، فيخرجون منه إلى النَّاس فيستسقون المياه وتنفر النَّاس منهم[٣].

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٥٥) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٠)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٥١٠-٥١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن معه في رؤوس الجبال، فيسلِّط الله عليهم داءً في أعناقهم، فيموتون كموت رجل واحد. انتهى، ذَكَر جميعه النَّفراوي[(١)] في «شرح الرسالة»[(٢)].

رابعها: خروج الدَّابَّة التي تُكلّم النَّاس آخرَ الزَّمان المُشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[(٣)]؛ أي: وإذا قَرُب وقوع معنى القول عليهم، وهو ما وُعِدوا به من البعث والعذاب أخرجنا لهم دابَّةً من الأرض تُكلِّمهم.

- قيل: تُكلِّمهم ببطلان الأديان إلا دين الإسلام.

- وقيل: تقول: يا فلانُ أنت من أهل الجَنَّة، ويا فلانُ أنت من أهل النَّار.

- وقيل: تقول: إنَّ النَّاس كانوا بآياتنا لا يوقنون.

قوله: (أي: وإذا قرب وقوع معنى القول): أي: وإنَّما عبَّر بالماضي لحصوله في علم الله؛ لأنَّ الماضي والحال والاستقبال في علم الله واحد لإحاطته به.

---

(١) هو الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي الأزهري المالكي، كان من أفراد العالم علماً وفضلاً وذكاء، توفي رحمه الله سنة (١١٢٦هـ) في القاهرة، من مؤلفاته: «الفواكه الدواني شرح رسالة أبي زيد القيرواني» ينظر «سلك الدرر» (١/ ١٤٨)، و«شجرة النور الزكية» (١/ ٤٦٠).

(٢) الفواكه الدواني (١/ ١١٢).

(٣) سورة النمل: (٨٢).

وروي أنّه سئل عليه الصَّلاة والسَّلام عن مخرجها فقال: «**من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى**»[١]؛ يعني: المسجد الحرام.

وروي عنه عليه الصَّلاة والسَّلام أنّ لها ثلاث خرجات: خَرْجة بأقصى اليمن، فيفشو ذِكْرُها في البادية، ولا يدخل ذِكرُها مكَّة، ثمَّ تمكُث زمناً طويلاً، وخَرْجةٌ قريبة من مكَّة، فيفشو ذِكرُها بالبادية وبمكَّة، وخَرْجةٌ بينما عيسى بنُ مريم عليه السلام بالبيت ومعه المسلمون، إذ تهتزُّ الأرض تحتهم، وينشقُّ الصَّفا ممَّا يلي المشعر، فتخرج رأسُ الدَّابَّة من الصَّفا، تجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثُلُثُها، وبعد خروجها يمسُّ رأسُها السَّحابَ[٢]، وتسمَّى: الجسَّاسة.

وفي الحديث: «**أنَّ طولها ستُّون، ولها أربعةُ قوائم وزَغَب وريش**

قوله: (فتخرج رأس الدَّابَّة من الصَّفا): هذا أحد روايتين[٣]، والأخرى أنَّها تخرج من بين الرُّكن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد[٤].

قوله: (أنَّ طولها ستُّون): المراد ستُّون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام كما ورد[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٨٣) عن أبي سريحة الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) ينظر «التذكرة» للقرطبي (٢/ ١٣٣٢).

(٣) ينظر «التذكرة» للقرطبي (٢/ ١٣٣٥).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٨٤) عن أبي سريحة الأنصاري رضي الله عنه.

(٥) ينظر «التذكرة» (٢/ ١٣٣٦).

وجناحان، لا يفوتها هاربٌ ولا يُدركها طالب»[١].

وعن كعب: صورتُها صورة حمار، قيل: لها رأس ثور، وعين خنزير، وأذن إبِل، وعُنُق نعامة، وصدر أسد، ولون نَمِر، وخاصرة هِرٍّ، وذنب كبش، وخفُّ بعير[٢].

خامسها: طلوع الشمس من مغربها.

واختلف في ذلك، هل هو في يوم واحد، أو في ثلاثة أيّام، ثمَّ تطلع من المشرق على عادتها إلى يوم القيامة، وإذا طلعت من المغرب غربت في المشرق، وعند ذلك يُغلَق باب التَّوبة على المؤمن العاصي والكافر، وقيل: هو خاص بالكافر ....

قوله: (وأذن أيل)[٣]: هو حيوان يظهر في المغرب والسُّودان أصغر من البعير، كما أخبرني به بعض الثِّقات.

قوله: (وخفُّ بعير... إلخ): ورد أنَّ بين المفصلين اثني عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام[٤].

وعن أبي هريرة: (فيها من كلِّ لون، ما بين قرنيها فرسخ للرَّاكب)[٥]، واختلف في تعيينها، والصَّحيح أنَّها فصيل ناقة صالح، وذلك أنَّه لمَّا

---

(١) عزاه المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٨٩١) إلى الثعلبي من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) ينظر «التذكرة» (٢/ ١٣٣٥).

(٣) في نسخة المتن: (إبل)، وفي «التذكرة»: (قرن أيل).

(٤) ينظر «التذكرة» (٢/ ١٣٣٦).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٥٩٩).

لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[١].

وهل ذلك خاصٌّ بالمكلَّف أو عامٌّ، وهل يستمرُّ إلى يوم القيامة؟ وهو ظاهر قول البرهان اللّقاني في «شرح جوهرته»[٢].

عقرت أمُّه هرب، فانفتح له حجر، فدخل في جوفه ثمَّ انطبق عليه الحجر فهو فيه حتَّى يخرج بإذن الله ﷻ[٣].

قوله: (لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي...﴾ إلخ): ظاهره أنَّه دليل للقول الثَّاني وليس كذلك، بل الآية منشأ الخلاف، فقيل: إنَّ معناها لا ينفع نفساً؛ أي: كافرة أو مؤمنة عاصية، ويكون قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ﴾ راجعاً للأولى، وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾، راجعاً للثانية، ويكون التَّقدير: لا ينفع نفساً كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن، ولا ينفع نفساً مؤمنة توبتها من المعاصي، فقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنَتْ﴾ ففي الكلام حذف، وعليه فغلق باب التَّوبة عامٌّ في المؤمن العاصي والكافر، وقيل معناها: أو نفساً منافقة ﴿كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[٤]؛ أي: تصديقاً باطناً، وعليه فهو خاصٌّ بالكافر.

---

(١) سورة الأنعام: (١٥٨).

(٢) ينظر «عمدة المريد» (٤/ ١٩٨٨).

(٣) ينظر «التذكرة» (٢/ ١٣٤٠).

(٤) سورة الأنعام: (١٥٨).

الحقُّ أنَّ من يوم طلوع الشَّمس من مغربها إلى يوم القيامة لا تُقبل توبة أحد، كما في حديث ابن عمر[١]، لكن صحَّح الأجهوري في «حاشيته على الرّسالة»: أنَّ عدم قَبولها من المؤمن والكافر خاصٌّ بمن شاهد الطُّلوع وهو مميِّز، أمَّا غير المميِّز لِصباً أو جنون، ثمَّ حصل له التَّمييزُ، أو وُلد بعد ذلك؛ فإنَّه تُقبل منه التَّوبة، وقال في «شرحه على المختصر»: (عن ابن عبّاس: «**لا تُقبل توبة الكافر إلّا إذا كان صغيراً، ثمَّ أسلم بعد ذلك فإنَّها تُقبل منه، وأمّا المؤمن المذنب فتُقبل منه توبته**»).

قوله: (الحقُّ أنَّه من يوم طلوع الشَّمس من مغربها إلى يوم القيامة. . .إلخ): ورد أنَّه مئة وعشرون سنة، فيتمتَّع المؤمنون فيها أربعون سنة لا يتمنُّون شيئاً إلَّا أعطوه، ثمَّ يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفَّار يتهارجون في الطُّرق كالبهائم، حتَّى ينكح الرَّجل المرأة في وسط الطَّريق يقوم واحد عنها وينزل واحد، وأفضلهم من يقول: لو تنحَّيتم عن الطَّريق لكان أحسن، فيكونون على مثل ذلك حتَّى لا يولد لأحد من نكاح، ثمَّ يعقم الله النِّساء ثلاثين سنة، ويكون كلُّهم أولاد زنا شرار النَّاس عليهم تقوم السَّاعة[٢].

قوله: (وأمَّا المؤمن المذنب. . .إلخ): هذا هو المعتمد.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٠).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٢١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

الإيمان والإسلام وما يتعلّق بهما من مباحث

أولاً: تعريف الإيمان:

واعلم: أنَّ التَّصديق بما ذُكر هو الإيمان الشَّرعيُّ؛ لأنَّ الإيمان **لغة**: هو مطلق التَّصديق.

وشرعاً: هو تصديق النَّبي ﷺ بالقلب في جميع ما عُلم مجيئه به من الدِّين بالضَّرورة؛ أي: فيما اشتهر بين أهل الإسلام وصار العِلْمُ به يشابه العلمَ الحاصل بالضَّرورة، بحيث يعلمُه العامَّةُ من غير افتقار إلى نظر واستدلال، وإن كان في أصله نظرياً؛ كوحدة الصَّانع جلَّ وعلا، ووجوبِ الصَّلاة ونحوها، إجمالاً فيما عُلم إجمالاً، وتفصيلاً فيما عُلم كذلك.

والمراد من تصديقه عليه الصَّلاة والسَّلام: الإذعانُ والقَبول لما جاء به؛ بحيث يقع عليه اسم التَّسليم من غير تكبُّر وعِناد، لا مجرَّدَ وُقوع نِسبة الصِّدق إليه في القلب من غير إذعان وقَبول، حتَّى يلزم إيمانُ كثير من الكفَّار الذين كانوا عالمين بحقيقة نبوَّته عليه الصَّلاة والسَّلام وما جاء به؛ لأنَّهم لم يكونوا أذعنوا لذلك ولا قَبِلوه بحيث

قوله: (لا مجرَّد وقوع نسبة الصِّدق. . .إلخ): أي: كما يقول السَّعد، وسيأتي له توجيهه بتكلفات.

قوله: (كثير من الكفَّار): أي: كأبي طالب؛ فإنَّه كان يشهد له بالصِّدق من غير إذعان.

يُطلَق عليه اسم التَّسليم.

وعلى هذا فالإيمانُ الشَّرعيُّ هو: حديث النَّفْس التّابعُ للمعرفة؛ أي: الإدراك الجازم، بناء على الصَّحيح من أنَّ إيمان المقلّد صحيح.

فالإذعانُ والقَبول والتَّصديق والتَّسليم عباراتٌ عن شيء واحد، وهو: حديث النَّفس المذكور، فيكون الإيمان فعلاً من أفعال النَّفس، وليس من قَبيل العلوم والمعارف، ويظهر من كلام بعضهم أنَّه الرَّاجح.

وذهب المحقّق التّفتازاني وكثير من المحقِّقين إلى أنَّ التَّصديق الشَّرعيَّ المعبَّر عنه بالإيمان والإذعان والتَّسليم هو: نفسُ الإدراك، فيكون من قبيل العلوم والمعارف، والأصحّ في الإدراك أنَّه كيفٌ لا فعلٌ ولا انفعالٌ للنّفس، ويكون التّكليف به باعتبار أسبابه من الفكر الموصل إليه.

قوله: (ويظهر من كلام بعضهم أنَّه الرَّاجح): أي: لأنَّه قول الأشعريِّ وأبي بكر الباقلانيِّ وأبي إسحاق الإسفرايني وجمهور المتكلِّمين.

قوله: (وذهب المحقِّق التَّفتازانيُّ. . . إلخ): ردَّ ذلك بما تقدَّم في قوله: (حتَّى يلزم إيمان كثير من الكفَّار).

قوله: (ويكون التَّكليف به. . . إلخ): جواب عمَّا يقال: الكيف وصف قائم بالنَّفس لا تكليف به، وإنَّما التَّكليف بالأفعال الاختياريَّة.

قال: (وهو معنى التَّصديق المقابل للتَّصوُّر في علم الميزان، حيث يقال: العلم إمَّا تصوُّر وإمَّا تصديق؛ أي: فيكون التَّصديق عند المناطقة هو الإذعان، بحيث يُطلق عليه اسم التَّسليم)[1].

قال: (فلو حصل هذا المعنى للكفَّار كان إطلاق اسم الكافر عليه من جهة أنَّ عليه شيئاً من أمارات التَّكذيب والإنكار، كما لو فرضنا أنَّ أحداً صدَّق بجميع ما جاء به النبيُّ ﷺ وأقرَّ به وعمل ومع ذلك شدَّ الزّنار بالاختيار، أو سجد للصَّنم بالاختيار نجعله كافراً لما أنَّ النبيَّ ﷺ جعل ذلك علامةَ التَّكذيب والإنكار، وتحقيقُ هذا المقام على ما ذكرتُ يسهِّل لك الطَّريق إلى حلِّ كثير من الإشكالات الموردة في مسألة الإيمان) انتهى كلامه[2].

قوله: (قال): أي: السَّعد، دافعاً ما يرد عليه من الإشكال، وهو إن قلت: إنَّه الإدراك، يلزم عليه أنَّه يكفي وإن لم يكن عنده إذعان، فأجاب بقوله: فلو حصل. . .إلخ، فتدبَّر.

قوله: (وتحقيق هذا المقام. . .إلخ): قد علمت أنَّ مذهبه تكلُّف، فالحقُّ الأوَّل.

---

(١) شرح العقائد النسفية (ص١٤٨).

(٢) شرح العقائد النسفية (ص١٤٨).

ثانياً: النّطق بالشّهادتين والخلاف فيه

وعلى ما ذكرنا فالإيمانُ بسيط، وعليه فمن صدَّق بقلبه، ولم يُقرَّ بلسانه لا لعذر مَنَعه ولا لإباء، بل كان بحيث لو طُلب منه النُّطق لأجاب؛ فهو مؤمن عند الله تعالى، ناجٍ من الخلود في النّار.

فالنُّطقُ: إنَّما هو شرط كمال فيه، كبقيَّة الأعمال من صلاة وصوم وزكاة وحجّ، لا شرطَ صحَّة، ولا جزءاً من حقيقته، نعم هو شرطٌ

قوله: (وعلى ما ذكرنا): أي: على كلٍّ من التَّعريفين اللَّذين هما حديث النَّفس التَّابع للمعرفة أو هو المعرفة.

قوله: (لا لعذر): أي: وأمَّا المعذور: فمتَّفق على قبول الإيمان منه ولو على القول بأنَّه مركَّب.

قوله: (ولا لإباء): أي: لأنَّ الآبي كافر بالإجماع.

قوله: (نعم هو شرط): استدراك على قوله: (إنَّما هو شرط كمال فيه) ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[1]، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اللَّهمَّ؛ ثبِّت قلبي على دينك**»[2].

قال شيخنا الأمير: (سمعنا من المشايخ كثيراً: أنَّ المدار عند المالكيَّة على أيِّ لفظ يفيد الوحدانيَّة والرِّسالة، ونقله اللَّقانيُّ في «شرحه» عن

---

(١) سورة المجادلة: (٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

لإجراء الأحكام الدُّنيويَّة؛ لأنَّ التَّصديق لخفائه - بكونه قلبياً - لا بدَّ له من علامة ظاهرة تدلُّ عليه.

وقيل: إنَّه مركَّب من التَّصديق والنُّطق بالشَّهادتين.

الأبي[(١)] مخالفاً لشيخه ابن عرفة[(٢)] المشترط اللَّفظ المخصوص، ونحوه للرَّملي وجماعة من الشَّافعيَّة، ونحو ما للأبي للنَّوويِّ)[(٣)].

قوله: (وقيل: إنَّه مركَّب من التَّصديق والنُّطق... إلخ): هذا الخلاف

---

(١) محمد بن خِلْفة بن عمر الأُبي الوشتاتي المالكي، عالمٌ محققٌ، وصفه ابن حجر بأنه عالم المغرب بالمعقول، سكن تونس، وقرأ على ابن عرفة وغيره، تولى قضاء الجزيرة سنة (٨٠٨هـ)، وقال عنه صاحب «شجرة النور الزكية»: (هو البارع المحقق العلامة الأصولي، المطلع الفهامة، المؤلف المتقن الفقيه المتفنن، الراوية النظار المتحلي بالوقار)، له مؤلفات عدة؛ منها: «إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم»، و «شرح المدونة»، توفي رحمه الله سنة (٨٢٨هـ) ينظر «البدر الطالع» (٢/ ١٦٩)، و «شجرة النور الزكية» (١/ ٣٥١).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الوَرْغَمي المالكي، عالم المغرب، مهر في العلوم، وأتقن المعقول والمنقول إلى أن صار المرجوع إليه في الفتوى ببلاد المغرب، وتصدى لنشر العلوم، وكان لا يمل من التدريس وإسماع الحديث والفتوى، مع ما فيه من الدين والخير والصلاح، له مؤلفات عدة؛ منها: «المبسوط» مجموع في الفقه، واختصر الحوفي في الفرائض، ونظم قراءة يعقوب، وصنف في الأصلين والمنطق مختصراً جامعاً، توفي رحمه الله وجزاه الله خيراً سنة (٨٠٣هـ) ينظر «الضوء اللامع» (٩/ ٢٤٠).

(٣) حاشية الأمير على إتحاف المريد (ص ٩١)، وينظر «هداية المريد» (١/ ٢٧٠ـ٢٧٥)، و«فتاوى الشهاب الرملي» (٤/ ٢٣)، و«شرح النووي على مسلم» (١/ ١٤٥) وما بعدها، و«نهاية المحتاج» (٧/ ٤١٩).

فالنطق جزء من حقيقته إلّا أن التّصديق جزء لا يحتمل السّقوط، والإقرارُ قد يحتمله كما في المعذور من خرس أو إكراه.

وقيل: بل النُّطق شرط صحَّة له، ولا فرق بينه وبين القول بالجزئيَّة، إلا باعتبار أنّ الجزء داخل الماهيَّة، والشَّرطَ خارجٌ عنها.

ثالثاً: الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه

ثمَّ الرَّاجح أنّ الإيمان يزيد وينقص بزيادة الأعمال ....

مقيَّد بالكافر الأصلي، وأمَّا أولاد المسلمين؛ فمحكوم بإيمانهم عندنا وعند الله ولو لم ينطقوا طول عمرهم، غير أنَّهم خالفوا الواجب الفرعيَّ.

قوله: (فالنُّطق جزء من حقيقته): هذا القول لأبي حنيفة وجماعة من الأشاعرة، فالإيمان عندهم اسم لعمليِّ القلب واللِّسان جميعاً.

قوله: (وقيل: بل النُّطق شرط صحَّة. . .إلخ): تحصَّل أنَّ الأقوال ثلاثة، لكنَّها ترجع إلى قولين، لأنَّ من قال: إنَّه شرط صحَّة؛ فقد وافق القائل في المعنى بأنَّه شطر، وبقي قول ثالث: وهو أنَّ الإيمان مركَّب من تصديق، ونطق، وعمل وهو للمعتزلة، وعليه فمن ترك واجباً كالصَّلاة، أو فعل محرَّماً كالزِّنا؛ فهو كافر.

قوله: (إلَّا باعتبار. . .إلخ): أي: لأنَّه على القول بالشَّطريَّة يكون الإيمان مركباً، وعلى القول بالشَّرطيَّة يكون بسيطاً، فتدبَّر.

قوله: (بزيادة الأعمال): راجع لقوله: (يزيد).

ونقصها؛ للقطع بأنَّ إيمان الفُسَّاق لا يساوي إيمان الصِّدِّيقين والأنبياء والمرسلين، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[(١)]، وغير ذلك من الآيات، ولقوله ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما حين سأله: الإيمانُ يزيد وينقص؟ «نعم، يزيد حتى يدخل صاحبه الجنَّة، وينقص حتى يُدخل صاحبه النار»[(٢)].

وبالجملة فزيادة الأعمال الباطنيَّة والظَّاهريَّة تُوجِب زيادة إشراقه وضيائه في القلب، وقلَّتُها توجب ضعفه، وظاهرٌ أنَّ التَّصديق قد يقوى بقوَّة الأسباب، ولذا يقال: ليس الخبر كالعيان.

وقوله: (ونقصها): راجع لقوله: (وينقص) فهو لفٌّ ونشر مرتَّب، وزيادته بالأعمال على حسب الغالب، وإلَّا فقد يزيد بفضل الله.

قوله: (للقطع. . . إلخ): علَّة للأرجحيَّة، ومحصِّل ما ذكره أدلَّة عقليَّة ونقليَّة، صدر بالعقليِّ، ثمَّ ثنّي بالنَّقليِّ.

قوله: (﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾): أي: وما قبل الزِّيادة يقبل النَّقص إلَّا لعارض؛ كعصمة الأنبياء، فإنَّ إيمانهم يستحيل عليه النَّقص، وما ذكره الشَّارح من التَّرجيح قول جمهور الأشاعرة والماتريديَّة ومالك والشَّافعيِّ وأحمد.

---

(١) سورة الأنفال: (٢).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢١١).

وقيل: لا يزيد ولا ينقص؛ لأنَّ التَّصديق البالغَ حدَّ الجزم ......

قوله: (وقيل: لا يزيد ولا ينقص): هو قول جماعة؛ منهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه، وتأوَّلوا أدلَّة الأوَّلين بأنَّ آية ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾(١) المراد: المؤمَن به؛ فإنَّ الصَّحابة كان يتجدَّد عليهم القرآن والأحكام شيئاً فشيئاً، فكلَّما زادت الأحكام زاد عملهم بها.

ويؤوَّل الحديث: بأنَّ الزِّيادة والنَّقص ترجع إلى الأعمال لا التَّصديق.

وممَّا يردُّ قوله أيضاً ما قاله ابن العربيِّ: (أقسام الإيمان خمسة: إيمان تقليد؛ وهو من أخذ العقائد عن شيخ وجزم بها من غير معرفة دليل، وإيمان علم؛ وهو معرفة العقائد بأدلَّتها، وإيمان عيان؛ وهو معرفة الله بمراقبة القلب كأنَّه يراه، وإيمان حقٍّ؛ وهو رؤية الله بقلبه وهو مقام المشاهدة، وإيمان حقيقة؛ وهو الفناء بالله عمَّا سواه، فكلٌّ واحد أزيد ممَّا قبله، ومحلُّ الخلاف في غير إيمان الأنبياء والملائكة؛ فإنَّه يزيد ولا ينقص، وقيل: إنَّ إيمان الملائكة لا يزيد ولا ينقص)(٢).

إن قلت: إنَّ قوله تعالى في حقِّ الخليل: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾(٣) يوهم أنَّ إيمان الأنبياء ينقص.

أجيب: بأنَّ المعنى: أولم يكفك إيمانك الكامل؟ قال: بلى، ولكن

---

(١) سورة الأنفال: (٢).
(٢) تقدم (ص١٤٣).
(٣) سورة البقرة: (٢٦٠).

لا يُتصوَّر فيه زيادةٌ ولا نقصان، حتَّى إنَّ مَن حصل له حقيقة التَّصديق، فسواء أتى بالطَّاعات أو ارتكب المخالفات فتصديقه باقٍ على حاله من غير تغيُّر فيه أصلاً.

وقيل: الخُلْف لفظيٌّ؛ لأنّ ما يدلُّ على أنَّ الإيمان يزيد وينقص فمحمول على الإيمان الكامل المركَّب من تصديق وعمل، فالزِّيادةُ والنُّقصان مصروفان إلى ما به الكمال من الأعمالُ، وما يدلُّ على عدم الزِّيادة والنَّقص فمحمولٌ على أصل الإيمان، وهو التَّصديق، وفيه نظر.

ليطمئنَّ قلبي برؤية المعجزة الباهرة؛ لتقوم له الحجَّة على قومه.

قوله: (لا يتصوَّر فيه زيادة ولا نقصان): أي: لأنَّه التَّصديق البالغ حدَّ الجزم، فلو قلنا بنقصه؛ لكان ظنّاً وهو كفر، ولو قلنا بزيادته؛ لكان لا معنى له؛ لأنَّه في غاية الجزم، وهو منتهى الزِّيادة.

وبقي قول ثالث للخطَّابيِّ: وهو أنَّ **الإيمان قول**، وهو لا يزيد ولا ينقص، **وعمل**، وهو يزيد وينقص، **واعتقاد**، وهو يزيد وينقص، فإذا نقص ذهب.

قوله: (وقيل: الخلف لفظيٌّ): هذا القول للفخر الرَّازي جامعاً بين القولين.

قوله: (وفيه نظر): أي: لأنَّ الخلاف إنَّما هو في أصل الإيمان؛ وهو التَّصديق، فهو حقيقيٌّ لا لفظيٌّ، والمعوَّل عليه التَّرجيح المتقدِّم.

رابعاً: بيان معنى الإسلام

وأمّا الإسلام فهو لغة: الخضوع والانقياد، فهو غير الإيمان لغة قطعاً.

وأمّا شرعاً: فقد اختلف فيهما:

- فذهب أكثر الماتريديَّة وبعضُ محقِّقي الأشاعرة إلى أنَّه الخضوع والانقياد للأوامر والنَّواهي، بمعنى قَبول ذلك والإذعان له، وعليه فهو عين الإيمان، فالإيمان والإسلام مترادفان شرعاً، وقال النَّسفيُّ في «العقائد»: (والإيمان والإسلام واحد)[١].

- والأكثر من الأشاعرة مع كثير من الماتريديَّة إلى تغايرهما مفهوماً كتغايرهما لغة، إذ مفهومُ الإيمان: تصديقُ القلب بكلِّ ما جاء به النبيُّ ﷺ ممَّا عُلم من الدِّين ضرورة؛ أي: الإذعان لذلك، ومفهومُ

قوله: (الخضوع والانقياد): أي: فيقال: أسلمت الدَّابَّة واستسلمت؛ أي: انقادت.

قوله: (والأكثر من الأشاعرة. . .إلخ): مقابل للقول الأوَّل، وهو المعتمد.

قوله: (إذ مفهوم الإيمان): أي: مدلوله.

---

(١) شرح العقائد النسفية (ص ١٥٧).

الإسلام: امتثالُ الأوامر والنَّواهي ببناء العمل على ذلك الإذعان، فهما مختلفان وإن تلازما شرعاً، بحيث لا يوجد مسلم ليس بمؤمن، ولا العكس، إذ يلزم من الإذعان الامتثالُ المذكور، ومن الامتثال الإذعانُ، فليتأمَّل.

فإن قلتَ: إنَّ الإسلام قد ينفرد عن الإيمان في المنافق كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[١].

قلتُ: كلامنا في الإسلام المعتبر شرعاً، المنجي من خلود النَّار، وأمّا ما في الآية فالمراد به الانقيادُ الظَّاهريُّ فقط.

فإن قلتَ: قد فَسَّر النَّبيُّ ﷺ الإسلامَ بنفس العمل، حيث قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وتقيمَ الصَّلاة، وتؤتيَ الزَّكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ**

قوله: (وإن تلازما شرعاً): أي: ولا يبعده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٢]؛ لأنَّ تغاير مفهوم المسلم والمؤمن كاف في العطف، فلا يلزم منه مغايرة ذات المؤمن لذات المسلم.

قوله: (فإن قلت: إنَّ الإسلام قد ينفرد عن الإيمان. . .إلخ): هذا السُّؤال وارد على ثبوت التَّلازم بينهما.

قوله: (فإن قلت: قد فسَّر النَّبيُّ ﷺ . . .إلخ): هذا السُّؤال وارد على القول بترادفهما.

---

(١) سورة الحجرات: (١٤).

(٢) سورة الأحزاب: (٣٥).

البيت إن استطعت إليه سبيلاً»[١].

فالجواب: أنَّ مراده عليه الصَّلاة والسَّلام بالإسلام علاماتُه الدَّالَّةُ عليه، كما قال عليه الصّلاة والسَّلام لوَفْد قدموا عليه: «**أتدرون ما الإيمان بالله تعالى وحده؟**»، فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «**شهادةُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقامُ الصَّلاة، وإيتاءُ الزَّكاة، وصيام رمضان، وأن تُعطوا من المَغْنم الخُمس**»[٢]، فقد فَسَّر الإيمان بعلاماته لظهور أنَّ الإيمان ليس ما ذُكر بل التَّصديق والإذعان، قاله التّفتازانيُّ[٣].

وقد جمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين قولي الماتريديَّة والأشاعرة بالتَّرادُف وعدمه بأنَّهما خلاف في حال، فإنّ مفهوم الإسلام:

- إن فُسِّر بالانقياد الظَّاهريِّ، بمعنى امتثال الأوامر والنَّواهي والعملِ بمقتضى تلك الأحكام من غير ملاحظة الإذعان والتَّسليم القلبي كان مخالفاً لمفهوم الإيمان.

وبيان ذلك: أنَّ النَّبيَّ ﷺ فسَّر الإسلام بالعمل، ومن المعلوم أنَّ العمل غير التَّصديق، فكيف يقال بترادفهما؟

والحقُّ: أنَّهما مختلفان مفهوماً، متَّحدان ما صدَّقا، متلازمان شرعاً، فقوله: (وقد جمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ...) إلخ تكلُّف لا داعي إليه.

---

(١) ضمن حديث طويل أخرجه مسلم (٨) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) شرح العقائد النسفية (ص ١٤٨).

- وإن فُسِّر بالاستسلام والانقياد الباطني، بمعنى قَبول تلك الأحكام والإذعان لها وتَرْك الإباء والاستكبار عنها كان متَّحداً معه. انتهى.

وقوله: (من غير ملاحظة الإذعان) يعني: في مفهومه، فلا ينافي أنَّه لا بدَّ من ملاحظة البناء عليه ليتأتَّى التَّلازم.

بيان معنى الشهادتين

(وينطوي) أي: يندرج (في) معنى (كِلْمَة الإسلام) أي: الدَّالَّة على الإسلام، وهي (لا إله إلّا الله محمّد رسول الله) فإضافتها للإسلام من إضافة الدَّالِّ للمدلول، سُمِّيت كلمة لدلالتها على معنىً واحد، وهو الإسلام.

قوله: (من إضافة الدَّالِّ للمدلول): غير متعيِّن، بل يصحُّ أن يكون من إضافة السَّبب للمسبب، أو من إضافة الجزء للكلِّ، بناء على تكلُّف أنَّ الإسلام اسم للعمل.

قوله: (لدلالتها على معنىً واحد): أي: فسمِّيت باسم مدلولها، وإلَّا فهي كلام، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[١]، قال ابن مالك[٢]:

.... وكِلْمةٌ بها كلامٌ قد يؤمّ

---

(١) سورة المؤمنون: (١٠٠).

(٢) ألفية ابن مالك (ص ٨).

(ما قد مضى) ذكره (من سائر) أي: جميع (الأحكام) الإلهيات والنَّبويَّات والسَّمعيات، بيان ذلك أنَّها جملتان:

- الجملة الأولى: لا إله إلّا الله، والإله هو المعبود بحقّ، فالمعنى: لا معبود بحقّ ....

قوله: (لا إله إلا الله): يصحُّ نصب لفظ الجلالة ورفعه، والمختار الرَّفع؛ لقول ابن مالك[1]:

.... وبعد نفي أو كنفي انتخب
إتباعُ ما اتَّصل ....

وهي من قبيل العام المخصوص، وهو ما كان عمومه مراداً في اللَّفظ لا في المعنى، فالاستثناء على ذلك متَّصل من حيث دخول لفظ الجلالة في عموم اللَّفظ وهو مُخْرَجٌ معنىً، فقوله: (إلَّا الله) كشف لما راعاه في القلب عند النَّفي، وهو من باب عموم السَّلب لا سلب العموم، وإلَّا كان الاستثناء منقطعاً، وهو خلاف التَّحقيق.

قوله: (فالمعنى: لا معبود بحقٍّ): **أي**: معناها المطابق، والمنفيُّ المعبود بحقٍّ غير الله في ذهن المؤمن وفي نفس الأمر، لا في ذهن الكافر، إذ هو ثابتٌ لا يتأتَّى نفيه، فهو من المؤمن إخبارٌ عمَّا في قلبه، وما في نفس الأمر، ولا ينظر لما في قلوب الكفَّار، وحذف تنوين (معبود) مشاكلة للفظ (إله)، وإلَّا فحقُّه النَّصب؛ لكونه شبيهاً بالمضاف.

---

(١) ألفية ابن مالك (ص ٤٥).

موجود أو في الوجود إلا الله.

فقد دلَّت هذه الجملة على نفي الأُلوهيَّة - التي هي استحقاق المعبود العبادة، كما عرفت - عن كلِّ ما سواه منطوقاً، وعلى ثبوتها له تعالى وحده مفهوماً، وهذا يستلزم استغناءَه تعالى عن كلِّ ما سواه، وافتقارَ كلِّ ما سواه إليه تعالى.

- أمَّا استغناؤه عن كلِّ ما سواه: فيوجب له تعالى الوجودَ والقِدَمَ

قوله: (موجود أو في الوجود): أشار بذلك إلى أنَّ خبر (لا) محذوف، واختار الشَّارح تقديره من مادَّة الوجود، واختار غيره تقديره من مادَّة الإمكان؛ بأن يقال: لا إله ممكن إلَّا الله، ويرد على كلٍّ إشكال.

أمَّا الأوَّل: فلأنَّ مفهومه يفيد أنَّ هناك آلهة غير الله يمكن وجودها، وإن لم تكن موجودة بالفعل.

أجيب: بأنَّ نفي الإمكان أُخذ من الدَّليل العقليِّ، كما أنَّ وجوب الوجود في حقِّه تعالى يؤخذ من الدَّليل العقليِّ لا من الاستثناء؛ فإنَّه إنَّما يفيد ثبوت الوجود.

وأمَّا الثَّاني: فلأنَّ منطوقه يفيد إمكان الله وكونه موجوداً أو لا شيء آخر.

وأجيب: بأنَّ وجوده تعالى علم أيضاً من الدَّليل العقليِّ.

قوله: (فيوجب له تعالى الوجود): **إن قلت**: إنَّ عقيدة الوجود أخذت من الكلمة المشرفة، إذ التَّقدير: لا إله موجود إلَّا الله، فلا حاجة إلى أخذه من الاستثناء.

والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث وقيامه بنفسه، إذ لو ماثل شيئاً منها للزمه ما لزمها من الافتقار وهو محال، ولو قام بغيره لكان مفتقراً إلى ذلك الغير.

ويوجب له أيضاً التَّنزُّهَ عن النَّقائص، وهو يستلزم وجوبَ السَّمع والبصر والكلام، والتَّنزُّهَ عن الأغراض في الأفعال والأحكام، وإلّا لكان مفتقراً إلى ما يتكمَّل به من ذلك الغرض، وعدمَ وجوب فعل شيء من الممكنات، أو تركه، وعدمَ كون شيء من الممكنات يؤثِّر بقوَّة أودعها الله فيه، وإلا لم يكن مستغنياً عن كلِّ ما سواه، كيف وهو الغنيُّ بالإطلاق عن كلِّ ما سواه.

أجيب: بأنَّ المأخوذ من الاستثناء مطلق الوجود، والمأخوذ من الاستغناء، وجوب الوجود، فقوله: (يوجب له الوجود) أي: وجوب الوجود.

قوله: (وقيامه بنفسه): **إن قلت**: إنَّ القيام بالنَّفس هو الاستغناء فيلزم عليه اتِّحاد الموجِب والموجَب، فكأنَّه قال: الاستغناء أوجب الاستغناء.

أجيب: بأنَّ القيام بالنَّفس استغناء خاص، وهو الاستغناء عن المحلِّ والمخصِّص، والاستغناء الموجب الَّذي هو أحد جزأي مدلول الكلمة المشرفة عام، وإثبات العام يستلزم إثبات الخاصِّ.

قوله: (وهو يستلزم وجوب السَّمع... إلخ): الضَّمير عائد على التَّنزُّه، وما ذكره مبنيٌّ على أنَّ دليل هذه الثَّلاث عقليٌّ، وتقدَّم أنَّ الأقوى فيها الدَّليل السَّمعيُّ، وحينئذٍ فتكون مأخوذة من الجملة الثَّانية وهي: (محمَّد رسول الله)، إذ هي من جملة ما جاء به رسول الله، فتدبَّر.

- وأمَّا افتقار كلِّ ما سواه إليه تعالى: فهو يوجب له تعالى القدرةَ والإرادةَ والعلم والحياة والوحدانية، لما تقدَّم من أنَّ التَّعدُّد يوجب العجز.

ويؤخذ منه حدوث العالم بأسره، ونفي تأثير شيء منه بالطّبع أو بالعلة، وإذا وجب شيء استحال ضدّه، هذا حاصل ما بيّنه الإمام السّنوسي رضي الله عنه.

ولك أن تقول: الله علم على الذّات الواجب الوجود، الخالق للعالم، وقد دلَّت هذه الجملة على حصر الألوهيَّة فيه تعالى، وظاهرٌ أنَّ كونه واجب الوجود وخالقاً للعالم يتضمَّن جميع ما ذكر.

- **وأمّا الجملة الثانيّة** وهي قولنا: (محمد رسول الله): فقد دلّت على ثبوت الرِّسالة له صلى الله عليه وسلم، وذلك يستلزم صدقَه في كلِّ ما أخبر به، وأمانتَه، وتبليغَه للعباد كلَّ ما أُمِر بتبليغه من الأحكام، وفطانتَه، إذ الرَّسول لا يكون إلّا معصوماً، واستحالةَ أضدادها عليه صلى الله عليه وسلم، وجوازَ كلِّ ما لا يؤدّي إلى نقص في علوِّ مرتبته من الأعراض البشريَّة.

ووجوبُ صدقه يستلزم الإيمانَ بكلِّ ما جاء به، ومن ذلك إرسال

قوله: (ولك أن تقول): أي: في وجه تضمُّنها للعقائد.

قوله: (يتضمَّن جميع ما ذكر): أي: لأنَّ وجوب الوجود يتضمَّن صفات السُّلوب ما عدا الوحدانيَّة، والتَّنزُّه عن الأغراض في الأفعال والأحكام، وكونه خالقاً للعالم يتضمَّن القدرة والإرادة، والعلم والحياة، والوحدانيَّة، وحدوث العالم بأسره، ونفي العلَّة والطَّبيعة.

الرُّسل، وهو يستلزم ما يجب في حقّهم، وما يستحيل وما يجوز، والإيمانَ بسائر الكتب السَّماويَّة، واليومِ الآخر، والحساب، وما عطف عليه ممَّا مرَّ من جميع السَّمعيَّات.

ولتضمُّنها جميع عقائد الإيمان جعلها الشَّارعُ ترجمة على ما في القلب، ولم يقبل من أحد الإسلامَ إلا بها، ومن ثَمَّ كانت أفضل الأذكار، قال ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنَّبيُّون من قبلي لا إله إلا الله**»[1]، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة، ولذلك اختارها السَّادة الصُّوفيَّةُ في السُّلوك إلى الله تعالى على غيرها من الأذكار.

قوله: (إلَّا بها): أي: لا بغيرها من نحو: سبحان الله والحمد لله، بل ولو قرأ جميع أسماء الله الحسنى، وهذا لا ينافي الخلاف المتقدِّم في اشتراط لفظ (أشهد) والتَّرتيب، فإنَّ القائل بعدم الاشتراط يقول: لا بدَّ من الإتيان بها ولو معنىً.

قوله: (وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة): **منها: قوله ﷺ: «أفضلُ الذِّكر (لا إله إلَّا الله)، وأفضلُ الدُّعاء الحمدُ لله»**[2].

ومنها: «أكثروا من شهادة أن لا إله إلَّا الله، قبل أن يُحال بينكم وبينها، ولقِّنوها موتاكم»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥) عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٨٤٦)، والترمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٩٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١١٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

....

ومنها: «إنَّ الله قد حرَّم على النَّار من قال: (لا إله إلَّا الله) يبتغي بذلك وجه الله»(١).

ومنها: «جدِّدوا إيمانكم»، [قيل: يا رسول الله؛ وكيف نجدِّد إيماننا]؟ قال: «أكثروا من قول: (لا إله إلا الله)»(٢).

ومنها: «لكلِّ شيءٍ مفتاحٌ، ومفتاحُ السَّماوات قول: (لا إله إلَّا الله)»(٣).

ومنها: «ليس من عبدٍ يقول: (لا إله إلَّا الله) مئة مرةٍ إلَّا بعثه الله تعالى يومَ القيامة ووجهه كالقمر ليلةَ البدرِ، ولم يرفع لأحدٍ يومئذ عملٌ أفضل من عمله إلَّا من قال مثل قوله أو زاد»(٤).

ومنها: «ما قال عبد: (لا إله إلَّا الله) قطُّ مخلصاً إلَّا فُتحت له أبوابُ السَّماء حتَّى تُفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣/ ٢٦٣) عن محمود بن الربيع رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢١٥) عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٩٩٤) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٩٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إذا علمت ذلك (**فأكثرن**) - بنون التّوكيد الخفيفة - (**من ذكرها**) أي: كلمة الإسلام، (**بالأدب**) أي: مع الآداب التي ذكرها القوم.

ومنها: «**من قال: (لا إله إلا الله) مخلصاً دخل الجنة**»[١].

ومنها: «**لا إله إلا الله لا يسبقها عملٌ، ولا تترك ذنباً**»[٢]، وغير ذلك من الأحاديث الَّتي لا تحصى كثرة.

قوله: (إذا علمت ذلك. . .إلخ): أشار بذلك إلى أنَّ الفاء في قوله: (فأكثرن) للفصيحة، أفصحت عن جواب شرط مقدَّر.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥/١٩٧) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٧) عن أم هانئ رضي الله عنها.



القسم الرابع

الأخلاق والتصوف

مقدمة

وهذا شروع منه - سامحه الله تعالى - في فنِّ التَّصوُّف الذي هو حياة القلوب، رتَّبه على معرفة عقائد الإيمان؛ لأنّه لا يمكن السَّيرُ إلى الله تعالى إلّا بعد معرفتها.

تعريف التّصوّف:

وحدُّ التَّصوُّف عِلماً: هو علم بأصول يُعرف به صلاحُ القلب

قوله: (في فنِّ التَّصوُّف): مأخوذ من الصَّفاء، وهو خلوص الباطن من الشَّهوات والكدرات، قال بعض العارفين: [من المواليا]

يا واصفي أنت في التَّحقيق موصوفي وعارفي لا تغالط أنت معروفي

إنَّ الفتى من بوعده في الأزل يوفي صافي فصوفيٌّ لهذا سمِّي الصُّوفي

قوله: (إلَّا بعد معرفتها): أي: ومعرفة الأحكام الفقهيَّة الَّتي بها تصحُّ عباداته، ولذا قيل: (من تصوَّف ولم يتفقَّه؛ فقد تزندق، ومن تفقَّه ولم يتصوَّف؛ فقد تفسَّق، ومن تصوَّف وتفقَّه؛ فقد تحقَّق)[1].

قوله: (علماً): أي: من جهة العلم.

وقوله: (بأصول): أي: بقواعد وضوابط.

وقوله: (وعملاً): معطوف على (علماً).

قوله: (هو الجدُّ): أي: الاجتهاد، وبذل الهمَّة.

---

(١) أورده العلامة زروق في «قواعد التصوف» (ص١٥).

وسائِر الحواسّ.

وعملاً: هو الأخذ بالأحوط من المأمورات واجتنابُ المنهيَّات، والاقتصارُ على الضَّروريَّات من المباحات.

ويقال: هو الجدُّ في السّلوك إلى ملك الملوك، ويقال: هو حفظُ الحواسِّ ومراعاةُ الأنفاس، والمعنى متقارب.

وغايته: صلاح القلب وسائِرِ الحواسِّ في الدُّنيا، والفوزُ بأعلى المراتب في العُقبى.

وموضوعه: الأخلاق المحمَّديَّة من حيث التَّخلُّق بها.

قوله: (حفظ الحواس): **أي: من كلِّ ما يغضب الله تعالى.**

قوله: (ومراعاة الأنفاس): **أي: فلا يضيِّع نفساً في غير طاعة؛ فإنَّ الإنسان يخرج منه كلَّ يوم وليلة مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نفس، ينبغي له أن يراعيها ولا يضيِّعها.**

قوله: (والمعنى متقارب): **أي: في التَّعاريف الثَّلاثة.**

قوله: (وغايته: صلاح القلب): **مراده بالغاية الفائدة.**

وقوله: (والفوز بأعلى المراتب): **هذا هو غايته.**

قوله: (وموضوعه: الأخلاق المحمديَّة): **أي: وهي أوامر القرآن ونواهيه؛ لما ورد عن عائشة أنَّها حين سئلت عن أخلاقه ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن)[1].**

وذكر الشَّارح من مبادئه العشرة أربعة، وبقي ستَّة وهي واضعه، وهم

الفرق بين الطّريقة والشّريعة والحقيقة:

واعلم: أنَّ التَّصوُّف بمعنى العمل هو الطَّريقة، وأمَّا الشَّريعةُ فهي الأحكام التي وردت عن الشَّارع المعبَّر عنها بالدِّين، وأمَّا الحقيقةُ فهي أسرار الشَّريعة ونتيجةُ الطّريقة، فهي علوم ومعارف تحصل لقلوب السَّالكين بعد صفائها من كدرات الطَّبائع البشريَّة.

ولا شيء أقرب ....

العارفون الآخذون له عن النَّبيِّ ﷺ بالسَّند المتَّصل.

ونسبته: أنَّه فرع علم التَّوحيد.

واستمداده: من الكتاب والسُّنَّة.

واسمه: علم التَّصوُّف.

وحكمه: الوجوب.

ومسائله: قضاياه الَّتي يُبحث فيها عن عوارضه الذَّاتيَّة؛ كالفناء والبقاء، والمراقبة والمشاهدة، والجلال والجمال، وغير ذلك.

قوله: (المعبَّر عنها بالدِّين): أي: والملَّة.

قوله: (لصفاء القلب): أي: خلوصه من أدرانه وكدراته.

قوله: (مع الآداب): أي: مع القيام بها والتزامها.

قوله: (إلى مطلوبه): أي: وهو صفاء القلب.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٩٠).

لصفاء القلب من كثرة ذكر لا إله إلّا الله مع الآداب التي ذكرها أهل الله رضي الله تعالى عنهم، ومتى ترك السَّالكُ الآداب أو أكثرَها بَعُد عليه الوصول إلى مطلوبه.

بيان ما ينبغي أن يتخلّق به الذاكر من الآداب

والآداب إمَّا قبليَّة، وإمَّا مصاحبة، وإمَّا بعديَّة

أولاً: الآداب القبليّة:

فالقبليَّة: - أن يجدِّد التَّوبة ممَّا وقع فيه من المخالفات، أو الخواطر الرَّديئة.

- وأن يتطهَّر من الحدث والخبث.
- وأن يتوجَّه إلى الله تعالى برغبة ليحصل له الجمعيَّةُ في الذِّكر.
- وأن يستغفر الله تعالى بما تيسَّر بأيِّ صيغة كانت.

قوله: (والآداب إمَّا قبليَّة. . .إلخ): هذه آدابٌ لخصوص الذِّكر، وأمَّا آداب الطَّريق؛ فقد ذكرها فيما سيأتي مشتَّتة، وذكرها في رسالته الَّتي ألَّفها في طريق القوم مجموعة[1]، ولنذكرها تتميماً للفائدة فنقول: وأمَّا الآداب: فهي كثيرة جدّاً، فنقتصر منها على المهمَّات؛ **بعضها** يتعلَّق بحقِّ الشَّيخ، **وبعضها** يتعلَّق بحقِّ الإخوان الَّذين معه في الطَّريق، **وبعضها** يتعلَّق بحقِّ العامَّة، **وبعضها** يتعلَّق بحقِّ نفسه، وبالَّتي نذكرها يتيسَّر له إن شاء الله تعالى ما لم نذكره.

---

(١) المسماة: «تحفة الإخوان والخلان في آداب أهل العرفان».

....

فالآداب الَّتي تطلب من المريد في حقِّ الشَّيخ: أوجبها: تعظيمه وتوقيره ظاهراً وباطناً، وعدم الاعتراض عليه في شيء فعله، ولو كان ظاهره أنَّه حرام، ويؤول ما انبهم عليه، ولا يلتجئ لغيره من الصَّالحين، ولا يزور صالحاً إلَّا بإذنه، ولا يحضر مجلس غيره.

ولا يستمع ممَّن سواه حتَّى يتمَّ سقيه من ماء سرِّ شيخه، ولا يقعد وشيخه واقف، ولا ينام بحضرته إلَّا بإذنه في محلِّ الضَّرورات، ولا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه، ولا يجلس على سجَّادته ولا يسبِّح بسبحته، ولا يجلس في المكان المعدِّ له، ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمَّة إلَّا بإذنه.

ولا يمسك يده للسَّلام وهي مشغولة بشيء، بل يسلِّم عليه بلسانه، ولا يمشي أمامه ولا يساويه في مشيه إلَّا بليل مظلم؛ ليكون مشيه أمامه صوناً له، وألا يذكره عند أعدائه، وأن يحفظه في غيبته كحفظه له في حضوره.

وأن يلاحظه بقلبه في جميع أحواله، ويرى كلَّ نعمة وصلت له من بركته، وألا يعاشر من كان الشَّيخ يكرهه، وأن يصبر على جفوته وإعراضه عنه، وأن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلَّا بقرينة صارفة عن إرادة الظَّاهر.

وأن يلازم الورد الَّذي رتَّبه؛ فإنَّ مدد الشَّيخ في ورده، فمن تخلَّف عنه حرم المدد، وأن يقدِّم محبَّته على محبَّة غيره ما عدا الله ورسوله؛ فإنَّها المقصودة بالذَّات، ومحبَّة الشَّيخ وسيلة.

وأمَّا الآداب الَّتي في حقِّ إخوانه: فأن يكون محبّاً لهم، ولا يخصَّ

....

نفسه بشيء دونهم، ويحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويعودهم إذا مرضوا، ويسأل عنهم إذا غابوا، ويبتدرهم بالسَّلام وطلاقة الوجه، وأن يراهم خيراً منه، ويطلب منهم الرِّضا.

ولا يزاحمهم على أمرٍ دنيويٍّ، بل يبذل لهم ما فتح عليه به، وأن يوقِّر كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويتعاون معهم على حبِّ الله، وليجعل رأس ماله مسامحة إخوانه، يخدمهم ولو بتقديم النِّعال لهم.

وأمَّا الآداب الَّتي تتعلق بالعامَّة: فالتَّواضع، وبذل الطَّعام، وإفشاء السَّلام، والصِّدق معهم في جميع الأحوال، وأكثر ما تقدَّم في الآداب المتعلِّقة بالإخوان تجري هنا.

وأمَّا الآداب الَّتي تتعلَّق به في نفسه: فأن يكون مشغولاً بالله زاهداً فيما سواه، غاضّاً عن المحارم ليس للدُّنيا عنده قيمة، تاركاً لفضول الحلال؛ كالتَّوسعة في المأكل والمشرب والملبس، والمنكح والمركب، مقتصراً على قدر الكفاية، مديم الطَّهارة، لا ينام على جنابة، ولا يفضي بيده إلى عورته إلَّا في ضرورته، ولا يكشف عورته ولو بخلوة.

ولا يطمع فيما في أيدي النَّاس، يحاسب نفسه على الدَّوام، لا يأكل إلَّا حلالاً، وهو ما جهل أصله، يكابد نفسه عن النَّظر إلى الصُّور الجميلة من النِّساء والأحداث؛ فإنَّ تلك قواطع عن الله تعالى تسدُّ باب الفتح، أجارنا الله من ارتكابه.

- وأن يصلِّي على النَّبيِّ ﷺ كذلك.
- وأن يستقبل القبلة لأنَّها أفضل الجهات.
- وأن يستحضر شيخه ليكون رفيقه في السَّير، ثمَّ يشرع في الذِّكر.

ثانياً: الآداب المصاحبة:

وأمَّا الآداب المصاحبة له:

- فأن يستحضر معناها إجمالاً.
- وأن يحقِّق الهمزة، ويمدَّ ألف (لا) مدّاً متوسِّطاً، ويفتحَ ها (إله)

ويطالع كتب القوم؛ ككتب سيِّدي عبد الوهَّاب الشَّعراني؛ فإنَّها تعلِّم الآداب.

وحاصل ما هنالك: أنَّ طريق القوم سداها هذه الآداب، ولحمتها الذِّكر، فلا يتمُّ نسجها إلَّا بهما. انتهى.

قوله: (وأن يصلِّي على النَّبيِّ ﷺ كذلك): أي: بما تيسَّر بأيِّ صيغة كانت.

قوله: (وأن يستقبل القبلة): أي: إن كان وحده، وإلَّا تحلَّقوا.

قوله: (وأن يحقِّق الهمزة): أي: الأولى والثَّانية؛ احترازاً عن تسهيلها بحيث تصير ياء فإنَّه لحن.

قوله: (ولولا أنَّ للشَّيخ مدخلاً في السَّير): أي: من حيث إنَّ ملاحظته تردُّ الشَّيطان عنه.

قوله: (ويرجع بـ«إله»): أي: جهة صدره.

فتحة خفيفة، ويمدَّ ألف (الله) وألف (إله) مدّاً طبيعياً، ويأتي بالهاء من (الله) ويقف عليها.

- وأن يذكر بهمَّة وقوَّة.

- وأن يكون ذكره رغبةً في مرضاة الله ومحبَّته وامتثالاً لأمره، لا لرياء ولا لسمعة، ولا لأمر دنيويٍّ أو أخرويٍّ.

- وأن ينفي الأكوان من قلبه؛ لأنَّ ملاحظة شيء منها قاطع عن الله، ولولا أنَّ للشَّيخ مُدْخلاً في السَّير ما سَوَّغوا له ملاحظته في حال البداية.

- وأن يجلس كجلوسه في التَّشهّد، إلا لتعب فيجوز التَّربُّع.

- وأن يُغمض عينيه؛ لأنَّ له تأثيراً في تنوير القلب.

- وأن يبتدئ بـ(لا) جهةَ اليمين، ويرجع بـ(إله).

- ويختم بـ (الله) جهة اليسار مشيراً إلى قلبه، فإذا أراد ختم الذِّكر ختمه بمحمَّد رسول الله ﷺ.

ثالثاً: الآداب البعديّة:

وأمّا الآداب البعديَّة: فإنَّه يسكت ويَسكُن بخشوع؛ فإنَّ للذِّكر وارداتٍ تَرِد على قلب الذَّاكر، ولا يتمكَّن الواردُ من القلب إلا بذلك،

قوله: (وجب التَّمهُّل حتَّى يتمَّ): حذفه من الأواخر؛ لدلالة الأوَّل عليه، والأوضح أن يقول: ولا يتمكَّن الوارد من القلب إلَّا بذلك، فيجب التَّمهُّل حتَّى يتمَّ ويتمكَّن من القلب، فإذا كان الوارد وارد زهد؛ استوت عنده الدُّنيا. . .إلى آخر ما قال.

فإذا كان الوارد واردَ زهد وَجَب التَّمهُّل حتَّى يتمَّ ويتمكَّن من القلب، فتستوي عنده الدُّنيا، أقبلت أم أدبرت، وإذا كان واردَ توكُّل صار بعد ذلك مفوِّضاً أمره إلى ربِّه في كلِّ شيء، وإذا كان واردَ صبر صار بعد ذلك لا ينـزعج من تفاقم الأهوال، وهكذا من الواردات.

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: (ولهذه السَّكتة آداب: مراقبةُ الله تعالى، وإجراءُ معنى الذِّكر على قلبه، ونفيُ الخواطر كلِّها، وجمعُ حواسِّه كلِّها بحيث لا تتحرَّك منه شعرة كحال الهرَّة عند اصطياد الفأرة، وأن يكتم نفسه بقدر الطَّاقة مراراً، أقلُّها ثلاثة إلى سبعة، حتَّى يدور الوارد في جميع أركانه، وألا يبادر بشرب الماء عقب الذِّكر، فإنَّه يُطفئ ما تحصَّل من أنواره).

والمراد بالوارد: الملك الحاضر للذِّكر، فإذا ختم الذَّاكر، أتحفه بتحفة من ربِّه؛ لأنَّ العارفين قالوا: جليس الملك لا يخلو من تحفةٍ، فكيف بجليس ملك الملوك؟ ففي الحديث: «**أنا جليس من ذكرني**»[1].

قوله: (عقب الذِّكر): أي: أو أثنائه، فعليه أن يصبر بعد الذِّكر مدَّة أقلُّها نحو نصف ساعةٍ فلكيَّة، وكلَّما كثر كان أحسن.

قوله: (فإذا داومت. . . إلخ): أشار بذلك إلى أنَّ قوله: (ترقى) جواب شرط مقدَّر، وهو أحد وجهين في الواقع بعد الأمر، والآخر أنَّه مجزوم في جواب الأمر.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٠) عن كعب الأحبار رحمه الله.

فإن داومتَ على الذِّكر بهذه الآداب (**ترقى**) أي: تصعد، وإثباتُ الألف ضرورة على حدّ: ولا ترضاها ولا تملّقي، (**بهذا الذّكر**) المشتمل على الآداب، أي: بسببه، (**أعلى الرّتب**) جمع رتبة، وهي: الخَليقةُ الحَسَنة المحمودة عاقبتُها.

وأدنى الرُّتَب الإسلاميَّة لَوْمُ النَّفس على ما صدر منها من المخالفات، وأعلاها رتبة الصِّدِّيقيَّة ينالها العبد بعد دخوله في مقام الإحسان، ....

قوله: (على حدٍّ: ولا ترضاها): وهو عجز بيت، وصدره[1]:

[من الرجز]

إذا العجوز غضبت فطلِّقْ ....

وما قاله الشَّارح أحد أجوبة ثلاثة عند إثبات الألف المجزوم، **الثَّاني**: أنَّها زيدت للإشباع، **الثَّالث**: أن الجازم إنَّما حذف الحركة فقط، وهي لغة بعض العرب.

قوله: (رتبة الصِّدِّيقيَّة): أي: غير الأنبياء، وإلَّا فرتبتهم لا يصل إليها غيرهم.

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج في «ديوانه» (ص١٧٩).

وهو أن تعبد الله كأنَّك تراه، ورتبةُ الصِّدِّيقيَّة في نفسها مراتب متفاوتة، بعضها أعلى من بعض، وأعلاها رتبة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، ولا يعلو مقامَ الصِّدِّيقيَّة إلا مقامُ النُّبوَّة، فصاحبُ مقام الصِّدِّيقيَّة لو تخطَّى مقامَهُ لنزل في مقام النُّبوَّةِ، إلَّا أنَّ النُّبوَّة قد ختمت بنبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم، والصِّدِّيقيَّة لم تُختم، فمقامُ الصِّدِّيقيَّة مقامُ الولاية الكبرى والخلافةِ العظمى، وهذا المقام تترادف فيه الفتوحات، وتعظم التَّجلِّيات، وتتمُّ

قوله: (وهو أن تعبد الله. . .إلخ): أشار للحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جواباً لجبريل عليه السلام، حيث سأله عن الإحسان، فقال: «**الإحسانُ أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**»[1]، فأشار بقوله: «**كأنَّك تراه**» إلى **مقام المشاهدة**، وهي شهود الله بالقلب بلا كيف ولا انحصار، كأنَّه ناظر إليه ومشاهد له ببصره، وشبَّهه برؤية البصر؛ لأنَّه في الحسِّ والعادة أقوى، وأشار بقوله: «**فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**» إلى **مقام المراقبة**، وهي كما يأتي ملاحظة الحقِّ تعالى في كلِّ حالٍ؛ أي: أنَّه يسمعه ويراه.

قوله: (وأعلاها رتبة أبي بكر الصِّدِّيق): أي: ولم يرتق إليها غيره من باقي الأمَّة المحمَّديَّة، فضلاً عن سائر الأمم؛ لما في الحديث الشَّريف: «**ما طلعت الشَّمسُ على أحدٍ بعد النَّبيِّين أفضلَ من أبي بكر**»[2]، وفي رواية أيضاً: «**لو وُزن إيمانُ أبي بكرٍ بإيمان الأمَّة لرجح**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٨/ ١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٦٥٣) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المشاهدات والكشوفات؛ لكمال النَّفْس وحُسنِ صفائها، ولا يمكن الوصول إليه إلا بعد الفناء، وهو زوالُ صفات النَّفس المذمومة بالكلِّيَّة، حتَّى لا تصير ملتفتة إلى شيء منها بل تزهدها كما تزهد أكل الجيفة مثلاً.

وصفاتُها المذمومة هي: الحسد والحِقد، وحبُّ الجاهِ والصِّيتِ والمَحمدةِ والرِّياسةِ والشَّهواتِ، والكِبرُ، والرِّياءُ، والعُجْب، والنِّفاقُ، والغرورُ، وبغضُ أحدٍ من الخلق لغير غَرَض شرعيٍّ ونحو ذلك.

فإذا زالت عنه هذه الأوصاف القبيحة اتَّصف بأضدادها من الصِّفات الحميدة؛ كالشَّفَقةِ والرَّأفةِ على الخَلْق، حتَّى يحبَّ لغيره ما يحبُّ لنفسه، والإخلاصِ وحُسنِ الخُلُق والسَّخاءِ والمسكنةِ التي طلبها النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**اللَّهمَّ؛ أحيني مسكيناً، وأَمِتْني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين**»[1]، وهذه المَسكنة هي: خضوع النَّفْس لمقام الأُلوهيَّة وخَفْضُ الجناح للبريَّة حتَّى لا يشمَّ صاحبُها للرِّياسة رائحةً، وصاحبُها هو العبد الحقيقيُّ الصِّدِّيق، فمن لم يتَّصف بها لم تَخلُ نفسه من منازعة الحقِّ تعالى ....

قوله: (لكمال النَّفس): علَّة لقوله: (وهذا المقام ترادف...)إلخ.

قوله: (والصِّيت): أي: الشُّهرة بين النَّاس.

قوله: (هي: خضوع النَّفس لمقام الألوهيَّة...إلخ): أي: لأنَّ قصارى أمر العبد عدم، وآيل إليه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٥٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

في أخصِّ أوصافه؛ لأنَّ الرِّياسة إنَّما تكون للفاعل المختار الغَنيِّ على الإطلاق، وهي لا تفارق الإنسانَ إلا بعد المجاهدة الكبرى، فَعِرْقُها لا ينقطع عن أحد إلا من خصَّه الله بالعبوديَّة المحضة، ولذا قالوا: آخر ما يخرج من قلب الصِّدِّقين حبُّ الرِّياسة.

الطريق الموصلة إلى مقام العبودية المحضة:

ولا يسهُل الوصول إليها عادة إلا بمداومة ذكر (لا إله إلّا الله) ليلاً ونهاراً، مع تَعلُّق القلب بالله وحده، والجوعِ والسَّهر، والاعتزال عن النَّاس، والصَّمت إلا عن ذكر الله تعالى، وملاحظة بقيَّة أركان الطَّريق التي سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى، وهو المسمَّى بالمجاهدة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1]، وهذا التَّرقي هو المسمَّى بالسُّلوك إلى ملك الملوك عند الطَّائفة.

قوله: (في أخصِّ أوصافه): أي: وهي العظمة والكبرياء؛ لما في الحديث: «**العظمةُ إزاري، والكبرياءُ ردائي، فمن نازعني في شيءٍ منهما قصمته**»[2].

قوله: (إنَّما تكون للفاعل المختار): أي: وهو الله تعالى.

قوله: (وملاحظة بقيَّة أركان الطَّريق. . .إلخ): أي: وهي خمسة: تجديد التَّوبة، والشُّكر، والصَّبر، والفكر، والشَّيخ العارف.

---

(١) سورة العنكبوت: (٦٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٥٦٧١)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأمَّا السَّيرُ إلى الله تعالى: فهو توجُّه القلب إلى الرَّبِّ مع مخالفة النَّفْس في شهواتها - ولو مباحة - طلباً لمرضاة الله تعالى، وإيثاراً له على ما سواه، فالسَّيرُ كالسَّبب في السُّلوك، وقد يطلق السُّلوك على المعنى الثاني أيضاً.

والسُّلوك إلى الله تعالى طريقة النَّبيِّين والصِّدِّيقين والعلماء العاملين إلّا أنَّه مختلف:

والحاصل: أنَّ الشَّارح ﵁ عدَّ الأصول عشرة، لكنَّ منها أربعة مشتركة بين أهل الطَّريق وغيرهم؛ وهي: الفكر، والشُّكر، والصَّبر، وتجديد التَّوبة.

وستَّة مخصوصة بأهل الطَّريق؛ لتوقُّف وصولهم عليه عادة؛ وهي: دوام الذِّكر، والصَّمت، والسَّهر، والجوع، والعزلة، والشَّيخ العارف الَّذي يدلُّ على الله تعالى.

وقد نظم بعضهم السَّتَّة المختصَّة ما عدا الذِّكر والشَّيخ بقوله[1]: [من الرجز]

بيت الولاية قُسِّمت أركانه ... ساداتنا فيه من الأبدالِ

ما بين صمتٍ واعتزالٍ دائمٍ ... والجوع والسَّهر النَّزيه العالي

قوله: (على المعنى الثَّاني): أي: وهو التَّوجه إلى الرَّبِّ مع مخالفة النَّفس في شهواتها... إلخ، فمعنى تسميته سالكاً؛ أي: متسبِّب في السُّلوك.

---

(١) البيتين للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، وهي في «الفتوحات المكية» (٢/ ١٨٢).

- فسلوكُ الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام مَبدؤه التَّرقي من نفوس مطهَّرة كمالية إلى ما لا نهاية له من المقامات الإحسانية، وهو في نفسه متفاوت، فسلوكُ أُولي العزم منهم أعلى وأجلُّ من سلوك غيرهم، وسلوكُ سيِّد أُولي العزم عليه وعليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام أعلى من غيره، إذ مَبدؤه نهاية غيره.

- وأمَّا سلوك غيرهم: فمن نفوس أمَّارة أو لوَّامة ظُلمانيَّة، إلى نفس كاملة صدِّيقيَّة.

والنِّهاياتُ تختلف في الإشراق بحسب اختلاف البدايات، فبإحراق البداية يكون إشراق النّهاية.

بيان أنواع النفوس السبعة

والنُّفوس سبعة بحسب أوصافها، وإلا فهي واحدة:

قوله: (وهو في نفسه متفاوت): أي: فالسُّلوك مقول بالتَّشكيك.

قوله: (نهاية غيره): أي: من أولي العزم.

قوله: (والنِّهايات تختلف. . .إلخ): أي: نهايات غير الأنبياء عليهم السَّلام.

قوله: (فبإحراق البداية): أي: بالمجاهدة بالذِّكر والفكر.

وقوله: (يكون إشراق النِّهاية): أي: بالعلوم، والمعارف، والأسرار.

قوله: (والنُّفوس سبعة): أي: عند السَّادة الخلوتيَّة، وأمَّا عند السَّادة

الأولى: النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، وهي التي لا تأمر صاحبها بخير.

- فإذا جاهدها صاحبها وخالفها في شهواتها حتى أذعنت لاتِّباع الحقِّ، وسكنت تحت الأمر التَّكليفي، ولكنَّها تغلب صاحبها في أكثر أحوالها، ثمَّ ترجع إليه باللَّوم على ما وقع سُمِّيت لوّامة، وهي **الثانية**.

الشَّاذليَّة فثلاثة: أمَّارة، ولوامَّة، ومطمئنَّة، فأدخلوا الملهمة في اللَّوَّامة، وأدخلوا المرضية والرَّاضية والكاملة في المطمئنَّة.

ووجه ذلك: أنَّ النَّفس اللَّوَّامة إذا كثر منها اللَّوم؛ صارت عيوبها بين عينيها، فاشتغلت بها عن غيرها، وهي الملهمة، وأنَّ المطمئنَّة إذا ترقَّت في الكمالات؛ رضيت بما قضاه الله وقدره،فجوزيت بالرِّضا من خالقها، فإذا زاد ترقِّيها كملت، فهذه مطمئنَّة وزيادة، فلا خلاف بينهم.

قوله: (الأولى: النفس الأمَّارة): وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[1].

قوله: (لا تأمر صاحبها بخير): أي: خالص من العلل، فلا ينافي أنَّها قد تأمر بخير معلول، كما اتَّفق لرجل أمرته نفسه بالجهاد يوماً، فطلب من الله أن يطلعه على دسائسها، فأطلعه الله على أنَّها تريد أن تجاهد وتقتل مرَّة واحدة؛ لتستريح من قتلك لها كذا كذا مرَّة.

قوله: (سمِّيت لوَّامة، وهي الثَّانية): أي: وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[2].

---

(١) سورة يوسف: (٥٣).

(٢) سورة القيامة: (٢).

- فإذا أخذ في المجاهدة والكَدِّ، حتَّى مالت إلى عالَم القُدس واستنارت بحيث أُلهمت فجورها وتقواها، سُمِّيت ملهمَة، وهي **الثالثة**، وعلامتُها أن يعرف صاحبُها دسائسها الخفيَّة الدَّقيقة؛ من الرِّياء والعجب وغير ذلك.

- فإذا لزم المجاهدة حتَّى زالت عنها الشَّهوات، وتبدَّلت الصِّفات المذمومة بالمحمودة، وتخلَّقت بأخلاق الله تعالى الجمالية؛ من الرَّأفة والرَّحمة واللُّطف والكرم والوُدِّ سُمِّيت مطمئنَّة، وهي **الرّابعة**، وهذا المقام هو مبدأ الوصول إلى الله تعالى، ولكنَّها لا تخلو من دسائس

وقوله: (سمِّيت ملهمة، وهي الثَّالثة): أي: وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[1].

قوله: (وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفيَّة): ومن جملة علامتها: الشَّوق، والهيمان، والسُّكر، إذ هو في هذا المقام فانٍ عمَّا سوى الله تعالى، ولكنَّ هذا المقام كثير العطب لا ينجو منه عادة إلَّا باستناده لشيخه بالكلِّيَّة.

قوله: (سمِّيت مطمئنَّة، وهي الرَّابعة): هذه وما بعدها إلى السَّابعة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[2].

قوله: (هو مبدأ الوصول): أي: ولذا يقولون: هو أوَّل قدم يضعه

---

(١) سورة الشمس: (٨).

(٢) سورة الفجر: (٢٧-٣٠).

خفيَّة جداً؛ كالشِّرك الخفيِّ وحبِّ الرِّياسة، إلَّا أنَّها لخفائها ودقَّتها لا يدركها إلّا أهلها الذين نوَّر الله بصائرهم؛ لأنَّ ظاهرها الصَّلاح والاتِّصاف بالصِّفات الحميدة؛ من الكرم والحِلم والتَّوكُّل والزُّهد والورع والشُّكر والصَّبر والتَّسليم والرِّضا بالقضاء، مع انكشافِ بعض أسرار، وانخراقِ بعض عادات، وظهورِ بعض كرامات، فلربَّما ظنَّ صاحبها أنَّه الإمام الأعظم، وأنَّ مقامه هو المقام الأفخم، وهذا من جملة الدسائس.

- فإذا أدركته العناية الإلهيَّة، واستند إلى شيخه بالكلِّيَّة، ولازم المجاهدة، حتَّى تمكَّن من الصِّفات المحمودة، وانقطع عنه عرق الرِّياء، وصارت نفسه ذليلة، واستوى عنده المدح والذَّمُّ، ودخلت في مقام الفناء، ورضيت بكلِّ ما يقع في الكون من غير اعتراض أصلاً، سمِّيت راضية وهي **الخامسة**.

ولكن رؤية الفناء والإخلاص ربَّما أوقع في شيء من الإعجاب، فيرجع به القهقرى، فليستعذ بالله من ذلك مع مداومة الذِّكر والالتجاء إلى الله وملاحظة أنَّه لا يتمُّ له الخلاص إلا بمدد الشَّيخ.

- فإذا فني عن الفناء، وخلص من رؤية الإخلاص، تجلَّى عليها بالرِّضا، وعفا عن كلِّ ما مضى، وتبدَّلت سيئاتها حسنات، وانفتح لها أبواب الأذواق والتَّجلِّيات، فصارت غريقة في بحار التَّوحيد، وآنستْها

المريد في الطَّريق، وقبله يسمَّى: مريداً.

قوله: (في بحار التَّوحيد): من إضافة المشبَّه به للمشبَّه، وكذا قوله:

بلابلُ الأسرار بالتَّغريد، ولذا سُمِّيت مرضيَّة؛ لأنَّها بعنايات الله مرعيَّة، وهي **السادسة**، إلَّا أنَّ صاحب الهمَّة العليَّة، لا يرضى بالوقوف عند هذه المقامات وإن كانت سَنيَّة، بل يسير من الفناء إلى البقاء، ويطلب وَصْلَ الوَصْل بتمام اللِّقاء، فتناديه حقائقُ الأكوان: إنَّما نحن فتنة فلا تكفر، وأنَّ إلى ربِّك المنتهى. - فإذا سار إلى منازل الأبطال، وخلَّف الدُّنيا وراء ظهره، ناداه ربُّه بأحسن مقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾، فَيُدخِلها ربُّها في عباد الإحسان، ويخلع عليه خِلَع الرِّضوان، ويُدخلها جنَّات الشُّهود، ويُجلسها في مقعد صدق عند الملك المعبود، وفي هذا المقام قد تمَّت المجاهدة والمكابدة؛ لأنَّ

(بلابل الأسرار)، وقوله: (بالتَّغريد)، هو في الأصل: صوت البلابل الحسن، والمراد بها دواعي القرب لحضرة الرَّحمن.

قوله: (فتناديه حقائق الأكوان): أي: ذواتها.

قوله: (وأنَّ إلى ربِّك المنتهى): أي: فلا تلتفت لغيره؛ فإنَّه فتنة شاغل لك عن مقصودك، ومن ذلك قول العارف ابن الفارض[1]: [من الخفيف]

قال لي حُسنُ كلِّ شيء تجلَّى بي تملَّى فقلت قصدي وراكا
وحَّد القلب حبَّه فالتِفاتي لك شِركٌ ولا أرى الإشراكا

قوله: (قد تمَّت المجاهدة والمكابدة): أي: ومع ذلك فلا يأمن

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص ١٦٠).

صفات الكمال صارت لها طبعاً وسجيَّة، وتسمَّى النَّفس فيه بالكاملة، وهي **السابعة**، وهي أعظم النُّفوس قدراً، وأكملُها فخراً، ومع ذلك لا ينقطع ترقِّيها أبداً؛ لأنَّ الكامل يقبل الكمال، فلم تزل تترقَّى حتَّى تشهد الحقَّ تعالى قبل الأكوان.

ومشاهدتُه تعالى قبل كلِّ شيء هو المسمَّى عندهم بالمعاينة، وهذا هو **عين اليقين**، بعد أن حازت **علمَ اليقين** - الذي هو معرفته تعالى بالبراهين - ثمَّ **حقَّ اليقين** - وهي مشاهدته تعالى في كلّ شيء من غير

لنفسه، بل دائماً يتعهَّدها ويربِّيها، قال السَّيد البكريُّ: (النَّفس حيَّة تسعى، ولو بلغت مراتبها السَّبعة).

قوله: (هو المسمَّى عندهم بالمعاينة): أي: المراقبة.

قوله: (بعد أن حازت علم اليقين): أي: وهو الَّذي كان متَّصفاً به قبل الدُّخول في المطمئنَّة.

قوله: (وهي مشاهدته تعالى في كلِّ شيءٍ): أي: وهو المسمَّى في اصطلاحهم بالمشاهدة، فتحصَّل أنَّ المراقبة وتسمَّى بالمعاينة: هي أن يشهد الله قبل الأكوان، ثمَّ يثبتها به؛ لأنَّها آثاره كما أشار له بعض العارفين بقوله[1]: [من الخفيف]

هذه آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

---

(١) أورده العلامة عبد الرزاق البيطار في «حلية البشر» (١/ ٥٠٨) في ترجمة العلامة حسن بن علي قويدر.

حلول ولا اتِّحاد، ولا اتِّصال ولا انفصال؛ كالمرآة ترى فيها وجهك من غير حلول الوجه فيها ولا اتحاد، وهذا مشهد ذوقي لا يدركه إلَّا أهله - وصاحبُ هذا المقام لا يفتر عن العبادة لأنَّها صارت طبعه، إمّا باللِّسان وإمَّا بالجنان وإمّا بالأركان، فحركاتُه حسنات، وأنفاسُه عبادات، ولذا قال سيدي محمد وفا أبو سيدي علي وفا رضي الله عنهما:

وبعد الفنا بالله كن كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

فهو محفوظ من الوقوع في المخالفات؛ لحضوره دائماً مع الله في جميع الحالات.

وأنَّ المشاهدة هي: أن يرى الله في كلِّ شيءٍ، فلا تحجبه رؤية الله عنها، ولا يحجب بها عن الله، ويقال لصاحبها: من أهل الجمع والفرق، وهو أعلى المقامات.

قوله: (وبعد الفناء بالله. . .إلخ): أي: بعد انقضاء الفناء وثبوت البقاء، سواء كان في المراقبة أو المشاهدة.

وقوله: (كن كيفما تشا) ليس المقصود رفع التَّكليف عنه، وإنَّما المقصود بيان حفظه من الزَّلل بدليل قوله: (فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر)، وهو بمعنى قول ابن الفارض[1]: [من البسيط]

فليصنع القوم ما شاؤوا لأنفسهم هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وقد وضَّحه الشَّارح بقوله: (فهو محفوظ. . .إلخ).

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص ١٤٧).

واعلم: أنَّ الكاملين في النَّاس من أقلِّ الأقلِّ، إذ السَّالكون إلى الله تعالى من المؤمنين قليلون، والواصلون منهم قليلون، والكاملون منهم قليلون، إذ السَّير إلى الله تعالى صعب جداً لا يقدر عليه إلَّا ذو همَّة عليَّة وصدق كامل، إذ ترك المألوفات من الطَّعام والمنام وجمع المال وحبِّ الجاه وسائر الشَّهوات لا يقدر عليه إلَّا القليل من الأبطال، والطَّريقُ فيها مفاوز ومهلكات، فالنَّاجي فيها قليل، ولذا قيل[١]: [من الكامل]

كيف الوصول إلى سعادَ ....

قوله: (واعلم: أنَّ الكاملين... إلخ): ليس قصد الشَّارح بتلك العبارة التَّنفير من مجاهدة النَّفس، بل هي مأمور بها ممدوح عليها سلك أو لم يسلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ...﴾ الآية[٢]، وإنَّما المقصود زيادة التَّحريض على تلك المقامات السَّنية نظير قول ابن الفارض[٣]: [من الطويل]

هو الحبُّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهل ....

إلى أن قال:

نصحتك علماً بالهوى والَّذي أرى مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

قوله: (ولذا قيل): أي: قولاً صحيحاً لبعض العارفين.

قوله: (كيف الوصول... إلخ): استفهام تعجبيٌّ استبعاديٌّ، وسعاد

---

(١) البيتان للإمام الشافعي في «ديوانه» (ص ١٠١).

(٢) سورة النازعات: (٤٠-٤١).

(٣) ديوان ابن الفارض (ص ١٣٤).

. . . . ودونَــهــا قـلَـلُ الـجـبـالِ وبـيـنـهـنَّ حُـتـوفُ
والـرِّجـلُ حـافـيـةٌ ومـا لـي مَـرْكَـبٌ والـيـدُ صُـفْـرٌ والـطَّـريـقُ مـخـوفُ

كناية عن الحضرة العليَّة.

وقوله: (ودونها): أي: سعاد.

وقوله: (قلل الجبال): جمع قلَّة، والمراد بها شواهق الجبال، وهو من إضافة الصِّفة للموصوف، والظَّرف خبر مقدَّم، و(قلل) مبتدأ مؤخَّر، والجملة حال من (سعاد).

وقوله: (وبينهنَّ حتوف): الظَّرف خبر مقدَّم، و(حتوف) بالحاء والتَّاء مبتدأ مؤخَّر، جمع حتف بمعنى: مهالك لسعة المسافة، والجملة حال من (جبال).

وقوله: (والرِّجل حافية): مبتدأ وخبر، وكذلك ما بعده.

وقوله: (صفر): بكسر فسكون؛ أي: خليَّة من الدُّنيا الَّتي يستعين بها على أجرة الرُّكوب، والزَّاد الموصل، وهو كناية عن عدم تأهُّله للقرب من حضرة الحقِّ؛ لكونه نظر إلى حوله وقوته، فرأى الأمر مستبعداً كبعد من كانت هذه أوصافه في وصوله إلى محبوبته، وليس المقصود اليأس لنفسه ولا لغيره، وإنَّما المقصود الوصول إلى الله تعالى، بالعجز والافتقار إليه لا بالحول ولا بالقوَّة، قال بعض العارفين في هذا المعنى: [من الطويل]

وكن عاجزاً عنها تكن قادراً بها فعدلك عنها منك نحو السِّوى ظلم

ومن ذلك المعنى قول السَّيد البكريِّ:

الخوف والرّجاء

(وغلّب) في حال اشتغالك بالذِّكر المذكور (الخوف) من الله تعالى ما دمت في حال الصِّحَّة (على الرّجاء) في رحمته وعفوه، يريد أنَّه لا بدَّ للعبيد من الخوف والرَّجاء معاً؛ لأنّهما كجناحي الطَّائر، متى فقد أحدهما سقط، إلّا أنَّه في حال الصِّحَّة والسَّلامة ينبغي تغليبُ جانب الخوف على جانب الرَّجاء، لأنَّه كالسَّوط ينساق به إلى الاعتناء بالعبادة، وبه تزول الرُّعونات النّفسيَّة عن القلب إن شاء الله تعالى.

فإذا نزل به المرض وأشرف على الموت فينبغي تغليبُ جانب الرَّجاء على الخوف لأنَّه حال القدوم على الكريم.

وأتيت إليك خليّاً من صومي وصلاتي مع حججي

قوله: (ما دمت في حال الصِّحة. . .إلخ): هذا هو مذهب مالك، وعند الشَّافعي يجعلهما كجناحي الطَّائر مستويين صحَّة ومرضاً.

واعلم: أنَّ الخوف والرَّجاء حالتان لا بدَّ لكلِّ شخص منهما، ولا يخلو منهما أحد سلك الطَّريق أوَّلاً، لكن قال العارفون: إنَّ خوف السَّائر إلى الله تعالى يسمَّى **قبضاً**، ورجاؤه يسمَّى **بسطاً**، والمتوسِّط يسمَّى **أنساً وهيبة**، والكامل يسمَّى **جلالاً وجمالاً**.

قوله: (والرَّجاء): أي: بالمدِّ، وأمَّا بالقصر: فمعناه النَّاحية، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾[1]؛ أي: نواحيها.

---

(١) سورة الحاقة: (١٧).

والخوف: هَمٌّ وقَلَق لما هو آتٍ.

والحزن: هَمٌّ لما فات.

والرَّجاء: تَعلُّق القلب بمرغوب يحصُل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب، فإن لم يأخذ بالأسباب فَطَمعٌ، وهو مذموم شرعاً.

(وسِرْ) سيراً حثيثاً **(لمولاك)** أي: سيدِّك وخالقك، **(بلا تناء)** أي: بلا تباعد عن الطَّريق المستقيم المُوصِل إلى الله تعالى؛ بأن تعلِّقَ قلبك بغيره تعالى.

وتقدَّم أنَّ السَّير عبارة عن تَعلُّق القلب بالله تعالى مع مخالفة النفس في شهواتها إيثاراً له تعالى على غيره، وهذا هو الطَّريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى، وهي طريق الشُّطَّار من أهل المحبَّة والشَّوق إلى بارئ النَّسَم، ومبناها على الموت بالإرادة، لخبر: «**موتوا قبل أن**

قوله: (سيراً حثيثاً): أي: سريعاً شديداً، والمعنى: أقبل على عبادة الله بكلِّيتك، ولا تضيِّع عمرك سبهللاً؛ فإنَّه ذخيرة لك، ففي الحديث: «**واعمل لربِّك على قدر حاجتك إليه**»[1].

قوله: (بأن تعلِّق قلبك بغيره): تصوير للتَّباعد عن طريق المستقيم.

قوله: (إلى بارئ النَّسم): أي: خالقها، والنَّسم جمع نسمة كشجرة، وشجر فهو اسم جنسٍ جمعيٌّ يفرَّق بينه وبين واحده بالتَّاء.

قوله: (على الموت بالإرادة): أي: بالاختيار والقصد.

---

(١) ينظر «أحاديث الشيوخ الثقات» للكعبي (٤٥٧).

تموتوا»[١] ولذا قال سيدي عمر ابن الفارض[٢]: [من الطويل]

ونفسي كانت قبلُ لوَّامةً متى أُطِعْها عصتْ أو أعصِ كانت مطيعتي

فحملتها ما للموت أيسرُ بعضِهِ وأتعبتها كيما تكون مريحتي

قوله: (متى أطعها): أي: في شهواتها ولذَّاتها.

وقوله: (عصت): أي: خالفت ربَّها.

وقوله: (أو أعص): أي: أخالفها وأقمع شهواتها.

وقوله: (كانت مطيعتي): أي: موافقة لي على ما أريد منها من طاعة الله تعالى.

قوله: (ما الموت أيسر بعضه): أي: من الجوع، والسَّهر، والصَّمت، والعزلة، والتَّغرُّب، ولبس خشن الثِّياب، ونحو ذلك من المشاقِّ الَّتي يكون بها تربية النَّفس، وأفعل التَّفضيل على معنى (من).

والمعنى: حملتها متاعبَ الموت أسهل من بعضها؛ فإنَّه كان يواصل الجوع أربعيناً أربعيناً، فاتَّفق أنَّه طلبت نفسه شهوة فزادها عشراً، فصار أكله بعد كلِّ خمسين.

وقوله: (وأتعبتها): أي: بتلك الأمور.

وقوله: (كيما تكون مريحتي): أي: بفناء شهواتها.

---

(١) ينظر «كشف الخفاء» (٢/ ٢٩١).

(٢) ديوان ابن الفارض (ص ٦٥).

فعادت ومهما حملته تحمَّلتـ ـه مني وإن خفَّفتُ عنها تأذّتِ

أصول الطّريق الموصلة إلى الله

وأصولها عشرة:

أولاً: التوبة:

الأوَّل: التَّوبة من كلِّ ذنب، ....

قوله: (فعادت): أي: صارت مريحة لي.

وقوله: (ومهما حملته): أي: من المشاقِّ الَّتي الموت أيسر من بعضها.

وقوله: (تحمَّلته منِّي): أي: أخذته بقبولٍ وانشراح ورضاً لأنسها بالحقِّ ورفضها الخلق.

قوله: (وأصولها عشرة): أي: أصول طريق الشُّطَّار من أهل المحبَّة والشَّوق، وتقدَّم أنَّ المختصَّ بهم ستَّة منها، والأربعة عامَّة.

قوله: (الأوَّل: التَّوبة): هي **لغة**: مطلق الرُّجوع، **واصطلاحاً**: الرُّجوع عمَّا كان مذموماً في الشَّرع إلى ما هو محمود فيه، ولها بداية ونهاية.

فبدايتها: التَّوبة من الكبائر، ثمَّ الصَّغائر، ثمَّ المكروهات، ثمَّ خلاف الأولى، ثمَّ من رؤية الحسنات، ثمَّ من رؤية أنَّه صار معدوداً من فقراء الزَّمان، ثمَّ من رؤية أنَّه صدق في التَّوبة، ثمَّ من خاطر يخطر له في غير مرضاة الله ﷻ.

ولو صغيرة على التَّحقيق، وإليه أشار بقوله: **(وجدِّد)** وجوباً **(التَّوبة)** أي: الرُّجوع إلى الله تعالى، **(للأوزار)** أي: من أجل ارتكاب الأوزار، جمع وزر، وهو المعصية.

أركان التّوبة:

وأركانها ثلاثة:

- النَّدم على ما وقع منه من المخالفات لمراعاة حقِّ الله سبحانه وتعالى.

وأمَّا **نهايتها**: فكلَّما غفل عن شهود ربِّه طرفة عين بدأ بالتَّوبة؛ لأنَّها أساس لكلِّ مقام يرتقي إليه العبد حتَّى يموت، فكما أن من لا أرض له فلا بناء له، فكذلك من لا توبة له فلا حال له ولا مقام.

ومن كلام العارفين: (من أحكم مقام توبته؛ حفظه الله تعالى من سائر الشَّوائب الَّتي في الأعمال).

قوله: (ولو صغيرة): أي: هذا إذا كان كبيرة، بل ولو صغيرة، وفي كلامه إشارة إلى أنَّ الذُّنوب قسمان: صغائر وكبائر، وهو **مذهب أهل السُّنَّة**، ففيه ردٌّ على **المرجئة القائلين**: إنَّ الذُّنوب كلَّها صغائر، ولا يضرُّ مع الإيمان ذنب، وعلى **الخوارج حيث قالوا**: إنَّ كلَّ ذنب كبيرة ومرتكبها كافر.

واعلم: أنَّ الكبائر لا تحصر بعدد، وإنَّما لها أمارات؛ منها: إيجاب الحدِّ، **ومنها**: الإيعاد عليها بالعذاب بالنَّار ونحوها، ومنها: وصف فاعلها بالفسق نصّاً، **ومنها**: اللَّعن كلعن السَّارق، وأكبرها الكفر بالله تعالى، ثمَّ

- والعَزْم على ألا يعود لمثله، وهذان لا بدَّ منهما في كلِّ توبة.

- والثالث الإقلاع عن الذَّنب في الحال، وهذا إنَّما يتأتّى في ذنب لم يَنقضِ، فيجب الكفُّ عن استتمام الزِّنا وشرب الخمر، وعن أذيَّة أحد، وردِّ المظالم إلى أهلها، واستسماح المظلوم إن أمكن، وإلّا استغفر له وتصدَّق له بما يمكنه، فإنّ الله تعالى إذا علم صدقَ العبد أرضى الله عنه خصماءه.

وتصحُّ التَّوبة من ذنب دون آخر، بخلاف السَّير إلى الله تعالى؛ فإنَّه إنَّما يصحُّ بالتَّوبة عن الجميع وتجب المبادرة بها، فتأخيرها ذنب آخر.

وتوبة الكافر عن كفره بالإسلام مقبولة قطعاً، والمؤمنِ المذنب من ذنبه مقبولةٌ ظنّاً، ....

القتل العمد، وما خرج عن حدِّ الكبيرة وضابطها فهو صغيرة، ولا تحصر أفرادها، وربَّما تقلب الصَّغيرة كبيرة بأمور؛ **منها**: الإصرار، والتَّهاون، والفرح، والافتخار بها.

قوله: (في كلِّ توبة): أي: من كلِّ ذنب.

قوله: (في ذنب لم ينقض): أي: بأن كان يمكن استمراره.

قوله: (مقبولة قطعاً): أي: باتِّفاق الأشعريِّ وإمام الحرمين والقاضي، لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1].

قوله: (مقبولة ظنّاً): هو قول إمام الحرمين والقاضي.

---

(١) سورة الأنفال: (٣٨).

وقيل: قطعاً.

ولا تنتقض التَّوبةُ بالرُّجوع إلى الذَّنب ولو رجعت إليه في اليوم ألف مرَّة، ويجب تجديدُها عند كلِّ رجوع إليه.

(**لا تيأسن من رحمة الغفَّار**) أي: السَّتَّار للذّنوب؛ فإنَّ رحمة الله تعالى وسعت كل شيء.

والوليُّ: هو الذي كلَّما وقع تاب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[1] وهم الذين كلَّما أذنبوا تابوا، ومن أحبَّه الله تعالى قرَّبه وأدناه، وليس شيءٌ أشدَّ على الشَّيطان من تجديد المؤمن للتَّوبة.

واليأسُ - أي: القنوط من رحمة الله تعالى - ....

وقوله: (وقيل: قطعاً): هو قول الأشعريِّ، والفرق بين الكافر والعاصي: أنَّ الكافر مطرود عن رحمة الله بالكلِّيَّة، والعاصي ليس بمطرود، بل غاية ما في العاصي تطهيره بالعذاب ثمَّ يدخل الجنَّة، فالكافر يحتاج تأليفه بقبول توبته، إذ لو لم تقبل توبته لا يدخل الجنَّة، بخلاف العاصي، فمآله للجنَّة ولو بلغ في العصيان مهما بلغ.

قوله: (ولا تنتقض التَّوبة بالرُّجوع إلى الذَّنب): أي: وإنَّما رجوعه له ذنب آخر.

قوله: (وليس شيء أشدَّ على الشَّيطان...إلخ): أي: لأنَّه بالتَّوبة يهدم جميع ما سوَّله لابن آدم.

---

(١) سورة البقرة: (٢٢٢).

كبيرةٌ أو كُفْر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

ثانياً: الشكر:

الثّاني: شكر المُنعِم جلَّ وعزَّ، وهو: صرفُ العبد جميع ما أنعم الله به عليه؛ من عَقْل وسَمْع وبصر ولسان وغيرها إلى ما خُلق لأجله، وإليه أشار بقوله: **(وكن على آلائه)** جمع أَلْي كظبي، بمعنى النّعمة؛ أي: كن على نعمائه التي أنعمها عليك، ظاهريَّة كانت؛ كالسَّمع والبصر وسلامة الأعضاء، أو باطنيّة؛ كالإيمان والعلم، (شكورا) أي: كثير الشُّكر، فهو يرجع إلى: اعتقادٍ بالجَنان، وخدمةٍ بالأركان، ونُطْق باللسان:

- بأن يعتقد أنَّ لا نعمة إلّا منه تعالى.
- وينطق بلسانه بأنّه لا إله إلا هو، وبغيره من الأذكار.

قوله: (كبيرة): أي: إن استعظم ذنبه وأيس من غفرانه.

وقوله: (أو كفر): أي: إن اعتقد أنَّ الله لا يغفر الذُّنوب عموماً، وإنَّما كفر لمخالفته الكتاب والسُّنَّة.

قوله: (بأن يعتقد. . .إلخ): راجع للاعتقاد بالجنان.

وقوله: (وينطق بلسانه): راجع لنطق اللِّسان.

---

(١) سورة يوسف: (٨٧).

- ويعمل بجوارحه كلَّ ما طُلب منه من المأمورات، واجبة كانت أو مندوبة.

ومن النِّعَم التي يجب الشُّكر عليها التَّوفيقُ للتَّوبة، والشُّكرُ على الشُّكر، فالشُّكر لا نهاية له، ولذا قال عليه الصّلاة والسّلام: «**سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[١] والشُّكر بهذا الاعتبار عزيز جداً؛ لأنَّه طريق الصِّدِّيقين، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٢].

وقوله: (ويعمل بجوارحه): راجع لخدمة الأركان، ففيه لفٌّ ونشر ملخبط.

قوله: (والشُّكر على الشُّكر): أي: والتَّوفيق على الشُّكر، ومنه قول بعضهم[٣]: [من الطويل]

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً — عليَّ له في مثلها يجب الشُّكرُ
فكيف بلوغ الشُّكر إلَّا بفضله — وإن طالت الأيَّامُ واتَّصل العمرُ

قوله: (لأنَّه طريق الصِّدِّيقين): أي: الأنبياء وكبار الأولياء، ومنه حديث: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟!**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) سورة سبأ: (١٣).

(٣) البيت لمحمود الوراق في «ديوانه» (ص١٢١).

(٤) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩/ ٧٩) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

ثالثاً: الصبر:

الثَّالث: الصَّبر على البلاء، وهو: حَبْس النَّفس على ما أصابها ممَّا لا يلائمها رضاً بتقدير المالك المختار من غير انزعاج، وإليه أشار بقوله: (**وكن على بلائه**) من مرض وضيق عيش وفَقْد مال وعيال وأذيَّة أحد وغير ذلك، ومنه الأحكام التَّكليفيَّة كالصّلاة والصّوم، (**صبوراً**) أي: كثير الصَّبر فإنَّه تعالى يُحبُّ عبده الصَّبور، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(٢)].

والصَّبرُ وصف أُولي العزم والهمم العَليَّة، وقد ورد فيه وفي الشُّكر من الآيات والأحاديث الشَّريفة ما لو تُتبِّع لأدَّى إلى مزيد التَّطويل المُخرج عن المقصود، وبالجملة يندرج تحتهما كلُّ الدِّين من المأمورات والمنهيَّات، فناهيك بهما مدحاً لمن اتَّصف بهما، فتأمّل.

ثم علَّل طلب الصبر بقوله (**فكلُّ أمر**) أي: وإنَّما طلب منك الصَّبر لأنَّ كلَّ ما بَرَز في الكائنات فهو (**بالقضاء**) أي: بسببه، ....

قوله: (الصَّبر على البلاء): مثله الصَّبر على الطَّاعة وعن المعصية.

قوله: (يندرج تحتهما كلُّ الدِّين من المأمورات والمنهيَّات): وبيان ذلك: أنَّ **الصَّبر** إمَّا على الطَّاعة، أو عن المعصية، أو على المصيبة، **والشُّكر**: إمَّا باللِّسان، أو بالجنان، أو بالأركان، ولا شكَّ أنَّهما قد جمعا معالم الدِّين، وهو امتثال المأمورات، واجتناب المنهيَّات.

---

(١) سورة البقرة: (١٥٥).

(٢) سورة الزمر: (١٠).

وهو عند الأشاعرة: إرادة الله المتعلِّقة أزلاً بتخصيص الكائنات ببعض ما يجوز عليها؛ أي: على طِبْق علمه، (و) بسبب (القدر) - بفتح الدَّال - وهو عندهم: إيجادُ الله تعالى الأمور على طِبْق إرادته.

وقال الماتريدية: القضاء علم الله المتعلِّق أزلاً بوجود الأشياء، والقدر إيجاد الأمور على طبقه.

وعلى كلٍّ فالقضاء صفةُ ذات بقَيْد تعلُّقها، ....

قوله: (وهو عند الأشاعرة. . .إلخ): هذا قول من خاض في القدر، وبعضهم لم يخض فيه، مستدلِّين بقوله ﷺ: «**إذا ذُكر القدر فأمسكوا**»[١]، وبأنَّه سرٌّ ليس لمن عرفه أن يفشيه، ولذا لمَّا سئل عنه عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (هو طريق مُظلم لا سبيل إليه) فأعيد السُّؤال فقال: (البحر عميقٌ لا نلجه)، فأعيد السُّؤال، فقال: (سرُّ الله قد خَفِيَ علينا فلا نفشيه).

قوله: (على طبق إرادته): أي: ويلزم منه أنَّه على طبق العلم.

قوله: (إيجاد الأمور على طبقه): أي: العلم، ويلزم منه أنَّه على طبق الإرادة.

قوله: (وعلى كلٍّ): أي: من قول الأشاعرة والماتريديَّة.

قوله: (صفة ذات بقيد تعلُّقها): أي: فهي إمَّا الإرادة المتعلِّقة بالأشياء أزلاً وهو قول الأشاعرة، أو العلم المتعلِّق بالأشياء أزلاً وهو قول

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/١٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/١٠٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

والقَدَر صفةُ فِعْل، ونظم ذلك العلّامة الأجهوري بقوله[١]:

[من الرجز]

إرادةُ الله مع التَّعلُّقِ ... في أزَلٍ قضاؤه فَحقّقِ

والقدرُ الإيجادُ للأشيا على ... وَجْهٍ معيَّنٍ أراده علا

وبعضُهم قد قال معنى الأَوَّلِ ... العلمُ معْ تعلُّقٍ في الأزلِ

والقَدَرُ الإيجادُ للأمور ... على وِفاق علمه المذكور

(وكلٌّ مقدور) أي: أمر قد قدَّره الله تعالى؛ أي: أبرزه للوجود بما سبق في سابق علمه وقضائه، (فما عنه مفر) أي: لا بدّ من وقوعه على طبق ما أراد وعلم، ولا محيص عنه، فيجب إذن الصَّبر والتَّسليم

الماتريديَّة، فالقضاء قديم على كليهما.

قوله: (والقدر صفة فعل): أي: هي حادثة عند الأشاعرة، قديمة عند الماتريديَّة؛ لأنَّها التَّكوين.

قوله: (ونظم ذلك): أي: ما تقدَّم من تعريف القضاء والقدر على كلٍّ من المذهبين.

قوله: (أراده علا): أي: تنزَّه، فـ(علا) فعل ماض، ففي البيت جناس تامٌّ.

قوله: (في سابق علمه وقضائه): أشار بذلك إلى أنَّ في المتن حذف الواو مع ما عطفت؛ أي: ومقضي.

---

(١) حاشية الأجهوري على الرسالة (ق/ ١٢١).

لِما قدَّره العليمُ الحكيم، فإن لم يصبر وانقلب على وجهه فقد خسر الدُّنيا والآخرة من غير تخفيف عنه ولا ناصر ينصره.

رابعاً: الرضا بالقضاء والقدر:

الرَّابع: الرّضا، وهو: الخروج عن رضا نفسه بالدُّخول في رضا ربِّه، بالتَّسليم للأحكام الأزليَّة، والتَّفويض للتَّدبيرات الأبديَّة، بلا إعراض ولا اعتراض، وإليه أشار بقوله مفرِّعاً على ما قبله: (فكن) أيُّها الطَّالب لِرِضا مولاه، (له) تعالى (مسلِّماً) في كلِّ ما قدَّره وقضاه، أو أمر به من أحكام الدِّين أو نهى عنه، بأن ترضى بذلك من غير إعراض ولا اعتراض، (كي) أي: لأجل أن (تسلما) من آفات الدُّنيا والآخرة.

قوله: (لما قدَّره): أي: وقضاه.

قوله: (من غير تخفيف عنه ولا ناصر ينصره): فيه تلميح للمثل الَّذي ضربه الله تعالى لمن لم يصبر على أحكامه، بقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[1].

قوله: (في كلِّ ما قدَّره وقضاه): أي: من خير وشرٍّ.

قوله: (من غير إعراض): أي: عمَّا أمر به ونهى عنه.

وقوله: (ولا اعتراض): أي: على ما قدَّره وقضاه، ففيه لفٌّ ونشر مشوَّش.

---

(١) سورة الحج: (١٥).

خامساً: اتباع المرشد الكامل:

الخامس: اتِّباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك إلى أن ينتهي إلى رسول الله ﷺ، ومَن لم يصحب شيخاً يدلُّه على الطَّريق إلى الله، واستقلَّ بما عنده من عبادة أو عِلْم فقد تعرَّض لإغراء الشَّيطان له، ولهذا قيل: (من لا شيخ له فالشَّيطان شيخه)[١].

وبالجملة من لم يسلك على يد شيخ عارف فلا يمكنه التَّرقِّي إلى منازل القرب ولو أتى بعبادة الثَّقلين.

صفات الشيخ المرشد:

وعلامته: السَّخاءُ، وحسن الخُلقُ، والشَّفقة على خَلْق الله تعالى، وعَدَم انكبابه على جمع الدُّنيا، وعَدَم الدَّعوى، ولو بالتَّكلُّم بمصطلح القوم إلّا لأمر اقتضى ذلك، وعَدَم الشَّكوى من ضيق الدُّنيا، أو من إعراض النَّاس عنه، وأن يرى عليه مخايل الذُّلِّ والانكسار وحبُّ الخمول، ....

قوله: (على يد شيخ كذلك): أي: قد سلك طريق أهل الله.

قوله: (وعلامته: السَّخاء): أي: الجود والكرم بما عنده.

وقوله: (وحسن الخلق): أي: بأن يرحم الصَّغير، ويوقِّر الكبير.

قوله: (إلَّا لأمر اقتضى ذلك): أي: كتعظيم أتباعه.

---

(١) ينظر «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٧٤).

وأن تظهر على أصحابه البركة والصَّلاح، وهذا مأخوذ من قولنا:

(واتبع) في سيرك **(سبيل)** أي: طريق **(النّاسكين)** جمع ناسك؛ أي: عابد، (العُلما) جمع عالم، وهو: العارف بالأحكام الشَّرعيَّة التي عليها مدار صِحَّة الدِّين، اعتقاديَّة كانت أو عمليَّة، والمرادُ بهم السَّلف الصَّالح ومن تبعهم بإحسان، وسبيلُهم منحصر في اعتقاد وعلم وعمل على طبق العلم.

وافترق من جاء بعدهم من أئمَّة الأمَّة الذين يجب اتِّباعهم على ثلاث فرق:

- فرقة نصبت نفسها لبيان الأحكام الشَّرعيَّة العمليَّة، وهم الأئمَّة الأربعة وغيرهم من المجتهدين، لكن لم يستقرَّ من المذاهب المَرضيَّة سوى مذاهب الأئمَّة الأربعة.

قوله: (وأن تظهر على أصحابه البركة والصَّلاح): أي: لما قيل[1]:

[من الطويل]

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكلُّ قرين بالمقارن يقتدي

قوله: (سوى مذاهب الأئمَّة الأربعة): أي: وهم الإمام مالك، والشَّافعيُّ، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم.

[الأئمة الأربعة]

أمَّا مالك: فهو ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن حارث بن غميان - بمعجمة فمثنَّاة تحتيَّة - ابن خثيل - بخاء معجمة مضمومة، فمثلثَّة

---

(١) البيت لعدي بن زيد أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٥٢٣).

- وفرقة نصبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التي كان عليها السَّلف، وهم الأشعريُّ والماتريديُّ ومن تبعهما.

- وفرقة نصبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات على طِبْق ما ذهب إليه الفرقتان المتقدِّمتان، وهم الإمام ....

مفتوحة، فمثنَّاة تحتيَّة - الأصبحيُّ، بفتح الباء؛ نسبة إلى ذي أصبح، بطن من حمير وهو من العرب، عهده في قريش في بني تيم الله، فهو مولى عهد لا مولى عتاقة عند الجمهور، فهو من بيوت الملوك؛ لأنَّ القاعدة عند العرب إذا جاؤوا في النَّسب بذي يكون من ذلك، حملت به أمُّه ثلاث سنين، وقيل: أكثر، وطول الحمل علامةٌ على وفور عقل المولود.

ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الأشهر بذي المروءة، موضع من مساجد تبوك على ثمانية بُرُد من المدينة، ولا ينافيه قول عياض: إنَّه مدنيُّ الدَّار والمولد والمنشأ؛ لأنَّ ذا المروءة من أعمال المدينة[١]، وقيل: ولد سنة تسعين، ومات سنة تسع وسبعين ومئة، ودفن بالبقيع وقبره مشهور.

وكان أنس أبوه فقيهاً، وجدُّه مالك كان من كبار التَّابعين، أحد الأربعة الَّذين حملوا عثمان إلى قبره ليلاً وغسلوه ودفنوه.

وجدُّه أبو عامر صحابيٌّ حضر مع المصطفى مغازيه كلَّها إلَّا بدراً.

ومالك من أتباع التَّابعين على الصَّحيح، وقيل: من التَّابعين؛ لإدراكه

---

(١) ينظر «ترتيب المدارك» (١/ ١٢٤).

....

عائشة بنت سعد بن أبي وقَّاص وهي صحابيَّة، والصَّحيح أنَّها تابعيَّة[١].

وأخذ العلم عن سبع مئة شيخ؛ منهم ثلاث مئة من التَّابعين، وعليه حمل قوله ﷺ: «**لا تنقضي السَّاعة حتَّى تضرب أكباد الإبل من كلِّ ناحية إلى عالم المدينة يطلبون علمه**»[٢].

وفي رواية: «**يوشك أن تضرب أكبادُ الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة**»[٣].

فكانوا يزدحمون على بابه لطلب العلم، وأفتى النَّاس وعلَّمهم نحو سبعين سنة بالمدينة، ومكث خمساً وعشرين سنة لم يشهد جماعة، فقيل له: ما يمنعك من الخروج؟ فقال: (إنَّ من الأعذار أعذاراً لا تذكر)[٤].

وجلس للتَّدريس وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان يقول: (لا ينبغي للعالم أن يتكلَّم بالعلم عند من لا يطيعه، فإنَّه ذلٌّ وإهانة للعلم)[٥].

وكان إذا أراد أن يجلس للعلم؛ توضَّأ وصلَّى ركعتين، وسرَّح لحيته وتطيَّب، وجلس على وقار وهيبة، ومنع النَّاس من رفع أصواتهم، وبخَّر

---

(١) ينظر «ترتيب المدارك» (١/ ١١٣).

(٢) أورده القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ٦٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤٢٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ينظر «ترتيب المدارك» (٢/ ٥٥).

(٥) أخرجه البيهقي في «المدخل» (٦١٧).

....

المجلس بعود[(١)].

وقال عبد الله بن المبارك: كنت عند الإمام مالك بن أنس وهو يحدِّث بحديث رسول الله ﷺ، فلدغته عقرب ستَّ عشرة مرَّة وهو يصفرُّ ويتلَّوى ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فسألته عن ذلك، فقال: (إنَّما صبرت إجلالاً لحديثه ﷺ)[(٢)].

وكان مهاباً جدّاً، إذا أجاب في مسألة لا يمكن أن يقال له: من أين؟[(٣)].

وكان يرى المصطفى ﷺ كلّ ليلة في النَّوم، وكان يرخي الطَّيلسان على رأسه، حتَّى لا يرى ولا يُرى، وكان لا يدخل الخلاء إلَّا كلَّ ثلاثة أيَّام مرَّة، ويقول: (والله؛ لقد استحيت من الله في كثرة تردُّدي للخلاء).

وقال أشهب بن عبد العزيز: (رأيت أبا حنيفة بين يدي مالك، كالصَّبيِّ بين يدي أمِّه)[(٤)].

وسئل أبو حنيفة عن مالك فقال: (ما رأيت أعلم بسنَّة رسول الله ﷺ منه)[(٥)].

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ١٥).

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ١٥).

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ١٣).

(٤) ينظر «تاريخ الإسلام» (٤/ ٧١٩).

(٥) ينظر «ترتيب المدارك» (١/ ١٥٠).

....

وقال اللَّيث بن سعد: (لقيت مالكاً بالمدينة، فقلت له: ما لك تمسح العرق عن جبينك؟ فقال: عرقت مع أبي حنيفة، إنَّه لفقيه يا مصري، ثمَّ لقيت أبا حنيفة فقلت له: ما أحسن قول مالك فيك؟ فقال له: والله؛ ما رأيت أسرع بجواب صادق وزهد تامٍّ من مالك بن أنس)[1].

وأمَّا الشَّافعيُّ: فهو أبو عبد الله محمَّد بن إدريس بن عبَّاس بن عثمان بن شافع بن السَّائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطَّلب بن عبد مناف جدُّ النَّبيِّ ﷺ، وهو ابن عمٍّ المصطفى؛ نسبة لشافع؛ لأنَّه أكرم أجداده، ولأنَّه صحابيٌّ ابن صحابيٍّ.

ولد الشَّافعيُّ بغزَّة يوم وفاة أبي حنيفة، ونشأ يتيماً في حجر أمِّه مع قلَّة عيش وضيق، ثمَّ حمل إلى مكَّة وهو ابن سنتين ونشأ بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، و«الموطَّأ» وهو ابن عشر، وأذن له شيخه وهو مسلم بن خالد بالإفتاء، وهو ابن خمس عشرة سنة، وعليه حمل حديث: «**عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً**»[2]؛ لأنَّ الكثرة والانتشار في جميع الأقطار لم يحصلا في عالم قرشيٍّ مثله، قال الأئمَّة منهم أحمد: هذا العالم هو الشَّافعيُّ.

وأمَّا أبو حنيفة: فهو النُّعمان بن ثابت بن طاووس بن هرمز ملك بني شيبان، فهو من العرب، وقيل: ومن الفرس، كني ببنته، وقيل: بدواته،

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ١٥٢).

(٢) أخرجه البيهقي في «المعرفة» (٤١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٢٦).

....

ذكر جماعة أنَّه أدرك نحو عشرين صحابيّاً، وسمع الحديث من تسعة منهم، وهم: أنس بن مالك، وعمرو بن حريث، وعبد الله بن أنس، وعبد الله بن الحارث، وجابر بن عبد الله بن أبي أوفى، وواثلة بن الأسقع، ومعقل بن يسار، وأبو الطُّفيل عامر، وعائشة بنت عجرة.

وأمَّا أحمد بن حنبل: فهو أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل هلال بن أسد المروزيُّ الشَّيبانيُّ، يجتمع مع النَّبيِّ ﷺ في نزار بن معد بن عدنان البغداديِّ، قدمت به أمُّه من مروز وهي حاملة به فولدته ببغداد، وهو تلميذ الشَّافعي، قال الشَّافعيُّ: (خرجت من بغداد وما خلَّفت فيها أفقهَ ولا أورعَ ولا أزهدَ ولا أعلمَ من الإمام أحمد بن حنبل)[1]، وكان يحيي اللَّيل كلَّه من وقت كونه غلاماً، وله في كلِّ يوم وليلة ختمٌ.

وفضل هؤلاء الأئمَّة أشهر من الشَّمس في رابعة النَّهار، ونظم بعضهم تاريخ ولادة الأربعة ووفاتهم ومدَّة عمرهم بقوله[2]: [من الرجز]

تاريخ نعمان يكن سيف سطا ... ومالك في قطع جوف ضبطا

والشَّافعيُّ صين ببرند ... وأحمد بسبق أمر جعد

فاحسب على ترتيب نظم الشِّعر ... ميلادهم فموتهم كالعمر

فولادة أبي حنيفة سنة ثمانين، وجمله (يكن)، ووفاته سنة مئة وخمسين، وجمله (سيف)، وعمره سبعون وجمله (سطا).

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ١٨٥).

(٢) أوردها الإقليدي في «إعلام الناس» (ص ٢٩٨).

أبو القاسم الجنيد ومن تبعه.

وولادة مالك سنة تسعين، وجمله (في)، ووفاته سنة مئة وتسعة وسبعين، وجمله (قطع)، وعمره تسعة وثمانون، وجمله (جوف).

وولادة الشَّافعيِّ سنة مئة وخمسين يوم وفاة أبي حنيفة، وجمله (صين)، ووفاته سنة مئتين وأربع، وجمله (ببر)، وعمره أربع وخمسون، وجمله (ند).

وولادة أحمد سنة أربع وستين ومئة، وجمله (بسبق)، ووفاته سنة إحدى وأربعين ومئتين، وجمله (أمر)، وعمره سبع وسبعون، وجمله (جعد) رضي الله عنهم وعنَّا بهم أجمعين.

[تراجم رجال التصوف]

قوله: (أبو القاسم): هي كنيته، واسمه: الجنيد بن محمَّد، سيِّد الطَّائفة الصُّوفيَّة وإمامهم، نشأ وولد بالعراق، وكان فقيهاً على مذهب أبي ثور، صحب خاله السَّري السَّقطي والحارث المحاسبي ومحمَّد بن عليٍّ القصَّاب، مات سنة سبع وتسعين ومئتين، فهو من أهل القرن الثَّالث.

ومن كلامه: (ما أخذنا التَّصوُّف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدُّنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات)[1].

ومن كلامه أيضاً: (الطُّرق كلُّها مسدودة على الخلق إلَّا من اقتفى أثر الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام)[2].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٧٧)، والسلمي في «طبقاته» (ص ٧٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٥٧)، والسلمي في «طبقاته» (ص ١٣٢).

فهؤلاء الفِرَق الثَّلاثة هم خواصُّ الأمَّة المحمَّديَّة، ومن عداهم من جميع الفِرَق على ضلال، وإن كان البعض منهم يُحكم له بالإسلام، فالنَّاجي مَن كان في عقيدته على طِبْق ما بيَّنه أهل السُّنَّة، وقلَّد في الأحكام العمليَّة إماماً من الأئمَّة الأربعة المرضيَّة، ثمَّ تمامُ النِّعمة والنَّجاة في سلوك مسلك الجنيد وأتباعه بعد أن أحكم دينه على طبق ما بيَّنه الفريقان المتقدِّمان، وممن سلك مسلكه ....

ومن كلامه أيضاً: (لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثمَّ أعرض عنه لحظةً؛ كان ما فاته أكثر ممَّا ناله)[1].

ومن كلامه أيضاً: (إن بدت ذرَّةٌ من عين الكرم والجود؛ ألحقت المسيء المحسن، وبقيت أعمالهم فضلاً لهم).

ومن كلامه أيضاً: (من الأعمال ما لا يطَّلع عليه الحفظة، وهو ذكر الله بالقلب، وما طويت عليه الضَّمائر من الهيبة والتَّعظيم لله، واعتماد الخوف، وإجلال أوامره ونواهيه)[2].

ومن كلامه أيضاً: (احفظوا ساعاتكم؛ فإنَّها زائلة غير راجعة، وصلوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة، ولا يشغلكم عن الله قليل الدُّنيا؛ فإنَّ قليلها يشغل عن كثير الآخرة)[3].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٧٨)، والسلمي في «طبقاته» (ص ١٣٣).
(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٦٤).
(٣) انظر «الطبقات الكبرى» للمناوي (١/ ٥٧٧).

القطب الرَّبانيُّ الإمام سيِّدي أحمدُ ابن الرِّفاعي وأتباعه، ....

وكان من أوراده أربع مئة ركعة كلَّ يوم، وكان صائم الدَّهر لا يفطر إلَّا إذا دخل عليه إخوانه فيأكل معهم وهو ساكت، ويقول: (ليست المساعدة مع الإخوان بأقلَّ من فضل الصَّوم)[١].

ودخل عليه إبليس في صورة نقيب فقال: أريد أن أخدمك بلا أجرة، فقال له: (افعل) فأقام يخدمه عشر سنين، فلم يجد قلبه غافلاً عن ربِّه لحظةً واحدة، فطلب الانصراف، وقال له: أنا إبليس، فقال له: (عرفتك من أوَّل ما دخلت، وإنَّما استخدمتك عقوبة لك؛ فإنَّه لا ثواب لأعمالك في الآخرة)، فقال: ما رأيت قوَّتك يا جنيد، فقال: اذهب يا ملعون، أتريد أن تدخل عليَّ الإعجاب بنفسي؟!)، ثمَّ خرج خاسئاً[٢]، وفضله كالشَّمس في رابعة النَّهار، ألحقنا الله بنسبه، وحقَّقنا بحسبه.

قوله: (سيِّدي أحمد ابن الرِّفاعيِّ): قال المناويُّ في «الكواكب الدُّرِّيَّة في مناقب الصُّوفيَّة»: (هو أحمد بن عليٍّ بن أحمد بن يحيى بن حازم بن رفاعة،[الشيخ] الزَّاهد الكبير، أحد الأولياء المشاهير، أبو العبَّاس الرِّفاعيُّ المغربيُّ،[كان سيِّداً جليلاً] صوفيّاً عظيماً نبيلاً.

قدم أبوه من العراق، وسكن أم عبيدة بأرض البطائح، وولد بها سنة خمس مئة، ونشأ بها وتفقَّه على مذهب الشَّافعيِّ وتصوَّف، وجاهد نفسه

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» للمناوي (١/ ٥٧١).
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» للمناوي (١/ ٥٧٢).

....

حتَّى انتهت إليه الرِّياسة في علوم القوم وكشف مشكلاتها، واجتمع به خلق كثير وأحسنوا فيه الاعتقاد.

قال ابن خلِّكان وغيره: «وهم الطَّائفة الرِّفاعيَّة، ويقال لهم: الأحمديَّة والبطائحيَّة، ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيَّات حيَّة، والنُّزول إلى التَّنانير وهي تضرم ناراً، والدُّخول إلى الأفرنة، وينام أحدهم في جانب الفرن والخبَّاز يخبز في الجانب الآخر، ويوقد لهم النَّار العظيمة، ويقام السماع فيرقصون عليه إلى أن تنطفئ»(١).

وكان رضي الله عنه كثيراً ما يتجلَّى الحقُّ عليه بالعظمة، فيذوب حتَّى يصير بقعة ماء، ثمَّ تدركه الرَّحمة فيجمد شيئاً فشيئاً، حتَّى يردَّ إلى بدنه المعتاد ويقول لجماعته: (لولا لطف الله ما عدت إليكم).

ومن كراماته: أنَّ رجلين تحابَّا في الله اسم أحدهما: معالي، والآخر: عبد المنعم، فخرجا يوماً للصَّحراء، فتمنَّى أحدهما كتاب عتق من النَّار ينزل من السَّماء، فسقط منها ورقة بيضاء، فلم يريا فيها كتابةً، فأتيا الشَّيخ ولم يخبراه بالقصَّة، فنظر إليهما ثمَّ خرَّ ساجداً.

وقال: الحمد لله الَّذي أراني عتق أصحابي من النَّار في الدُّنيا قبل الآخرة، فقيل له: هذه بيضاء، فقال: أي أولادي، يد القدرة لا تكتب سوداء، وهذه مكتوبة بالنُّور.

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ١٧١).

....

ولمَّا حجَّ وقف تجاه الحجرة الشَّريفة النَّبويَّة وأنشد: [من البسيط]

في حالة البعد روحي كنتُ أُرسلها ... تقبِّل الأرضَ عنِّي فهي نائبتي

وهذه نوبةُ الأشباح قد حضرتْ ... فامددْ يمينكَ كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشَّريفة من القبر حتَّى قبَّلها والنَّاس ينظرون إليها.

وأخبر بوقت موته وصفته، فكان كما قال.

وأراد شراء بستان، فأبى صاحبه ألا يبيعه إلَّا بقصر في الجنَّة، فارتعد وتغيَّر واصفرَّ، ثمَّ قال: قد اشتريت منك بذلك، قال: اكتب لي خطَّك، فكتب: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد أحمد ابن الرِّفاعي ضامناً على كرم الله له قصراً في الجنَّة، يحفُّ به حدود؛ **الأوَّل**: لجنَّة عدن، **الثَّاني**: لجنَّة المأوى، **الثَّالث**: لجنَّة الخلد، **الرَّابع**: لجنَّة الفردوس بجميع حوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضاً عن بستانه في الدُّنيا، والله شاهد على ذلك وكفيل، فلمَّا مات إسماعيل؛ دفنت معه الورقة فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره: قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقّاً.

مات رضي الله عنه ببلده سنة ثمان [وسبعين][1] وخمس مئة، ولم يعقِّب، وإنَّما المشيخة لابن أخيه[2].

---

(١) ما بين معقوفين في النسخ: (وتسعين)، والصواب ما أثبت كما في «الطبقات الكبرى».

(٢) الطبقات الكبرى (٢/٢١٨-٢٢٧).

والقطب الرَّبانيُّ الإمامُ سيِّدي عبدُ القادر الجيلاني وأتباعه، ....

قوله: (سيِّدي عبد القادر الجيلاني): قال المناويُّ في الكتاب المذكور: (هو ابن موسى بن يحيى الجيلاني الحنبلي، كان في الفقه إماماً، وفي التَّصوُّف [لا يسام رفعةً و] لا يسامى.

ولد [بجيلان][١] سنة سبعين وأربع مئة، ونشأ بها حتَّى شبَّ، فسلك طريق القوم، فجدَّ واجتهد، وكابد الأهوال حتَّى كان يلفُّ على رأسه خرقة ويلبس جبَّة، ويمشي حافياً، ويتقوَّت بقمامة البقل وورق الخسِّ، ويجاهد نفسه بأنواع الشَّدائد.

وأتاه الخضر مرَّة وهو لا يعرفه، فقال: اقعد هنا حتَّى آتيك، فأقام في ذلك الموضع ثلاث سنين.

ومكث [في بدايته] سنَّة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، واحتلم في ليلة في بدايته في الشِّتاء أربعين مرَّة، يغتسل لكلِّ مرَّة، ولم يزل على ذلك الحال حتَّى طرقه الحال، فهام في البراري والجبال إلى أن اتَّصف بالكمال.

ومن كراماته: أنَّه كان حين رضاعه لا يرضع في رمضان، فكان النَّاس إذا شكُّوا في الهلال رجعوا إليه، وكان الذُّباب لا يصيبه وراثة من جدِّه المصطفى ﷺ، وأقام أربعين سنة يصلِّي الصُّبح بوضوء العشاء، وكان يفتي على مذهب الشَّافعي وأحمد معاً، فيتعجَّب علماء العراق من حسن أجوبته.

---

(١) ما بين معقوفين في النسخ: (ببغداد)، والصواب ما أثبت، كما في مراجع ترجمته.

والقطب الرَّبَّانيُّ السَّيِّد أحمدُ البدوي وأتباعه، ....

ورأى مرَّة نوراً ملأ الأُفق، ونودي منه: أنا ربُّك، وقد أبحتُ لك المحرَّمات، فقال: اخسأ يا لعين، فانقلب النُّور دخاناً وظلاماً، فقال: نجوت منِّي بفقهك [في إحكام منازلاتك]، وقد أضللت بهذا سبعين صدِّيقاً، فسئل: بم عرفت أنَّه الشَّيطان؟ قال: بقوله: أبحتُ لك المحرَّمات.

وسقطت عليه وهو يدرس حيَّة، ففرَّ من حضر، فدخلت في ذيله وخرجت من طوقه، والتفَّتْ على عنقه فلم يقطع كلامه ولم يتغيَّر، ثمَّ قامت بين يديه تكلِّمه بكلام لا يفهم وانصرفت، فسئل [عنها]، فقال: قالت: اختبرت عدَّة من الأولياء فلم أجد كثباتك، فقلت: ما أنت إلَّا دويبة يحركِّك القضاء والقدر، وكلامه ومناقبه أفردت بالتَّأليف، مات سنة نيِّف وستِّين وخمس مئة ببغداد، رضي الله عنه وعنَّا به)[1].

قوله: (السَّيِّد أحمد البدويُّ): قال المناويُّ فيه أيضاً: (هو ابن عليِّ بن إبراهيم بن محمَّد بن أبي بكر البدويُّ الشَّريف الحسيب النسيب، أصله من بني برِّي؛ قبيلة من عربان الشَّام، ثمَّ سكن والده المغرب.

ولد رضي الله عنه بفاس سنة ستٍّ وتسعين وخمس مئة، ونشأ بها وحفظ القرآن، وقرأ شيئاً من فقه الشَّافعيِّ.

وحجَّ أبوه به وبإخوته سنة تسع وستِّ مئة، وأقاموا بمكَّة، ومات بها

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٥٣-٢٦١).

....

أبوه سنة سبع وعشرين وستٍّ مئة، ودفن بالمعلَّا.

وعرف بالبدويِّ للزومه اللِّثام، ولبس لثامين فلم يفارقهما، ولم يتزوَّج قطُّ، واشتهر بالعطاب؛ لكثرة عطبه من يؤذيه، ثمَّ لزم الصَّمت، فكان لا يتكلَّم إلَّا بإشارة، وتولَّه، ثمَّ حصلت له جمعيَّة على الحقِّ فاستغرق إلى الأبد، وكان عظيم الفتوة.

قال المتبولي: قال لي رسول الله ﷺ: «**ما في أولياء مصر بعد محمَّد بن إدريس أكبر فتوة منه، ثمَّ نفيسة، ثمَّ شرف الدِّين الكرديِّ، ثمَّ المنوفيِّ**» انتهى.

وكان يمكث أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وأكثر أوقاته شاخص ببصره نحو السَّماء وعيناه كالجمرتين، ثمَّ يسمع هاتفاً يقول ثلاثاً: قم واطلب مطلع الشَّمس، فإذا وصلته فاطلب مغربها، وسر إلى طندتا فيها مقامك أيُّها الفتى، فسار إلى العراق فتلقَّاه العارفان الكيلانيُّ والرِّفاعيُّ فقالا: يا أحمد؛ مفاتيح العراق والهند واليمن، والمشرق والمغرب بيدينا، فاختر أيُّها شئت، فقال: لا آخذ المفتاح إلَّا من يد الفتَّاح.

ثمَّ رحل إلى مصر فتلقَّاه الظَّاهر بيبرس بعسكره، وأكرمه وعظمه، فدخلها سنة أربع وثلاثين وستِّ مئة.

فأقام بطندتا على سطح دار لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً اثنتي عشرة سنة، وإذا عرض له الحال صاح صياحاً عظيماً.

....

وتبعه جمع؛ منهم عبد العال وعبد المجيد.

ولمَّا دخل طندتا كان بها جمع من الأولياء؛ فمنهم من خرج منها هيبة له؛ كالشَّيخ حسن الإخناني، فسكن إخنان حتَّى مات، وضريحه بها ظاهر يزار.

ومنهم من مكث؛ كالشَّيخ سالم المغربيِّ، وسالَمَ الشَّيخ البدوي، فأقرَّه على حاله حتَّى مات بطندتا، وقبره بها مشهور.

ومنهم من أنكر عليه؛ كصاحب الإيوان العظيم بطندتا المسمَّى بوجه القمر، كان وليّاً كبيراً فثار به الحسد فسلبه، ومحلُّه الآن بطندتا مأوى الكلاب، وليس فيه رائحة صلاح ولا مدد.

وكان رضي الله عنه إذا لبس ثوباً أو عمامة لا يخلعها لا لغسل ولا غيره حتَّى تبلى فتبدَّل، وإذا أمر أحداً من أصحابه بالإقامة في مكان لا يمكنه مخالفته.

وكان يعرف من هو من أولاده بالكشف، ولا يقبل إلَّا من علمه منهم.

وكان لا يكشف اللِّثام عن وجهه، فقال له عبد المجيد: أرني وجهك، قال: كلُّ نظرة برجل، قال: أرنيه، فكشف، فمات حالاً.

وله كرامات شهيرة جدّاً؛ منها: قصَّة المرأة الَّتي أسر ولدها الإفرنج، فلاذت به فأحضره في قيوده.

ومرَّ به رجل يحمل قربة لبن، فأشار بإصبعه إليها، فانقدَّت، فخرج

والقطب الرَّبانيُّ السَّيِّد إبراهيمُ الدُّسوقي وأتباعه، ....

منها حيَّة انتفخت.

وأنكر عليه ابن اللَّبان [ووقع فيه]، فسلب القرآن والعلم، فصار يستغيث بالأولياء حتَّى أغاثه ياقوت العرشي فشفع له، فردَّ ذلك عليه.

وأنكر عليه الشَّيخ خليفة الأبياريِّ، وحطَّ على من يحضر مولده، فابتلى بحيَّة قرصت فمه ولسانه(١) فمات.

واجتمع به ابن دقيق العيد، فقال له: إنَّك لا تصلِّي ما هذا سنن الصَّالحين، فقال: اسكت وإلَّا طيَّرت دقيقك(٢)، ودفعه فإذا هو بجزيرة متَّسعة جدّاً، فضاق ذرعه حتَّى كاد يهلك، فرأى الخضر، فقال له: لا بأس عليك، إنَّ مثل البدويِّ لا يعترض عليه، اذهب إلى هذه القبَّة وقف ببابها ؛ فإنَّه سيأتيك العصر ليصلِّي بالنَّاس، فتعلَّق بأذياله لعلَّ أن يعفو عنك، ففعل، فدفعه فإذا هو ببابه.

وكراماته أشهر من أن تذكر، مات سنة خمس وستِّين وستِّ مئة، رضي الله عنه وعنَّا به)(٣).

قوله: (السَّيِّد إبراهيم الدُّسوقيُّ): قال المناويُّ فيه أيضاً: (هو قرشيٌّ هاشميٌّ شافعيٌّ أحد الأئمَّة الَّذين أظهر الله لهم المغيَّبات، وخرق لهم

---

(١) في «الطبقات»: (فابتلي بحبة فرعت فمه ولسانه).

(٢) في «الطبقات»: (اغبر دقيقك).

(٣) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٨٦-٣٩٠).

....

العادات، انتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام، وكان يتكلَّم بجميع اللُّغات من عجميٍّ وسريانيٍّ وغيرهما، ويعرف لغات الوحش والطَّير.

وذكر عنه أنَّه صام في المهد، وأنَّه رأى اللَّوح المحفوظ وهو ابن سبع سنين، وأنَّه فكَّ طلسم السَّبع المثاني، وأن قدمه لم تسعه الدُّنيا، وأنَّه ينقل اسم مريده من الشَّقاوة إلى السَّعادة، وأنَّ الدُّنيا جعلت في يده كخاتم، وأنَّه جاوز سدرة المنتهى، وجالت نفسه في الملكوت، ووقف بين يدي الله.

وله كرامات شهيرة؛ منها: أنَّ تمساحاً خطف صبيّاً فأتته أمُّه مذعورةً، فأرسل نقيبه ونادى بشاطئ البحر: معاشر التَّماسيح؛ من ابتلع صبيّاً فليطلع [به]، فطلع ومشى معه إلى الشَّيخ، فأمره أن يطرحه، فطرحه حياً، وقال للتِّمساح: مت بإذن الله، فمات.

وله كلام في الحقائق نثر ونظم[١]، ذكره في كتاب مجلَّد ضخم سمَّاه

---

(١) فمن أقواله رضي الله عنه وقدس سره:
- أحب الخلق إلى الله .. من حبَّب الخلق إلى الله.
- من عامل الله بالسرائر.. جعله على الأسرة والحظائر.
- عليك بالعمل بالشرع، وإياك وشقشقة اللسان بالكلام في الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها.
- الشيخ حكيم المريد، فإذا لم يعمل يقول الحكيم.. لم يحصل له شفاء.
- من صدق في الإقبال على الله.. انقلبت له الأضداد، فعاد من كان يسبُّه يحبه، ومن يقاطعه يواصله.

والقطب الرَّبَّانيُّ السَّيِّد عليٌّ أبو الحسن الشّاذلي وأتباعه، ....

«الجوهرة» من جملته قصيدته التَّائيَّة، وهي طويلة؛ منها قوله[١]: [من الطويل]

سقاني محبوبي بكأس المحبَّة فتهت على العشَّاق سكراً بخلوتي
ولاح لنا نور الجلالة لو أضا لصمِّ الجبال الرَّاسيات لدكَّتِ
وناد منِّي سرّاً بسرٍّ وحكمة وأنَّ رسول الله شيخي وقدوتي
وعاهدني عهداً حفظت لعهده وعشت وثيقاً صادقاً بمحبتي
وحكمني في سائر الأرض كلِّها وفي الجنِّ والأشباح ربُّ البريَّة
وفي أرض صين الصِّين والأرض كلِّها إلى أقصى بلاد الله صحَّت ولايتي
أنَا الحرف لا أقرأ لكلِّ مناظر وكلِّ الورى عن أمر ربِّي رعيتي
وكم عالم قد جاءنا وهو منكر فصار بفضل الله من أهل خرقتي
وما قلت هذا القول فخراً وإنَّما أتى الأذن كي لا تجهلون طريقتي
تجلَّى لي المحبوب في كلِّ وجهة فشاهدته في كلِّ معنىً وصورة

مات سنة ستٍّ وسبعين وستِّ مئة رضي الله عنه وعنَّا به)[٢].

قوله: (السَّيِّد عليٌّ أبو الحسن الشَّاذليُّ): قال ابن عبَّاد في «المفاخر العالية في المآثر الشَّاذليَّة»: (هو ابن عبد الله بن عبد الجبَّار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن أبي بطَّال عليِّ بن أحمد بن محمَّد بن عيسى بن إدريس بن عمر بن إدريس المبايع له ببلاد المغرب ابن عبد الله بن الحسن المثنَّى ابن سيِّد شباب أهل الجنَّة، وسبط

---

(١) الجوهرة المضيئة (ص ٣٨٧).

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٢٠-٣٣٠).

....

خير البريَّة أبي محمَّد الحسن بن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وابن فاطمة الزَّهراء بنت رسول الله ﷺ.

ولد بقرية غمارة من قرى إفريقيَّة قريبة من سبتة، وهي من المغرب الأقصى في نحو ثلاث وتسعين وخمس مئة من الهجرة، فلقِّب بالشَّاذليِّ؛ لأنَّه قال له شيخه سيِّدي عبد السَّلام بن مشيش(١): يا عليُّ؛ ارتحل إلى إفريقية، واسكن بها بلداً تسمَّى شاذلة؛ فإنَّ الله يسمِّيك الشَّاذليُّ، وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس، ويؤتى عليك بها من قبل السَّلطنة، وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق، وترث فيها القطبانيَّة.

قال: ولمَّا دخلت مدينة تونس وأنا شابٌّ صغير؛ وجدت فيها مجاعة شديدة، ووجدت النَّاس يموتون في الأسواق، فقلت في نفسي: لو كان عندي ما أشتري به خبزاً لهؤلاء الجياع لفعلت، فألقي في سرِّي: خذ ما في جيبك، فحرَّكت جيبي، فإذا فيه دراهم، فأتيت إلى خبَّاز بباب المنارة، فقلت له: عدَّ خبزك، فعدَّه عليَّ، فتناولته النَّاس فتناهبوه، ثمَّ أخرجت الدَّراهم فناولتها الخبَّاز، فقال: [هذه مفارقة و] أنتم معاشر المغاربة تستعملون الكيمياء، قال: فأعطيته برنسي وكرزي من على رأسي رهناً في ثمن الخبز، وتوجَّهت إلى جهة الباب وإذا برجل واقف عند الباب، فقال لي: يا علي؛ أين الدَّراهم؟ فأعطيتها له، فهزَّها في يده وردَّها إليَّ، وقال: ادفعها إلى الخباز فإنَّها طيِّبة، فرجعت إلى الخبَّاز ودفعتها له، فقال: نعم،

---

(١) ويقال له: ابن بشيش.

....

هذه طيِّبة، وأعطاني برنسي وكرزي[١]، ثمَّ طلبت الرَّجل فلم أجده، فبقيت حائراً في نفسي إلى أن دخلت الجامع في يوم الجمعة، وجلست عند المقصورة في الرُّكن الشَّرقيِّ، فركعت تحيَّة المسجد وسلَّمت، وإذا بالرَّجل عن يميني، فسلَّمت عليه فتبسَّم، وقال لي: يا عليُّ؛ أنت تقول: لو كان عندي ما تطعم به هؤلاء الجياع لفعلت، تتكرَّم على الله الكريم في خلقه، ولو شاء لأشبعهم وهو أعلم بمصالحهم منك، قلت له: يا سيِّدي؛ بالله من أنت؟ قال: أنا أحمد الخضر كنت بالصِّين، وقيل لي: أدرك وليي عليّاً بتونس، فأتيت مبادراً إليك، فلمَّا صلَّينا الجمعة نظرت إليه فلم أجده.

ومن مناقبه: أنَّه كان إذا ركب تمشي أكابر الفقراء وأكابر الدُّنيا حوله، وتنشر الأعلام على رأسه، وتضرب الكاسات بين يديه، ويأمر النَّقيب أن ينادي أمامه من أراد القطب فعليه بالشَّاذليِّ.

وقال: أعطيت سجلّاً مدَّ البصر فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاً لهم من النَّار.

وقال: لولا لجام الشَّريعة على لساني لأخبرتكم بما يكون في غدٍ وبعد غدٍ إلى يوم القيامة.

وقال: قلت: يا ربِّ؛ لم سمَّيتني بالشَّاذليِّ ولست بشاذليٍّ؟ فقيل لي: يا علي؛ ما سمَّيتك بالشَّاذليِّ، إنَّما أنت الشَّاذُّ لي - بتشديد الذَّال المعجمة - يعني: المنفرد لخدمتي ومحبَّتي.

---

(١) في «المفاخر العلية» في الموضعين: (كرزبتي).

....

ومن كراماته: أنَّه لمَّا أتى من المغرب وكتبوا للسُّلطان في شأنه مكاتيب شنيعة، فخرج من الإسكندريَّة وذهب إلى السُّلطان واعتقده، فأرسلوا له ثانياً: إنَّه كيماويٌّ، فزال اعتقاده فيه ثانياً، واتَّفق أنَّ خازن داره فعل أمراً يوجب القتل، فخاف من السُّلطان وهرب إلى الشَّيخ بالإسكندريَّة، فحماه منه، فأرسل السُّلطان يغلظ عليه، ويقول: تتلف مماليكي، فقال: نحن ممَّن يصلح ما نحن ممَّن يفسد، ثمَّ أخرج المملوك من الخلوة، وقال: بُلْ على هذا الحجر، فبال عليه فانقلب الحجر ذهباً، وكان نحو خمس قناطير، فقال الشَّيخ: خذوا هذا للسُّلطان يضعه في بيت المال، فلمَّا وصل إليه رجع عمَّا كان فيه من الاعتقاد الفاسد، ثمَّ نزل لزيارته، وطلب من الشَّيخ المملوك ليبول له على ما يشاء من الحجارة، فقال الشَّيخ: الأصل في ذلك الإذن من الله تعالى، ولم يزل السُّلطان على اعتقاده، وعرض عليه الأموال والأرزاق، فأبى وقال: الَّذي يبول خادمه على الحجر فيصير ذهباً بإذن الله تعالى، لا يحتاج لأحد من الخلق.

ومنها: أنَّه تكلَّم مرَّة في الزُّهد، وكان في المجلس فقير عليه أثواب رثَّة، وكان على الشَّيخ أثواب حسان، فقال الفقير في نفسه: كيف يتكلَّم الشَّيخ في الزُّهد وعليه هذه الكسوة؟! أنا الزَّاهد في الدُّنيا، فالتفت إليه الشَّيخ وقال: ثيابك هذه ثياب الرَّغبة في الدُّنيا؛ لأنَّها تنادي عليك بلسان الفقر، وثيابنا تنادي بلسان الغنى والتَّعفُّف، فقام الفقير على رؤوس النَّاس وقال: أنا والله متكلِّم بهذا في سرِّي، وأستغفر الله وأتوب إليه، فكساه الشَّيخ كسوة جيِّدة ودلَّه على أستاذ يقال له: ابن الدَّهان، وقال له:

والقطب الرّبّانيُّ سيّدي محمَّدُ الخلوتي وأتباعه، والقطب الرّبّانيُّ سيّدي عبدُ الله النّقشبندي وأتباعه، فهؤلاء كلُّهم سادات الأمّة المحمَّديَّة رضي الله عنهم وعنّا بهم، آمين.

عطف الله عليك قلوب الأخيار، وبارك لك فيما آتاك وختم لك بخير.

ومناقبه وكراماته أفردت بالتَّأليف، توفي في شوَّال عام ستٍّ وخمسين وستِّ مئة، وكان عمره ثلاثاً وستِّين سنة، ودفن بحميرة ببرِّيَّة عيذاب في واد على طريقِ الصَّعيد رضي الله عنه وعنَّا به)[١].

قوله: (سيِّدي محمَّد الخلوتيُّ): قال المناويُّ في «الكواكب الدُّرِّيَّة في مناقب الصُّوفيَّة»: (هو ابن أحمد بن محمَّد كريم الدِّين الخلوتيُّ، ولد سنة ستٍّ وتسعين وثمان مئة، ونشأ في كنف الله[٢] حتَّى شبَّ وترعرع، فصار يميل إلى الخير، ويحضر مجالس الذِّكر، وينشد فيها كلام القوم، ورزق حسن الصَّوت وطيِّب النَّغمة، أخذ عن الشَّيخ دمرداش فأحبَّه وقرَّبه وشغله بالطَّريق، وأخلاه مراراً، وظهرت نجابته، وجدَّ واجتهد، واشتهر وتلقَّى عنه علم الأوفاق، والحرف والزَّايرجا، والرَّمل، فأتقن ذلك.

ولمَّا دنت وفاة الشَّيخ أجاز جماعته، واستخلف الشَّيخ حسن، ولم يتعرَّض له مع نجابته، فلزم الأدب وسكت، فلمَّا احتضر الشَّيخ قال لولده سيِّدي محمَّد: قصرنا في شأن الشَّيخ كريم الدِّين مع استحقاقه، وأُشهدكم

---

(١) المفاخر العلية (ص١٠-٤٩).

(٢) في «الطبقات» (في كنف أبيه).

فالشَّيخُ الذي يدلُّ على الله يجب أن يكون قد سلك على طريقة شيخ من مشايخ الطَّريق، وتعب وجاهد نفسه حتَّى تهذَّبت وزالت عنها الرُّعونات البشريَّةُ، وإلا فيجب اجتنابه، فإنَّ كثيراً من النَّاس من قلَّد إماماً من الأئمَّة الأربعة ﷺ، ولكنَّه في عقائده زاغ عن اعتقادهم، فلم يعتقد مُعتَقَدَ أهلِ السُّنَّة، وهم فِرَق شتّى قد ضلُّوا في عقائدهم

أنِّي أجزته فاكتبوا له، وأعطوه جبَّتي، فكتب له ولد الشَّيخ من الإجازة صدراً، فمات الشَّيخ فأكملها بعده، لكنَّه أعطى الجبَّة لغيره، فأخذها ولبسها فقتل، فدفعت للموصى له بها، فكان ذلك علامة تقدُّمه، فاجتمع عليه خلق كثيرون، وانتهت إليه الرِّياسة في طريق الخلوتيَّة، وعلا قدره وظهر أمره، ولمَّا كثرت جماعته تحوَّل إلى زاوية بالقرب من قنطرة سُنقر على الخليج، وكان هيِّناً، ليِّناً، متواضعاً للزَّائرين، مهاباً على السَّالكين.

أخلى مرَّة رجلاً فقال: يا سيِّدي؛ أدركت كلَّ ما يدرك بالقوى الحسَّاسة بذاتين حتَّى كأنِّي عين الاسم الَّذي أشتغل به من جميع جهاتي، فزجره زجرة مزعجة ارتعدت منها جوارحه، فزال ذلك منه.

وكان هو والعارف الشَّعرانيُّ في عصر واحد، يقصدان للزِّيارة والتَّسليك.

فلمَّا مات الشَّعرانيُّ: انفرد الخلوتيُّ بالوجاهة، وأقبل عليه الخاصُّ والعام، ولم يزل الشَّيخ مقيماً على الإرشاد، وأمره دائماً في ازدياد بحيث إنَّه إذا خرج من الشَّارع يكثر الزِّحام على تقبيل يديه ورجليه الكرام، وما برح كذلك حتَّى وافاه الحمام في جمادى الآخرة سنة ستٍّ وثمانين وتسع

كالقدرية وغيرهم.

ومن النَّاس من لم يرضَ بتقليد إمام من الأئمَّة الأربعة، ولا باعتقاد أهل السُّنَّة، وهم أضلُّ ممَّن قبلهم.

ومن النَّاس من يزعم أنَّه سالك طريق أهل الله تعالى، ....

مئة عن نحو تسعين سنة، وأغلقت البلد لمشهده، وحمل نعشه على الأصابع من زاويته إلى الجامع الأزهر، وصلِّي عليه فيه، واختلف جماعة في دفنه، فقال بعضهم: يدفن مع شيخه دمرداش، وقال آخرون: المصلحة دفنه في زاويته لتصير مقصودة بالزِّيارة، واستقرَّ الأمر على ذلك، فدفن بها وأسف النَّاس عليه جدّاً)[1].

ومناقبه وكراماته أشهر من أن تذكر ﷺ وعنَّا به.

[الفِرَق]

قوله: (كالقدريَّة): هم فرقتان؛ **الأولى**: تنكر تعلُّق علم الله بالأشياء قبل وجودها، وتقول: إنَّما يعلمها حال وقوعها، وهذه الفرقة انقرضت قبل ظهور الإمام الشَّافعيِّ، **وفرقة ثانية** تقول: الله يعلم الأشياء قبل وجودها غير أنَّ أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم استقلالاً؛ بسبب إقدار الله لهم، **والأولى**: كفَّار، **والثَّانية**: فسَّاق.

قوله: (وغيرهم): أي: كالفلاسفة والسُّمنية والمجسِّمة وباقي الفرق الاثنين وسبعين.

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٤٦١-٤٦٥).

فيتزيَّا بزيِّهم، ويتكلَّم بما يوهم النَّاس أنَّه منهم، والحالُ أنَّه بطَّال، يملأ بطنه من الطَّعام، سواء كان حلالاً أو حراماً، وليلَه من المنام، ويَثِب على الدُّنيا وُثوبَ السَّبُع على الفريسة، وربَّما جعل نفسه شيخاً، وله أتباع يصطادون له بشِرْك مشيخته قاذورات الحُطام الفاني، ويزعمون أنَّهم على شيء، أولئك هم الكاذبون، وقد أشار لهم العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله[1]: [من الطويل]

رَضُوا بالأمانيِّ وابتلوا بحظوظهم ... وخاضوا بحارَ الحبِّ دعوى فما ابتلُّوا

فهم في السّرى لم يَبرحوا من مكانهم ... وما ظَعَنوا في السَّير عنه وقد كَلُّوا

قوله: (فيتزيَّا بزيِّهم): أي: من لبس الخشن من اللِّباس ونحوه.

قوله: (ويثب على الدُّنيا): أي: يسرع وينكبُّ على تحصيلها.

قوله: (رضوا بالأماني): الضَّمير راجع للقوم المصرَّح بهم في قوله[1]: [من الطويل]

تعرَّض قومٌ للغرام وأعرضوا ... بجانبهم عن صحَّة فيه واعتلُّوا

والمراد بالأماني ما تمنَّوه لأنفسهم، ووقفوا عنده وهو التَّعرُّض للمشيخة من أجل تحصيل الدُّنيا.

قوله: (وقد كلُّوا): أي: تعبوا ولم يحصِّلوا شيئاً.

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص١٣٤).

(٢) البيت لابن الفارض في «ديوانه» (ص ١٣٤).

بل تأخَّروا ورجعوا القهقرى لأنَّهم تبعوا هوى أنفسهم، والشَّيطانُ يقودهم إلى كلِّ ما يحبُّه منهم كما قال[1]: [من الطويل]

وعن مذهبي لمّا استحبّوا العمى على الـ هدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا

حتَّى صار من أخلاقهم أنَّ من تصدَّق عليهم بصدقة، أو أكرمهم بكرامة اتخذوا ذلك عادة، وطالبوا بها من فعل معهم الإحسان حتى يُضيِّقوا عليه المسالك، ويقولون: أعطنا عادتنا وإلّا نتشوَّف عليك، فيوهمون النَّاس أنَّهم أرباب أحوال، وأنّ الله تعالى يصدِّقهم في المقال، كلّا ما هذه طريقة الفقراء أهلِ الله، إنَّما طريقتهم التَّواضع والانكسار وحبُّ الخمول والعِفَّةُ والزُّهد والورع والإيثار والتَّوكُّل، وأمَّا هؤلاء فهم أشرار النَّاس، يأكلون أموال النَّاس بالباطل، ويدَّعون المراتب العليَّة، وهم في الدَّركات السُّفليَّة، وقد كثروا في هذا الزَّمان

قوله: (وعن مذهبي): متعلِّق بقوله: (ضلُّوا).

وقوله: (لمَّا استحبُّوا): أي: حين أحبُّوا الفاني وآثروه على الباقي، وهو العمى.

وقوله: (على الهدى): أي: بدله.

وقوله: (حسداً): مفعول لأجله؛ أي: أحبُّوا الحظوظ المعجَّلة بدل الهدى من أجل حسدهم لأهل الطَّريق على أحوالهم ومراتبهم، فهم تزيَّوا بزيِّهم صورةً، ولم يعملوا مثل عملهم.

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص١٣٥).

حتى ملؤوا طباق الأرض في كلِّ قطر ومكان، نعوذ بالله منهم، قال أستاذنا السّيّد البكري في ألفيَّة التَّصوُّف[١]: [من الرجز]

وقد نما في ذا الزّمان شرُّهم حتَّى سما في النَّاس جدّاً ضرُّهم

ولم يكن لهم هنا من يردع من أجل ذا الدِّين الحنيفي ودعوا

ولما نظر أهل الله إلى كثرتهم، وكثرةِ فسادهم، واختلالِ عقائدهم، أغلقوا أبواب زوايا الإرشاد وفوَّضوا الأمر إلى ربِّ العباد، واختلفوا في النَّاس فلم يعرفهم إلا من خَصَّه الله بالأنوار الإلهيَّة والسَّعادة السَّرمديَّة، فعلى من تشوَّقت نفسه إلى سلوك طريق التَّجريد حتَّى يستغرق في بحار التَّوحيد ملازمةُ التَّقوى والالتجاءِ إلى الله والتَّوسُّلِ إليه برسوله عليه الصَّلاة والسَّلام في أن يجمعه على شيخ عارف يُربِّيه، ويخرجه من الظُّلمات النَّفسيَّةِ، ويُصفِّيه ويسقيه من خمر المحبَّة ويصافيه، فإذا علم الله صدقك أطلعك عليه، فإذا اجتمعت به فشدَّ يدك عليه، وكن كالميت بين يديه، وقل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ ثمّ خذ في الجِدِّ والابتهال، وجُد بنفسك لا بالمال كما قال[٢]: [من الطويل]

قوله: (وقد نما): أي: زاد وكثر.

قوله: (حتَّى سما): أي: علا وارتفع.

قوله: (من يردع): أي: يزجرهم ويردهم للصَّواب.

---

(١) الألفية الوفية (ص٣٥٥).

(٢) ديوان ابن الفارض (ص١٣٧).

فَنَافِسْ بِبَذْلِ النّفس فيها أخا الهوى فإن قَبِلَتْها منكَ يا حبَّذا البَذْلُ
ومَن لم يَجُد في حبِّ نُعمى بنفسه ولو جاد بالدُّنيا إليه انتهى البُخل

سادساً: الجوع:

السادس: الجوع اختياراً، بألا يأكل أكثر من أكلة خفيفة في يومه وليلته من الحلال، وهو ما جهل أصله، ولا يمكنه ذلك في ابتداء أمره إلّا بكثرة الصَّوم؛ فإنّه لجام السَّائرين.

قوله: (الجوع اختياراً): إنَّما طلب الجوع؛ لأنَّ به يحصل الذِّلُّ، ويتحلَّل من الأجزاء التُّرابيَّة والمائيَّة بقدر ما يكون، فيصفو القلب، ولأنَّ خواطر النَّفس لا تضعف إلَّا به.

قال بعض العارفين: (مفتاح الدُّنيا الشِّبع، ومفتاح الآخرة الجوع)[1].

وقال بعضهم: (الشِّبع نار، والشَّهوة مثل الحطب يتولَّد منه الإحراق، ولا تنطفئ ناره حتَّى تحرق صاحبها)[2].

وقال بعضهم: (من أراد أن يأكل في اليوم مرَّتين؛ فليبن له معلفاً، وفي الحديث: «**ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شرّاً من بطنه**»)[3].

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٩) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله.

(٢) أورده القشيري في «رسالته» (١/ ٢٧٢) من قول يحيى بن معاذ رحمه الله.

(٣) الحديث أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٧٤)، والترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٧٣٧) عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.

واعلم: أنَّ العدل ثمرة المأكول، فالأكل الحرام لا ينشأ عنه إلا أعمال خبيثة محرَّمة، والحلالُ الصّرف لا ينشأ عنه إلا الأعمال الصَّالحة، والمتشابه ينشأ عنه أعمال مختلطة لا تخلو عن الرّياء والعجب والخواطر الرّديّة.

سابعاً: العزلة:

السّابع: العزلة عن النَّاس قاطبةً إلا عن شيخه المربّي له، أو أخٍ صالح يعينه على الطَّاعة والهمَّة، وإلا لضرورة بيع أو شراء، إذ مخالطة النّاس تُكسب القلب ظلمة، لو فرض أنّها تخلو عن ارتكاب

قوله: (العزلة عن النَّاس قاطبة): أي: لما فيها من خيريِّ الدُّنيا والآخرة؛ لما ورد أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله؛ أيُّ النَّاس أفضل؟ قال: «**رجل يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله**»، قال: ثمَّ من؟ قال: «**رجل يعتزل في شعب من الشّعاب يعبد ربَّه**»[1].

وقال بعضهم: (من أراد أن يسلم له دينه، وأن يستريح بدنه، ويقلَّ غمُّه؛ فليعتزل النَّاس)[2].

وقال السَّكندريُّ في «حكمه»: (ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة)[3].

وفي الحديث: «**ليأتينَّ على النَّاس زمانٌ لا يسلم لذي دين دينه إلَّا من**

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨/ ١٢٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه القشيري في «رسالته» (١/ ٢٢٥) من قول الجنيد رحمه الله.
(٣) الحكم العطائية (ص ٢٦).

المحرَّمات، فكيف ولا يخلو مجلس عنها من غيبة ونميمة وغيرها؟! ولبعضهم[(١)]:

لقاءُ النّاس ليس يُفيدُ شيئاً ... سوى الهَذَيانِ من قيلٍ وقال
فأَقْلِلْ من لقاءِ النّاسِ إلّا ... لأخذِ العلمِ أو إصلاحِ حال

ثامناً: الصمت:

الثامن: الصَّمتُ إلّا عن ذكر الله تعالى؛ فإنَّ الكلام يوجب التَّفرُّقَ، والمطلوب الجمعية، وهذا على تقدير مخالطة النّاس لضرورة، وهذه مأخوذة من قولنا: (**وخلص القلب من الأغيار**) أي: ممّا سوى الله تعالى؛ من مال وزوجة وولد وجاه وعلم وعمل، وغيرها من كلِّ مشغل عن تعلُّق القلب بالرَّبِّ، (**بالجد**) - بكسر الجيم - أي: الاجتهاد؛ أي: بسببه قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[(٢)].

فرَّ بدينه من قرية إلى قرية، ومن شاهق إلى شاهق، ومن جحر إلى جحر؛ كالثَّعلب الَّذي يزوغ»[(٣)].

قوله: (الصَّمت): أي: لما ورد: «من سرَّه أن يسلم؛ فليلزم

---

(١) البيتان في «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٨٣) من قول الحافظ أبي عبد الله الحميدي المتوفى سنة (٤٨٨هـ).

(٢) سورة العنكبوت: (٦٩).

(٣) الحديث في «بغية الباحث» (٧٧٤)، و«حلية الأولياء» (٢/ ١١٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والمجاهدة تكون بمخالفة النَّفس في هواها مع الخوف من الله تعالى: بعد التوبة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(١)؛ أي: جنَّة الشُّهود في الدُّنيا، وجنَّة الخلود في العقبى.

إلَّا أنَّ شرط السَّير ألا يكون خائفاً من عذاب الله، وإلّا كان عبد سوء لا يعمل إلّا إذا خاف العقاب، بل يخافه إجلالاً ومهابة، ولذا قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾(٢) ولم يقل: عذاب ربه، فافهم.

الصَّمت»(٣)، وإنَّما آثر القوم السُّكوت لما علموا في الكلام من الآفات وحفظ النَّفس وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميَّز عن أشكاله بحسن النُّطق، وغير ذلك من آفات الكلام.

قوله: (ألا يكون خائفاً من عذاب الله): أي: ألا يقصر خوفه على العذاب، بل يجعل خوفه من جلال الله وهيبته، وصاحب هذا المقام لا ينقطع خوفه ولو تقطَّع إرباً إرباً في العبادة، وأمَّا الخائف من العذاب؛ فمداره على امتثال المأمورات، واجتناب المنهيَّات.

قوله: (فافهم): إنَّما أمر بالفهم؛ لدقَّة المقام وتغاير المشربين.

---

(١) سورة النازعات: (٤٠-٤١).

(٢) سورة الرحمن: (٤٦).

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣٦٠٧)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٣٤) عن أنس رضي الله عنه.

تاسعاً: القيام بالأسحار:

التاسع: السَّهَر، فلا ينام الثُّلث الأخير من اللَّيل للتَّهجُّد والاستغفار وذكر الله تعالى، وإليه أشار بقوله: (والقيام في الأسحار)

قوله: (والقيام في الأسحار): أي: لأنَّ نور المؤمن يوم القيامة يسعى بين يديه ومن خلفه؛ لما في الحديث: «**يحشر النَّاس في صعيد واحد يوم القيامة، فينادي مناد: أين الَّذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنَّة بغير حساب، ثمَّ يأمر لسائر النَّاس بالحساب**»[1].

وورد: «**عليكم بقيام اللَّيل؛ فإنَّه دأب الصَّالحين قبلكم، وقربة إلى ربِّكم، ومكفِّرة للسَّيِّئات، ومنهاة عن الآثام**»[2].

وورد: «**ما زال جبريل يوصيني بقيام اللَّيل حتَّى علمت أنَّ خيار أمَّتي لا ينامون**»[3].

قال بعض العارفين: (ينبغي لمن ثقل عليه قيام اللَّيل، وترادف عليه الكسل أن يفتش نفسه، فربَّما يكون ذلك من وقوعه في المعاصي الباطنة؛ كرياء، وعجب، وحقد، وحسد، وتكبُّر، وحبُّ محمدة، ودنيا، ونحو

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٧٤)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٠٨) عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (١١٣٥)، والترمذي (٣٥٤٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أورده الديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (٦٣٠٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وخصَّه بالذِّكر وإن دخل فيما قبله لمزيد الاعتناء به، وقد مدحهم الله تعالى في غير آية، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(١)].

وللذِّكر في ذلك الوقت تأثير أكثر منه في غيره.

عاشراً: التفكر في مخلوقات الله ودوام الذكر:

العاشر: التَّفكُّر في بديع صُنع الله لإدراك دقائق الحِكَم لتزداد علماً وحبّاً، والذِّكر قياماً وقعوداً واضطجاعاً على سبيل الدَّوام، وإليه أشار بقوله: **(والفكر والذكر على الدوام)**.

واعلم: أنَّ الذِّكر أعظم أركان الطَّريق؛ لأنَّ المقصود منها تخليص القلوب ممَّا سوى الله تعالى، وهو أعظمها في ذلك؛ لأنَّ كثرته توجب استيلاء المذكور على القلب، حتى لا يكون فيه سواه، بل جميعُ الأركان تنشأ عنه؛ لأنَّه يورث القلب نوراً ساطعاً، به يزهد بالدُّنيا التي حبُّها رأس كلِّ خطيئة، ولذا قالوا: من أُعطي الذِّكر ....

ذلك، فيبادر إلى التَّوبة من مثل ذلك، وإلى فعل المأمور المكفِّر للذُّنوب؛ فإنَّ الذُّنوب إذا كفِّرت عن العبد فقد طهرت ذاته، وما بقي لها مانع من الوقوف بين يدي ربِّها في تلك المواكب الشَّريفة، إلَّا عدم القسمة).

قوله: (الَّتي حبُّها رأس كلِّ خطيئة): أي: لما ورد: **«حب المال والشَّرف ينبتان النِّفاق في القلب، كما ينبت الماءُ البقلَ»**[(٢)].

---

(١) سورة الذاريات: (١٧-١٨).

(٢) أورده الغزالي في «الإحياء» (٦/ ١١٦).

فقد أُعطي منشور الولاية، فالمداومة عليه دليل ولاية المشتغل به.

ولكونه أعظم الأركان وقع الحثُّ عليه في القرآن المجيد أكثر من غيره من الأركان، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية[٢]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[٧]... إلى غير ذلك.

وقال بعضهم: (العبادة مع محبَّة الدُّنيا شغل قلب وتعب، فهي وإن كثرت قليلة، وإنَّما هي كثيرة في وهم صاحبها، وهي صورة بلا روح، ولهذا ترى كثيراً من أرباب الدُّنيا يصومون كثيراً ويصلُّون كثيراً، ويحجُّون كثيراً وليس لهم نور الزُّهاد ولا حلاوة العبادة)[٨].

قوله: (فقد أعطي منشور الولاية): أي: المرسوم من الله تعالى له،

---

(١) سورة البقرة: (١٥٢).

(٢) سورة آل عمران: (١٩١).

(٣) سورة الأنعام: (٩١).

(٤) سورة الأنفال: (٤٥).

(٥) سورة الشعراء: (٢٢٧).

(٦) سورة العنكبوت: (٤٥).

(٧) سورة الأحزاب: (٣٥).

(٨) أورده الشعراني في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٦٩) من قول أبي المواهب الشاذلي رحمه الله.

بيان نوعي الذكر

والذكر نوعان:

الأول: الذِّكرُ باللِّسان، وهو شأن أصحاب البدايات، فيجب عليهم موالاة الذّكر باللِّسان مع تكلُّف الحضور بالقلب، حتَّى يصير الحضور طبيعة له.

ولا يترك الذّكر لوجود الغفلة فيه، فلَرُبَّ ذِكْر مع غفلة يرفعه إلى الذِّكر مع الحضور، ولَرُبَّ ذِكْر مع الحضور، يرفعه إلى الذّكر مع الغيبة عمَّا سوى المذكور، فإذا غاب عمَّا سوى المذكور استغرق في

فمن وفِّق للذِّكر وأدامه؛ فقد أعطي المرسوم بأنَّه وليُّ الله تعالى، ومن سلب ذلك؛ فقد عُزل عن الولاية، ولله المثل الأعلى؛ كمراسيم ملوك الدُّنيا بالوظائف.

قوله: (ولا يترك الذِّكر لوجود الغفلة فيه. . .إلخ): في كلامه إشارة لقول صاحب «الحكم»: (لا تترك الذِّكر لعدم حضورك مع الله تعالى فيه؛ لأنَّ غفلتك عن وجود ذكره أشدُّ من غفلتك مع وجود ذكره، وعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عمَّا سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز)[١].

---

(١) الحكم العطائية (ص ٣٢).

عين بحر الوحدة، فيصير القلب حينئذ بيتَ الرَّبِّ تعالى، فينشأ عنه الذّكر من غير قصد ولا تدبُّر لامتزاجه بروحه وجسمه.

وأنواعُ الذّكر اللّساني كثيرة؛ منها: التَّسبيحُ والتَّكبيرُ وتلاوةُ القرآن وغير ذلك، وأسرعُها إجابة للمبتدئ (لا إله إلّا الله) مفردة عن (محمّد رسول الله) على التَّحقيق فيما عدا الختم، فإذا أراد الختمَ خَتَم بها، وفي بعض الطُّرُق الشَّاذليَّة أنَّه يذكرها على رأس كلِّ مئة، هذا إذا ذكر وحده، أما إذا ذكر مع جماعة؛ فلا يذكرها إلا عند الختم مع إخوانه، ولهذا درج أرباب الطُّرُق المحمَّديَّة على الاقتصار عليها، فإذا كمل السَّالك فالأفضل له أن يضمَّ معها (محمد رسول الله)، والأفضل حينئذ الاشتغال بتلاوة القرآن ليتخلَّق به وتُفاض عليه العلوم اللَّدنِّيَّة من أسراره، فإن لم يكن يحفظ القرآن اشتغل بسماعه ممَّن يقرؤه وإن كان القارئ صاحب غفلة، ويكون الأمر على حدِّ قول العارف بالله تعالى سيّدي عمر ابن الفارض رضي الله عنه[1]: [من الكامل]

قوله: (فلا يذكرها إلَّا عند الختم مع إخوانه): أي: باتِّفاق الخلوتيَّة والشَّاذليَّة.

قوله: (الاشتغال بتلاوة القرآن): أي: لأنَّ قلبه صار بيت الرَّبِّ، فيفيض عليه الأسرار والأنوار.

قوله: (على حدِّ قول العارف. . .إلخ): أي: على مثاله.

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص١٥٤).

يا أخت سعد من حبيبي جئتني … برسالة أديتها بتلطف
فسمعتُ ما لم تسمعي ونظرت ما … لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي

النوع الثاني: الذِّكرُ القلبي، وهو شأن أرباب النّهايات، ومنه الفِكْر في بدائع المصنوعات، وأعظمُها المراقبة الآتي بيانها.

وبعضهم يَعدُّ الأصول أكثر من ذلك، وبعضهم يعدُّها أقلَّ، وفي الحقيقة كلُّها أمور لا بدَّ منها، وعُمدتُها الذّكر والصِّدق في التَّوجُّه بمخالفة النَّفْس في شهواتها، ومقاساة الصَّبر على يد شيخ كامل.

(مجتنباً) حال من فاعل **(خلّص)** **(لسائر)** أي: لجميع **(الآثام)** كبائرها وصغائرها، ظاهرها؛ كالقتل والزّنا وشرب الخمر وأكل الحرام والغيبة والنَّميمة والنَّظر إلى محرَّم وغير ذلك، وباطنها؛ كالحسد والحقد والغرور والرّياء والعجب والكبر والبخل والنّفاق وحبِّ الجاه والرّياسة.

قوله: (ومنه الفكر): أي: من الذِّكر بالقلب، وهو أفضل الأذكار، قال الشَّاذليُّ رضي الله عنه: (ذرَّة من أعمال القلوب.. خير من مثاقيل الجبال من أعمال الأبدان)[1].

قوله: (وبعضهم يعدُّها أقلَّ): أي: من العشرة المذكورة، فبعضهم يعدُّها ستَّة؛ الجوع، والسَّهر، والعزلة، والصَّمت، ودوام الذِّكر، والشَّيخ، وبعضهم يعدُّها أربعاً ما عدا الذِّكر والشَّيخ، ولكلٍّ وجهة.

قوله: (وعمدتها الذِّكر): أي: أعظم أركانها.

---

(١) القول في «قوت القلوب» (٢/ ٣٨) بدون نسبة.

المراقبة وآثارها

(مراقباً لله في الأحوال) أي: في جميع أحوالك، فإنَّك بالمراقبة ترتقي إلى المشاهدة، وبالمشاهدة ترتقي إلى المعاينة.

والمراقبة: ملاحظة الحقِّ تعالى عند كلِّ شيء، مثلاً إذا لاحظْتَه حالَ قصد النَّفسِ الوقوعَ في المعصية وجدته تعالى مطَّلعاً عليك، فترجع عنها حياء منه، وإذا لاحظْتَه حالَ أكلك وجدتَه تعالى هو الذي ساق إليك ذلك الطَّعامَ من غير حول منك ولا قوّة لك، ثمَّ وجدتَه حرَّك يدك إلى تناوله، وجعل فيك القدرة على رفعه لفمك، ثمَّ حرَّك فمك وأجرى فيه الرِّيق، ثمَّ خلق فيك قوَّة اللَّذَّة فساقه إلى المعدة، ثمَّ رتَّبَ على ذلك قوَّة في جسمك وربَّاك، فجعل منه للَّحم نصيباً وللعظم نصيباً وللعصب نصيباً، وما فضل ممَّا لا منفعة فيه أخرجه، فتعلم بذلك أنَّه لا فاعل سواه، فإذا قوي هذا المعنى فيك سُمِّي وحدة الأفعال، وصِرْتَ مشاهداً لله في كلِّ شيء.

فإذا قويت هذه المشاهدة حتَّى غِبتَ عمَّا سوى الله سُمِّيت معاينة ووحدة الذَّات، فإذا زاد التَّمكين شاهدت بعد ذلك أنَّه خالق لعبده وما

قوله: (أي: في جميع): أشار بذلك إلى (أل) في الأحوال للاستغراق.

قوله: (وصرت مشاهداً): المناسب أن يقول: مراقباً.

وقوله: (فإذا قويت هذه المشاهدة): المناسب: المراقبة.

عَمِل، وهذا معنى قولهم: (مشاهدة الله قبل كلِّ شيء)، وهذه أمور ذوقية من وراء طور العقل، لا يعرفها إلّا أهلُ العنايات والنُّفوس القدسيَّة ﵃ وعنَّا بهم.

ومن آداب هذه الطَّائفة التي يحصل بها الكمال:

١ - ملازمة الطَّهارة والنَّوم عليها.

٢ - وعدم كشف العورة المغلَّظة في الخلوات حياءً من الله ومن الملائكة.

٣ - **ومنها**: توقير الكبير، والشَّفقةُ على الصَّغير والأرامل والمساكين، بل على جميع الخلق.

٤ - **ومنها**: الأدب مع أهلِ العلم، خصوصاً خَدَمة الشَّريعة ومشايخ الطَّريق؛ فإنَّهم ورثة الأنبياء.

٥ - **ومنها**: ألا يزور أحداً من الصَّالحين ما دام تحت التَّربية قبل

[آداب طريق القوم]

قوله: (ومن آداب هذه الطَّائفة): شروع منه في ذكر بعض آداب طريق القوم، وتقدَّم لنا ذكرها مفصَّلة[١].

قوله: (والنَّوم عليها): أي: على الطَّهارة ولو وضوء جنب.

قوله: (ألا يزور أحداً من الصَّالحين): أي: حيّاً أو ميّتاً إلَّا بإذنه.

---

(١) انظر (ص٤٠٦).

الكمال، خوفاً من أن يرى كرامة أو خُلُقاً في أحدهم لم يره في شيخه، فيعتقد في شيخه النَّقص فَيُحرم مدده.

٦ - **ومنها**: سوء الظَّنِّ بنفسه وحسنُه بغيرِه، حتَّى يرى أنَّ كلَّ أحد أحسن منه حالاً.

٧ - **ومنها**: ألا ينتصرَ لنفسهِ في أمر.

٨ - **ومنها**: أنْ يرى عبادته دائماً قد دخلها الخللُ مِنَ الرِّياء والخواطر الرَّديَّة، ومثلُها يستحقُ عليها العقاب لولا مسامحةُ الله تعالى له فيستغفر من عبادته ومن استغفاره.

٩ - **ومنها**: ألا يتكلَّم بكلام العارفين من الفرق والجمع، والبقاء والفناء ما لم يكمل، على أنَّ الأولى للكاملِ تركُ ذلك إلَّا لحاجةٍ تقتضي ذلك.

١٠ - **ومنها**: محاسبةُ النَّفس على ما ارتكبتهُ منَ المحرماتِ والمكروهاتِ وفضولِ المباحاتِ، وعلى ما وقع في نفسهِ من الخَواطرِ النَّفسانيةِ والشَّيطانيَّة والاستغفار منها.

والفرقُ بين الخاطرِ النَّفساني والشَّيطاني:

- **أنَّ الأولَ**: يكونُ بإلحاحٍ على المعصية أو الشهوة؛ كالطفل الذي يلحُّ على أمِّه حتَّى تعطيه ما يريد، فيجب قمعها عن ذلك بملازمة الذِّكر وبيانِ عاقبة هذا الأمر والتَّوجه إلى الشيخِ.

قوله: (إلَّا لحاجة تقتضي ذلك): أي: كالتَّعليم.

قوله: (والفرق بين خاطر النَّفسانيِّ...إلخ): الَّذي ذكره غيره أنَّ

- **والثَّاني**: يكونُ من غير إلحاح، بل يأمرُ بالمعصيةِ ويزيِّنُها، فإن طاوعه الشَّخص وإلَّا انتقلَ لآخر؛ لأنَّ قَصْدَه الغِواية على أيّ حالة تكون، لا معصية بخصوصها.

وأما الفرقُ بينَ الخاطرِ الرَّباني والخاطر الملكي:

- **أنَّ الأول**: ما فيه تنبيهٌ على الخير من غير حثٍّ، ولا يؤدي إلى حيرة.

- **والثَّاني**: ما فيه حثٌّ على الطاعة.

١١ - **ومنها**: مدحُ أعدائه، وعدمُ التكدُّر من ذكرهم، والدُّعاءُ لهم بالمغفرةِ والتوفيق.

١٢ - **ومنها**: الدُّعاء لعصاة المؤمنين كذلك.

١٣ - **ومنها**: مطالعة كتب القوم ليتعلَّم منها الأدب، ويعرف منها حال أهل الله تعالى، فبالآداب ترتقي إلى مقام الأحباب، أنشدنا شيخنا:

الخاطر **النَّفسانيِّ**: ما يلزم معصية بعينها، **والشَّيطانيِّ**: ما يلزم معصية لا بعينها، **والرَّحمانيِّ**: ما يلزم طاعة بعينها، **والملكيِّ**: ما يلزم طاعة لا بعينها.

قوله: (ومنها: مدح أعدائه): فيجاهد نفسه على ذلك حتَّى يتخلَّق به، كما قال بعض العارفين[1]: [من الكامل]

---

(١) البيت لشهاب الدين السهروردي في «ديوانه» (ص ٦٢).

ما وهب الله لامرئ هبه ... أحسن من عقله وأدبه

هما حياة الفتى فإن عُدما ... فإن فَقْدَ الحياة أجملُ به

فإذا جاهدتَ النَّفس بما مرَّ هان عليها - إن شاء الله تعالى - الخُلوصُ من ظلمة الأغيار، وتبدَّلت صفاتها المذمومة بالصِّفات الممدوحة، فيخلع الحقُّ تبارك وتعالى عليك خِلَع الأخلاق المحمدية من الحلم والعلم، والشَّفقة والرَّأفة والخضوع، والزُّهد والورع والسَّخاء، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، كما أشرت إلى ذلك بقولي:

(لترتقي معالم الكمال) أي: إلى معالم هي الكمالات، وهي الأخلاق المحمدية، وحينئذ يكون هذا العبد خليفة الله في أرضه.

وعلامةُ زوال الرُّعونات البشريَّة من القلب، والتَّحلي بالأخلاق المرضية: أن يستوي عنده المدحُ والذَّمُّ، والمَنْع والإعطاء، وإقبالُ النَّاس عليه وإدبارهم، بل يُرجِّح الذَّمَّ والمنعَ والإدبارَ على مقابلها.

دعاء

(وقُلْ) متضرِّعاً إلى ربِّك قولاً ملتبساً ....

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إنَّ التَّشبُّه بالرِّجال فلاح

قوله: (بل يرجِّح الذَّمَّ والمنع... إلخ): قال صاحب الحكمة في هذا المعنى: (ورود الفاقات أعياد المريدين)[1].

قوله: (متضرِّعاً): حال من فاعل (قل).

---

(١) الحكم العطائية (ص ٣٨).

(بذلٍّ)، فإنَّ الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم: يا (ربِّ؛ **لا تقطعني عنك بقاطع**) من كلِّ فتنة يشتغل القلب بها عن العبودية، من حبِّ المال والولد والجاه والشَّهوات ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[١]، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ...﴾ الآيـــة[٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٣].

قوله: (بذل): جعله الشَّارح متعلِّقاً بمحذوف صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لـ(قل)، والباء للملابسة وفيه كلفة، والأسهل جعل الجار والمجرور متعلِّقاً بمحذوف حالاً من فاعل (قل)، والتَّقدير: قل: يا ربِّ؛ لا تقطعني. . .إلخ، حال كونك ملتبساً بالذُّلِّ.

قوله: (فإنَّ الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم): تعليل لما قبله، وفيه اقتباس من الحديث القدسيِّ: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[٤].

قوله: (من كلِّ فتنة): بيان للقاطع.

وقوله: (من حبِّ المال. . .إلخ): بيان للفتنة.

قوله: (﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾ إلخ): هذه أدلَّة ثلاثة على ما ذكره من أنَّ حبَّ المال والولد والشَّهوات من جملة القواطع.

---

(١) سورة التغابن: (١٥).

(٢) سورة آل عمران: (١٤).

(٣) سورة المنافقون: (٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣١).

ومن القواطع: الكِبْرُ والحقد والرِّياء والعُجْب، ومنها: العبادة لأجل حصول ثواب، أو حصول فَتْح لَدُنِّي ليكون من أولياء الله، وإنَّما شأنهم أن يعبدوا الله تعالى لذاته وامتثالاً لأمره ونهيه، ثمَّ إن حصل لهم فتحٌ فذلك من فضله، وإن حُجِبوا فذلك من عَدْله، إذ ليس للعبد على مولاه حقٌّ، وإنَّما الحقُّ له تعالى على العبد، فالعبدُ مطلوب بأن يخلِّص نفسه من الرُّعونات النَّفسيَّة، وليس على الله تعالى أن يهبه المعارف القدسيَّة، والذي يعبده لذلك معدود عندهم من عبيد السُّوء

قوله: (ومنها: العبادة. . .إلخ): أي: من جملة القواطع عن الله تعالى.

قوله: (وإنَّما شأنهم أن يعبدوا الله تعالى لذاته): أي: لكونه مستحقّاً وأهلاً للعبادة، ورد في مناجاة داود عليه السلام: «يا داود؛ إن لم أخلق جنَّة ولا ناراً، أفلا أستحقُّ أن أُعبد؟»[1].

قوله: (إذ ليس للعبد على مولاه حقٌّ): أي: وأمَّا قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2]؛ فمعناه على سبيل التَّفضُّل والإحسان.

قوله: (من عبيد السُّوء): ليس المراد أنَّ ذلك حرام يعاقب عليه، بل المراد أنَّ ذلك انحطاط عن المراتب العليَّة.

---

(١) ينظر «قوت القلوب» (٢/ ٩٢).

(٢) سورة الأنعام: (٥٤).

الذين إذا لم يؤجروا لم يعملوا، وهذا ينافي كونه عبداً محضاً، قال العارف بالله تعالى ابن عطاء الله السكندري في «الحِكَم» (تشوُّفُك إلى ما بطن فيك من العيوب خيرٌ من تشوُّفك إلى ما حجب عنك من الغيوب)[١].

لا يقال: إذا كانت العبادة من أجل الفتح من القواطع، فكيف يصحُّ أن تأمره بطلبه بقولك: (**وقل بذلٍّ ربِّ لا تقطعني * عنك بقاطع**).

لأنَّا نقول: طلبُ الفتح من فيض فضل الله تعالى لا في مقابلة شيء لكن مع الاستقامة أمرٌ مطلوب شرعاً، كطلبك منه سعةَ الرِّزق وصحَّةَ البدن والشِّفاء من الأمراض الحسيَّة، ألا ترى أنَّه أوجب عليك طلبَ الهداية في كلِّ يوم وليلة سبعة عشرة مرَّة في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[٢]، وطلب منك ندباً غير ذلك في النَّوافل كثيراً بلا

قوله: (تشوُّفك إلى ما بطن فيك من العيوب): أي: تطلُّعك وقصر نظرك على عيوبك واشتغالك بها وتخليص نفسك منها.

قوله: (خير من تشوفُّك إلى ما حجب عنك): أي: أفضل من تطلُّعك إلى ما ستر عنك من المغيَّبات؛ لأنَّه تعالى لا يجب عليه شيء لعبيده.

قوله: (لا يقال.. إلخ): عبَّر بذلك؛ إشارة لضعف هذا التَّوهُّم وبعده.

---

(١) الحكم العطائية (ص٤٠).

(٢) سورة الفاتحة: (٦).

حدّ، وهذا غير العبادة لأجل حصول شيء؛ فإنَّها ليست طريقة المقرَّبين، فافهم.

(و) قل بذلٍّ: يا رب **(لا تحرمني)** - بفتح التاء - من حرم، أو بضمِّها من أحرم، بمعنى منع؛ أي: لا تمنعني **(من)** إعطاء **(سرِّك)**، المراد به: النُّور الإلهي الذي يفرِّق به العبد بين الحقِّ والباطل في نفس الأمر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[1]؛ أي: نوراً في قلوبكم تميِّزون به بين الحقِّ والباطل على ما هو عليه في نفس الأمر.

(الأبهى) أي: الأنور من كلِّ نور، **فإنَّ علم اليقين** - وهو معرفة الأشياء بالبرهان - نورٌ، وأنور منه **حقُّ اليقين** - وهو معرفتها

قوله: (وهذا): أي: الطَّلب المذكور.

قوله: (فافهم): أي: الفرق بين الطَّلب والعبادة، فطلب المراتب من الله تعالى غير مذموم، والمذموم العبادة لذلك.

قوله: (بمعنى منع): تفسير لكلٍّ من اللُّغتين.

قوله: (فإنَّ علم اليقين. . .إلخ): حاصل ما ذكره أنَّ الأمور ثلاثة: علم يقين، وعين يقين، وحقُّ يقين، وكلُّها مذكورة في القرآن، أمَّا **الأوَّل**: فقال الله فيه: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال: (٢٩).

(٢) سورة التكاثر: (٥-٦).

بالمشاهدة من غير مخالطة وممازجة - وأنور منه **عين اليقين** - وهو معرفتها بالمخالطة والممازجة، فليس من استدلَّ على وجود نار برؤية الدُّخان كمن شاهدها على بُعْد، وليس من شاهدها كمن خالطها وعلم وقودها وما هي عليه.

(المزيل للعمى) يعني: الجهل، وفي كلامه إشارة إلى أنَّ الدُّعاء ينفع، وهو ممَّا لا شكَّ فيه عند أهل الحقِّ، والقرآنُ العظيم مشحون به، وهو في السُّنَّة أكثر من أن يُحصى، خلافاً للمعتزلة ويجب ألا

والثَّاني: قال الله فيه: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾[1].

والثَّالث: قال الله فيه: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[2].

قوله: (فليس من استدلَّ على وجود نار. . .إلخ): لفٌّ ونشر مرتَّب.

قوله: (يعني: الجهل): أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالعمى المعنويِّ؛ وهو انطماس البصيرة.

قوله: (إلى أنَّ الدعاء ينفع): أي: ممَّا نزل وممَّا لم ينزل.

قوله: (عند أهل الحقِّ): أي: وهم أهل السُّنَّة والجماعة.

قوله: (خلافاً للمعتزلة): أي: حيث قالوا بعدم جواز الدُّعاء؛ محتجِّين بأنَّ ما قدَّره الله يكون فلا حاجة للدُّعاء، ويفسِّرون الدُّعاء المذكور في

---

(١) سورة التكاثر: (٧).

(٢) سورة الواقعة: (٩٣-٩٥).

يكون بممتنع عقلاً، أو شرعاً، أو عادة.

وينبغي أن يكون مصاحباً للذُّلِّ والانكسار، وأن يكون في الأوقات الشَّريفة كالأسحار وعقب الصَّلوات.

وألا يكون فيه تحجيرٌ على الله تعالى، كأن يسأل قضاء حاجة بخصوصها في هذا الوقت بعينه مثلاً، ما لم يشتدَّ الكرب؛ كالخلاص من ظالم مثلاً.

ثمَّ إنَّ الدُّعاء في ذاته هو مخُّ العبادة؛ لأنَّ فيه إظهارَ الفقر والفاقة إلى الله تعالى، وإنَّ الله هو الغنيُّ القادر على كلِّ شيء، وإن لم تحصل استجابة.

وعدمُ حصول الإجابة إمَّا لتخلُّف شرط، وإمَّا لعلم الله أنَّ عدم

الآيات بالعبادة.

قوله: (بممتنع عقلاً): أي: كالجمع بين الضِّدِّين.

وقوله: (أو شرعاً): أي: كالدُّعاء بأنَّ الله يأتيه بمحرَّم؛ كالخمر ونحوه.

وقوله: (أو عادة): أي: كصعود للسَّماء مثلاً.

قوله: (وعدم حصول إجابة): أي: بعين المطلوب.

قوله: (إمَّا لتخلُّف شرط): أي: من شروط الإجابة بعين المطلوب إذ هي كثيرة؛ منها: أكل الحلال، والثِّقة بالله.

وله آداب؛ منها: الوضوء، واستقبال القبلة، ورفع الأيدي، وتخليله

الإجابة خير له، أو غير ذلك.

(و) قل بذل: يا رب (**اختم**) لنا أعمالنا وأحوالنا وأعمارنا (**بخير**) حتَّى لا تقبضنا إليك إلا على أتمِّ حالات التَّوحيد، على شوق إليك، ورغبة فيك، واقبض أرواحنا بيدك، وبدِّل سيئاتنا حسنات، وخُذْ بأيدينا عند العثرات، ربَّنا آمنا بما أنزلت واتَّبعنا الرسولَ فاكتبنا مع الشَّاهدين.

(**يا رحيم**) أي: يا أرحم (**الرُّحما**) فيه إشارة وتلميح إلى قوله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

بالصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ، وختمه بها، وأعظمها حضور القلب لما في الحديث: «**إنَّ الله لا يقبل دعاء من قلب لاهي**»[1].

قوله: (واقبض أرواحنا بيدك): أي: بحيث لا نشاهد ملكاً يقبضها.

قوله: (عند العثرات): أي: عند حصول المشاقِّ والمتاعب.

قوله: (فيه إشارة وتلميح. . .إلخ): وفيه إشارة أيضاً إلى حديث: «**إذا قال العبد: يا أرحم الراحمين، قال الله له: أنا أرحم الراحمين أقبل عليك فسل**»[2].

قوله: («يرحمكم من في السَّماء»)[3]: يحتمل أنَّ (من) واقعة على

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٧٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٧٨) عن منصور بن صفية رحمه الله.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ولا يخفى ما في الكلام من حسن الاختتام، هذا وأقول متمثلاً بقول صاحب البردة[١]:

أستغفر الله من قول بلا عمل ... لقد نُسبت به نسلا لذي عقم

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ... وما استقمت فما قولي لك استقم

نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع، ومن الطَّمع في غير مطمع، وَجَّهْنا إليك مطايا الآمال فلا تحرمنا لذَّة الوِصال، واحمِلنا

الملائكة وهو ظاهر، ويحتمل وقوعه على الله تعالى، وحينئذ فالمعنى: من في السَّماء أمره وسلطانه.

قوله: (من حسن الاختتام): أي: حيث قال: واختم بخير يا أرحم الرُّحما.

قوله: (هذا): مفعول لمحذوف، والتَّقدير: افهم هذا الَّذي ذكرته لك.

قوله: (صاحب البردة): هو العلَّامة شرف الدِّين البوصيريُّ.

قوله: (لقد نسبت به): أي: بذلك القول الخالي من العمل.

قوله: (لذي عقم): أي: لشخص متَّصف بالعقم، وهو عدم النَّسل.

قوله: (أمرتك الخير): منصوب على نزع الخافض؛ أي: بالخير.

قوله: (فما قولي لك استقم): استفهام إنكاريٌّ توبيخيٌّ.

قوله: (مطايا الآمال): من إضافة المشبَّه به للمشبَّه؛ أي: الآمال

---

(١) البردة (ص ٨).

على مطايا التَّوفيق، واسلُك بنا أنفع طريق، إنَّك أنت الجواد الكريم، الرَّؤوف الرَّحيم.

الشَّبيهة بالمطايا، وكذا قوله: (مطايا التَّوفيق).

قوله: (أنفع طريق): من إضافة الصِّفة للموصوف.

خاتمة المؤلف

ولمَّا كان تأليفُ هذا الكتاب، والإقدارُ عليه من نِعَم الله تعالى، وكان شكرُ المُنعِم واجباً، ختم كتابه بحمد الله تعالى بقوله: **(والحمد لله على الإتمام)** لهذا الكتاب.

ولما كانت كلُّ نعمة وصلت إلينا، ولا سيَّما نعمة علم التَّوحيد، فهي بواسطته عليه الصَّلاة والسَّلام، وجب عليه أن يصلي عليه ﷺ بقوله: **(وأفضل الصَّلاة والسَّلام)** أي: وأعظم أنواع النِّعم والتَّحيَّة من ربّ البريَّة، **(على النَّبيِّ)** أي: المخبر عن الله تعالى بطلب التَّوحيد وعبادة الواحد والعدل في جميع الأمور، وبما يؤول إليه عاقبة أمر الممتثل،

قوله: (من نعم الله): الجار والمجرور متعلِّق بمحذوف خبر كان، والتَّقدير: كائناً وحاصلاً، والنِّعم جمع نعمة، وهي كلُّ ملائم تحمد عاقبته شرعاً.

قوله: (ختم كتابه): جواب لـ(ما).

قوله: (على الإتمام): اختار الحمد على الفعل؛ لأنَّه حمد بلا واسطة بخلافه على النِّعمة.

قوله: (وجب): أي: تأكَّد.

قوله: (والعدل في جميع الأمور): أي: التَّوسُّط فيها.

قوله: (وعاقبة أمر الممتثل): أي: بالبشارة.

وعاقبة أمر المخالف (**الهاشمي**) نسبة لهاشم جدِّ أبيه عليه الصلاة والسلام، (**الخاتم**) أي: المتمِّم للأنبياء والمرسلين.

(و) على (آله) أي: أتباعه (و) على (**صحبه**) عطف خاص على عام، (**الأكارم**) جمع أكرم، فقد جادوا بأنفسهم في نُصرة الله ورسوله مع ما اشتملوا عليه من الأخلاق الحسنة والرَّأفة والرَّحمة ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾[1]، ....

وقوله: (وعاقبة أمر المخالف): أي: بالنذارة.

قوله: (جدُّ أبيه): أي: لأنَّه ﷺ محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدِّ بن عدنان.

قوله: (أي: المتمِّم للأنبياء والمرسلين): أي: في الزَّمان والشَّرف.

قوله: (أي: أتباعه): أي: في الإيمان، فيشمل كلَّ مؤمن ولو عاصياً.

قوله: (الأكارم): وصف للصَّحب بدليل تفريع الشَّارح.

قوله: (﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ...﴾ إلخ): استدلال على ما قبله.

---

(١) سورة الفتح: (٢٩).

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] رضي الله عنهم وعنا بهم آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أنهاه مؤلِّفه عفا الله عنه في شهر جمادى الأولى، سنة سبع وسبعين ومئة وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

قوله: (رضي الله عنهم وعنا بهم): (عن) في كلٍّ بمعنى المجاوزة، والمعنى: جاوز غضبه عنهم وعنَّا؛ بسبب حبِّهم والاقتداء بهم.

قوله: (﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾): ختم كتابه بما ختم الله به سورة (الصَّافَّات) اقتداء وتبرُّكاً.

---

(١) سورة الحَشر: (٩).

وقد تمَّ هذا التَّعليق المبارك يوم الأربعاء المبارك لأربع بقين من شهر رمضان سنة ألف ومئتين وثمان وعشرين من هجرته عليه الصَّلاة والسَّلام تجاه مقام سيِّدنا الحسين رضي الله عنه وعنَّا به، وختم لنا بالسَّعادة الكاملة والرَّحمة الشَّاملة، آمين.

خواتيم النسخ

خاتمة المخطوط:

وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد المكمل عشرين يوماً خلت من شهر شعبان المبارك، الذي هو من شهور سنة خمسة وأربعين ومئتين وألف من هجرته ﷺ، على يد العبد الفقير الحقير محمد عنبر بن مصطفى عنبر الرشيدي المالكي، غفر الله له وللمسلمين أجمعين، آمين.

خاتمة المطبوع:

بحمد الله قد تم طبع «حاشية الشيخ أحمد الصاوي على شرح الخريدة» للقطب الكامل والغوث الواصل أبي البركات الشيخ أحمد الدرديري.

القاهرة في يوم الخميس (٢) رجب سنة (١٣٦٦هـ) (٢٢) مايو سنة (١٩٤٧هـ).

مصححاً بمعرفة أحمد سعد علي، أحد علماء الأزهر الشريف ورئيس التصحيح.

خاتمة نسخة المتن:

وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة المشرفة المقبولة بفضل الله يوم السبت آخر يوم من شهر ربيع الأول الذي هو من شهور سنة ألف ومئتين وسبعين على يد الفقير الحقير حسنين الفيومي المنشاوي بلداً، المالكي مذهباً، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، آمين.

فوائد ذكرت في آخر المخطوط

كم حاربتني شدة بجيشها فضاق صدر من لقاها وانزعج
فلما أن آيست من زوالها جاءتني البشائر تسع بالفرج

ومن وصايا سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا علي رضي الله عنه، قال له عند مذاكرة الإمامة له في علامات يعرف بها الفرق بين الصالح والطالح، وبين العالم والجاهل، قال له: اكظم الغيظ يملأ الله قلبك نوراً، وصدرك علماً وحلماً ورحمة، واستر عيوب الناس يستر الله عيبك، ولا تعاير أحداً بما فيه، فيبتليك الله ويعافيه.

جالس الفقراء؛ فإن رحمة الله لا تفارقهم.

مجالسة الأغنياء تميت القلب، وتنسي الموت والقبر، ومجالسة الفقراء تحيي القلب، وتذكر ما عند الله من الفضل.

للسعيد ثلاث علامات: قول الحق ولو على نفسه، والرغبة في طاعة الله تعالى، والفرار عن معصيته.

وللشقي ثلاث علامات: جمود العين، وقسوة القلب، وحب الدنيا.

وللعارف أربع علامات: لا يفرح بالغنى، ولا يخاف الفقر، ولا يهتم بالرزق، ولا يحرص على الدنيا.

وللجاهل أربع علامات: ينازع من فوقه في العلم، وينكر على من دونه في العلم، ويذكر عيوب الناس، وييئس من معاشرة أهله وولده.

سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه عن واجب وأوجب منه، وعجيب

وأعجب منه، وصعب وأصعب منه، وقريب وأقرب منه.

فأجاب بقوله: **واجب** على الناس أن يتوبوا، لكن ترك الذنوب **أوجب**، والدهر في نفسه **عجيب**، وغفلة الناس عنه **أعجب**، والصبر على النائبات **صعب**، لكن ترك الثوب **أصعب**، وكلما يُرتجَى **قريب**، والموت من كل ذا الشر **أقرب**.

لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أكثر من العقل، ولا ورع أحسن من الكف عن محارم الله، ولا معيشة أهنأ من العافية، ولا حسن أعظم من البر وحسن الخلق، ولا سيئة أشد من الحدة وسوء الخلق، ولا عبادة كالتفكر في مصنوعات الله تعالى، وترك الشكوى بالمصائب لخلق الله تعالى. اهـ.

أهم المراجع المطبوعة والمخطوطة

▪ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للإمام العلامة أبي الفيض محمد بن محمد الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، ط١، (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م)، مؤسسة التاريخ العربي، تصوير دار الفكر، بيروت، لبنان.

▪ إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، للعلامة عبد السلام بن إبراهيم اللقاني (ت١٠٧٨هـ)، ومعه «النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد» للعلامة محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، مكتبة دار الفلاح، حلب، سورية.

▪ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للإمام العلامة أبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط١، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

▪ إحياء علوم الدين، للإمام حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بدار المنهاج، ط١، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

▪ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين العلامة أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي (ت٤٧٨هـ)، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد المجيد، ط١،

(١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

▪ الأزمنة والأمكنة، للعلامة أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي الأصبهاني(ت٤٢١هـ)، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

▪ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، للعلامة محمد المعروف بدياب الإتليدي (ت في القرن ١٢هـ) ط١، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) تحقيق محمد أحمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

▪ الأعلام، للأستاذ خير الدين بن محمود الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، (٢٠٠٢م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

▪ ألفية ابن مالك (الخلاصة)، للعلامة النحوي جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني الأندلسي (ت٦٧٢هـ)، عني به مهند خذها، ط١، (١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م)، مكتبة دار الدقاق، دمشق، سورية.

▪ الألفية الصوفية (الألفية الوفية للسادة الصوفية) للعلامة العارف بالله مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي (ت١١٦٢هـ)، تحقيق عمر ويوسف مصطفى الجندي، ط١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٧م)، دار الإحسان، القاهرة، مصر.

▪ أم البراهين، للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن يوسف الحسني السنوسي (ت٨٩٥هـ)، تحقيق محمد صادق درويش، ط٣، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، دار البيروتي، دمشق، سورية.

■ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للعلامة المفسر ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، (١٤١٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

■ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للعلامة محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

■ بردة المديح المباركة، للإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري المصري (ت٦٩٦هـ)، ط١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، مكتبة دار الدقاق، دمشق، سورية.

■ البرهان المؤيد، للإمام العلامة العارف بالله أبي العباس أحمد بن علي الرفاعي الحسيني (ت٥٧٨هـ)، ط١، (١٤٠٨هـ)، تحقيق عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، بيروت، لبنان.

■ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للإمام الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسن أحمد صالح الباكري، ط١، (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م)، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، السعودية.

■ بلغة السالك لأقرب المسالك، للإمام العلامة أبي العباس أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي المالكي (ت١٢٤١هـ)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

■ تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام العلامة أبي الفيض محمد بن محمد الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق

عبد الستار أحمد فراج، ط١، (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

■ تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للعلامة المؤرخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت١٢٣٧هـ) دار الجيل، بيروت، لبنان.

■ تاريخ مدينة دمشق، للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

■ تبصرة الأدلة في أصول الدين، للإمام أبي المعين ميمون النسفي(ت٥٠٨هـ)، تحقيق محمد الأنور حامد عيسى، ط١، (٢٠١١م)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.

■ التثبيت عند التبييت، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، مخطوطة مصورة من مكتبة جامعة الملك سعود، برقم (٥٦١) السعودية.

■ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للعلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط١، (١٤٢٥هـ)، مكتبة دار المنهاج، الرياض، السعودية.

■ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للعلامة أبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، ط١، (١٩٦٥- ١٩٨٣م) مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

■ تعريب الرسالة الفارسية، للعلامة أحمد بن لطف الله أفندي المولوي (ت١١١٣هـ)، مخطوطة مصورة من المكتبة الأزهرية برقم (٢١٤ خاص - ٥٤٤٣ عام)، القاهرة، مصر.

■ تفسير الطبري (جامع مع البيان عن تأويل آي القرآن)، للعلامة المفسر أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق عبد الله التركي، ط١، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

■ تفسير القرطبي، للإمام العلامة المفسر شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، ط٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

■ تفسير الوسيط، للعلامة المفسر أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق جماعة من المحققين، ط١، (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ تقريرات العلامة بصيلة، للعلامة إبراهيم بن إبراهيم بصيلة المالكي الأزهري (ت١٣٥٢هـ)، مخطوطة مصورة من المكتبة الأزهرية برقم (٥٩٤ خاص-٢٧٧٩٥عام)، القاهرة، مصر.

■ الجوهرة المضيئة، للإمام شيخ الإسلام إبراهيم بن أبي المجد الدسوقي القرشي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق إبراهيم الرفاعي، ط١، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، مكتبة الرفاعي، القاهرة، مصر.

■ حاشية الأمير على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، للعلامة

محمد بن محمد السنباوي المصري المعروف بالأمير (ت١٢٣٢هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، للعلامة محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت١٢٣٠هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

■ حاشية الصاوي على الجلالين، للإمام العلامة أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي (ت١٢٤١هـ)، ط١، (١٣٤٥هـ- ١٩٢٦ م)، المطبعة الأزهرية، القاهرة، مصر.

■ حاشية الصبان على شرح الأشموني، للعلامة أبي العرفان محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ)، ط١، (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ الحاوي للفتاوي، للإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، (ت٩١١هـ)، ط١، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

■ حرز الأماني ووجه التهاني، المسمى بـ(الشاطبية)، للعلامة المقرئ القاسم بن فره بن خلف الشاطبي الأندلسي (ت٥٩٠هـ)، تحقيق محمد تميم الزعبي، ط٣، (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م) مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، السعودية.

■ الحكم العطائية والمناجاة الإلهية، للإمام العلامة تاج الدين أحمد بن محمد ابن عطاء الله السكندري (ت٧٠٩هـ)، تحقيق

يوسف بن محمود الحاج أحمد، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، دار نور البشير، دمشق، سورية.

■ حل الرموز ومفاتيح الكنوز، للإمام عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي (ت٦٧٨هـ)، تحقيق محمد بوفنيفي، ط١، (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م)، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان.

■ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، ط١، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، دار السعادة، القاهرة، مصر.

■ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للعلامة محمد أمين بن فضل الله المحبي الدمشقي (ت١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

■ الدعاء، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ دلائل النبوة، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين الخسروجردي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ ديوان ابن الفارض، للشاعر المجيد أبي حفص عمر بن أبي الحسن الحموي المشهور بابن الفارض (ت٦٣٢هـ)، مطبعة مصورة عن دار صادر، بيروت، لبنان.

■ ديوان أبي تمام، للشاعر المجيد البارع أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ)، طبعة مصورة عن المطبعة الوهبية، القاهرة، مصر.

■ ديوان الروح والأرواح، للعلامة العارف بالله مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي الحنفي (ت١١٦٢هـ)، مخطوطة مصورة من دار الكتب القومية برقم (٢٨٧)، القاهرة، مصر.

■ ديوان امرئ القيس، للشاعر المخضرم امرئ القيس ابن حجر (ت٨٠ ق هـ)، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، ط٢ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

■ ديوان حسان بن ثابت، للصحابي الجليل الشاعر أبي الوليد حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري (ت٥٤هـ)، تحقيق وليد عرفات، ط١، (١٩٧١م) طبعه أمناء سلسلة جب التذكارية، لندن.

■ ديوان رؤبة بن العجاج، للشاعر المجيد رؤبة بن عبد الله العجاج البصري (ت١٤٥هـ)، اعتنى به وليم بن الورد البرنسي، دار قتيبة، الكويت.

■ ديوان شهاب الدين السهروردي، لأبي الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، (ت٥٨٦هـ)، اعتنى به وشرحه كامل مصطفى الشيبي، ط١، (٢٠٠٥م)، بغداد، العراق.

■ ديوان محمود الوراق، للشاعر المجيد محمود بن حسن الوراق (ت٢٢٥هـ)، تحقيق وليد قصاب، ط١، (١٤١٢هـ-١٩٩١م).

■ ذيل مرآة الزمان، للعلامة قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد

اليونيني (ت٧٢٦هـ)، ط٢، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، دار الكتاب العربي الإسلامي، القاهرة، مصر.

■ رحلة الشتاء والصيف، للعلامة محمد بن عبد الله الحسين المولوي المعروف بكبريت (ت١٠٧٠هـ)، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي، ط٢، (١٣٨٥هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

■ الرسالة القشيرية، للإمام العلامة عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، مصر.

■ رسالة في أحكام لا سيما وما يتعلق بها، للإمام العلامة أحمد بن أحمد السجاعي (ت١١٩٧هـ)، تحقيق معن يحيى محمد وعبد الكريم عمر علي، طبعة مجلة آداب الرافدين، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

■ رؤية الله، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ) تحقيق إبراهيم محمد العلي وأحمد فخري الرفاعي، (١٤١١هـ) مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

■ الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، للإمام العلامة شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، للعلامة محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد

معوض، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

▪ سنن ابن ماجه، للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (ت١٩٥٢م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

▪ سنن أبي داود، للإمام العلامة أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

▪ سنن الترمذي، للإمام العلامة أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

▪ السنن الكبرى، للإمام العلامة أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخراساني (ت٣٠٣هـ)، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، ط١، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

▪ سيرة ابن هشام، للعلامة جمال الدين أبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت٢١٣هـ) تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

▪ السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، للعلامة نور الدين أبي الفرج علي بن إبراهيم الحلبي (ت١٠٤٤هـ)، دار الكتب

العلمية، بيروت،لبنان.

■ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، للعلامة محمد بن محمد مخلوف (ت١٣٦٠هـ)، علق عليه عبد المجيد خيالي، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للعلامة أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الفكري الحنبلي (ت١٠٨٩م)، تحقيق محمود الأرناؤوط، ط١، (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦)، دار ابن كثير، دمشق، سورية.

■ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للعلامة النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الأشموني الشافعي (ت٩٠٠هـ)، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

■ شرح الأمير على رسالة لا سيما للسجاعي، للعلامة محمد بن محمد السنباوي المصري المعروف بالأمير (ت١٢٣١هـ)، مخطوطة مصورة من المكتبة الأزهرية برقم (٣٠٨٧ خاص- ٣٩٨٠٨ عام)، القاهرة، مصر.

■ شرح الصدور، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار المعرفة، بيروت لبنان.

■ شرح العقائد النسفية، للإمام العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩١هـ)، تحقيق عبد السلام شنار، ط١، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م)، مكتبة دار الدقاق، دمشق، سورية.

■ شرح الكبرى (عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل

التوحيد)، للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن يوسف الحسني السنوسي، (ت٨٩٥هـ)، ط١، (١٣١٦هـ)، مطبعة جريدة الإسلام، القاهرة، مصر.

■ شرح المقاصد، للإمام العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط٢، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

■ شرح الهمزية، للإمام العلامة أبي العباس أحمد بن محمد الصاوي المالكي(ت١٢٤١هـ)، ط١، (١٣٠٦هـ) المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

■ شرح تسهيل الفوائد، للعلامة النحوي جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني الأندلسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط١، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

■ شرح صحيح مسلم، للإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

■ شرح مختصر خليل، للعلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي المالكي (١١٠١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

■ شرح معالم أصول الدين، للإمام شرف الدين عبد الله بن محمد الفهري المعروف بابن التلمساني (ت٦٥٨هـ)، تحقيق نزار حمادي، ط١ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، دار الفتح، عمان، الأردن.

■ شرف المصطفى، للإمام العلامة أبي سعيد عبد الملك بن محمد

الخركوشي (ت٤٠٧هـ) ط١، (١٤٢٤هـ)، دار البشائر الإسلامية، مكة، السعودية.

▪ شعب الإيمان، للإمام العلامة أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م) مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

▪ صحيح ابن خزيمة، للعلامة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ط٢، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان،

▪ صحيح البخاري، للإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، (١٤٢٢هـ)، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

▪ صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

▪ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للإمام العلامة شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

▪ طبقات الشافعية الكبرى، للإمام العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ) ط٢، (١٤١٣هـ) دار هجر، القاهرة، مصر.

■ طبقات الصوفية، للإمام العلامة أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت٤١٢ هـ)، ط١، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ الطبقات الكبرى (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية)، للإمام زين الدين محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٢١هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، لبنان.

■ الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)، للإمام العلامة أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، القاهرة، مصر، (١٣١٥هـ).

■ العرش، للإمام العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط٢، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، تحقيق محمد بن خليفة التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية.

■ عرف التعريف بالمولد الشريف، للإمام العلامة شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، عناية محمد أبي الخير ملقي، ط١، (١٤٣١هـ)، دار الحديث الكتانية، بيروت، لبنان.

■ العظمة، للإمام أبي محمد عبد الله بن محمد ابن حيان المعروف بأبي الشيخ الأنصاري (ت٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

■ عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، للعلامة المفسر

شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

■ فتاوى الخليلي، للعلامة محمد بن محمد الخليلي الشافعي (ت١١٤٧هـ)، طبعة مصرية قديمة.

■ فتاوى الشهاب الرملي، للإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن حمزة الرملي (ت٩٥٧هـ)، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر.

■ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (١٣٧٩هـ).

■ الفتوحات المكية، للإمام الشيخ الأكبر سلطان العارفين محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحاتمي الطائي (ت٦٣٨هـ)، ط١، (١٣٢٩هـ) دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، مصر.

■ الفردوس بمأثور الخطاب، للعلامة أبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي (ت٥٠٩هـ)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، (١٤٠٦هـ- ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ فضائل الصحابة، لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق وصي الله محمد عباس، ط١، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

■ فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، للإمام حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق محمود بيجو، ط١،

(١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

▪ فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام العلامة زين الدين عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت١٠٣١هـ)، ط١، (١٣٥٦هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

▪ قواعد التصوف، للإمام العلامة أحمد بن أحمد المغربي المشهور بزروق (ت٨٩٩هـ)، تحقيق محمود بيروتي، ط١، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م)، دار البيروتي، دمشق، سورية.

▪ قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طرق المريد إلى مقام التوحيد، للإمام أبي طالب محمد بن علي المكي الحارثي (ت٣٨٦هـ)، تحقيق عاصم الكيالي، ط٢، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

▪ كرامات الأولياء، للعلامة أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، دار طيبة، السعودية.

▪ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للإمام العلامة المفسر أبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٣ (١٤٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

▪ كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعلامة المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني (ت١١٦٢هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر، (١٣٥١هـ).

▪ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للإمام أبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، تحقيق أبو محمد ابن عاشور، ط١، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

▪ لسان العرب، للعلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، ط٣، (١٤١٤هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

▪ لوامع الأنوار البهية، للعلامة شمس الدين أبي العون محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ) ط٢، (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، مؤسسة الخافقين، دمشق، سورية.

▪ المجالسة وجواهر العلم، للعلامة أبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، (١٤١٩هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

▪ المجتبى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، ط٢، (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سورية.

▪ مجموعة منظومات أمهات العلوم، ط٢، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، دار البيروتي، دمشق، سورية.

▪ المدخل إلى السنن الكبرى، للإمام العلامة أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد ضياء الدين الأعظمي،

دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

■ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، للعلامة عفيف الدين أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، ط١، (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الهروي القاري (١٠١٤هـ)، ط١، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

■ المزيد على إتحاف المريد، للعلامة المتكلم أحمد بن محمد الحسني القلعاوي المعروف بالسحيمي (ت١١٧٨هـ)، مخطوطة مصورة من المكتبة الأزهرية برقم (٣٨ خاص- ٨٩٠ عام)، القاهرة، مصر.

■ المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم الطهماني النيسابوري (ت٤٠٥هـ) طبعة مصورة عن دار المعرفة، بيروت، لبنان.

■ مسند أبي يعلى، للإمام أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، (١٤٠٤هـ -١٩٨٤م)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.

■ مسند الإمام أحمد، لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

■ مسند البزار، للإمام العلامة أبي بكر أحمد بن عمرو المعروف

بالبزار (ت٢٩٢هـ)، تحقيق جماعة من المحققين، ط١، (١٩٨٨م-٢٠٠٩م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

■ مسند الشاميين، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ -١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

■ مسند الشهاب، للعلامة أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري (ت٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي بن عيد المجيد السلفي، ط٢، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

■ المعجم الأوسط، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، مصر.

■ المعجم الكبير، للإمام العلامة أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢،مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

■ معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف بن إليان سركيس (ت١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس، مصر، (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م).

■ معجم المؤلفين، للأستاذ عمر بن رضا كحالة (ت١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، لبنان.

■ معرفة السنن والآثار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين الخسرودجردي البيهقي (ت٤٥٨هـ) تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١،

(١٤١٢هـ-١٩٩١م)، دار قتيبة، دمشق، سورية.

■ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، للإمام العلامة جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، (١٩٨٥م)، دار الفكر، دمشق، سورية.

■ المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، للعلامة أحمد بن محمد المحلي الشافعي (ت بعد ١١٥٣هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.

■ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام العلامة شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشب، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

■ مناقب الإمام أحمد، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الله التركي، ط٢، السعودية.

■ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.

■ مورد الصادي في مولد الهادي (ص)، للعلامة المحدث شمس الدين محمد بن عبد الله الدمشقي الشافعي المعروف بابن ناصر الدين (ت٨٤٢هـ)، تحقيق إبراهيم بن راشد المريخي، ط١، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، الدار الغناء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

■ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للعلامة جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر.

■ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، للإمام العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الرملي (ت١٠٠٤هـ)، ط الأخيرة، (١٤٠٤هـ -١٩٨٤م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

■ هداية المريد بجوهرة التوحيد، للإمام العلامة برهان الدين إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المالكي (ت١٠٤١هـ)، تحقيق مروان حسين البجاوي، ط١، (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م) دار البصائر، القاهرة، مصر.

■ هدية العارفين، للأستاذ إسماعيل محمد أمين البابانى (ت١٣٩٩هـ)، طبعة مصورة في دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

■ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للعلامة أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق مفيد محمد قمحية، ط١، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

محتوى الكتاب